BOB WOODWARD

THE #1 INTERNATIONAL BESTSELLING AUTHOR

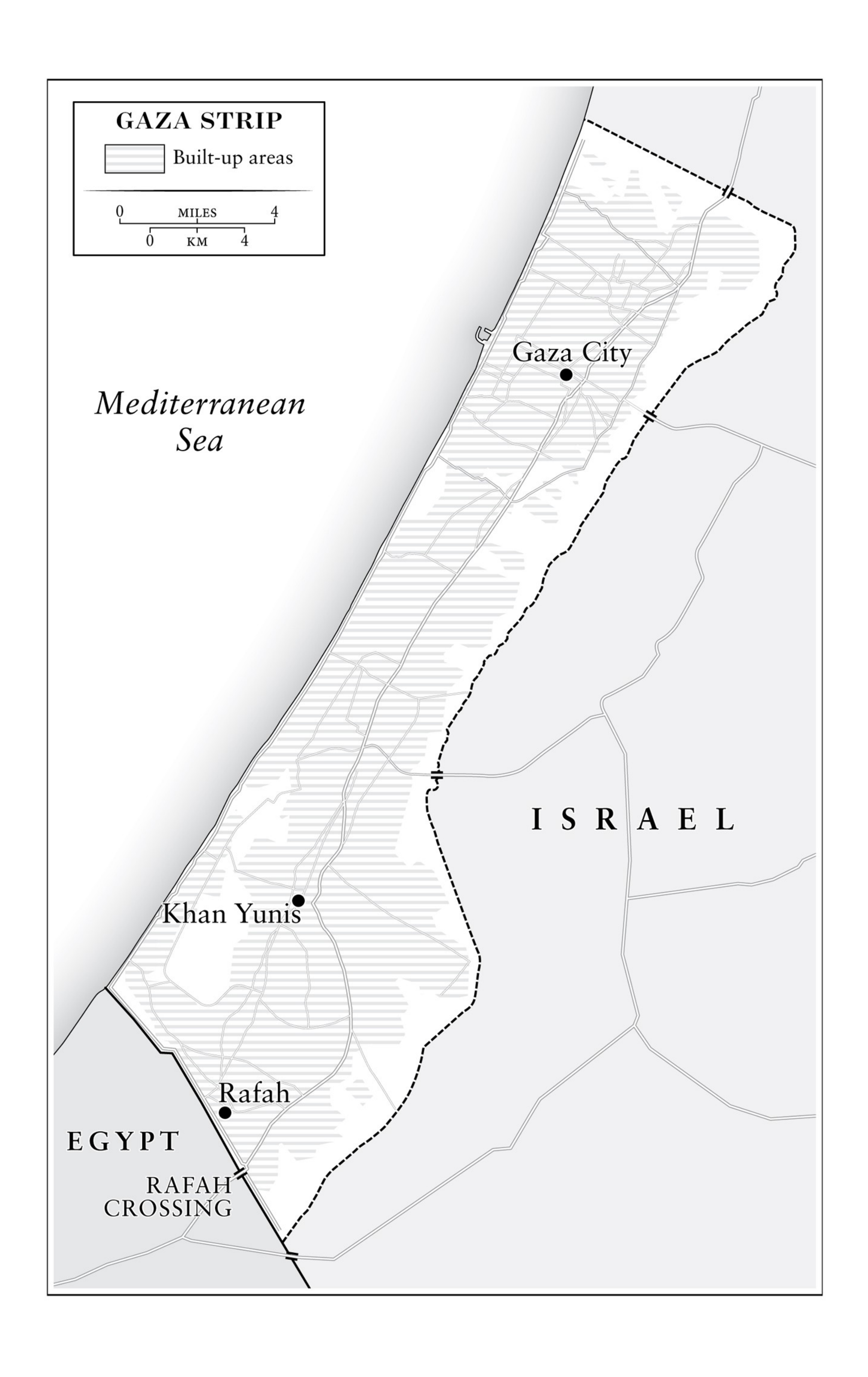
WAR



WAR

Bob Woodward

Simon & Schuster
New York London Toronto Sydney New Delhi


GAZA STRIP
Built-up areas
0
MILES
4
0
KM
4
Mediterranean Sea
Gaza City
ISRAEL
Khan Yunis
Rafah
EGYPT
RAFAH CROSSING


SYRIA
CYPRUS
LEBANON
Beirut
Mediterranean Sea
Damascus
GOLAN
HEIGHTS
ISRAEL
WEST
BANK
Tel Aviv
Amman
Ashdod Port
Jerusalem
Gaza City
GAZA STRIP
Dead
Sea
Khan
Yunis
Rafah
Nevatim
Air Base
JORDAN
E G Y P T
ISRAEL
Hamas controlled
Hezbollah controlled
Palestinian Authority
controlled
0
MILES
60
0
KM
60
Sinai
Peninsula
Gulf of Aqaba
SAUDI ARABIA


UKRAINE
February 24, 2022
(before invasion by Russia)
The Donbas and Crimea
Seized by Russia in February/March 2014
0 MILES 60
0 KM 60
FINLAND
Helsinki
Gulf of Finland
Tallinn
ESTONIA
Baltic Sea
Riga
LATVIA
LITHUANIA
KALININ-GRAD (Russia)
Vilnius
Moscow
RUSSIA
Minsk
BELARUS
POLAND
Warsaw
Chernobyl
Bucha
Kyiv
Lviv
UKRAINE
Dniester R.
Dnipro R.
SLOVAKIA
HUNGARY
Luhansk
Avdiivka
Donbas
Donetsk
MOLDOVA
Chisinau
Mariupol
Berdiansk
Odessa
Kherson
Sea of Azov
Snake Island
Crimea
ROMANIA
Bucharest
Black Sea
Sofia
BULGARIA
GREECE
TURKEY

لصديقي مدى الحياة وشريكي في إعداد التقارير كارل بيرنشتاين

" إن الإبداعات الميكانيكية والعلمية للإنسان الحديث تميل إلى إخفاء طبيعة إنسانيته عنه وتشجيعه على كل أنواع الطموحات والأوهام البروميثيوسية "

جورج كينان ، الدبلوماسي الأمريكي وأب نظرية سياسة الاحتواء التي تمنع فيها الولايات المتحدة بشدة توسع الاتحاد السوفييتي

ملاحظة شخصية للمؤلف

" سأســتمر في المضي قــدما " ، هكــذا تقــول لي كلــير مــاكمولي مساعدتي المتميزة بدوام كامل في هذا الكتاب . إن الاستمرار في المضي قدما هو شعارها . كلير ، هي كاتبة ومحامية موهوبة من أستراليا ، تبلغ من العمر 30 عاما ، جعلت هذا الكتاب ممكنا . لولاها لما كان هناك كتاب . نقطة . إنها عبقرية . كلير طيبة القلب ومبهجـة دائما ، وهي أيضا قوية . إنها تتحداني لملاحقة القصص الصعبة والتأكيدات والأدلة . إن دفعها لطيف ولكنه لا ينتهي أبدا . إنها تذكرني بانتظام بمسارات إعداد التقارير الجديدة التي يجب استكشافها . قد تفهم هذه الحروب في أوكرانيا والشرق الأوسط بشكل أفضل وأكثر مني . إنها تعرف ملفاتنا والسجل العام ، وتربط بينهما دائما . عندما تتوقف طاقتي ، تظهر مبكرا ، وتبقى متأخرة وتأتي في عطلات نهاية الأسبوع . إنها تفكر دائما . لا تتعثر أبدا . تدير كلير مئات الملفات ونصوص المقابلات التي تعـدها شخصـيا بسرعة ودقة ماراثونية .أفكر مرات عديدة ، لماذا لا أشبهها ؟ والإجابة الصادقة هي أن هناك كلير ماكمولين واحدة فقط . وهي ستكتب كتبها الخاصة قريبًا . ولا يمكن المبالغة في تقدير مساهمتها في هذا الكتاب . فهي قدمت الكثير من المودة و**الصداقةوالإعجاب الغامر.**

مقدمه

في إحـدى الأمسـيات في فـبراير 1989 ، اصـطدم شريكي في إعـداد التقـارير في ووتـرغيت كـارل بيرنشـتاين بدونالـد تـرامب في حفـل عشـاء في مدينـة نيويورك قال لي كارل على الهاتف من الحفلة، التي استضافها أحمد أرتوغـان، الشخصية الاجتماعية والمدير التنفيذي للأعمال الموسـيقية،في منزلـه في أبـر إيست سايد : "لماذا لا تـأتي؟ الجميـع يسـتمتع بـوقتهم، تـرامب هنـا. إنـه مثـير للاهتمام. لقد كنت أتحدث معه".

كـان برنشـتاين مفتونـا بكتـاب تـرامب (فن الصـفقة). وافقت على مضـض إلى حد ما على الانضمام إليه ، إلى حد كبير ، كما يذكرني كـارل غالبـا ، لأنـني كنت بحاجة إلى مفتاح شقته حيث كنت أقيم في ذلك الوقت.

قلت له: "سأكون هناك قريبا".

كانت قد مرت 17 عامًا منذ أن تعاونت أنـا وكـارل لأول مـرة في كتابـة قصـص حول اقتحام ووترغيت في 17 يونيو 1972.

نظر إلينا ترامب ونحن نقف معًا، وكـان عمـره حينهـا 45 عامًـا، ثم اقـترب وقـال: "ألن يكون مذهلاً إذا أجرى وودوارد وبرنستين مقابلة مع دونالد ترامب؟"

نظرت أنا وكارل إلى بعضنا البعض.

قال كارل: "بالتأكيد". "ماذا عن الغد؟"

قال ترامب: "نعم، تعالوا إلى مكتبي في برج ترامب".

أكّد لي كارل بعد أن غادر ترامب: "هذا الرجل مثير للاهتمام".

فأجبته: "ولكن ليس في السياسة".

لقد أثار اهتمامي على الفور ترامب ، رجل الأعمال المحتال وشخصيته الفريدة التي تمت رعايتها وتنميتها بعناية ، والتي تم تصميمها حتى ذلك الحين للتلاعب بالآخرين بدقة ولمسة من القسوة.

تم تسجيل مقابلة ترامب على شريط ميكروكاسيت وتم تفريغها باستخدام آلة كاتبة، ثم تم وضعها في مظروف أصفر مع نسخة من كتاب ترامب، وضاعت في النهاية بين أكوام وأكوام من السجلات، والملاحظات، والمقالات الصحفية. أنا شخص يحتفظ بكل شيء. لمدة تزيد عن ثلاثين عامًا، بحثت أنا وكارل عن تلك المقابلة.

مازحت الرئيس ترامب حول "المقابلة المفقودة" عندما قابلته في المكتب البيضاوي في ديسمبر 2019 من أجل ثاني كتبي الثلاثة عن رئاسته ، (الغضب).

تذكر ترامب: "جلسنا على طاولة وتحدثنا". وأضاف: "أتذكرها جيدًا". وقال إنه يجب عليّ محاولة العثور عليها لأنه يعتقد أنها كانت مقابلة رائعة.

في العام الماضي، 2023، ذهبت إلى منشأة حيث أحتفظ بسجلاتي وبحثت بين مئات الصناديق من الملفات القديمة. وفي صندوق يحتوي على قصاصات إخبارية متفرقة من الثمانينيات، لاحظت مظروفًا عاديًا ومتهالكًا قليلًا – المقابلة.

إنها صورة لترامب الشاب في سن 42 ، تركز حصريا على صفقاته العقارية ، وعلى كسب المال ومكانته الشهيرة. لكنه كان ضبابيا بشأن مستقبله.

قال ترامب لنا في عام 1989: "أريد حقًا بناء أفضل فندق". "لهذا السبب أقوم ببناء أجنحة في الطوابق العلوية. أنا أبني أجنحة رائعة".

وقال ترامب: "تسألني إلى أين أنا ذاهب ولا أعتقد أنه يمكنني إخبارك على الإطلاق". "إذا بقي كل شيء على ما هو عليه الآن ، فربما يمكنني أن أخبرك جيدا أين سأكون." لكنه شدد على أن "العالم يتغير". وأعرب عن اعتقاده بأن هذا هو اليقين الوحيد.

كما تحدث عن كيفية تصرفه بشكل مختلف اعتمادا على من كان معه. "إذا كنت مع الأولاد - بمعنى المقاولين وهذا وذاك - فأنا أتفاعل بطريقة واحدة" ، قال ترامب ثم أشار إلينا. "إذا كنت أعرف أن لدي اثنين من المحترفين في كل العصور يجلسان معي ، مع تشغيل أجهزة التسجيل ، فأنت تتصرف بشكل مختلف بشكل طبيعي.

"أشار ترامب إلى نفسه قائلاً: "الأكثر إثارة للاهتمام سيكون التصرف الحقيقي بدلاً من الواجهة". تساءلت عن "التصرف الحقيقي".

وأضاف: "إنه أكثر إثارة للاهتمام. إنه تصرف لم يتم التقاطه".

كان يؤدي باستمرار ، وفي ذلك اليوم، كنا نتلقى هجومه الساحر بالكامل.

قال ترامب: "إنه ليس نفس الأمر أبدًا عندما يكون هناك شخص يجلس معك ويأخذ ملاحظات حرفيًا. أنت تتصرف بأفضل تصرفاتك، وبصراحة، الأمر ليس مثيرًا للاهتمام بنفس القدر مقارنة بالصراخ الحقيقي".

كما بدا أن ترامب منشغل بالظهور بمظهر القوي والقاسي.

قال ترامب: "أسوأ جزء في البرامج التلفزيونية عندما نقوم بها هو أنهم يضعون المكياج في كل مكان على وجهك". "هذا الصباح قمت بشيء ما ووضعوا المكياج في كل مكان على وجهي، فهل تذهب للاستحمام وتنظيفه أم تتركه؟ وفي مجال البناء، لا ترتدي المكياج. سيكون لديك مشاكل إذا ارتديت المكياج".

طلبنا من ترامب أن يطلعنا على خطوات إحدى صفقاته العقارية.

"بشكل غريزي"، قال ترامب فورًا. "لا أستطيع أن أخبرك ما هو، تفهمني. لأن الغريزة أهم بكثير من أي عنصر آخر إذا كانت لديك الغرائز الصحيحة. وأسوأ الصفقات التي قمت بها كانت عندما لم أتبع غرائزي. وأفضل الصفقات التي قمت بها كانت عندما اتبعت غرائزي ولم أستمع إلى جميع الأشخاص الذين قالوا: 'لا توجد طريقة تنجح بها'.

قال: "قلة قليلة من الناس لديهم غرائز مناسبة". "لكنني رأيت أشخاصا لديهم غرائز مناسبة يفعلون أشياء لا يستطيع الآخرون القيام بها."

هل هناك خطة رئيسية؟

"لا أعتقد أنني أستطيع تحديد ما هي الخطة الرئيسية العظيمة" ، قال في إشارة إلى حياته. "أنت تفهم ذلك. لكنها تتناسب بطريقة ما مع بعضها البعض بطريقة غريزية. سأخبرك ماذا ، إذا اكتشفت ذلك ، فأخبرني بذلك. سأكون مهتما. قد أكون مهتما بالفعل."

سألته عن ضميره الاجتماعي. هل يمكن أن "يقودك إلى السياسة أو بعض الأدوار العامة؟"

"حسنًا، كما تعلم، بالنسبة لي، كل هذا مثير للاهتمام"، قال. "في الأسبوع الآخر، كنت أشاهد مباراة ملاكمة في أتلانتيك سيتي وهؤلاء الرجال قساة، كما تعلم، جسديًا قساة. وعقليًا أقوياء بطريقة ما، حسنًا. أعني أنهم لن يكتبوا كتبًا، لكنهم عقليًا أقوياء بطريقة معينة.

"والبطل خسر وهُزم على يد مقاتل جيد جدًا لكنه لم يكن متوقعًا أن يفوز. وبعد المباراة، قاموا بمقابلة الملاكم وقالوا له: 'كيف فعلت ذلك؟ كيف فزت؟'

"وقال ،" لقد ذهبت للتو مع اللكمات ، يا رجل. لقد ذهبت للتو مع اللكمات. اعتقدت أنه كان تعبيرا رائعا ، لأنه يتعلق بالحياة بقدر ما يتعلق بالملاكمة أو أي شيء آخر. تذهب مع الضربات ".

إذا نظرنا إلى حياة ترامب الآن — صفقاته العقارية، رئاسته، محاكمات عزله، التحقيقات، المحاكمات المدنية والجنائية، إدانة، محاولة اغتيال، حملة إعادة انتخاب — هذا بالضبط ما فعله. مضى مع الضربات.

"أي شخص يقول لك أين سيكون خلال عشر سنوات هو شخص غبي"، أضاف ترامب. "العالم يتغير. ستكون هناك أزمات. ستكون هناك فترات ركود. ستكون هناك ارتفاعات وانخفاضات. ستكون هناك حروب. أشياء خارج نطاق

سيطرتك أو في معظم الحالات خارج نطاق سيطرة الناس. لذلك عليك أن تمضي مع الضربات ومن السيئ أن تتنبأ بمكانك بعيدًا جدًا في المستقبل، كما تعلم."

في ذلك الوقت كان تقريبًا مهووسًا بالعناوين الإخبارية النقدية التي تتحدث عن خسارته للصفقات.

"أنت تجني أموالا كبائع أكثر مما تجنيه كمشتري" ، أوضح ترامب. "لقد وجدت أن أن تكون بائعا اليوم يعني أن تكون خاسرا. نفسيا. وهذا خطأ".

"سأخبرك بشيء. لقد تغلبت بشدة على شخص يدعى ميرف غريفين"، قال ترامب. غريفين كان مضيف برنامج حواري ورجل أعمال إعلامي. فقط اضربه". وكما تعلمون ، جاء - أنت تتحدث عن الماكياج. جاء بمكياج وكان على شاشة التلفزيون ، كما تعلمون ، يأتي إلى مكتبي. قام بصفقة لشراء كل شيء لم أرغب فيه في منتجعات إنترناشونال"، قال ترامب. "ظللت أقول له لا، لا، لا، لا، واستمر في رفع السعر، رفع السعر، رفع السعر. فجأة، اتضح أنها صفقة مذهلة بالنسبة لي. صفقة لا تصدق".

وأضاف ترامب: "بالإضافة إلى ذلك ، حصلت على تاج محل ، وهو جوهرة التاج المطلقة في العالم". كان يشير إلى كازينو تاج محل أتلانتيك سيتي ، وليس الضريح المقدس في الهند.

وقال: "النقطة المهمة هي أن الناس اعتقدوا أنني خسرت". "إذن ما حدث هو أن هناك مزاجا في العالم على مدى السنوات الخمس الماضية أنه إذا كنت بائعا ، فأنت خاسر ، حتى لو كنت بائعا بربح ضخم."

سألت ترامب ، عندما تستيقظ في الصباح ، ماذا تقرأ؟ مع من تتحدث؟ ما هي مصادر المعلومات التي تثق بها؟

"الكثير منها أساسي جدًا"، قال ترامب. "أقرأ صحيفة وول ستريت جورنال ونيويورك تايمز. أقرأ البوست والديلي نيوز، ليس كثيرًا من أجل الأعمال، ولكن فقط لأني أعيش في المدينة وتعلم، فهي تقدم تقارير عن المدينة

". كـانت صـحيفة نيويـورك بوسـت صـحيفة تابلويـد غطت تـرامب بشـكل مهووس . قال"أنا أعتمد على الناس بدرجة أقل من اعتمادي على هذا التدفق

العام من المعلومات". "أتحدث أيضا إلى سائقي سيارات الأجـرة. أذهب إلى المدن وأقـول ما رأيك في هـذا؟ هكـذا اشـتريت مـار لاغـو. تحـدثت إلى سائق سيارة أجرة، وسألته: 'ما هو الأكثر رواجًا في فلوريدا؟ مـا هـو أعظم مـنزل في بالم بيتش؟'

"أوه ، أعظم منزل هو مار لاغو" ، قال سائق سيارة الأجرة.

"قلت أين هـو؟ خـذني." ثم أضـاف تـرامب: "كنت في بـالم بيتش ، وكنت في بريكرز وشعرت بالملل القاسي".

اشترى ترامب في النهاية **Mar-a-Lago** مقابل 7 ملايين دولار.

قال: "أتحدث إلى أي شخص". "أنـا دائمـا أسـميها اسـتطلاع. يقـول لي النـاس مازحين أنك تعرف أن ترامب سيتحدث مـع أي شـخص. وأنـا أتحـدث إلى عمـال البناء وسائقي سيارات الأجرة ، وهؤلاء هم الأشخاص الذين أتفق معهم بشـكل أفضل على أي حال في كثير من النواحي. أنا أتحدث إلى الجميع".

ادعى تـرامب أنـه اشـترى 9.9 في المائـة من شركة كـازينو ، بـالي للتصـنيع ، وفي فترة زمنية قصيرة حقق 32 مليون دولار. ثم قال إنه أنفق "ما يقـرب من 100 مليـون على شراء الأسـهم" في بـالي ممـا أدى إلى رفـع دعـوى قضـائية ضده. أراد محامو الجانب الآخر سجلات ترامب.

وقـال تـرامب: "كـانوا يحـاولون إثبـات أنـني أجـريت هـذا البحث الهائـل عن الشركة ، وأنـني قضـيت أسـابيع وشـهورا في تحليـل الشركة". "واعتقـدوا أنـه سيكون لـدي ملفـات تصـل إلى السـقف. لـذلك اسـتدعوا كـل شيء وانتهى بي الأمـر بعــدم إعطـائهم أي أوراق. لم تكن هنــاك ملفــات تقريبــا. لــذلك يتم استجوابي من قبل أحد محاميهم باهظي الثمن ".

انتحـل تـرامب شخصـية المحـامي: "منـذ مـتى وأنت تعـرف عن هـذا يـا سـيد ترامب؟ ومتى؟"

"بعبارة أخرى ، يحاولون أن يقولوا مثل هذه هي هذه المؤامرة العظيمة" ، قال ترامب. "قلت ، لا أعرف ، لقد بدأت للتو في التفكير في الأمر في اليوم الذي اشتريته فيه."

كان المحامي متشككا. "حسنا ، كم عدد التقارير التي قمت بها؟"

"حسنا ، لم أفعل ذلك حقا ، كان لدي شعور فقط."

وقال ترامب: "لم يصدقوا أن شخصا ما سيأخذ 100 مليون دولار ويضعها في شركة بدون أبحاث حقيقية". "الآن كان لدي بحث في رأسي ، ولكن أبعد من ذلك ، كما تعلمون ، لم يفكروا في حدوث ذلك. وعقل الشركات وعقلية الشركات لا يعتقدون أن هذا يحدث. هذه هي أفضل صفقاتي".

سأل كارل ترامب عما إذا كان يرى نفسه في دور الخدمة العامة؟

وقال ترامب "لا أعتقد ذلك لكنني لست متأكدا". "أنا صغير. من الناحية النظرية ، إحصائيا ، لدي وقت طويل متبقي. لقد رأيت أشخاصًا يعطون الكثير لدرجة أنهم لا يملكون شيئًا عندما تأتي الأوقات الصعبة."

قال إنه كان يؤسس مؤسسة دونالد جي ترامب. "عندما أموت — كما يقول التعبير — أريد أن أترك كمية ضخمة من المال لتلك المؤسسة. بعضه لعائلتي وبعضه للمؤسسة. لديك التزام تجاه عائلتك."

تحدث ترامب عن "الأوقات الصعبة" كما لو كانت حتمية. "دائمًا ما أحب التحضير للأسوأ. وهذا لا يبدو كتصريح لطيف جدًا"، قال. "أعلم أن الأوقات ستصبح سيئة. الأمر فقط متى."

تحدث عن يخته الخاص بطول 282 قدمًا الذي اشتراه من رجل الأعمال السعودي الثري وتاجر السلاح عدنان خاشقجي. قام ترامب بتغيير اسمه إلى "اميرة ترامب". "إذا كنت تريد بناء مثل هذا اليوم، سيكلف 150 إلى 200 مليون دولار. إذا أردتم، سنذهب عليه أو شيء من هذا القبيل... إنه مذهل. إذا

قرأت مجلة تايم، يبدو أنني لا أفعل شيئًا سوى الطفو على هذا القارب طوال اليوم. هذا ليس ما يحدث."

سألت,من هو أفضل صديق لك؟

أدرج بعض أسماء رجال الأعمال والمستثمرين ، والأشخاص الذين عملوا معه ، والتي لم نتعرف عليهم أنا ولا كارل ، وشقيقه روبرت. وقال: "أعتقد في جميع الحالات أنها مرتبطة بالأعمال"، قال. "فقط لأن هؤلاء هم الأشخاص الذين أتعامل معهم.

"لكن الصداقة شيء غريب. كما تعلمون ، أنا مهتم دائما بالصداقة. في بعض الأحيان تحب اختبار الناس. الآن الجميع يريد أن يكون صديقي لأي سبب من الأسباب. حسنا للأسباب الواضحة.

"أحيانًا ترغب في اختبارهم وتقول يومًا ما لفترة أسبوع أن ترامب قد أخطأ، ثم تعود وتتصل بهم وتدعوهم لتناول العشاء وترى ما إذا كانوا سيأتون. كثيرًا ما أردت فعل ذلك. أخذ فترة شهر ودع العالم يعتقد أنني أخطأت فقط لاختبار ما إذا كانت الصداقة حقيقية.

"أنا مؤمن كبير بالولاء. أؤمن بالولاء للناس. أؤمن بالحصول على أصدقاء عظماء وأعداء عظماء. لقد رأيت أشخاصًا كانوا على القمة ولم يبقوا على القمة وفجأة... الأشخاص الذين كانوا يتملقونهم اختفوا. أعني اختفوا تمامًا.

"أحد الأمثلة على ذلك كان مصرفيا. لقد كان حقا مصرفيا رائعا ، لأحد البنوك الكبرى - سيتي بنك. وكان مسؤولا عن قروض ضخمة لأشخاص كبيرين جدا.

"لقد جعل الكثير من الناس أغنياء يقرضون المال واتصل بي بعد عامين من الواقعة. قال ، كما تعلم ، إنه أمر لا يصدق ، نفس الأشخاص الذين كانوا أعز أصدقائي ، والذين كانوا يتصلون بي طوال الوقت ويقبلون مؤخرتي بكل الطرق ، لا يمكنني حتى الوصول إليهم على الهاتف بعد الآن ... عندما غادر البنك لم يعودوا يتلقون مكالماته.

"أنا كنت سأفعل."

وصف ترامب استراتيجيته في رفض دفع الانتهاكات العقارية التي تلقاها من المفتشين حتى يتلاشى الأمر أو ينسوه.

قال ترامب عن المفتشين."منذ اليوم الأول ، قلت اللعنة عليهم" .

يتذكر ترامب: "عندما كنت في بروكلين ، كان المفتشون يأتون ويعطونني انتهاكا للمباني التي كانت مثالية تماما". "أود أن أقول ،" اللعنة عليك. وكانوا يعطونني المزيد من الانتهاكات. وأكثر من ذلك. ولشهر واحد كان الوضع مزريًا . كان لدي المزيد من الانتهاكات - وكانت انتهاكات لا أساس لها من الصحة. لكنهم يعطونها لأن ما أرادوه هو أنه إذا دفعت لهم مرة ، فسيعودون دائما. إذن ما حدث لي ، في شهر واحد قالوا للتو ، "اللعنة على هذا الرجل ، إنه قطعة من القرف". وكانوا يذهبون إلى شخص آخر.

وقال ترامب: "النقطة هي أنه إذا تنازلت، ستسبب لك مشاكل أكثر مما تستحق"

"يمكنك قول الشيء نفسه مع الغوغاء. إذا وافقت على التعامل معهم ، فسوف يعودون دائما. إذا أخبرتهم أن يمارسوا الجنس مع أنفسهم -('اذهبوا للجحيم') في هذه الحالة ، ربما بطريقة الطف. ولكن إذا قلت لهم "انسى الأمر يا رجل ، انسى الأمر ، لا شيء يستحق كل هذا العناء" ، فقد يحاولون الضغط عليك في البداية ولكن في النهاية سيجدون هدفًا أسهل لأنه صعب جدًا عليهم. المفتشون. المافيا. النقابات. حسنًا؟"

كانت هذه هي فلسفة ترامب الأساسية.

سأل كارل ، من هم أكبر أعدائك؟

"حسنا ، أكره أن أقول لأنك ستذهب لإجراء مقابلة معهم. أكره لعب دور الناقد".

في الواقع، أحب ترامب ذلك. "الشخص الواضح هو إد كوتش"، قال. "إد كوتش كان أسوأ عمدة في تاريخ مدينة نيويورك."

وبعد خمسة وثلاثين عاما، لا يزال ترامب ينتقد المعارضين بنفس التأثير المبالغ فيه. وقال بعد أن أعلن الرئيس بايدن في يوليو 2024 أنه لن يسعى لإعادة انتخابه: «جو بايدن هو أسوأ رئيس في تاريخ الولايات المتحدة».

حتى في عام 1989 ، كانت شخصية ترامب تركز على الفوز والقتال والبقاء على قيد الحياة. قال: "والطريقة الوحيدة للقيام بذلك هي الغريزة.

"إذا علم الناس أنك شخص يتراجع"، قال، "إذا علم الناس أنك ستكون ضعيفًا، سيلاحقونك."

قال ترامب إنها "عرض كامل. إنها طريقة تقديم.

"عليك أن تعرف جمهورك وبالمناسبة ، بالنسبة لبعض الناس كن قاتلا ، بالنسبة لبعض الناس كن كالحلوى. بالنسبة لبعض الناس تكون مختلفة. بالنسبة لبعض الناس كن كليهما ".

قاتل أو لطيف أو كليهما. هذا هو دونالد ترامب.

يا لها من كبسولة زمنية رائعة من عام 1989 ، دراسة نفسية كاملة لرجل ، ثم ملك عقارات في مانهاتن يبلغ من العمر 42 عاما. لم أتوقع أبدا أن يصبح دونالد ترامب رئيسا أو شخصية سياسية محددة في عصرنا. نفس الغرائز التي أبلغت عنها خلال فترة رئاسته هي علامة تجارية لشخصيته في ذلك الوقت. هنا ، في هذه المقابلة قبل 35 عاما ، نرى أصل الترامبية في كلمات ترامب نفسه.

(ملحوظة) احداث غزة تبدأ من الفصل الثاني والاربعون بداية من صفحة223

واحد

بعد خمسة وثلاثين عاما

بينما كان مثيرو الشغب يقتحمون مبنى الكابيتول في 6 يناير 2021، كان الرئيس دونالد ترامب يشاهد التلفاز من غرفة طعامه الخاصة بجوار المكتب البيضاوي. كان أنصاره يتسلقون جدران المبنى التاريخي، يحطمون النوافذ ويحاولون فتح الأبواب الأمامية بمدق.

في الخارج، كانت المشانق تُنصب. كان أنصار ترامب يهتفون: "اشنقوا مايك بنس. اشنقوا مايك بنس. اشنقوا مايك بنس"، مطالبين بإعدام نائب الرئيس الذي رفض إلغاء مصادقة نتائج انتخابات 2020 التي فاز بها بايدن.

كان زعيم الأقلية الجمهورية في مجلس النواب كيفن مكارثي يتصل بالبيت الأبيض، طالبًا من المساعدين أن يوصلوه بترامب. كان مكتب مكارثي يتعرض للتخريب، ومكتب رئيسة مجلس النواب نانسي بيلوسي يتعرض للنهب. أخذ مثيرو الشغب صورًا بأقدامهم على مكتبها، وتركوا ملاحظة على لوحة مفاتيحها كتبوا فيها: "لن نتراجع".

تم إجلاء قادة الكونغرس، بمن فيهم مكارثي وبيلوسي، بواسطة الأمن ونُقلوا إلى موقع آمن، وهو قاعدة فورت مكناير العسكرية، على بعد بضعة شوارع من ملعب فريق واشنطن ناشونالز. لكن موظفيهم كانوا لا يزالون في الداخل، مختبئين في مكاتب مختلفة مع إطفاء الأضواء وتحريك المكاتب لتسد الأبواب.

وأخيرًا، تحدث الرئيس ترامب على الهاتف.

قال مكارثي له بشدة: "عليك أن تخرج وتخبر هؤلاء الناس بأن يتوقفوا! لقد تم اجتياحنا." وأضاف: "أحدهم تعرض لإطلاق النار للتو."

في الساعة 2:44 مساءً، قُتلت المخضرمة في سلاح الجو، آشلي بابيت، على يد ضابط شرطة داخل الكابيتول عندما حاولت مع آخرين اقتحام باب قريب من المشرعين. وكان من بين مثيري الشغب قادة من جماعات ميليشيات يمينية مؤيدة لترامب، مثل "أوث كيبرز" و"براود بويز"، بالإضافة إلى منظري المؤامرة من جماعات مثل "كيوأنون". ما بدأ كمظاهرة مؤيدة لترامب تحول إلى هجوم عنيف على النظام الدستوري للولايات المتحدة.

رد ترامب: "سأقوم بنشر تغريدة أو شيء من هذا القبيل."

صرخ مكارثي: "لقد استولوا على الكابيتول! عليك أن تخبرهم بالتوقف. عليك إخراجهم من هنا. أخرجهم من هنا. الآن."

يبدو أن الرئيس لم يستوعب خطورة الوضع. قال: "حسنًا، كيفن، أعتقد أن هؤلاء الناس أكثر غضبًا بشأن الانتخابات منك."

قدرت إف بي آي لاحقًا أن أكثر من 2000 شخص دخلوا مبنى الكابيتول في 6 يناير 2021. قُتل خمسة أشخاص، وأُصيب 172 ضابط شرطة، وتم اعتقال أكثر من 500 شخص. تجاوزت تكلفة الأضرار التي لحقت بمبنى الكابيتول التاريخي 2.7 مليون دولار.

استغرق الأمر من الرئيس ترامب 187 دقيقة لينشر تغريدة يطلب فيها من أنصاره "العودة إلى ديارهم".

قبل شهرين، كان دونالد ترامب قد خسر الانتخابات الرئاسية لعام 2020 أمام جو بايدن. لكنه رفض الهزيمة. وبدلاً من ذلك، قال إنها كانت "مزورة"، و"خدعة ضد الشعب الأمريكي"، و"مسروقة".

حتى الآن، بعد 35 عامًا من مقابلتنا الأولى، كان ترامب مقتنعًا بأن أي خسارة – حتى خسارة الانتخابات الرئاسية – يمكن تجاوزها ببساطة إذا لم يتراجع.

في مظاهرة "إنقاذ أمريكا" التي نظمها ترامب في 6 يناير، حث أنصاره على "القتال بكل قوة."

قال: "لقد فزنا في هذه الانتخابات، وفزنا بها بفارق كبير”.

"لن نتراجع أبدًا. لن نعترف أبدًا بالهزيمة”.

"نحن ذاهبون إلى الكابيتول."

وخلصت لجنة مجلس النواب المختصة بالتحقيق في هجوم 6 يناير لاحقًا إلى أن ترامب "شارك في جهد ناجح لكنه مزيف لإقناع عشرات الملايين من الأمريكيين بأن الانتخابات سُرقت منه."

قال غاريت ميلر، أحد أنصار ترامب الذي أحضر سلاحًا إلى الكابيتول في 6 يناير: "كنت أعتقد أنني أتبّع تعليمات الرئيس السابق ترامب."

وأدلى مؤيد آخر، لويس كانتويل، بشهادته قائلاً إنه شاهد ترامب على التلفاز وهو "يخبر العالم" بأن الانتخابات مسروقة. وأضاف: "ماذا كنت سأصدق غير ذلك، كمواطن أمريكي وطني صوت له؟"

قال ستيفن آيريس، الذي اقتحم الكابيتول أيضًا في ذلك اليوم، إنه كان "يستمع لكل كلمة يقولها [ترامب]." ونشر آيريس على وسائل التواصل الاجتماعي أن "حربًا أهلية ستحدث" إذا لم يبقَ ترامب في السلطة لولاية ثانية.

قال زعيم الأقلية في مجلس النواب كيفن مكارثي لترامب بعد الهجوم بفترة قصيرة: "عليك الاتصال بجو بايدن ويجب أن تفعل ذلك اليوم."

رد ترامب: "لا." وادعى أن بايدن فاز فقط بسبب التزوير.

قال مكارثي: "توقف عن قول ذلك. فقط توقف عن قول ذلك. عليك أن تترك لجو بايدن رسالة على المكتب."

كان هذا تقليدًا.

قال ترامب: "حسنًا، لم أقرر بعد."

كان مكارثي عاطفيًا ومنهكًا. كانت أحداث 6 يناير تحمل وزنًا صادمًا ومؤلمًا.

حذر مكارثي ترامب قائلاً: "إرثك سيكون مختلقًا الآن بسبب ذلك اليوم. اتصل بجو بايدن."

رفض ترامب.

أخبر مكارثي ترامب أنه من المهم للبلاد أن يجري نوع من المحادثة بين الزعيم المنتهية ولايته والقادم. يجب أن يعترف الرئيس بخليفته.

قال ترامب أخيرًا: "حسنًا، حسنًا، حسنًا." أراد إنهاء المكالمة، لكن مكارثي استمر في الحديث.

قال مكارثي: "ماذا تعتقد أن أحفادك سيفكرون فيك إذا لم تفعل ذلك؟"

كرر ترامب: "حسنًا، حسنًا."

لم تحدث المكالمة مع بايدن.

لكن في ليلته الأخيرة في المكتب البيضاوي، في 19 يناير 2021، كتب ترامب بخط يده رسالة من صفحتين إلى جو بايدن. أكملها في الساعة العاشرة مساءً، ووقعها باسم دونالد جيه ترامب ووضعها داخل المكتب. فيما بعد، أخبر بايدن سكرتيرته الصحفية في البيت الأبيض، جين بساكي، أن الرسالة كانت "صادمة في لطفها."

غادر ترامب، برفقة السيدة الأولى ميلانيا، البيت الأبيض في وقت مبكر من 20 يناير 2021، متجهين إلى ناديهم وعقارهم في بالم بيتش، مارالاغو. على متن الطائرة الرئاسية، تلقى ترامب مكالمة من رئيسة اللجنة الوطنية الجمهورية، رونا مكدانيال. كانت رسالة وداع نيابة عن اللجنة.

قال ترامب مقاطعًا إياها: "لقد انتهيت. سأبدأ حزبي الخاص."

اعترضت مكدانيال.

قالت مكدانيال لترامب على الهاتف: "لا يمكنك فعل ذلك. إذا فعلت، سنخسر إلى الأبد."

أعلن ابن ترامب الأكبر، دون جونيور، على خشبة المسرح في مظاهرة "إنقاذ أمريكا" في 6 يناير: "لم يعد هذا حزب الجمهوريين. هذا حزب دونالد ترامب الجمهوري."

قال ترامب لمكدانيال بغضب: "بالضبط. تخسرين إلى الأبد بدوني. هذا ما يستحقه الجمهوريون لعدم وقوفهم بجانبي." أراد إسقاط الحزب الجمهوري.

لاحقًا، أوضح قادة اللجنة الوطنية الجمهورية لمستشاري ترامب أن سعي الرئيس السابق للانتقام لن يضر فقط بإرثه، بل أيضًا بأمواله. هدد الحزب الجمهوري بوقف دفع فواتير ترامب القانونية وتدمير قيمة قائمة البريد الإلكتروني لحملته التي تحتوي على 40 مليون ناخب مؤيد لترامب. كان ترامب يبيع هذه القائمة لمرشحين جمهوريين آخرين. وإذا حاول استخدامها، فسوف يمنحها الحزب مجانًا.

تراجع ترامب. نفى لاحقًا في مقابلة مع الصحفي جوناثان كارل من شبكة ABC أنه فكر يومًا في تأسيس حزبه الخاص. قال ترامب: "أوه، هذا هراء. لم يحدث أبدًا." لاحقًا، نشر كارل تسجيلاً لمكالمة مكدانيال التي كانت تروي تهديد ترامب.

بينما كانت عائلة ترامب تجلس في مقدمة الطائرة الرئاسية، جلس مجموعة من أقرب مساعديه في الخلف.

قال أحد مساعدي ترامب: "لن يعودوا أبدًا"، لا الرئيس ولا أي من أفراد عائلته. حتى بين أقرب مساعديه، كان هناك شعور بالصدمة الكبيرة. العديد منهم لم يكن لديهم خطة لما سيفعلونه بعد ذلك. البعض لم يكن يعرف أين سيعيش. عادةً، يحصل الموظفون على حوالي شهرين ونصف، من وقت الانتخابات حتى 20 يناير، للتحضير لحياتهم بعد البيت الأبيض.

قال أحد المساعدين: "بالنسبة للكثير من الناس تم ضغط هذا الـوقت إلى 13 يومًـا"، لأنهم لم يكونـوا متأكـدين أن تـرامب سـيغادر الـبيت الأبيض إلا بعـد 6 يناير.

في السـاعة 11:59 صباحًا من يـوم 20 ينـاير، كـان تـرامب في شـقته الواسـعة في مـارالاغو. لم تكن هنـاك تغريـدات، ولا خطب. في السـاعة 12:01 ظهـرًا، بينما كان بايدن يؤدي اليمين كرئيس الـ 46 للولايات المتحدة، بدأ أفراد الخدمة السرية بتقليص الحواجز الأمنية التي كانت تحيط بممتلكات ترامب.

لم يعجب ترامب هذا الأمر. بقي في جناحه لبقية اليوم.

بعـد بضـعة أيـام، قـال تـرامب في مكالمـة هاتفيـة مـع زعيم الجمهـوريين في مجلس النـواب، كيفن مكـارثي: "مرحبًـا، إنـه رئيسـك المفضـل على الإطلاق. اسمع، أريد أن أتحدث". وأضاف: "أنا في فلوريدا."

كـان مكـارثي قـد صرح على أرضـية مجلس النـواب في 13 ينـاير بـأن تـرامب "يتحمـل المسـؤولية" عن أعمـال الشـغب في الكـابيتول، ودعـاه إلى "تحمـل نصـيبه من المسـؤولية." انفجـر تـرامب غضـبًا عنـدما شـاهد إعـادة البث التلفزيوني لهذه التصريحات، لكنه بدا وكأنه تجاوز الأمر.

قال مكارثي: "سأتوقف لزيارتك". لم يخبر أحـدًا بأنـه سـيذهب، حتى موظفيـه. كان مكارثي يعلم أن ترامب لم يكن يرى الكثير من الجمهـوريين. كـان في حالـة اكتئاب. الأضواء الإعلامية حول مارالاغو كانت قد خفتت.

قال استراتيجي الحزب الجمهـوري إد رولينـز ذات مـرة عن تـرامب: "هنـاك شيء واحـد يجب أن تعرفـه عنـه. إنـه يشـاهد التلفزيـون طـوال اليـوم، ثم في الليـل يظهر على التلفزيون."

كـان تـرامب الآن يقاتـل للفت الانتبـاه. لم يعـد لديـه حسـابه على تويـتر أو فيسبوك، حيث تم حظره من المـوقعين بعـد سيل من أكاذيبـه عن الانتخابـات. بدأ يظهر بشكل مفاجئ في حفلات الزفاف في مارالاغو.

عندما دخل مكارثي إلى مـارالاغو في 28 ينـاير، كـان تـرامب يرتـدي بدلـة داكنـة وربطـة عنـق صـفراء ويبتسـم. قـال تـرامب: "تعلمين، قـالت ميلانيـا إن هنـاك المزيـد من التغطيـة الإعلاميـة الآن مقارنـة بلقـائي مـع بـوتين. هنـاك أربعـة مروحيات تلفزيونية في الخارج!"

كانت زيارة مكارثي للرئيس السابق في جميع الأخبار. وجـود زعيم الجمهـوريين في مجلس النواب لتناول الغداء أظهر أن ترامب لا يـزال مسـيطرًا على الحـزب الجمهوري.

قال ترامب: "تعرف أن هذا جيد لك ولي، أليس كذلك؟"

رد مكارثي: "حسنًا، مهما كان."

جاء مكارثي على أمل إبقاء ترامب مشاركًا مع الجمهـوريين في مجلس النـواب حتى يتمكنوا من استعادة الأغلبية في انتخابات 2022. كـان بحاجـة إلى توجيـه ترامب بعيدًا عن إثارة معـارك أساسـية غـير ضرورية، ويطلب منـه دعم مقاعـد قابلة للفوز. جلسوا لتناول الغداء.

قال ترامب: "تعرف، كونني خارج تويتر قد ساعدني نوعًا ما."

رد مكارثي: "أوه، حقًا؟"

قال ترامب: "نعم، الكثير من الناس كانوا يقولون إنهم يحبون سياسـتي، لكنهم لا يحبون تغريداتي."

قال مكارثي: "نعم، مثل الجميع."

قال ترامب: "أرقامي قد ارتفعت نوعًا ما."

سأل ترامب عن محاكمته المقبلة في مجلس الشيوخ. كان قد اتُّهم بالتحريض على التمرد.

قال مكارثي: "لا أعتقد أنها ستؤدي إلى شيء."

وهذا ما حدث. في 13 فبراير 2021، تمت تبرئة ترامب. بينما صوتت أغلبية من أعضاء مجلس الشيوخ، بمن فيهم سبعة جمهوريين، لإدانة الرئيس السابق، فشلوا في الوصول إلى الأغلبية المطلوبة لإدانته. كانت المحاكمة مجرد رمزية، لأن ترامب لم يعد رئيسًا.

كان رئيس موظفي بايدن، رون كلاين، البالغ من العمر 59 عامًا، ذو الشعر البني الداكن والشخصية الودية النشطة، قد قدم المشورة لبايدن لأكثر من 20 عامًا. عندما قرر بايدن الترشح للرئاسة، استدعى كلاين إلى منزله في ويلمنغتون في أوائل مارس 2019.

قال بايدن: "أشعر أنني يجب أن أفعل هذا". وأضاف: "ترامب يمثل شيئًا مختلفًا وأساسيًا خاطئًا في السياسة."

كانت الكلمات التالية لبايدن ستظل عالقة دائمًا في ذهن كلاين: "هذا الرجل ليس حقًا رئيسًا أمريكيًا."

في الحملة الانتخابية، هاجم بايدن شخصية ترامب وسياساته بلا هوادة. منذ يومه الأول في البيت الأبيض، بالكاد ذكر بايدن اسم ترامب، مشيرًا إليه في العلن بـ "سلفي"، وفي كثير من الأحيان في السر بـ "ذلك الأحمق اللعين."

أخبر بايدن مستشاريه أنه يريد رئاسته الخاصة. كانت سنوات ترامب الأربع، وتعاطيه مع جائحة فيروس كورونا وأحداث التمرد في 6 يناير، بمثابة صدمة على الرئاسة.

كانت المهمة الآن، كما يراها كلاين، هي إصلاح ما أفسده ترامب والمضي قدمًا بالبلاد.

قـال كلاين: "نحن كدولـة لا نـزال بحاجـة إلى معالجـة هـذه القضـية المتعلقـة بـترامب." وأضـاف: "الطريقـة الـتي نقـوم بهـا بـذلك هي بإظهـار الشـعب الأمـريكي أن الرئاسـة يمكن أن تعمـل مـرة أخـرى. وأنهم يمكن أن يكـون لـديهم شخص لائق في البيت الأبيض."

وأوضـح: "في النهايـة، خسر دونالـد تـرامب لأنـه لم يسـيطر على الجائحـة والاقتصـاد. رغم ازدهـار سـوق الأسـهم، فـإن الاقتصـاد الحقيقي، حيث يعيش الناس، قد تدهور في عهده."

"من الواضح أن هناك بعض أنصار ترامب المتشددين الـذين هم كمـا هم ولن يختفوا، وهذا جـزء من بلـدنا." وأضـاف كلاين، لكن بايـدن "انتُخب لتحريـك هـذا البلد إلى الأمام بعد عهد ترامب، وهذا ما يفعله. تلك هي مهمته."

قـال كلاين بشـكل حاسـم: "يمكن لدونالـد تـرامب أن يقـف في العديـد من الساحات كما يريد، ويرفع يديه بأعلى صوت ممكن." كـان يعتقـد أن محـاولات ترامب المبكرة لإقامة رئاسة ظل ستنتهي بحلول خريف 2021.

قال كلاين بثقة: "سيصبح دونالد ترامب مجرد عرض جانبي."

اثنان

كانت فكرة مستشار الأمن القومي جيك سوليفان الفورية عند مراجعته للصور الفضائية التي أظهرت حشدًا غير مسبوق من 110,000 جندي روسي على الحدود مع أوكرانيا هي "بندقية تشيخوف".

إذا ظهرت مسدس بشكل واضح في الفصل الأول من المسرحية، فهو موجود لسبب وسيُطلق في وقت ما، كما كتب الكاتب المسرحي الروسي في القرن التاسع عشر أنطون تشيخوف.

كان ذلك في أبريل 2021، وهو الشهر الثالث فقط من رئاسة بايدن. بالكاد كان سوليفان قد استقر في مكتبه الجديد في الجناح الغربي للبيت الأبيض.

في سن الـ44، كان سوليفان، النحيل ذو الشعر الفاتح، أصغر مستشار للأمن القومي منذ هنري كيسنجر. وبفضل انضباطه كعداء ماراثون سابق، كان سوليفان هو المنسق التنفيذي للسياسة الخارجية لإدارة بايدن. عندما عينه بايدن، وصفه بأنه "عقل لا يتكرر إلا مرة واحدة في العمر"، وأوكل إليه سلطة اتخاذ قرارات استثنائية.

أظهرت المعلومات الاستخباراتية أيضًا أن القوات البحرية الروسية كانت تنتشر بشكل نشط في البحر الأسود، وهو جسم مائي داخلي واسع تحده أوكرانيا وروسيا. يمكن رؤية شاحنات مسطحة وهي تسحب قاذفات صواريخ ضخمة وناقلات جنود مدرعة سوفيتية قديمة. وأظهرت صور الأقمار الصناعية الأخرى دبابات روسية، ومدفعية، وصواريخ، وقوارب إنزال بحرية يتم نقلها إلى شبه جزيرة القرم، على الساحل الشمالي للبحر الأسود، وعلى طول الحدود البرية التي تمتد على مسافة 1,200 ميل بين روسيا وأوكرانيا.

وفقًا لأحدث تحليل نفسي لوكالة الاستخبارات المركزية (CIA)، تم تعريف فلاديمير بوتين، الزعيم الروسي المستبد، بمدى عدم أمانه الشديد وطموحه

الإمبراطوري. كان بوتين مقتنعًا بأنه الشخص الوحيد الذي يمكنه إعادة روسيا إلى الإمبراطورية الروسية القديمة. كان مهووسًا بأوكرانيا.

تساءل سوليفان: ماذا يفعل بوتين؟ هل هذا مجرد تدريب، لعبة حرب؟ هل هو ضغط للحصول على نفوذ على أوكرانيا أو لإجبار الولايات المتحدة وأوروبا على التراجع عن أي حديث بأن أوكرانيا قد تنضم في نهاية المطاف إلى الناتو، أقوى تحالف عسكري ودبلوماسي في العالم؟

كان من المحتمل أيضًا، وفقًا لتفكير سوليفان، أن بوتين يخطط لاستخدام القوات للاستيلاء على المزيد من الأراضي في دونباس.

كانت روسيا وأوكرانيا تقاتلان في منطقة دونباس، وهي منطقة في الشرق غنية باحتياطيات الفحم، منذ عام **2014** عندما استولت روسيا على شبه جزيرة القرم المجاورة وسيطرت على حوالي ثلث دونباس. قُتل ما يقرب من **14,000** شخص على كلا الجانبين. كان هناك **29** وقفًا لإطلاق النار، كلها فشلت، وهو مؤشر على عدم الاستقرار المستمر.

كان سوليفان يعمل في حالة من القلق العقلي المستمر. ومع ذلك، لم يكن بإمكانه تجاهل المؤشرات: لا تنقل هذا العدد من الرجال أو المعدات إلى حدود دولة أخرى إذا لم تكن على الأقل تفكر في استخدامها.

هل كان بوتين يعلق مسدسه على الحائط؟

ناقش الرئيس بايدن وسوليفان كيف ينبغي أن تبدو سياسة الإدارة تجاه روسيا. كان بايدن واضحًا.

قال بايدن خلال أسابيعه الأولى كرئيس: "أنا لا أبحث عن إعادة ضبط"، وأضاف: "أنا لا أبحث عن نوع من العلاقة الجيدة، لكنني أريد أن أجد طريقًا مستقرًا ويمكن التنبؤ به مع بوتين".

لكن حتى الآن، لم تكن العلاقة مع روسيا جيدة ولا مستقرة ولا يمكن التنبؤ بها. منذ أيامهم الأولى في المنصب، كان بايدن وسوليفان يستجيبان لأعمال

العدوان الروسي المختلفة. محاولة التسميم شبه المميتة لزعيم المعارضة الروسية أليكسي نافالني، التدخل الروسي في انتخابات الولايات المتحدة 2020، الاقتراحات بأن الروس ربما دفعوا لحركة طالبان لقتل الأميركيين في أفغانستان، والهجوم السيبراني الهائل على أكثر من 16,000 نظام كمبيوتر في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك وزارات الحكومة الأميركية والصناعات الخاصة الرئيسية. كان هذا أحد أسوأ اختراقات البيانات في تاريخ الولايات المتحدة.

كما زاد بايدن التوتر في مقابلة مع قناة ABC في 16 مارس عندما سئل عما إذا كان يعتقد أن بوتين "قاتلًا".

أجاب بايدن: "نعم، أعتقد ذلك."

وصف الكرملين الإهانة بأنها "غير مسبوقة". سحب بوتين السفير الروسي من واشنطن في إظهار للاستياء.

الآن كان بوتين يقوم بحركة عسكرية كبيرة.

تساءل سوليفان بنبرة إحباط خفيفة، وهو يقف في جناح الأمن القومي الضيق: "هل من الممكن حقًا أن تكون لدينا علاقة مستقرة ويمكن التنبؤ بها مع روسيا؟"

جون فاينر، مستشار الأمن القومي المساعد، والذي يبلغ من العمر 45 عامًا، بشعر بني فاتح قصير، ولحية وشوارب جزئية، كان ذو أهمية مركزية في استراتيجية الأمن القومي للبيت الأبيض رغم ظهوره المنخفض في واشنطن. عمل فاينر كرئيس موظفي وزير الخارجية جون كيري، وكان سابقًا صحفيًا في واشنطن بوست لمدة ثلاث سنوات خلال غزو العراق واحتلاله في عام 2003. مثل سوليفان، كان فاينر أيضًا حاصلًا على منحة رودس وخريج كلية الحقوق بجامعة ييل.

أوضح فاينر بصراحة أن الاحتمالات غير مواتية لتحقيق النجاح، لكنه اتفق على أنه ينبغي عليهم الاستمرار في المحاولة. أشارت الاستخبارات الأميركية إلى أن روسيا لم تُظهر بعد نية استخدام القوات لغزو أوكرانيا. لكن الغرض منها لا يزال غير واضح. ورغم أنه قد يكون مجرد تكتيك ضغط، لم يكن بإمكانهم التأكد.

"بوتين يهتم كثيرًا بالكرامة والاحترام"، تأمل سوليفان. سيكون عقد قمة أمرًا مناسبًا لبايدن، الذي يولي قيمة كبيرة للعلاقات الشخصية.

توجه سوليفان إلى المكتب البيضاوي لمناقشة الفكرة مع الرئيس.

قال بايدن عن بوتين: "يريد أن يكون لاعبًا كبيرًا على المسرح الكبير. هذا هو كل ما يدور حوله هذا الرجل."

اقترح سوليفان أن يلتقي بايدن مع بوتين شخصيًا. كان يعلم أن الرئيس يفضل مقابلة الجميع وجهًا لوجه، خاصة القادة العالميين.

وافق بايدن على الفور. وقال: "أعلم أن الناس سينتقدونني وسيقولون إنه إذا اجتمعت مع بوتين، فإنني أرفعه وأعطيه الشرعية." لكنه أضاف: "لكن هذا الرجل كان شخصية رئيسية على الساحة العالمية لمدة عقدين من الزمن. لقائي معه لن يحوله إلى شيء ليس هو عليه بالفعل."

وأضاف بايدن: "لن أحاول إقناع هذا الرجل بحديث لطيف، لكن ربما يمكنك تغيير ديناميكية الأمور."

لكن متى يكون الاجتماع؟

قال بايدن: "إذا قدمنا عرضًا للاجتماع في يونيو"، أي بعد شهرين، "سيعطي ذلك بوتين حافزًا للتفكير: ماذا يملك الأميركيون؟ كما تعرف، قد يدفع ذلك بوتين لتقليل الضغط على حدود أوكرانيا ويمنع احتمالية حدوث عملية عسكرية في الربيع."

لعبت أوكرانيا دورًا دراميًا غير متوقع في السياسة الأميركية. خلال مكالمة هاتفية مع الرئيس الأوكراني المنتخب حديثًا فولوديمير زيلينسكي في سبتمبر 2019، طلب الرئيس ترامب آنذاك من زيلينسكي التحقيق في جو بايدن وابنه هانتر، الذي كان عضوًا في مجلس إدارة شركة طاقة أوكرانية، مقابل المساعدات الأمنية من الولايات المتحدة. تم نشر نص المكالمة، وتم عزل ترامب من قبل مجلس النواب. وفيما بعد تمت تبرئته في مجلس الشيوخ. ومع ذلك، استمر الجمهوريون في الضغط من أجل تحقيق في بايدن، الذي كان مسؤولًا عن الملف الأوكراني خلال إدارة أوباما وكان مشاركًا بشكل كبير.

د. كولين كاهل، أكاديمي ووكيل وزير الدفاع للسياسات لدى وزير الدفاع لويد أوستن في البنتاغون، كان مستشار الأمن القومي لنائب الرئيس بايدن من 2014 إلى 2017. يتميز كاهل بشخصية فكرية مميزة، وغالبًا ما يضيف إلى مظهره اليومي نظارات بإطارات حمراء زاهية، أو ربطة عنق مزخرفة، أو جوارب ملونة. يتذكر كاهل عمل بايدن على ملف أوكرانيا ضمن إدارة أوباما بحماسة، حيث زار بايدن كييف، عاصمة أوكرانيا، أربع مرات خلال توليه منصب نائب الرئيس.

"مرحبًا يا بيترو"، قال بايدن في إحدى المكالمات للرئيس الأوكراني آنذاك بيترو بوروشينكو. كانت الديمقراطية الناشئة في أوكرانيا هشة للغاية، ولا تزال أجزاء كبيرة من نظام الحكم فيها فاسدة ومتعفنة.

"أعلم أن هذا صعب"، قال بايدن متعاطفًا. "أعلم أن السياسة عندكم مليئة بالثعابين، وأنا أفهم ذلك. أعلم أن هذا صعب، لكن لدي ثقة بأنك ستفعل الشيء الصحيح. لكنني أقول لك، سيكون من الصعب علينا أن نحافظ على ثقة الغرب، الذين لا يريدون منحك فائدة الشك".

"يجب أن تساعدني في مساعدتك عن طريق القيام بالأشياء الصحيحة"، قال بايدن لبوروشينكو، وحثه على اتخاذ إجراءات لمكافحة الفساد. "يمكن أن يكون ذلك من خلال إصلاحات في المشتريات، أو إصلاحات في النظام المصرفي،

أو إنشاء هيئات جديدة لمكافحة الفساد، أو دفع المدعي العام ليكون أكثر حزمًا".

"إذا لم تفعل هذه الأشياء"، أكد بايدن، "سيكون من الصعب عليك الحفاظ على دعم الكونغرس لدينا، ورئيسنا، والأوروبيين، وسوف يلتهمك الروس على الغداء".

قال بايدن إن هدفه كان إبقاء القيادة الأوكرانية تسير على طريق الديمقراطية، وهو ما لا يريده بوتين بالتأكيد.

"كنت أجلس في الغرفة مع جو بايدن كل يوم، وكان يتصل بالأوكرانيين ربما مرة أو مرتين في الأسبوع كنائب للرئيس"، تذكر كاهل. "فقط ليقوم بدور الوسيط بين الرئيس بوروشينكو ورئيس الوزراء أرسيني ياتسينيوك أو من كان يشغل منصب رئيس الوزراء في ذلك الوقت، ولم يكن هناك اتصال واحد لم يدفع فيه بايدن الأوكرانيين لتجاوز حدود راحتهم فيما يتعلق بمسائل مكافحة الفساد".

قال كاهل كانت مقاربة بايدن لأوكرانيا تعتمد على "عناق كبير وضربات صغيرة".

في 13 أبريل 2021، بصفته رئيسًا، اتصل بايدن بالرئيس بوتين.

قال بوتين فورًا "أنا مستاء لأنك وصفتني بالقاتل".

قال بايدن"لقد طُرح عليّ سؤال وأجبت عليه. كان ذلك في مقابلة حول موضوع مختلف تمامًا، ولم يكن شيئًا مخططًا له"، وكأن هذا ينفي ملاحظته السابقة حول وصفه "بالقاتل".

قام محللو الاستخبارات الأميركية الذين درسوا شخصية بوتين بتحديد سماته الرئيسية بأنه "حساس للغاية"، "غير آمن إلى حد كبير"، وحتى "سادي".

خلال المكالمة، نفى بوتين تمامًا الاتهامات بالتدخل في الانتخابات، وتسميم نافالني، والهجمات الإلكترونية الروسية.

ذكّر بايدن بوتين بالتزام الولايات المتحدة الثابت بسيادة أوكرانيا، وحذره من بدء توغل عسكري جديد في أوكرانيا.

"أنت مخطئ في كل شيء"، قال بوتين بلهجة مباشرة. "ليس لديك أي دليل. لم نتدخل في انتخاباتك. لم نفعل أيًا من هذه الأشياء".

تجاهل بايدن الإنكار. "أنا أحذرك، نحن نواجهك بهذه الردود".

ثم شرح بايدن لبوتين سلسلة التكاليف التي سيتم فرضها على روسيا، بما في ذلك تسمية جهاز المخابرات الخارجية الروسية (SVR) رسميًا على أنه الجاني في هجوم SolarWinds. كما سيقوم بطرد 10 دبلوماسيين روس من واشنطن وفرض سلسلة من العقوبات الاقتصادية على روسيا بسبب تدخلها في انتخابات 2020 والاحتلال المستمر لشبه جزيرة القرم.

"ستحدث هذه العقوبات هذا الأسبوع، وأريدك أن تسمعها مني مباشرة. وهذا بسبب الأشياء المحددة التي قمت بها. لقد قلت إنني سأرد، وأنا أرد".

ثم غير بايدن الموضوع. "دعنا نلتقي"، قال بايدن، محاولًا تخفيف التوتر وتغيير نبرته.

"دعنا أنت وأنا نجلس معًا. أنت تقدم مخاوفك، وأنا سأقدم مخاوفي"، قال بايدن. في أي وكل المواضيع. "وسنجلس وجهًا لوجه، وسنتحدث عن كل هذا".

"دعني أفهم الأمر بشكل صحيح"، قال بوتين بلهجة مذهولة في صوته. "أنت تريد أن تلتقي وتناقش كل القضايا في علاقتنا؟ جميعها؟"

سوليفان، الذي كان يستمع إلى المكالمة، اعتقد أن بوتين، الذي كان دائمًا يشك، أراد أن يتأكد من أن هذا ليس نوعًا من الفخ.

طمأن بايدن بوتين بأنها ستكون حوارًا مفتوحًا. كان يعلم أن بوتين يدرك أن لقاءً على المسرح العالمي سيظهر أنه يحظى باحترام الرئيس الأميركي.

كانا قد التقيا شخصيًا مرة واحدة قبل عقد من الزمن، في عام 2011، عندما كان بايدن نائبًا للرئيس وكان بوتين يشغل منصب رئيس الوزراء مؤقتًا.

زعم بايدن لاحقًا خلال ذلك الاجتماع أنه قال لبوتين: "أنظر في عينيك ولا أعتقد أن لديك روحًا". ابتسم بوتين وقال لبايدن، عبر مترجم: "نحن نفهم بعضنا البعض".

بالنسبة لبايدن، كان من الطبيعي أن يلتقي رئيس أميركي بقائد روسي كما فعل أسلافه. على الرغم من كونها قوة اقتصادية متراجعة، حيث يبلغ ناتجها المحلي الإجمالي أقل من 10٪ من ناتج الولايات المتحدة، تمتلك روسيا أكثر من 4,400 رأس نووي، وهو أكبر ترسانة في العالم.

"حسنًا"، رد بوتين أخيرًا، "أرغب أيضًا في عقد القمة. دعنا نعمل على تنظيمها".

كان بايدن يعلم أنه يحتاج إلى الاستعداد. كان فلاديمير بوتين، الجاسوس السابق في جهاز الـ KGB والبالغ من العمر 68 عامًا، والذي قاد روسيا كرئيس أو رئيس وزراء لأكثر من عقدين، خبيرًا في استخدام الأحداث العامة الكبرى كمنصة للعب الألعاب أو الاستيلاء على اليد العليا مع قادة الدول الغربية.

في عام 2007، خلال اجتماع ثنائي مع المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل في منزل بوتين الفخم في سوتشي على البحر الأسود، استدعى الرئيس الروسي كلبه الأسود الكبير "كوني" إلى الغرفة أمام الصحفيين والكاميرات. كانت ميركل معروفة بخوفها الشديد من الكلاب.

عندما اقترب الكلب من ميركل ليشمها، جمدت في كرسيها، وشفتيها مشدودتين وكاحلها ملفوفًا بإحكام خلف الآخر. بينما كانت تراقب انزعاجها، استرخى بوتين في كرسيه، وساقيه ممدودتان أمامه.

قال بوتين بابتسامة ماكرة"أنا متأكد من أنه سيتصرف بشكل جيد".

ردت ميركل بسرعة"إنه لا يأكل الصحفيين على أي حال".

تحدثت ميركل لاحقًا للصحافة عن الحادثة.

"أفهم لماذا يفعل هذا - لإثبات أنه رجل"، قالت. "إنه يخشى نقاط ضعفه. روسيا لا تملك شيئًا، لا سياسة ناجحة ولا اقتصاد. كل ما لديهم هو هذا".

كما كان الرؤساء الأميركيون هدفًا لمسرحيات بوتين. في عام 2018، قبل أسبوع من قمة الرئيس ترامب مع بوتين في هلسنكي، تم اتهام 12 ضابطًا من الاستخبارات العسكرية الروسية في الولايات المتحدة بتهمة اختراق حملة المرشحة الديمقراطية للرئاسة هيلاري كلينتون في سباقها ضد ترامب.

وفي مؤتمر صحفي مشترك عقب القمة، لعب بوتين على غرور ترامب، ممتدحًا إياه. عندما سُئل ترامب عن التدخل الروسي في انتخابات 2016، حصل بوتين على أحد أكثر التصريحات غير المعتادة من رئيس أميركي.

"لقد قال للتو إنه ليس روسيا"، قال ترامب. "لا أرى أي سبب لذلك."

بالوقوف جنبًا إلى جنب، بدا أن ترامب يدافع بشدة عن الرئيس الروسي ويبعد الاستنتاجات التي توصلت إليها وكالات الاستخبارات الأميركية، والتي اتفقت بالإجماع على أن روسيا قد تدخلت. كانت الإدانة سريعة. لا يزال بعض مستشاري ترامب الكبار يرتعدون من ذكرى الرئيس الذي يقف إلى جانب بوتين على حساب وكالات الاستخبارات الأميركية.لقد فاز بوتين مرة أخرى باللحظة. كان إهمال ترامب واضحا تماما.

بعد عودته إلى الولايات المتحدة ، غرد ترامب ، محاولا إصلاح الخطأ الفادح: "لدي ثقة كبيرة في رجال استخباراتي".

لم يكن عدم رغبة ترامب في انتقاد بوتين حادثا لمرة واحدة بل سمة شخصية ثابتة.

"أريد أن يحترم بوتين بلدنا ، حسنا؟" أخبرني ترامب خلال مقابلة معه قبل انتخابات 2016.

سألت"ما الذي سيحترمه؟".

"حسنا ، أولا وقبل كل شيء ، إنه نوع من الاهتمام. لقد قال أشياء جيدة جدا عني"، قال ترامب. "قال ، ترامب رائع ، وسيكون ترامب هو الزعيم الجديد وكل ذلك. وقال بعض هؤلاء المهرجين: "يجب أن تتبرأ من بوتين". قلت: لماذا أتبرأ منه؟

الثالث

لا يوجد مستشار شعر بمرارة هلسنكي أكثر من الدكتورة فيونا هيل، المحللة الاستخباراتية المتخصصة في الشؤون الروسية والتي عملت مع الرئيسين بوش وأوباما. شاركت في تأليف كتاب "السيد بوتين: العميل في الكرملين"، وعملت في مجلس الأمن القومي تحت رئاسة ترامب وكانت كبيرة مستشاريه في الشؤون الروسية.

خلف الكواليس في هلسنكي، شاهدت هيل بخيبة أمل كيف وقع ترامب في فخ بوتين. بل إنها فكرت في سحب إنذار الحريق في المكان. لاحقًا، شهدت هيل ضد ترامب في محاكمته خلال أول إجراءات عزله.

قالت هيل إنه لا شك في أن روسيا تدخلت في انتخابات 2016. "الرئيس بوتين وأجهزة الأمن الروسية"، قالت في شهادتها، "يعملون مثل لجنة عمل سياسي فائقة. ينفقون ملايين الدولارات لتسليح أبحاث المعارضة السياسية لدينا ونشر الروايات الكاذبة".

كانت هيل تعتقد أن ترامب كان يعشق بوتين، مما جعله عرضة للتلاعب. "كان لديه غرور هش جدًا"، قالت هيل عن ترامب. "عندما تكون رئيس الولايات المتحدة، تصبح هذه نقطة ضعف قاتلة، لأن ترامب لم يستطع التفريق أو الفصل بين العديد من القضايا التي كان يجب معالجتها. لذا عندما كان الناس قلقين بشأن النفوذ الروسي في انتخابات الولايات المتحدة، كان يفكر فقط في كيف يؤثر ذلك عليه".

كانت هيل تسير مع كلبها في الحديقة عندما اتصل بها الرئيس بايدن بشكل مفاجئ. فوجئت بالبساطة في الاتصال.

قـال الـرئيس إنـه يريـد الحـديث عن بـوتين والحصـول على فكـرة عن تفكـير الروسي.

بعد فترة قصيرة من المكالمة، جمع الرئيس مجموعة من الخـبراء في الشـؤون الروسية، بما في ذلك هيل، في غرفة روزفلت بالبيت الأبيض.

كان بايدن قد تـولى منصـب الـرئيس بعـد أكـثر من ثلاثـة عقـود من الخـبرة في السياسـة الخارجيـة، حيث تـرأس لجنـة العلاقـات الخارجيـة بمجلس الشـيوخ من 2001 إلى 2003 ومن 2007 إلى 2009. التقى بثلاثـة قـادة سـوفييت واثـنين من رؤسـاء روسـيا. كونـه نـائب الـرئيس، تحـدث بايـدن مـع بـوتين شخصـيًا وعن طريـق الهـاتف. كـان يشـعر بأنـه يمتلـك فهمًـا جيـدًا للرجـل لكنـه أراد مراجعـة غريزته والنقاش حول تقييمه لنيات بوتين.

سأل المجموعة: "هل أنا مخطئ؟ لم أرَ هذا الرجل منذ فترة. هل تقييمي له لا يزال صحيحًا؟ ماذا ينقصني؟"

إذا كان هناك خطأ جوهري في تقييم بايدن لبـوتين، كـان يريـد معرفتـه. وجـدت هيـل نهج بايـدن منعشًـا. عـادة مـا تكـون استشـارة الخـبراء مجـرد إجـراء شـكلي بالنسـبة لمعظم الرؤسـاء—بـدون غـرض حقيقي سـوى أن يقـول الـرئيس إنـه تحدث مع الخبراء.

مرات عديدة، شعرت هيل بعبارة "سـآخذ ذلـك في الاعتبـار"، عنـدما يكـون في الواقع الرئيس قد اتخذ قراره مسبقًا. لكن هنا، جمع بايدن مجموعة من الخـبراء الذين لديهم آراء مختلفة جدًا حول روسيا. كان يريد نقاشًا.

آخر مرة كانت فيها في غرفة روزفلت، قضى الرئيس تـرامب الجلسـة كلهـا وهـو يحـدق في صـورة جـائزة نوبـل للسـلام الـتي حصـل عليهـا تيـودور روزفلت المعروضة، غير قادر على التركيز. فكرت هيل "ترامب كرهها". هل كـان يعتقـد أنها غير عادلة؟ هل كان يعتقد أنه يستحق جائزة مماثلة؟

طرح بايدن المزيد من الأسئلة على المجموعة: "ما الذي يجب أن يدور حوله هذا القمة؟ هل يجب أن تكون الأجندة حول العلاقة الثنائية بين الولايات المتحدة وروسيا، الاستقرار الاستراتيجي والسيطرة على الأسلحة؟ أم أن هناك شيئًا آخر يحدث؟ لماذا يوجد 110,000 جندي روسي على الحدود الأوكرانية؟"

"هل سيتراجع؟" سأل بايدن. "لن يفعل، أليس كذلك؟"

قالت هيل: "بوتين يستكشف". إنه يستكشف ليعرف ما إذا كان بإمكانه التفاوض معك. يريد منك التفاوض بشأن أوكرانيا. بشكل أساسي، التخلي عن الدعم الغربي لأوكرانيا لكي تتمكن روسيا من السيطرة عليها.

كانت تعتقد هيل أن بوتين كان يراقب بايدن عن كثب—القضايا الداخلية في الولايات المتحدة والخطط لسحب القوات الأمريكية بالكامل من أفغانستان التي تفاوض عليها ترامب—ويحاول أن يكتشف: هل بايدن هو الشخص الذي سيضع أوكرانيا جانبًا ويمضي قدمًا؟

وافق العديد من الخبراء حول الطاولة.

كان الزعيم الروسي يتطلع إلى تفاوض كبير واستراتيجي حول أوكرانيا ومستقبل الأمن الأوروبي. كان بوتين مهووسًا بأوكرانيا منذ سنوات، حيث كان يدعي أنها جزء من روسيا.

لكن بايدن قال للمجموعة إنه لن يسمح لروسيا بابتلاع دولة مستقلة بهذه البساطة.

كما أعرب بايدن عن قلقه بصوت عالٍ أن الانقسامات السياسية العميقة في الولايات المتحدة تعني أنه لم يعد هناك إجماع على أي شيء، حتى في الأمور المتعلقة بالسياسة الخارجية. في الماضي، كان بإمكان الرئيس أن يذهب إلى الخارج ويلتقي بالخصوم وهو يعلم أن الحزب السياسي الآخر سيدعمه وأن سلفه لن يتدخل. لم يعد الأمر كذلك. كان بوتين يعرف ذلك وسيستخدمه لصالح روسيا للتصدي لأي انتقادات. كان جزءًا من لعبة التضليل التي يلعبها بوتين هو إثارة الانقسامات في الولايات المتحدة.

نظرًا للقوات الموجودة على الحدود الأوكرانية، كانت هيل تشعر بالدهشة أن أكبر مخاوف الرئيس بايدن لم يكن أن روسيا قد تكون على وشك غزو أوكرانيا، بل أن الانقسام في الولايات المتحدة سيضعف تأثيره على بوتين. بوتين سيحاول استغلاله.

واتفقت هيل معه، قائلة: هذا بالضبط ما سيفعله بوتين.

استمرت القوات الروسية في التحرك في العلن لتغطية مسافات استثنائية عبر البلاد من سيبيريا وجبال الأورال في الغرب إلى الحدود الأوكرانية. كانت أنظمة الدفاع الجوي، وأرتال القطارات المحملة بالمركبات العسكرية والمدفعية الثقيلة تتحرك نحو القرم. كما تم بناء مستشفيات ميدانية.

حلقت الطائرات الروسية بدون طيار إلى أوكرانيا ليلاً وأسقطت الألغام. كان الروس يحفرون خنادق جديدة، وتم رصد السفن الهجومية البرمائية الروسية وهي تراقب الساحل.

أربعة

ألقى بـوتين خطابـه السـنوي حـول حالـة الأمـة في 21 أبريـل 2021. احتشـد الآلاف من الـروس على طـول شـارع تفرسـكايا، وهـو طريـق رئيسي يـؤدي إلى الكرملين، وهم يهتفون بشعارات "الحرية لنافالني" و"بوتين لص".

كان زعيم المعارضة الروسية السابق أليكسي نافالني قد تعـرض للتسـميم في أغسطس 2020 بمـادة نوفوتشـوك العصـبية، وهي سـلاح كيميـائي سـوفييتي الطـراز. اتهم نافـالني بـوتين بمحاولـة اغتيالـه. وبعـد أن تلقى العلاج الطـبي المنقـذ للحيـاة في بـرلين، عـاد إلى روسـيا في ينـاير ليُسـجن على الفـور. كـان نافالني في الأسـبوع الثـالث من إضرابه عن الطعـام بينمـا ألقى بـوتين خطابـه للأمة الروسية.

في السياسة الخارجية، كان بوتين عدائيًا. قال بوتين: "بعض الدول تبنت عـادة غـير لائقـة حيث تختلـق أعـذارًا لمهاجمـة روسـيا لأي سـبب، وفي أغلب الأحيـان، دون سـبب على الإطلاق". وأضـاف: "نحن نتصرف بطريقـة منضـبطة للغايـة، حتى أنني سأقول، بتواضع، وأنا أقول هذا دون سخرية.

"كمـا قلت، من حين لآخـر يهـاجمون روسـيا دون سـبب. وبـالطبع، هنـاك أنـواع مختلفة من التبّع تلتف حولهم كما كان تبّع شـيرخان في روايـة روديـارد كيبلينج *كتاب الأدغال"*، قال بوتين، في إشارة إلى شخصية "تبّع" من رواية *كتاب الأدغال*، حيث عاش تبّع، وهم ذكور بنات آوى، في الغابة وتغذوا على بقايا النمر شيرخان، في هذه الحالة، الولايات المتحدة.

"كـل شيء يشـبه كتـاب كيبلينج"، قـال بـوتين، "العويـل حـولهم فقـط لإرضـاء سيدهم.

حـذر بـوتين"أولئـك الـذين يقفـون وراء الاسـتفزازات الـتي تهـدد جـوهر مصـالح أمننا سيندمون على ما فعلوه بطريقـة لم ينـدموا بهـا على أي شيء منـذ فـترة طويلة".

"لكنني آمل ألا يفكر أحد في تجاوز 'الخط الأحمر' فيما يتعلق بروسيا"، قال بوتين. "نحن أنفسنا سنحدد في كل حالة أين سيتم رسمه."

في اليوم التالي، وبعد أسبوع من مكالمة هاتفية بين بايدن وبوتين، أعلن وزير الدفاع الروسي سيرجي شويجو أن الوحدات العسكرية الروسية ستنسحب من الحدود الأوكرانية بحلول 1 مايو. لكن وسائل الإعلام الروسية أفادت بأن الأسلحة والمعدات، بما في ذلك الدبابات والمدفعية والشاحنات والمركبات المدرعة، ستظل في "مواقع التدريب" على طول الحدود البرية مع أوكرانيا استعدادًا لمناورات زاباد 2021 المشتركة بين روسيا وبيلاروسيا المقررة في الخريف القادم.

كما قامت روسيا بنقل وحدات عسكرية كبيرة بشكل دائم إلى شبه جزيرة القرم، مما يعني أن عشرات الآلاف من الجنود لن ينسحبوا على الإطلاق.

بحلول منتصف مايو، كان لا يزال هناك ما لا يقل عن 80,000 جندي بالقرب من الحدود. وحذر وزير الخارجية الأوكراني دميترو كوليبا علنًا من أن ما يُسمى بالانسحاب الروسي لم يكن كما يبدو.

قال كوليبا علنًا: "ما يحدث لا يمكن أن يُسمى انسحابًا للقوات". وأضاف: "الخطر لم ينتهِ بعد".

قال كوليبا"ما نراه اليوم هو انسحاب للقوات دون انسحاب للقوات".

كما كان مستشار العمليات الخاصة لحلف الناتو في أوكرانيا، اللواء الأمريكي مايكل ريبا، متشككًا بشأن الانسحاب المزعوم.

قال ريبا: "لقد احتفظوا بقوة قاتلة جدًا في المنطقة وسحبوا فقط بعض القوات".

"هذا يخبرني أنهم قد يرغبون في العودة لاحقًا عندما تكون الظروف والتوقيت أكثر ملاءمة لروسيا"، قال. "سيحدث هذا مرة أخرى".

دعا الرئيس الأوكراني زيلينسكي بوتين إلى الاجتماع في منطقة دونباس في أوكرانيا لمناقشة السلام. رد بوتين بأن زيلينسكي ينبغي أن يأتي إلى موسكو، في تهديد مستتر بوضوح.

خمسة

الفريــق المتقاعــد كيث كيلــوغ، مستشــار مخلص لــترامب ومستشــار الأمن القومي لنائب الرئيس مايك بنس، قد غادر البيت الأبيض في 20 ينـاير 2021، ولم يكن يشعر بأي قلق تجاه أوكرانيا.

قــال كيلــوغ: "عنــدما غادرنــا الإدارة، لم تكن أوكرانيــا على قائمــة المشــاكل الحقيقية". وأضاف: "كان لديك إيران، التي كانت على قائمة المشاكل. لا تزال كوريـا الشـمالية هنـاك. كـان لـديك الصـين بسـبب مـا حـدث مـع كوفيـد. لكن أوكرانيا لم تكن موجودة."

كيلـوغ كـان يعتقـد أن بـوتين كـان قلقًا للغايـة بشـأن فـيروس كورونـا—حـول إصابته به شخصيًا وحول إصابة دائرتـه الصـغيرة من المستشـارين المخلصـين به.

كان الرئيس ترامب قد أرسل سرًا لبوتين مجموعـة من أجهـزة اختبـار كوفيـد من شركة أبوت للاستخدام الشخصي بينما كان الفيروس ينتشر بسرعة في روسيا.

قال بوتين لترامب: "من فضلك لا تخبر أحدًا أنك أرسلت هذه الأجهزة لي."

رد ترامب: "لا أهتم، لا بأس."

قـال بـوتين: "لا، لا. لا أريـدك أن تخـبر أحـدًا لأن النـاس سيغضـبون منـك، ليس مني. إنهم لا يهتمون بي."

كــرر كيلــوغ: "لم تكن أوكرانيــا على رأس قائمــة أولوياتــه على الإطلاق." مستشـارو الأمن القـومي لـترامب لم يـروا أي إشـارات على أن روسـيا كـانت تستعد لعدوان على أوكرانيا.

كان زيلينسكي، الـذي أصـبح رئيسًا في 2019، جديـدًا على السـاحة السياسـية. كان ترامب لا يزال يحـاول أن يتعـرف عليـه. وكـذلك كـان بـوتين، بحسـب اعتقـاد كيلوغ.

قال كيلوغ: "بالنسبة له، بوتين، كان ترامب شخصًا غير معروف". وأضاف: "اللعنة، نحن لم نكن نعرف كيف سيتصرف ترامب في بعض الأحيان.

"كان ترامب في الأساس مثل شخصية 'جيكل وهايد'." (إشارة إلى الشخصية الأدبية التي تتغير بشكل متناقض بين الخير والشر).

ستة

التقى الرئيس بايدن والرئيس بـوتين في فيلا لا غـرانج، وهي قصر على الطـراز الفرنسي من القرن الثامن عشر على ضفاف بحيرة جنيف في سويسرا، في 16 يونيو 2021.

قال بوتين لبايدن وهما يأخذان مقعديهما في المكتبـة أمـام أرفـف ممتـدة من الأرض إلى السـقف مليئـة بـالكتب المغلفـة بالجلـد، بينمـا وقـف نمـوذج كـروي للأرض بينهما: "سيدي الرئيس، أود أن أشكرك على مبادرتك للاجتماع اليوم."

رد بايـدن قـائلاً: "من الأفضـل دائمًـا اللقـاء وجهًـا لوجـه". كـان بايـدن مندهشًـا وسعيدًا لأن بوتين، الذي كان يحب عادةً جعل قادة العالم ينتظـرون، قـد وصـل في الـوقت المحـدد. في أول اجتمـاع رسـمي لـه مـع تـرامب، تـأخر بـوتين 45 دقيقة.

انضم وزيـر الخارجيـة أنتـوني بلينكن ووزيـر الخارجيـة الروسي سـيرغي لافـروف إلى الرئيسين. لم يسمح ترامب لمستشاريه بأن يكونـوا في الغرفـة أثنـاء لقائـه مـع بـوتين في هلسـنكي، حيث كـان الحاضرون فقـط المـترجمين. في مناسـبة أخرى، أصر ترامب على مصادرة ملاحظات مترجمه بعد اجتمـاع مـع بـوتين في ألمانيا.

على عكس المناقشـات السرية والعفويـة بين تـرامب والـرئيس الروسي، كـانت لقاءات بايدن مع بوتين مخططة بعناية.

أعلى أجنـدة بايـدن كـان موضـوع الأمن السـيبراني. كـان هجـوم حـديث من قراصنة روس على شركة كولونيال بايبلاين قد عطـل إمـدادات الوقـود إلى مـا يقـرب من نصـف السـاحل الشرقي. هجـوم آخـر أغلـق مؤقتًـا شركة JBS، أكـبر مورد للحوم في الولايات المتحدة، حتى دفعت الشركة فدية قـدرها 11 مليـون دولار.

قال بايدن: "ضع نفسك في مكاني. أعني، مع الهجمات على بنيتنا التحتية. تخيل إذا حدث شيء ما لبنيتك التحتية النفطية...".

رد بوتين قائلاً: "سيكون له تأثير."

سأل بوتين، الذي كان لديه حزام أسود في الجودو، بايدن في محاولة لزعزعته: "لماذا تركت أفغانستان؟" كان ترامب قد وعد طالبان بأن جميع القوات الأمريكية ستنسحب بحلول الأول من مايو.

رد بايدن بتهكم قائلاً: "لماذا غادرت أنت؟"، في إشارة إلى انسحاب الاتحاد السوفيتي المخزي من أفغانستان عام 1989، بعد 10 سنوات من الاحتلال.

قال بايدن إن أفغانستان "مقبرة الإمبراطوريات".

من المثير للفضول أن أوكرانيا بالكاد كانت مذكورة في المحادثة. في وقت لاحق، تساءل البعض عما إذا كان هذا الإغفال خطأً كبيرًا.

كانت المحادثة حول أوكرانيا مثل عشرات المناقشات السابقة: نقاط الحديث الأمريكية مقابل نقاط الحديث الروسية.

اتفق الرئيسان بوتين وبايدن على عقد مؤتمرات صحفية منفصلة بعد الاجتماع—وهو النهج الذي أوصى به مستشارو الأمن القومي لبايدن وخبراء روسيا الذين أرادوا رؤية ما سيقوله بوتين قبل أن يرد بايدن. مستشارو ترامب كانوا قد قدموا توصية مماثلة، لكن ترامب تجاهلها.

وزير الخارجية بلينكن والمتحدث باسم وزارة الخارجية نيد برايس شاهدوا مؤتمر بوتين الصحفي من جناح بلينكن الفندقي في إنتركونتيننتال في جنيف. برايس، وهو محلل سابق في وكالة الاستخبارات المركزية، قد غادر الوكالة في عام 2017 لأنه لم يكن يريد العمل مع ترامب.

وقف بوتين، الذي نادراً ما سافر خارج حدود روسيا، خاصة منذ جائحة كورونا، عند منصة مزينة بشعار روسيا في غرفة مؤتمرات عادية. كانت هذه أول

رحلة دولية له منذ 17 شهرًا، منذ يناير 2020. كان ظهور الرئيس الروسي أمام الصحفيين الغربيين أمرًا غير معتاد.

جلس الصحفيون على مسافة بعيدة عن بوتين على كراسٍ متباعدة، وكان معظمهم يرتدون الأقنعة، مما يوضح أن فيروس كورونا لا يزال مصدر قلق كبير للرئيس الروسي.

سأل أحد الصحفيين: "هل التزمت في هذه الاجتماعات بالتوقف عن تهديد أوكرانيا؟"

أعطى بوتين إجابة اتهامية، حيث وصف حشد روسيا 100,000 جندي بأنه تدريبات عسكرية عادية.

قال بوتين: "نحن لا نحرك معداتنا وأفرادنا بالقرب من حدود الولايات المتحدة الأمريكية عندما نجري تدريباتنا. لسوء الحظ، هذا ما يفعله شركاؤنا الأمريكيون. لذلك، يجب أن يكون الجانب الروسي، وليس الأمريكي، هو القلق بشأن هذا."

كانت الناتو قد أجرت تدريبات عسكرية سنوية في مايو، شملت حوالي 28,000 فرد من 26 دولة. كانت التدريبات موزعة على اثني عشر دولة أوروبية.

أطلق بوتين طعنة أخرى. "يتم قتل الناس، بما في ذلك زعماء منظمات مختلفة، في المدن الأمريكية كل يوم"، قال. "لا يمكنك أن تنبس بكلمة هناك قبل أن يُطلق عليك الرصاص في الوجه أو الظهر، بغض النظر عمن هو بالقرب منك، سواء كانوا أطفالًا أو بالغين آخرين.

"السجون التابعة لوكالة الاستخبارات المركزية التي فُتحت في العديد من البلدان، بما في ذلك أوروبا، حيث تعرض الناس للتعذيب—ما هذا؟ هل هذا احترام لحقوق الإنسان؟ لا أعتقد ذلك، أليس كذلك؟

قال بوتين: "المخاوف الأمريكية بشأن العسكرة لا أساس لها على الإطلاق."

كانت هذه هي حيلة التشتيت الكلاسيكية التي كان بايدن حذرًا منها.

عندما سئل عن بايدن، شن الرئيس الروسي هجومًا ساحرًا محسوبًا بعناية.

قال بوتين عن بايدن: "لقد تذكر بعض الأشياء عن عائلته". ثم أضاف بلطف، "يبدو أنها غير مرتبطة مباشرة بالموضوع، لكنها لا تزال تظهر مستوى ونوعية قيمه الأخلاقية. كان ذلك مميزًا إلى حد ما، وشعرت بأننا تحدثنا بلغة مشتركة.

"هذا لا يعني أننا يجب أن نتطلع إلى أرواح بعضنا البعض، ونتبادل النظرات ونتعهد بالحب والصداقة الأبدية—ليس على الإطلاق. نحن ندافع عن مصالح بلداننا وشعوبنا، وعلاقاتنا دائمًا ذات طابع عملي في المقام الأول."

سأل مراسل آخر: "هل تعتبر أنه من الممكن في هذه المرحلة الوصول إلى مرحلة جديدة في العلاقات الثنائية؟"

قال بوتين: "تعلمون، قال ليو تولستوي ذات مرة، لا يوجد سعادة في الحياة، فقط ومضات منها—عليكم تقديرها. أعتقد أنه لا يمكن أن يكون هناك ثقة عائلية في هذه الحالة، لكن أعتقد أننا رأينا ومضات منها."

استمر المؤتمر الصحفي للرئيس الروسي لأقل من ساعة.

كان بلينكن ونيد برايس مندهشين من أن بوتين لم يبدأ بالهجوم. بدا وكأنه يضبط العديد من النغمات الصحيحة، وهي الأشياء التي كان بايدن يريد سماعها. كان سلسًا، مرتاحًا، متحدثًا بطلاقة، وينقل ثقة مدهشة بالنفس.

قال برايس إن بوتين أعطى الانطباع بأن الروس قد يكونون يسعون لفعل ما نسعى نحن إليه، وهو بناء علاقة مستقرة وقابلة للتنبؤ.

قال بلينكن: "لنرى كيف سيتطور الأمر. الأمر يتعلق باختبار الفرضية. لن نعرف نتائج هذا الاختبار لمدة ستة أشهر أو سنة، لأنه ليس ما يُقال في اللحظة الحالية بل كيف يُنفذ.

وأضاف بلينكن، مستشهدًا بما قيل لهنري كيسنجر عن الثورة الفرنسية من قبل رئيس الوزراء الصيني تشو إنلاي: "من المبكر الحكم."

تبع بايدن بمؤتمره الصحفي الخاص في الهواء الطلق، وكانت الشـمس تشرق على بحيرة جنيف في الخلفية.

قال بايدن: "لقد أكدت التزام الولايات المتحدة الراسخ بسيادة أوكرانيا وسلامة أراضيها."

قال بايدن عن بوتين: "أعتقد أن آخر شيء يريده الآن هو حرب باردة." وأضاف: "لا يـزال، في اعتقـادي، يشـعر بـالقلق من أن يتم 'تطويقـه'. لا يـزال يشـعر بالقلق من أننا، في الواقع، نسعى للإطاحة به، وما إلى ذلك. لا يزال لديه تلـك المخاوف، لكنني لا أعتقد أنها القوة الدافعة وراء نوع العلاقة الـتي يبحث عنها مع الولايات المتحدة."

على متن الطائرة، قال بايـدن لبلينكن إنـه خـرج بفهم أفضـل لبـوتين. هـذا كـان رجلًا يعرفه بايدن منذ فترة طويلة من مسافة، لكنه لم يقضِ الكثير من الوقت معه في غرفة واحدة. كان إحساس بايدن بالعلاقة متوازنًا. لم يكن متفـائلًا بـأن بوتين سيغير سلوكه أو سلوك روسيا. قال بايدن: "سيكون هذا صعبًا."

على قناة فوكس نيوز، صرح ترامب أن قمة بايدن مع بوتين كـانت "يومًا جيـدًا لروسيا."

قال ترامب لمقدم الأخبار شون هانيتي: "لا أرى ما الذي حصـلنا عليـه منهـا. لم نحصل على شيء. أعطينا روسيا منصة كبيرة جدًا، ولم نحصل على شيء."

في الـبيت الأبيض، ارتفعت المعنويـات. كـان هنـاك شـعور بـأنهم قـد تجنبـوا رصاصة من روسيا فيما يتعلق بأوكرانيا.

قال سوليفان: "مهما كـان بـوتين يفكـر في أبريـل بشـأن أوكرانيـا، فقـد وضـعها على الأقل لبعض الوقت جانبًا."

مع خفوت الخطاب العدائي من روسيا، تحول سوليفان ونائبه فينر إلى التركيز على أمور أخرى، وهي الانسحاب من أفغانستان.

ولكن بالنسـبة لسـوليفان، بقي سـؤال محـوري: هـل لا تـزال بندقيـة تشـيخوف على الحائط؟

سبعة

بعد حوالي ستة أشهر من تولي بايدن الرئاسة، استمر ترامب في الادعاء بأن انتخابات 2020 تم التلاعب بها وسرقتها منه. لم يكن هناك أي دليل موثوق يدعم هذا الادعاء، لكن ترامب كان يحتاج فقط إلى إقناع الناس بتصديقه .

أظهرت استطلاعات الرأي أن 53% من الجمهوريين يعتقدون أن ترامب هو "الرئيس الحقيقي" بالرغم من أن بايدن كان يجلس في المكتب البيضاوي.

خلال مقابلة أجريتها مع ترامب قبل انتخابات 2016، قال لي: "القوة الحقيقية هي... لا أريد حتى استخدام الكلمة... الخوف."

الآن ترامب استغل قوة أخرى: زرع الشك.

صرخ ترامب لجمهور في مارالاغو، قصره الفاخر في بالم بيتش بفلوريدا: "لن أكون مندهشًا إذا وجدوا آلاف وآلاف وآلاف الأصوات. كانت هذه انتخابات مزورة، الجميع يعرف ذلك!"

بعد اكتمال التدقيق في فرز الأصوات في الولايات الرئيسية مثل جورجيا، ويسكونسن، وأريزونا في صيف 2021، قال ترامب إنه سيعود إلى المكتب البيضاوي. كان يعتقد أنه إذا تمكن من إقناع ولاية متأرجحة بأنها اكتشفت فوزه بها، فإن الولايات الأخرى التي خسرها ستضطر إلى بدء تحقيقات.

قال ترامب في بيان في مايو، مشيرًا إلى انتخابات 2020: "إذا سرق لص محل مجوهرات وسرق جميع الألماس، يجب أن تُعاد الألماسات."

لكن أكثر من 60 قضية قضائية، وعشرات التحقيقات، وعمليات تدقيق، وإعادة فرز للأصوات في العديد من الولايات لم تجد أي دليل على وجود احتيال واسع النطاق. مرارًا وتكرارًا، تم تأكيد صحة نتائج انتخابات 2020.

تجاهل ترامب هذه النتائج واستمر في الادعاء بأن الاحتيال سيظهر.

شهد المحامي الانتخابي الجمهوري البارز بنجامين غينسبيرغ لاحقًا أمام لجنة مجلس النواب التي تحقق في الهجوم على الكابيتول في 6 يناير بأن "في أي حالة" لم تجد المحكمة أن ادعاءات ترامب بالاحتيال حقيقية.

ألقى السناتور ليندسي غراهام باللوم على مارالاغو في عدم قدرة ترامب على تجاوز نتائج انتخابات 2020.

قال غراهام لزملائه: "إنه فقط... إنها الثقافة. إنه الموقف في مارالاغو وجميع الأشخاص الذين يذهبون هناك. أنتم تعرفون، كل الأشخاص الذين يتسكعون معه هناك. إنهم يغذون باستمرار هذه الرواية".

وأضاف: "إنه لا يزال يتحدث عن أريزونا"، حيث كان التدقيق لا يزال جاريًا. "أتعرفون، خسر أريزونا لأنه هاجم جون ماكين وأخذ الأمر إلى حد بعيد." كان السيناتور الراحل جون ماكين من أريزونا أسير حرب في فيتنام ومرشح الحزب الجمهوري للرئاسة في انتخابات 2008.

قال غراهام: "يعتقد أنه خسر بسبب هذه المؤامرات الغريبة. لكنه لم يخسر بسببها.

أضاف غراهام"بايدن فاز بنزاهة". "ترامب لا يحب سماع ذلك."

كان غراهام يركز على انتخابات 2022 حيث كان الجمهوريون بحاجة إلى تقديم أفضل المرشحين لاستعادة الأغلبية في مجلسي النواب والشيوخ.

قال غراهام: "هناك عدد قليل جدًا من الجمهوريين الذين يمكنهم الخروج من دوامة التعامل مع ترامب للتفكير في المستقبل." وأضاف: "التمني بزوال دونالد ترامب ليس استراتيجية قابلة للتطبيق. دونالد ترامب لن يزول. هناك ملايين من الناس في الحزب الجمهوري يؤمنون به، والهدف هو محاولة الاستفادة من السحر الذي يمتلكه مع قاعدتنا وتحويله إلى 'ترامب ايجابي.'"

"بمجرد دخولك إلى الانتخابات العامة، إذا كررت بعض الأشياء التي يقولها الرئيس، فلن يكون لديك فرصة للنجاح"، قال غراهام."سيتعين على بعض

مرشحينا أن ينفصلوا عن ترامب بشأن قضايا معينة للحصول على الجزء" الإيجابي ".

رفض غراهام الفكرة القائلة بأن ترامب كان جرحًا لا يمكن شفاءه في الحزب الجمهوري.

قال غراهام: "ترامب يمثل جزءًا حقيقيًا من العائلة الأمريكية." وأضاف: "ليس جرحًا. إنه جزء من هويتنا."

لكن ترامب لم يكن، أو لم يستطع، التخلي عن شعار "الانتخابات المسروقة". في يونيو 2021، دفع الرئيس السابق الجمهوريين لدعمه في إعادته إلى الرئاسة. قال لمساعديه إنه سينتقل مرة أخرى إلى البيت الأبيض بحلول أغسطس، وهو تاريخ تمسك به منظرو المؤامرة في حركة كيوأنون في المنتديات الإلكترونية.

قال براد بارسكال، مدير حملة ترامب السابق، بشكل خاص في يوليو: "كان لديه جيش. جيش من أجل ترامب. يريد استعادته." وأضاف: "لا أعتقد أنه يراه كعودة. يراه كانتقام."

اتصل ترامب بالنائب الجمهوري عن ولاية ألاباما مو بروكس، وهو داعم قوي لترامب، وطلب منه أن يدعو علنًا إلى إجراء انتخابات خاصة لإعادته إلى الرئاسة.

أشار بروكس، الذي دعم خطة ترامب والمحامي المحافظ جون إيستمان لتحدي مصادقة فوز بايدن، إلى أن جو بايدن كان رئيسًا. قال بروكس إن فوز بايدن قد تم تصديقه وأنه لا يوجد مسار قانوني لترامب لإلغاء ذلك. الدستور لا يوفر أي آلية لإعادة الرئيس.

أثار ذلك غضب ترامب. لاحقًا، سحب تأييده لبروكس في السباق على مقعد في مجلس الشيوخ عن ولاية ألاباما. خسر بروكس في الانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري.

في انتخابات 2020، حصل تـرامب على 74 مليـون صـوت، أكثر من أي مرشح رئاسي في التـاريخ باسـتثناء جـو بايـدن، الـذي حصـل على 81 مليـون صـوت. حصل بايدن على المجمع الانتخابي بـ306 أصوات مقابل 232 لترامب.

فاز بايدن بانتخابات 2020، ولكن بعد مرور ستة أشـهر كـان لا يـزال في معركة على رئاسته.

ثمانية

بعد شهر من قمة جنيف، وضع بوتين مسدسًا آخر على الطاولة.

في هجوم شخصي شديد اللهجة وطويل نُشر في 12 يوليو 2021، كتب بوتين مقالة من 5000 كلمة جادل فيها بأن أوكرانيا لم تكن موجودة كدولة مستقلة أبدًا.

قرأ مستشار الأمن القومي جاك سوليفان بيان الرئيس الروسي كإعلان عن النفس الداخلية لبوتين، عن من هو وما يريد فعله.

بدأ بوتين بالقول: "الروس والأوكرانيون شعب واحد - وحدة واحدة." وأضاف: "الروس والأوكرانيون والبيلاروسيون هم جميعًا أحفاد روس القديمة، التي كانت أكبر دولة في أوروبا." ومنذ القرن التاسع، كان يُعتبر كييف "أم المدن الروسية كلها".

وقال بوتين إن "تشكيل دولة أوكرانية نقية عرقيًا" يُقارن في نتائجه باستخدام أسلحة دمار شامل ضدنا.

كانت نبرة بوتين متعالية وأكاديمية، إذ قام بمحو وجود أوكرانيا كدولة مستقلة، وكشعب له تاريخه ومعتقداته وثقافته ولغته الخاصة.

قال بوتين: "لذلك، أوكرانيا الحديثة هي بالكامل نتاج الحقبة السوفييتية. نحن نعلم ونتذكر جيدًا أنها تشكلت - إلى حد كبير - على أراضي روسيا التاريخية." وأضاف: "تمت سرقة روسيا."

عندما قرأ سوليفان بيان بوتين، كان أول ما فكر فيه هو "كوفيد".

أظهرت تقارير الاستخبارات الأمريكية أن بوتين تغير خلال الجائحة بسبب العزلة الشديدة والمطولة. فقد أحاط نفسه بمجموعة صغيرة من الأشخاص الموثوقين الذين يشاركونه وجهات نظر قومية مماثلة، وأصبحوا بمثابة حلقة

تغذية مرتدة. من أراد رؤيته شخصيًا كان عليه أن يخضع للحجر الصحي لأسابيع. كان بوتين معزولًا جسديًا ومجازيًا عن المجتمع الروسي لمدة تقرب من ثلاث سنوات.

كان أحد الشخصيات الرئيسية في الدائرة الداخلية لبوتين هو يوري كوفالتشوك، وهو ملياردير روسي يُعتقد أنه المصرفي الشخصي لبوتين. عرف بوتين منذ التسعينيات، ويبدو أنه يشارك الرؤية المسيانية التي عبّر عنها بوتين في بيانه.

شخص آخر كان مقربًا من بوتين هو الأب تيخون، كاهن أرثوذكسي يحمل وجهات نظر إمبريالية مماثلة لروسيا. ثم هناك الأخوان المليارديرين روتنبرغ - أركادي روتنبرغ وبوريس روتنبرغ، اللذان يمتلكان أكبر شركة بناء لخطوط أنابيب الغاز في روسيا.

قال سوليفان مازحًا: "بعض الناس تعلموا رقص الخطوة الأيرلندية أثناء الحجر الصحي، لكن بوتين تعمق في التاريخ الروسي."

سمع سوليفان أن بوتين قال خلال مكالمة هاتفية مع المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل: "لن تصدقي الأشياء التي أجدها في الأرشيفات الروسية."

كان واضحًا لميركل أن بوتين قضى الكثير من وقته في العزلة فقط يتصفح الأرشيفات، ويستخرج الأشياء، ويدرس الخرائط القديمة.

لقد أصبح الاستيلاء على أوكرانيا نوعًا من الحلم المحموم أثناء عزلة كوفيد. لكن الحمى لم تنتهِ. لم ينكسر.

تعامل سوليفان ونائبه جون فاينر مع البيان بجدية، لكن لم يكن يبدو لهما

كناقوس خطر أو إعلان حرب. بل اعتبراه شيئًا نموذجيًا عن بوتين. كان الزعيم

الروسي معروفًا بخطاباته الفلسفية الطويلة وتزييفه التاريخي ورفضه

المطلق للاعتراف بوجود أوكرانيا كدولة مستقلة. لكن ما زال الأمر محيرًا ومثيرًا للقلق لشدة حدته. كان موضوعًا يثير الفضول وحتى الاشمئزاز.

قضى سوليفان العام الماضي يقرأ عن التاريخ الروسي محاولًا فهم هوس بوتين شبه العصابي بأوكرانيا. تشكل روسيا، المظالم العميقة الجذور، الشعور بالنقص لدى بوتين، العلاقة مع أوروبا، مع الناتو، الحاجة إلى السيطرة المركزية، استيلاء المغول على موسكو في منتصف القرن الثالث عشر، رغبة بوتين في أن يكون مسيحًا في تاريخ روسيا مثل بطرس الأكبر وكاترين العظيمة. كل هذا.

بعد قراءة بيان بوتين، وجد إريك غرين، مدير الشؤون الروسية في مجلس الأمن القومي، أنه من غير المعتاد أن يخوض رئيس روسي في مثل هذا العمق. كان يتساءل: هل كان بوتين يحاول فقط التعبير عن شيء ما كان في قلبه؟ أم كان هذا شيئًا يريد استخدامه كتمرين أو وسيلة لشرح وجهة نظر روسيا؟ أم أن مقال بوتين سيؤثر فعليًا على أفعال روسيا؟

قال غرين: "أعتقد أن ذلك يعكس خيبة أمل بوتين من الحكومة الأوكرانية ومحاولته البدء في تقويض شرعيتها". وأضاف: "بوتين يريد أن تتحقق نبوءته بأن أوكرانيا دولة فاشلة."

قال بوتين في مقالته: "كانت أوكرانيا تمتلك إمكانات كبيرة." وأضاف: "خطوة بخطوة، تم جر أوكرانيا إلى لعبة جيوسياسية خطيرة تهدف إلى تحويلها إلى حاجز بين أوروبا وروسيا، إلى منصة انطلاق ضد روسيا."

كانت أوكرانيا، أكبر دولة في أوروبا، أيضًا بمثابة حاجز مهم بين روسيا وأوروبا.

وصف بوتين قادة أوكرانيا بأنهم "نازيون جدد" - رغم أن الرئيس زيلينسكي كان يهوديًا - ووجه قائمة طويلة من الاتهامات ضدهم وضد الغرب بسبب السعي إلى مشروع "مناهض لروسيا".

وحذر بوتين قائلًا: "لن نسمح أبدًا باستخدام أراضينا التاريخية وشعبنا القريب منا ضد روسيا." وأضاف: "وأود أن أقول لمن سيحاول ذلك، إنهم بهذه الطريقة سيدمرون بلادهم."

بالنسبة لمدير وكالة الاستخبارات المركزية بيل بيرنز، الذي عمل سفيرًا في موسكو من 2005 إلى 2008، كان البيان يذكره بالكثير من محادثاته مع بوتين على مر السنين. قال بيرنز: "لم يكن هناك شيء جديد حقًا فيه." وأضاف: "بعضه يتعلق بالتزيين، لكن في جوهره يدور حول السلطة وما تعتقد روسيا أنه من حقها فعله." ثم تغلفه بالكثير من التاريخ - الانتقائي.

في البنتاغون، كان كولين كاهل، وكيل وزارة الدفاع، قد قرأ تقارير استخباراتية تشير إلى أن بوتين كان يعتقد فعليًا بالأشياء التي كتبها - بأن أوكرانيا ليست دولة حقيقية، وأن الأوكرانيين هم في الأصل روس.

قال كاهل: "بوتين لم يكن معجبًا بالاتحاد السوفييتي." لكنه لا يزال يرى أن انهيار الاتحاد السوفييتي كان أكبر جريمة في القرن العشرين ويعتقد أن الروس تعرضوا للخيانة عدة مرات منذ ذلك الحين."

رأى كاهل أن المقال كان عرضًا آخر لطموح بوتين الإمبراطوري. قال: "إنه يحلم بإعادة تشكيل إمبراطورية روسية ولا توجد إمبراطورية روسية لا تشمل أوكرانيا."

وأضاف كاهل: "دائمًا ما يكون الأمر غريبًا عند قراءة أشياء مثل هذه كأمريكي، لأن تاريخنا لا يمتد بعيدًا. لذا فإن فكرة أن الدول قد تهتم بشدة بما حدث قبل 9000 سنة أو ما شابه، أو كما تعرف، قبل 2000 سنة أو 1000 سنة. الأمريكيون لا يفكرون بهذه الطريقة."

تسعة

في واشـنطن، كـان بايـدن منشـغلا أيضـا بانسـحاب ضـعيف بشـكل متزايـد للقـوات الأمريكيـة من أفغانسـتان ، وهـو الوفـاء بوعـد بايـدن الانتخـابي بإنهـاء الحرب التي استمرت 20 عاماً.

كان بايـدن يـؤمن بشـدة بـأن وجـود أمريكـا في أفغانسـتان كـان مثـالًا كلاسـيكيًا على توسع المهمة. كان هناك الكثير من الجنود دون هدف واضح.

قبل عقـد من الـزمن، عنـدما كـان بايـدن نائبـاً للـرئيس، حث الـرئيس أوبامـا على عدم إرسال 30,000 جندي أمريكي إضـافي إلى أفغانسـتان رغم إصرار الجيش الأمريكي.

قطـع بايـدن إجازتـه العائليـة في نـانتوكيت ليتحـدث مباشرة مـع أوبامـا حـول القضية. قال بايدن: "استمع إلي، يا رئيس. ربما قضـيت وقتـاً طـويلاً في هـذه المدينة، لكن شيئاً واحداً أعرفه هو عندما يحاول الجنرالات إحراج رئيس جديـد". اقترب بايدن من أوباما وهمس قائلاً: "لا تدعهم يدفعونك".

كان أوبامـا قـد تم التلاعب بـه وتم تقـديم "هـراء" لـه من قبـل جـنرالات الجيش، الذين في رأي بايدن نفذوا لعبة قوة مأساوية ضد رئيس شاب وعديم الخبرة.

كان الغزو الأمريكي لأفغانسـتان في عـام 2001 يهـدف في البدايـة إلى تـدمير جماعـة القاعـدة الإرهابيـة بزعامـة أسـامة بن لادن، المسـؤولة عن هجمـات 11 سـبتمبر في نيويـورك وواشـنطن العاصـمة. لكن بعـد طـرد القاعـدة فعليـاً من أفغانسـتان، توسـعت المهمـة لتشـمل بنـاء الأمـة. "التوسـع في المهمـة"، قـال بايدن، واصفاً إياها بأنها "غير منطقية تماماً".

كانت الحجـة الرئيسـية لبايـدن هي أن المهمـة قـد انحـرفت عن هـدفها الأصـلي ولم يكن من الواضح ما هي مهمة الولايات المتحدة الآن.

كان يعوق بايدن أيضًا اتفاق وقعه ترامب مع طالبان في فبراير 2020، والذي وعد بسحب القوات الأمريكية بحلول مايو 2021. وافقت طالبان على عدم مهاجمة القوات الأمريكية إذا انسحبت بحلول 1 مايو 2021.

في الأشهر الأولى من رئاسته، أمر بايدن جيك سوليفان بإجراء مراجعة شاملة بين الوكالات حول الانسحاب من أفغانستان.

قال بايدن لسوليفان: "أريد أن أسمع الحجج المناقضة تمامًا، وسأظل منفتحاً تجاه هذه المسألة لأنني إذا وجدت سببًا مقنعًا للبقاء، فسأفكر فيه بالتأكيد وأستمع إليه". كان الوعد الرئاسي بأن يكون منفتح الذهن غالبًا ما يتعثر بسبب إرادة الرئيس.

كانت الخيارات التي قُدمت لبايدن هي تنفيذ انسحاب كامل ومنظم لجميع القوات المتبقية بسرعة وأمان قدر الإمكان؛ أو القيام بانسحاب بطيء على عدة مراحل للسماح بمزيد من الوقت للمفاوضات السياسية؛ أو الموافقة على وجود غير محدد للقوات الأمريكية في أفغانستان.

إذا بقيت الولايات المتحدة، كان التوقع الاستخباراتي هو أن طالبان ستستأنف هجماتها. وإذا حدث ذلك، فكر بايدن أنه سيُطلب منه إرسال المزيد من الجنود.

قال بايدن: "إذا كان لدينا 3,000 جندي هناك وتعرضوا للهجوم، فستأتون أنتم"—وأشار إلى وزير الدفاع لويد أوستن ورئيس هيئة الأركان المشتركة مارك ميلي—"وتقولون حسنًا، نحن بحاجة إلى 5,000 آخرين". ثم سيجدون أنفسهم في خضم المزيد من الانخراط.

كان بايدن واضحًا: أراد الخروج.

قال بايدن لوزير الخارجية أنتوني بلينكن: "لا تقارنوني بالقدير(الله) قارنوني بالبديل(ترامب)".

لم يكن سوليفان يعتقد أن بايدن كان متوترًا بشأن القرار. بدا الرئيس متصـالحًا مع اختياره.

قدم بايدن خطابًا للأمة استمر 16 دقيقة في 14 أبريل. بدلاً من الدراما الكبيرة لخطاب في المساء من المكتب البيضاوي، تحدث من غرفة المعاهدات بعد الظهر، وهي نفس الغرفة التي استخدمها الرئيس جورج بوش الابن في عام 2001 لإطلاق العملية العسكرية الأمريكية في أفغانستان.

قال بايدن: "أنا الآن رابع رئيس للولايات المتحدة يتولى مسؤولية وجود القوات الأمريكية في أفغانستان: اثنان جمهوريان، واثنان ديمقراطيان. لن أترك هذه المسؤولية للرئيس الخامس".

وأضاف: "على مدار الـ 12 عامًا الماضية، منذ أن أصبحت نائبًا للرئيس، كنت أحمل معي بطاقة تذكرني بالعدد الدقيق للجنود الأمريكيين الذين قتلوا في العراق وأفغانستان.

"اعتبارًا من هذا اليوم، مات 2,448 جنديًا وموظفًا أمريكيًا في صراعاتنا في أفغانستان، وأصيب 20,722.

"حان الوقت لإنهاء الحرب الأبدية".

في عرض غير عادي، زار بايدن مقبرة أرلينغتون الوطنية وسار بمفرده عبر القسم 60 حيث دفن قتلى أفغانستان والعراق.

قال بايدن: "أجد صعوبة هذه الأيام حتى في زيارة المقبرة دون التفكير في ابني بو". توفي بو، ابنه الأكبر، بسبب ورم في المخ في عام 2015 عن عمر 46 عامًا. كان بو ضابطًا في الجيش ومحاميًا وحصل على النجمة البرونزية لخدمته العسكرية في العراق وخدم ولايتين كنائب عام لولاية ديلاوير. كان الابن الذي كان يسير على خطى والده في السياسة. توجه بايدن إلى مئات من شواهد القبور البيضاء، وفتح ذراعيه، وقال: "انظروا إليهم جميعًا".

تعرض بايدن على الفور لهجوم بسبب قرار الانسحاب. لم يكن يتوقع رؤية كل هذا الانتقاد على شاشات التلفاز وفي الصحف. كان الأشخاص الذين كانوا

يطالبون بإنهاء أطول حرب هم أنفسهم الذين باتوا الآن يركـزون على مسـتقبل المجموعات المختلفة في أفغانستان، بما في ذلك النساء والفتيات.

قال الجنرال المتقاعد ديفيد بتريوس علنًا: "أتوقع حربًا أهليـة وحشـية ودمويـة ستشمل كل المظاهر المروعة للحرب الأهلية". كـان بـتريوس قـد قـاد القـوات الأمريكية في أفغانستان وكان المهندس الحـديث لاسـتراتيجية مكافحـة التمـرد الـتي كرههـا بايـدن. وأضـاف بـتريوس: "لـدينا إدارة تتحـدث عن إعـادة الـدعم للديمقراطية وحقوق الإنسان. حسنًا، ما حدث لهذا الدعم الآن؟".

قـال الـرئيس السـابق جـورج بـوش في تعليـق نـادر علـني إن قـرار بايـدن بالانسحاب كان خطأً. وأضاف: "أخشى أن النساء والفتيات الأفغانيات سيعانين من أذى لا يوصف".

كـان بايـدن واقفًـا عنـد مكتب الرئاسـة في المكتب البيضـاوي، يتلقى سـيل الانتقادات. قال بلينكن إنه رأى الرئيس يتأثر بها.

طرق بايدن المكتب برفق وقال: "نعم، المسؤولية تقع هنا حقًا".

سحب القوات كان أحد الاتفاقات النادرة بين بايدن وسلفه، دونالد ترامب،

الذي استمر في ادعائه أن الانتخابات قد سُرقت. في ويلينغتون، أوهايو، في

26 يونيو 2021، خلال أول تجمع انتخابي له منذ مغادرته منصبه، تفاخر

ترامب بأنه المسؤول عن إعادة القوات الأمريكية إلى الوطن لأن بايدن لم

يستطع إيقاف العملية التي بدأها من خلال اتفاقه مع طالبان.

قال ترامب: "كل القوات تعود إلى الوطن. لم يتمكنوا [إدارة بايدن] من إيقاف العملية. 21 سنة تكفي، ألا نعتقد؟ 21 سنة.

وأضاف: "إنه لأمر مؤسف، 21 سنة، من قبل حكومة لن تصمد. الطريقة الوحيدة التي تصمد بها هي إذا كنا هناك. ماذا سنقول؟ سنبقى لمدة 21 سنة أخرى، ثم نبقى لمدة 50 سنة أخرى. الأمر برمته سخيف .... نحن نعيد القوات إلى الوطن من أفغانستان".

رغم أكثر من 50 اجتماعًا تخطيطيًا، فإن انسحاب إدارة بايدن من أفغانستان تحول إلى فوضى مدمرة. فشلوا في توقع السيناريوهات الأسوأ والتخطيط لها. عندما خططوا، كان الوقت قد تأخر.

في 6 يوليو، انسحبت القوات الأمريكية المتبقية سرًا في ظلام الليل من قاعدة باغرام الجوية، على بُعد ساعة من كابول وأكبر مدرج طائرات في أفغانستان. استضافت قاعدة باغرام في وقت ما ما يصل إلى 100,000 جندي أمريكي. هذا ترك السفارة الأمريكية في كابول لا تزال تعمل مع أكثر من 1,400 أمريكي محميين فقط بـ650 من مشاة البحرية والجنود.

إذا سقطت كابول في يد طالبان، فإن الخروج من باغرام أغلق السبيل الوحيد لإجلاء المدنيين غير المقاتلين، الذين وعدت الولايات المتحدة بحمايتهم بعد سنوات من الخدمة.

في 23 يوليو، تحدث بايدن إلى الرئيس الأفغاني أشرف غني حول الوضع المتدهور بسرعة، وضغط عليه لتغيير الانطباع العالمي بأن القتال ضد طالبان يسير بشكل سيء.

قال بايدن: "لديك بلا شك أفضل جيش، لديك 300,000 جندي مسلحين جيدًا مقابل 70-80,000 [من طالبان] وهم بلا شك قادرون على القتال بشكل جيد".

قال غني: "سيدي الرئيس، نحن نواجه غزوًا شاملاً، مكونًا من طالبان، ودعم باكستاني كامل في التخطيط والدعم اللوجستي، وما لا يقل عن 10-15,000 إرهابي دولي".

اجتاحت حركة طالبان البلاد مثل موجة مدٍ، حيث سقطت منطقة تلو الأخرى بسرعة مذهلة، مما فاجأ بايدن وإدارته. القوات الأفغانية قدمت مقاومة ضعيفة، وفي بعض الأحيان ألقت أسلحتها ببساطة.

بينما كانت طالبان تقترب من كابول، تحدث وزير الخارجية بلينكن مع الرئيس غني عبر الهاتف في 14 أغسطس. أعلن غني بعناد أنه سيدافع عن أفغانستان حتى النهاية. في اليوم التالي كان غني في الإمارات العربية المتحدة. لقد هرب.لول

سقطت كابول بسرعة وبشكل مذهل. سيطر مقاتلو طالبان على القصر الرئاسي والتقطوا صورًا حول مكتب غني وهم يحملون البنادق.

تدفق الآلاف من المدنيين الأفغان اليائسين على مدرج مطار كابول الدولي. تسلق الناس على أجنحة الطائرات الأمريكية التي كانت تقلع، وسقط بعضهم حتى لقوا حتفهم.

في انقلاب مفاجئ، دعا ترامب بايدن إلى "الاستقالة بشكل مخزٍ لما سمح بحدوثه في أفغانستان" وانتقد بايدن على طريقة تعامله مع كوفيد، والحدود الجنوبية، والاقتصاد. وقال ترامب: "يجب ألا يكون الأمر صفقة كبيرة لأنه لم يُنتخب بطريقة شرعية في المقام الأول"، مستمرًا في تكرار مزاعمه غير المدعومة بأن الانتخابات سُرقت منه.

ألقى الرئيس بايدن باللوم على الحكومة الأفغانية في الوضع. في خطاب ألقاه في 16 أغسطس من الغرفة الشرقية، قال بايدن: "لا أندم على قراري بإنهاء القتال الأمريكي في أفغانستان”.

"الحقيقة هي، أن هذا الأمر قد تطور بسرعة أكبر مما توقعنا. إذن، ما الذي حدث؟ استسلم القادة السياسيون في أفغانستان وفروا من البلاد. انهار الجيش الأفغاني، أحيانًا دون محاولة القتال”.

أضاف بايدن"إذا كان هناك أي شيء، فإن التطورات في الأسبوع الماضي تعزز أن إنهاء التدخل العسكري الأمريكي في أفغانستان الآن كان القرار الصحيح".

بعد عشرة أيام، في 26 أغسطس، وقع تفجير انتحاري لداعش عند بوابة أبيي على أطراف المطار، مما أسفر عن مقتل أكثر من 170 شخصًا، بما في ذلك 13 من أفراد القوات الأمريكية، مما جعله أحد أكثر الأيام دموية للقوات الأمريكية في العقد الأخير من الحرب التي استمرت 20 عامًا.

في 29 أغسطس، نفذت الولايات المتحدة ضربة بطائرة بدون طيار في كابول استهدفت مشغلًا مشبوهًا لداعش بسيارة مليئة بالمتفجرات. وبدلاً من ذلك، وفي خطأ مأساوي آخر، قتلوا 10 مدنيين، بينهم عامل إغاثة مخضرم للولايات المتحدة وسبعة أطفال.

بعد إجلاء أكثر من 120,000 شخص في الأيام الأخيرة، أعلن بايدن في 31 أغسطس 2021، انتهاء "أطول حرب في تاريخ أمريكا".

خطابه الذي أشاد بـ "النجاح الاستثنائي لهذه المهمة"، لم يلق قبولًا. لم يكن بإمكان أي لغة أن تخفي أو تجمل فشل الانسحاب. سقطت كابول في 11 يومًا في يد طالبان. قُتل 13 جنديًا أمريكيًا.

"هناك من سيقول إنه كان ينبغي علينا البقاء إلى أجل غير مسمى لسنوات طويلة"، قال بايدن. "لماذا لا نستمر في فعل ما كنا نفعله؟ لماذا كان علينا أن نغير أي شيء؟"

ألقى بايدن باللوم على ترامب.

"الحقيقة هي: كل شيء قد تغير. سلفي أبرم صفقة مع طالبان. عندما توليت منصبي، واجهنا موعدًا نهائيًا—الأول من مايو. كان هجوم طالبان قادمًا".

"إلى أولئك الذين يطالبون بعقد ثالث من الحرب في أفغانستان، أقول: ما هو المصلحة الوطنية الحيوية؟ في رأيي، لدينا مصلحة واحدة فقط: التأكد من أن أفغانستان لن تُستخدم أبدًا مرة أخرى لشن هجوم على وطننا.

"الالتزام الأساسي للرئيس، في رأيي، هو الدفاع وحماية أمريكا—ليس ضد تهديدات عام 2001، بل ضد تهديدات عام 2021 والغد".

"أعطيكم كلمتي"، اختتم بايدن. "بكل قلبي، أؤمن أن هذا هو القرار الصحيح، القرار الحكيم، وأفضل قرار لأمريكا."

ضرب الانسحاب الكارثي بايدن ومستشاريه الرئيسيين. انتقد النقاد في مقالات الرأي وعلى شاشات التلفاز مستشار الأمن القومي سوليفان، وطالبوا باستقالته. وهذه المرة، لم يكن الانتقاد يأتي فقط من الجمهوريين.

قال بريت بروين، مستشار أوباما السابق في مقال بصحيفة USA Today: "مستشار الأمن القومي لديه وظيفتان. كما يشير الاسم، هو آخر وأقرب مستشار للرئيس في غرفة العمليات. وظيفته الثانية هي ترجمة قرارات الرئيس إلى سياسات عملية. في بعض الأحيان يتطلب الأمر قول الحقيقة للسلطة. في كل هذه النقاط، يبدو أن الشخص الحالي قد فشل.

قال بروين"يحتاج الرئيس بايدن إلى إقالة مستشار الأمن القومي وعدة

قادة كبار آخرين الذين أشرفوا على التنفيذ الفاشل لانسحابنا من أفغانستان".

كان سوليفان معتادًا على التعليقات الإيجابية حول كفاءته وأدائه، لكنه كان مصدومًا. "كل أعصابنا كانت مكشوفة تحت ضوء الشمس ومتآكلة وملتهبة ومحروقة"، قال، خاصة أعصابه.

رئيس هيئة الأركان المشتركة مارك ميلي والأدميرال فرانك ويتورث، وهو مسؤول استخبارات عسكري برتبة ثلاث نجوم وخبير في البحرية ومسؤول الاستخبارات الأول في البنتاغون، راجعوا الآثار الثانوية والثالثة للانسحاب ليروا ما التهديدات المحتملة.

كـان ميلي وويتـورث مقـربين. لقـد خـدموا معًـا في أفغانسـتان. عنـدما عيّن تـرامب الجـنرال ميلي رئيسًـا جديـدًا لهيئـة الأركـان المشـتركة، أمضى الأدمـيرال ويتورث كل يوم في الإعداد لتولي ميلي المنصب.

عندما كان الأدميرال ويتورث مستعدًا للانتقال من دوره كضـابط بنجمـتين إلى منصـب بنجمـة ثالثـة، تـدخل ميلي شخصـيًا وطلب من البنتـاغون ترقيـة دور الاسـتخبارات J2 إلى رتبـة ثلاثـة نجـوم حـتى يتمكن الجـنرال ميلي من إبقـاء ويتورث بجانبه.

الآن كلاهما شعر بمرارة السقوط السريع لكابول. لعـدة أشـهر، كـانوا يتـداولون حول السيناريوهات المطروحة علي الطاولة، يعـدلون الاسـتعدادات، ويتلقـون آخر المعلومات الاستخباراتية.

لقد رأوا تدهورًا في قدرة الأفغـان على الـدفاع عن أنفسـهم، لكنهم لم يتوقعـوا سرعة الانهيار.

قال ويتورث بصراحة: "بالنسبة لي كان الأمر متسارعًا أكثر مما تـوقعت". كـان في إجازة عائلية في هاواي عندما سقطت أول ولاية في يـد طالبـان، ثم ولايـة أخرى بعد ساعة، ثم ولاية ثالثة.

قال: "كنت أرى ما يحـدث". لم يكن في منشـأة معلومـات سرية (SCIF)، لكنـه أرسـل مـذكرة إلى البنتـاغون: "أخرجـوا أفرادنـا إلى الأمـان". كـانوا بحاجـة إلى تسريع عملية الانسحاب.

انتهت إجازتـه. كـان الأدمـيرال ويتـورث في واشـنطن العاصـمة، واقفًـا بجـانب الجـنرال ميلي ووزيـر الـدفاع أوسـتن عنـدما أقلعت آخـر طـائرة من أفغانسـتان. ثلاثة كانوا قد خدموا معًا في أفغانستان كل تلك السنوات.

قال الأدميرال ويتـورث: "سـأعتز دائمًـا بوجودنـا معًـا ونحن نخـرج آخـر أفرادنـا". "السرعة هي ما يحفظ حياة الأمريكيين، لذا كان يجب استخدام السرعة".

كان يعتقد أن الجيش قد قام بأفضل ما يمكنه في أسوأ سيناريو ممكن.

قـال الأدمـيرال ويتـورث بأسـف: "لا أعتقـد أن أحـدًا في الجيش أو في مجتمـع الاستخبارات يمكن أن يقول إننا كنـا نعلم أن الأمـر سـينهار في غضـون 10 إلى 14 يومًـا". وأضـاف: "شخصـيًا، أعتقـد أن الفسـاد وقـوة وسـائل التواصـل الاجتماعي هما العاملان الأكثر غموضًا".

المذنب الحقيقي كان الرغبة الجامحة والمندفعة لإدخال القوات الأمريكية إلى بلد أجنبي معتقدين أنهم سيكونون الحل متجاهلين دروس فيتنام.

عشرة

في ميدان الاستقلال في وسط العاصمة الأوكرانية كييف، رفع الأدميرال البريطاني تيم وودز ابنته البالغة من العمر سنتين لرؤية الطائرات الأوكرانية وهي تحلق منخفضة فوق رؤوس الحشود. كان ذلك في 24 أغسطس 2021، الذكرى الثلاثين لاستقلال أوكرانيا عن الاتحاد السوفيتي. الرئيس زيلينسكي، الذي كان قد انتقد سابقًا العروض العسكرية، قرر أن الوقت قد حان لإرسال رسالة إلى بوتين.

استعرض العرض العسكري القوة المتزايدة لأوكرانيا. دبابات مطورة، صواريخ، وأنظمة دفاع جوي تمر عبر الشارع الرئيسي. وفي نهاية العرض تقريبًا، ظهرت القطعة المركزية: طائرة "بيرقدار TB2" الجديدة، وهي طائرة هجوم بدون طيار ذات جناح واسع يعادل عرض أربعة مسارات، ولا يوجد في الترسانة الروسية شيء مماثل لها، وقد تم شراؤها مؤخرًا من تركيا. كما سار الجنود الأوكرانيون بزيهم العسكري، وانضم إلى العرض ممثلون عن جيوش الدول الشريكة مثل الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وبولندا.

كان الرئيس زيلينسكي متأثرًا وعيناه تدمعان وهو يخاطب الحشود في خطاب احتفل فيه بقوة استقلال أوكرانيا ووعد بمستقبل مستقل.

قال زيلينسكي: "سيتم بناء دبابات جديدة ومروحيات بأجنحة أوكرانية للجيش هذا العام". وأضاف أن أوكرانيا "تحيي أسطولها البحري وقواعدها البحرية" وتعتمد "برنامج صواريخ لمدة 10 سنوات."

وعد زيلينسكي شعبه"مثل هذا البلد يصبح شريكًا لحلف الناتو مع فرص معززة" . كان انضمام أوكرانيا إلى حلف الناتو خطًا أحمر بالنسبة لروسيا مع حدود برية واسعة تمتد على مسافة 1,200 ميل.

بينما كانت أوكرانيا تحتفل باستقلالها وتقدمها العسكري، كان وودز يعتقد أن بوتين يرى بلدًا يبتعد أكثر عن قبضة روسيا الإمبراطورية.

قال وودز: "بوتين يقوم بحساباته. لقد رأى نافذة تغلق".

كان الأدميرال الخلفي وودز، المتحدث بطلاقة باللغة الروسية، جزءًا من مهمة التدريب العسكري للمملكة المتحدة في أوكرانيا منذ عام 2018 - يساعد في تحويل الجيش الأوكراني إلى قوة تعمل وفق معايير الناتو ويعالج الفساد في وزارة الدفاع الأوكرانية. كان يعيش في كييف مع زوجته، وهي ضابطة استخبارات بريطانية تعمل على تعزيز قدرة أوكرانيا على الدفاع ضد الحرب الهجينة أو الرمادية التي تشنها روسيا - بما في ذلك الحرب الإلكترونية، والتضليل الإعلامي، والرشوة الروسية، والحرب النفسية.

كانت عائلته على دراية وثيقة بالألعاب النفسية التي تمارسها أجهزة الاستخبارات الروسية. في عدة مناسبات، وجدوا ضيوفًا غير مدعوين في شقتهم في كييف. في إحدى الأمسيات، كانت ابنتهما الصغيرة قد نثرت قطعًا كبيرة من لعبة تركيب الأطفال على أرضية غرفة اللعب. كانت زوجته مرهقة وتركت الفوضى وذهبت للنوم. في صباح اليوم التالي، وجدت أن اللعبة، التي تتكون من حوالي 30 قطعة، قد تم تجميعها بشكل جميل.

قال وودز: "هذا أمر نموذجي لخدمات الاستخبارات الروسية. يريدون تخويفك: يمكننا فعل هذا في أي وقت نريد." كانت هناك مناسبات أخرى وجدوا فيها شمعدانات مقلوبة رأسًا على عقب.

قال وودز: "لم نتأثر بذلك، بل كنا نشعر بالتسلية".

كان لديهم صديق ترك حذاءه في الخارج ذات ليلة، وفي صباح اليوم التالي وجد أن جميع الأربطة قد تم إعادة ترتيبها بطريقة معكوسة بحيث تخرج الأربطة من أسفل الحذاء.

قال وودز: "افترضنا أيضًا أن الشقة كانت مزودة بأجهزة تنصت للصوت والفيديو، وأن أي محادثة هناك كانت مسجلة".

سافر وودز إلى الحدود مع زملائه الأوكرانيين لرؤية الحشد الروسي في مارس 2021. وبينما كان وزير الدفاع الروسي شويغو قد سحب القوات، إلا أن المعدات الروسية "العُدة" ظلت موجودة هناك.

والآن، في أواخر أغسطس، لاحظ وودز أن العدة بدأت تتزايد مرة أخرى.

أحد عشر

"أيها الرئيس، لن تصدق ما سأعرضه عليك الآن"، قال الأدميرال فرانك ويتوورث، وهو يدخل بسرعة إلى مكتب الجنرال ميلي صباح أحد الأيام بعد بضعة أسابيع من الانسحاب من أفغانستان.

قال"أعتقد أن لدينا مؤشرات قد تغير بقية فترتك كرئيس للأركان بالتأكيد".

كانت هناك معلومات استخبارية جديدة تشير إلى أن روسيا تخطط لهجوم عسكري واسع النطاق على أوكرانيا. التحذير لم يكن فردياً بل متعدد الجوانب.

صُدم ميلي وويتوورث.

"ومن قبل دولة نووية"، قال الأدميرال ويتوورث. "أنت تتحدث عن دولة نووية. غزو من قبل دولة نووية".

في الموجز اليومي للرئيس، كان يتم تقديم معلومات استخبارية استثنائية كل صباح حول ما كان الروس يفعلونه علنًا بقواتهم العسكرية، وكذلك حول ما كانوا يفكرون ويخططون لفعله بتلك القوات.

بقيت نوايا بوتين النهائية غير واضحة. كان هناك شعور مزعج بالعودة إلى الماضي. بايدن كان نائب الرئيس، وبلينكن كان نائب مستشار الأمن القومي للرئيس أوباما عندما ضمت القوات الروسية شبه جزيرة القرم بسرعة في جنوب أوكرانيا واستولت على جزء من دونباس في عام **2014**. أوباما وفريقه فشلوا في رؤية عملية الضم الوقحة لبوتين كما هي ولم يردوا بشكل كافٍ في الوقت المناسب. كان ذلك انتصاراً سهلاً لبوتين، دون عواقب سلبية تذكر على روسيا.

توني بلينكن، الذي يبلغ طوله 5 أقدام و10 بوصات، وله شعر متموج كان بنيًا ولكنه تحول الآن إلى الرمادي، كان مستشار بايدن الموثوق للسياسة الخارجية وصديقه المقرب لأكثر من 20 عامًا. أمضيا ساعات لا تُحصى في صياغة السياسات الخارجية: في مجلس الشيوخ، خلال الرحلات الدولية، في مكتب نائب الرئيس، في غرفة عمليات البيت الأبيض، وحتى خلال عشاءات عائلية مشتركة، ما جعل العلاقة بينهما قوية وحقيقية.

لم يكن بلينكن يريد تصديق أن ما كان الروس يخططون له قد يكون جديًا. لكن بايدن لم يكن يريد أن يتفاجأ مرة أخرى من بوتين. المفاجأة كانت سلاحًا يمنح ميزة فورية في ساحة المعركة للمعتدي. لم يكن الرئيس يريد أن يبدأ هذه المرة متأخرًا في ردة الفعل.

أخبر بايدن مسؤوليه، بما في ذلك سوليفان وبلينكن وأوستن وميلي، أن أولويته الأولى كانت تجنب صراع مباشر مع روسيا. ستكون استراتيجيتهم ذات شقين: العمل بجد لمنع أي نوع من الغزو الروسي لأوكرانيا، والعمل بنفس القدر للتحضير له.

أخبرهم بأن مهمتهم كانت أن يعدوا أنفسهم، ويعدوا أوكرانيا، ويعدوا الحلفاء. ماذا تحتاج أوكرانيا للدفاع عن نفسها؟ لم يكن يريد أن يتكرر أي شيء قد يشبه كارثة أفغانستان.

كان بايدن واضحًا أن أي شيء تفعله الولايات المتحدة من أجل أوكرانيا سيكون على المستوى الثنائي بين الولايات المتحدة وأوكرانيا، وليس من خلال الناتو. كان بوتين يرى الناتو كتهديد مطلق ومباشر لروسيا. رغبة أوكرانيا في الانضمام إلى الناتو، وهي مدونة في دستورها، كانت تهديدًا دائمًا لبوتين. كان على الولايات المتحدة أن تكون حذرة كي لا تزيد من حدة التوترات وتسرع تحضيرات بوتين للهجوم على أوكرانيا.

بعد أقل من أسبوعين من سقوط كابول، في 27 أغسطس، وافق بايدن على حزمة دفاع إضافية لأوكرانيا بقيمة 60 مليون دولار. أراد بايدن وسوليفان وبلينكن إيصال الأسلحة إلى أوكرانيا بسرعة وبهدوء قدر الإمكان.

لم يرغبوا في إثارة ضجة كبيرة حولها. لم يرغبوا في عناوين الأخبار التي قد تغذي آلة الدعاية لبوتين. كان بوتين مستمرًا في تشويه سمعة الرئيس الأوكراني زيلينسكي واصفًا إياه بأنه نازي، واستمر في الادعاء بأن روسيا مهددة من قبل الناتو.

شملت الحزمة صواريخ "جافلين"، وهي أفضل صواريخ مضادة للدروع يتم إطلاقها من الكتف في العالم، والتي توجه نفسها تلقائيًا إلى الهدف بعد الإطلاق، مما يسمح للمطلق بالاحتماء. تُعرف بأنها سلاح "أطلق وانسَ"، ويمكن لشخص واحد تشغيلها وتدمير الدبابات وغيرها من المركبات المدرعة.

صاروخ "جافلين"، المزود برأس حربي متفجر عالي القدرة ضد الدروع (HEAT)، لديه مدى من ميل واحد إلى ميلين، ويصعد عاليًا فوق دبابة العدو المستهدفة ويغوص ليضرب حيث تكون الدروع أضعف.

يبلغ سعر نظام إطلاق صاروخ "جافلين" مع صاروخ واحد حوالي 200 ألف دولار، وهو ما أوضح البنتاغون أنه يعادل تقريبًا سعر سيارة "فيراري روما".

في إشعار موجز إلى الكونغرس، قالت إدارة بايدن إن حزمة المساعدة الأمنية لأوكرانيا كانت ضرورية بسبب "الزيادة الكبيرة في النشاط العسكري الروسي على طول الحدود" وبسبب الهجمات بالهاون، وانتهاكات وقف إطلاق النار، وغيرها من الاستفزازات.

اثنا عشر

في الأول من سبتمبر 2021، استقبل الرئيس بايدن رئيس أوكرانيا فولوديمير زيلينسكي في البيت الأبيض لأول مرة. زيلينسكي، الذي كان سابقًا ممثلًا وكوميديًا، فاز في الانتخابات الرئاسية الأوكرانية عام 2019 بفوز ساحق تاريخي على الرئيس الحالي والملياردير بترو بوروشينكو، الذي كان بايدن قد قدم له المشورة عندما كان نائبًا للرئيس. حصل زيلينسكي على نسبة 73.17% من الأصوات، مقارنةً بـ 24.5% لبوروشينكو.

انتُخب زيلينسكي في سن 41، ودخل المكتب الرئاسي دون أي خبرة سياسية—على النقيض التام من جو بايدن. كان زيلينسكي يملك شركة إنتاج تلفزيوني ناجحة تُدعى "كفارتال 95"، وأصبح نجمًا معروفًا في أوكرانيا بفضل دوره كرئيس أوكراني في مسلسل تلفزيوني شهير بعنوان "خادم الشعب"، وهو مسلسل سياسي ساخر تم بثه من 2015 إلى 2019.

في العرض التلفزيوني، يلعب زيلينسكي دور مدرس تاريخ في مدرسة ثانوية يتم انتخابه رئيسًا عن طريق الصدفة بعد أن انتشر حديثه عن الفساد الحكومي على الإنترنت. ولكن، في الواقع، انخفضت نسبة تأييد زيلينسكي كرئيس حقيقي إلى مستوى منخفض للغاية بلغ 38% في ربيع 2021.

وصول زيلينسكي المفاجئ إلى الساحة السياسية كان مشابهًا إلى حد كبير لدور شخصيته الخيالية. كان زيلينسكي شخصًا خارج المنظومة السياسية وبدون خبرة سياسية، لكنه جسد دور المواطن العادي.

في بدلة سوداء ضيقة وأحذية مصقولة، سار زيلينسكي إلى "الرادا"—مبنى البرلمان الأوكراني في كييف—في 20 مايو 2019، وهو يلوح ويلتقط الصور السيلفي مع المؤيدين قبل أن يؤدي اليمين كرئيس.

"أعـزائي الأوكرانـيين"، قـال زيلينسـكي في خطـاب تنصـيبه. "بعـد فـوزي في الانتخابـات، قـال لي ابـني البـالغ من العمـر سـت سـنوات: ’أبي، يقولـون في التلفزيون إن زيلينسكي هو الرئيس... إذن، يعني أنني أنا الرئيس أيضًـا؟!‘ في ذلك الوقت، بدا الأمر مضحكًا، ولكن بعد ذلك أدركت أنه كان صـحيحًا. لأن كـل واحد منا هو الرئيس.

"من الآن فصاعدًا، كل واحد منا مسؤول عن البلـد الـذي نتركه لأطفالنـا"، قـال زيلينسكي. "كل واحد منا، في مكانه، يمكنه أن يفعل كل شيء من أجل ازدهار أوكرانيا".

أثـار زيلينسـكي أولويتـه الأولى: وقـف إطلاق النـار في منطقـة دونبـاس حيث كانت القوات الأوكرانية والانفصاليون المدعومون من روسيا يقاتلون منذ غـزو بوتين عام 2014. "غالبًا ما سُئلت: ما الثمن الذي أنت مستعد لدفعه من أجـل وقـف إطلاق النـار؟ إنـه سـؤال غـريب"، قـال زيلينسـكي. "مـا الثمن الـذي أنت مستعد لدفعه من أجل حياة أحبائك؟ أستطيع أن أؤكد لكم أنني مستعد لـدفع أي ثمن لوقف موت أبطالنا. بالتأكيد لست خائفًا من اتخاذ قرارات صـعبة، وأنـا مستعد لخسارة شهرتي، تقييمي، وإذا لـزم الأمـر، دون تـردد، مـوقعي من أجـل تحقيق السلام، طالما أننا لا نتخلى عن أراضينا.

"التاريخ غير عادل"، أضـاف زيلينسـكي. "نحن لسـنا من بـدأ هـذه الحـرب. لكن نحن من يجب أن ينهيها.

قال"أنا حقًا لا أريد أن تعلقـوا صـوري على جـدران مكـاتبكم. لأن الـرئيس ليس أيقونـة وليس صـنمًا. الـرئيس ليس صـورة. علقـوا صـور أطفـالكم. وقبـل أن تتخذوا أي قرار، انظروا في أعينهم".

"وأخـيرًا"، اختتم زيلينسـكي، "طـوال حيـاتي حـاولت أن أفعـل كـل مـا بوسـعي لكي يضحك الأوكرانيون. كان هذا مهمتي. الآن سأفعل كل ما بوسـعي لكي لا يبكي الأوكرانيون بعد الآن".

في واشـنطن العاصـمة، لم يكن زيلينسـكي معروفًـا بكونـه نجمًـا تلفزيونيًـا أصبح رئيسًـا، بـل بسـبب الجـدل المحيـط بمحاكمـة الـرئيس تـرامب الأولى بعـد مساءلته.

خلال مكالمـة في 25 يوليـو 2019، طلب الـرئيس زيلينسـكي شراء المزيـد من صواريخ جافلين المضادة للدبابات من الولايات المتحدة. رد ترامب قائلاً: "أود أن تفعل لنا معروفًا لأن بلدنا قد مر بالكثير".

ثم طلب ترامب من زيلينسكي التحقيق في أمر جـو بايـدن وابنـه هـانتر، وقـال: "أي شيء يمكن أن تفعله مع النائب العام سيكون رائعًا".

عنـدما أجـريت مقابلـة مـع تـرامب في مـار-إيـه-لاجـو بولايـة فلوريـدا في 30 ديسـمبر 2019 حـول مسـاءلته، قـال تـرامب: "لا يوجـد أحـد أقسى مـني. لا أحـد أقسى مني. سألتني عن المساءلة. أنا تحت المساءلة، وقلت إنـني أتصرف كما لو أنني فزت للتـو بالسـباق اللعين. كـان نيكسـون في الزاويـة ويمص إصـبعه. بيل كلينتون أخذ الأمر بجدية كبيرة جدًا. أنا فقط أفعل ما أريد، حسنًا؟ أفعل مـا أريد".

سألت ترامب عما إذا كـان يعتقـد أن المكالمـة مـع زيلينسـكي أعطت خصـومه السياسيين سيفًا.

"إنها مكالمة مثالية!" قال ترامب. "لم أعطهم سيفًا".

وأضـاف تـرامب عن المكالمـة: "تحـدثنا عن أنفسـنا. تحـدثنا عن مسـاعدتنا، فاصلة، البلد. بلدنا. ثم تحدثت عن رؤية النائب العام".

"دعني أخبرك عن زيلينسـكي"، أضـاف تـرامب. "لم يتوقعـوا في مليـون سـنة أنني سأصدر المكالمة، هذا أولاً. ثانيًا، لم يتوقعوا في مليون سـنة أننـا كنـا قـد قمنا بتفريغها. أريد مكالماتي مفرغة".

لاحقًا، أخبر زيلينسكي الصحفي سيمون شوستر من مجلة "تايم" أن ترامب قد فاجأه حقًا بإصدار نص المكالمة، وأنه قد دمر ثقته في حلفاء أوكرانيا. "فيما يتعلق بمن أثق به"، قال زيلينسكي لشوستر في كتابه "رجل الاستعراض"، "أخبرتك بصراحة: لا أحد".

قال زيلينسكي لشوستر إنه شعر وكأنه بيدق يحاول تجنب سحق أوكرانيا بين القوى العظمى.

قال زيلينسكي"لا أريد أبدًا أن تكون أوكرانيا مجرد قطعة على خريطة، على رقعة الشطرنج بين اللاعبين العالميين الكبار، حتى لا يتمكن أحد من نقلنا، أو استخدامنا كغطاء، أو كجزء من صفقة".

كانت ادعاءات ترامب المتكررة بأن أوكرانيا فاسدة قد شكّلت أيضًا صفعة لسمعة أوكرانيا واقتصادها، حيث تردد المستثمرون أو انسحبوا.

"عندما نقدم مبالغ ضخمة من المال لدولة، أعتقد أنك يجب أن تسأل ما إذا كانوا فاسدين، من أين يأتي هذا المال؟" قال ترامب خلال مقابلتي معه في ديسمبر 2019 حول المساعدات الأمريكية لأوكرانيا. "لماذا يوجد هذا القدر من الفساد عندما نعطيها؟ وتعلم، هناك شيء آخر أتحدث عنه. وأتحدث عن سبب عدم مساهمة ألمانيا، فرنسا، والدول الأوروبية الأخرى، التي تتأثر بأوكرانيا أكثر منا، لأن أوكرانيا تشبه جدارًا هائلًا. فكر فيها كجدار بين روسيا وأوروبا، حسنًا؟"

أضاف ترامب: "قلت، لماذا لا تدفع ألمانيا؟ لماذا لا تدفع فرنسا؟ لماذا لا تدفع هذه الدول الأخرى الأموال؟ لماذا يكون دائمًا الولايات المتحدة الغبية؟"

ربما لم يكن من المفاجئ أن زيلينسكي لم يُدعَ إلى البيت الأبيض في عهد ترامب.

عنـدما زار زيلينسـكي الـرئيس بايـدن في الـبيت الأبيض، ضـغط على بايـدن لمساعدة أوكرانيا في الحصـول على عضـوية النـاتو، وهـو أمـر لم يكن بايـدن مستعدًا لدفعه في الأمد القريب.

عمل بيل بيرنز، مدير وكالة المخابرات المركزية التابعة لبايـدن، لسنوات على الحد من أي جهود أمريكية لدفع أوكرانيا على مسار الانضمام إلى الناتو.

عندما كان بيرنز سفيرًا للولايات المتحدة في موسكو عام 2008، أرسل لـوزيرة الخارجية آنذاك كوندوليزا رايس بريدًا إلكترونيًا شخصيًا طويلًا عبر قنوات آمنة.

"انضـمام أوكرانيا إلى النـاتو هـو أخطـر خـط أحمـر لـدى النخبـة الروسـية (ليس فقــط بــوتين). في أكــثر من ســنتين ونصــف من المحادثــات مــع اللاعــبين الرئيسـيين في روسـيا، من متشـددين في أروقـة الكـرملين المظلمـة إلى أكـثر منتقدي بوتين الليبراليين ذكاءً، لم أجد أحدًا يرى أن انضـمام أوكرانيا إلى النـاتو يمثل شيئًا آخر غير تحدٍ مباشر للمصالح الروسية."

حتى الخطوات الأولية سيتم النظر إليها على أنها "إلقـاء القفـاز الاسـتراتيجي"، قال بيرنز. "سترد روسيا.سوف تذهب العلاقات الروسية الأوكرانيـة إلى طريـق مسدود

وخلص بيرنز إلى القول: "لا أستطيع أن أتصور أي صـفقة كـبرى من شـأنها أن تسمح للروس بابتلاع هذه الحبة بهدوء".

الثالث عشر

في أكتوبر 2021، قدمت مديرة الاستخبارات الوطنية أفريل هاينز ومدير وكالة المخابرات المركزية بيل بيرنز إلى الرئيس بايدن ونائبة الرئيس كامالا هاريس ومستشاري مجلس الوزراء الرئيسيين معلومات استخباراتية أمريكية سرية للغاية، تُظهر بشكل قاطع أن الرئيس بوتين قد طور خطة حرب لغزو أوكرانيا بـ175,000 جندي. كانت هذه المعلومات الاستخباراتية المفاجئة ثمرة أحد "جواهر" الاستخبارات الأمريكية، بما في ذلك مصدر بشري داخل الكرملين.

قال مدير وكالة المخابرات المركزية بيرنز: "إنه استنتاج جماعي من مجتمع الاستخبارات بأن بوتين يخطط لغزو أوكرانيا."

شارك بيرنز وهاينز تفاصيل دقيقة حول كيفية تخطيط روسيا للسيطرة على بعض المدن وتقسيم المسؤوليات داخل الجيش الروسي وأجهزة الأمن للحفاظ على السيطرة عليها. كان الأمر كما لو أنهم دخلوا خيمة قائد العدو سرًا وانحنوا على الخرائط، ويفحصون عدد وحركة الألوية والتسلسل المخطط له بالكامل للغزو المتعدد الجبهات.

كان وزير الخارجية توني بلينكن مذهولاً من مستوى التفاصيل الاستخباراتية التي حصلوا عليها الآن. كان الاتساع والجدية في خطة الحرب الروسية لاحتلال الأراضي مقلقين للغاية. حدث عالمي مزعزع.

كانت خطة الحرب الروسية تهدف إلى السيطرة على البلاد الأوكرانية بالكامل، والقضاء على الرئيس الأوكراني زيلينسكي، والسيطرة على العاصمة كييف.

كانوا يستطيعون رؤية التنسيق والتحضير للقوات الروسية، وكيف كانوا يعتزمون استخدامها للهجوم والسيطرة على أوكرانيا. والأهم من ذلك، كان لديهم معلومات من داخل الكرملين بأن بوتين يعتزم فعل ذلك فعليًا.

قال جون فاينر، نائب مستشار الأمن القومي: "لم يكن هذا مجرد خطة طـوارئ من باب الحيطة". "هذا شيء تسعى روسيا إلى تنفيذه."

على الرغم من الأدلة المقنعة، كانت الخطة محيرة. إذا نفذ بوتين أكبر محاولـة لاحتلال الأراضي منـذ الحـرب العالميـة الثانيـة، فـإن ذلـك سـيدمر العلاقـات الاقتصادية والدبلوماسية لروسيا مع الولايات المتحدة وأوروبا، وربما حتى مـع الصين والهند. كان مستشارو بايـدن في الغرفـة يكـافحون لفهم منطـق بـوتين. لماذا سيفعل ذلك؟

قال سوليفان: "لم يكن هناك شيء يسبق أكتوبر، سـوى بيـان بـوتين". "لم يكن هناك شيء يجعلنا نعتقد، حسنًا، حدث تحول كبير هنا."

لم تكن خطط بـوتين الحربيـة تنعكس في الموقـف العلـني لروسـيا أو خطابهـا. لم يكن هناك أي تحضير للرأي العام الروسي للحرب.

أدرك سوليفان أن شيئًا قد تغير بشكل كبير.

قال سوليفان: "لكن كل شيء هادئ". "كل شيء هـادئ." كـان الأمـر أكـثر حيرة من كونه مطمئنًا.

كان بوتين على وشـك محاولـة احتلال دولـة ذات سيادة أخـرى بـالقوة وضـمها إلى روسيا. قال بلينكن لبايدن: "عنـدما نضـع إطـار مرجعيتنـا عليـه، يبـدو الأمـر جنونيًا."

"إذا وضـعت نفسـك في عقليـة بـوتين، فربمـا لا يكـون كـذلك إلى هـذا الحـد وهناك خـط متسـق إلى حـد مـا،" قـال بلينكن، "إذا أخـذت بعض خطاباتـه على محمل الجد.

قال بلينكن، مشـيرًا إلى بيـان بـوتين: "إن الاقتنـاع الفلسـفي العميـق لبـوتين أو الاقتناع اللاهوتي هو أن أوكرانيا يجب أن تمحى من الخريطة وتصـبح جـزءًا من روسيا."

اتفق بايدن. قال: "عندما تقرأ هذه الأشياء، يخبرك لماذا يفعل ما يفعله".

تساءل جون فاينر: هل يفهم بوتين العقبات؟

من المؤكد أن أوكرانيا لن تتخلى عن سيادتها وتسمح لبوتين بالسيطرة عليها. لقد كانت أوكرانيا قد أعلنت استقلالها عن الاتحاد السوفيتي في عام 1991. لقد أدى غزو بوتين لشبه جزيرة القرم في عام 2014 إلى تصلب الموقف الأوكراني ضد روسيا وساهم في خلق هوية وطنية أوكرانية أقوى.

قبل عام 2014، كان فقط 20 إلى 30 في المائة من الأوكرانيين يؤيدون الانضمام إلى حلف الناتو. في عام 2019، نص تعديل دستوري على التزام أوكرانيا بالسعي للحصول على عضوية الناتو. في عام 2021، قبل الحشد الأول للقوات الروسية في الربيع، ارتفعت نسبة الدعم لعضوية الناتو إلى 56 في المائة. كان بوتين يخلق مشاكله الخاصة.

تساءل فاينر: دعونا نقول فقط إن بوتين ينتصر بسهولة وبتكلفة يراها مقبولة. ثم يحتل هذه البلاد الضخمة بعدد قليل نسبيًا من القوات بالنسبة لحجمها الجغرافي. أوكرانيا، التي تغطي تقريبًا مساحة ولاية تكساس، هي ثاني أكبر دولة في أوروبا بعد روسيا ويبلغ عدد سكانها حوالي 44 مليون نسمة، أي أكثر من تكساس بـ 14 مليونًا.

هل يعتقد فقط أن الأوكرانيين سيقبلون ذلك؟ ألن تكون هناك مقاومة أو تمردات؟

قال فاينر إنه ستكون هناك انتفاضات عنيفة وتمردات وصراعات مستمرة لسنوات.

بدت المعلومات الاستخباراتية من ناحية ذات أهمية تكتونية، ولكن من ناحية أخرى، غير منطقية للغاية.

على الرغم من الشكوك، اتفق الرئيس ومجلس وزرائه بالإجماع على أن خطة الحرب الروسية كانت "جدية للغاية."

قال بلينكن: "الخطة متطورة للغاية، القرار الفعلي بالضغط على الزناد لم يتم اتخاذه بعد ولكنه جاهز."

كانت الخطة، مع ذلك، ليست قرارًا. كانوا يرون اعتبارًا جادًا للغاية من قبل روسيا، لكن ليس قرارًا. كان هذا فرقًا مهمًا.

قال مدير وكالة المخابرات المركزية بيرنز إن هذا هو أيضًا أسلوب بوتين. "يحب إبقاء خياراته مفتوحة."

سأل الرئيس بايدن: "ما هي التفسيرات البديلة لكل هذه المعلومات الاستخباراتية بخلاف التفسير المباشر؟"

"هل هذه لعبة حرب؟ هل هذا خيار؟ هل نحن مقصودون أن نرى هذا حتى يخيفنا إلى فعل شيء ما؟"

قال بيرنز إنه لا توجد تفسيرات بديلة. المعلومات الاستخباراتية كانت قاطعة.

أوضحت أفريل هاينز، التي كانت كمديرة للاستخبارات الوطنية تشرف على جميع وكالات الاستخبارات الأمريكية، بما في ذلك وكالة المخابرات المركزية، النقاط الجديدة التي جمعتها حول تفكير بوتين.

قالت هاينز إن "انعدام الأمن والثقة هما وجهان لعملة واحدة مع بوتين". "يمكن أن يكون غير آمن، ويمكن أن يكون أيضًا شخصًا يعتقد أنه الشخص الوحيد الذي يمكنه استعادة روسيا إلى مجدها السابق."

كان بوتين قد ندد منذ فترة طويلة بانهيار الاتحاد السوفيتي، الذي وصفه بأنه أكبر كارثة في القرن العشرين. اعتقد بوتين أن أراضي أوكرانيا هي "مهد روسيا".

قالت هاينز: "يعتقد أن أوكرانيا يجب أن تعود إلى روسيا ويجب أن يتفوق هذا على كل شيء آخر." كان هناك افتراض مطلق بالملكية.

ومع ذلك، كانت أوكرانيا تبتعد بشكل واضح عن روسيا بينما تعمق ارتباطها بالغرب وحلف الناتو. كان الجيش الأوكراني يصبح أقوى وأفضل بدعم من الغرب. كلما تأخر بوتين في الغزو، كلما أصبح الدفاع الأوكراني أكثر قوة.

كان تقييم بوتين هو أن العمل العسكري سيكون الخيار الأفضل لمنع أوكرانيا من الاندماج أكثر مع الغرب. كان هذا شيئًا يعتقد بوتين أنه يجب عليه إيقافه بأي ثمن. قالت هاينز: "بالنسبة لبوتين، فإن خسارة أوكرانيا هي في الواقع تهديد وجودي."

بناءً على حساباته، سيكون الغزو ناجحًا وسريعًا، وسيعيد أوكرانيا مرة أخرى تحت السيطرة الروسية.

كانت هاينز تتحدث بصرامة وكثافة لدرجة أن الغرفة كانت تحتفظ بانتباهها.

قالت هاينز: "تبدو خطته الحربية مجنونة إذا كنت تفكر في ما هو منطقي للشعب الروسي"، لكن بوتين يعطي الأولوية لرؤيته الخاصة على حساب صحة وثروة الشعب الروسي.

كان بوتين يعتقد أن روسيا سيتم الترحيب بها من قبل معظم الأوكرانيين، كما لخصت المديرة هاينز. يرى الأوكرانيين أقل شأنًا من الشعب الروسي. "إنه أحد أكثر القادة عنصرية لدينا."

الرئيس الروسي رأى أن أي عواقب على بلاده ستكون قصيرة الأمد. وكان يعتقد أن العقوبات الاقتصادية من الغرب سيتم تخفيفها من خلال صندوق الثروة الوطني الروسي القوي والمؤشرات الاقتصادية الجيدة في السنوات القليلة المقبلة قبل أن يواجه بوتين انتخاباته المقبلة. كانت أسعار الطاقة المرتفعة الحالية ستجعل من الصعب على أوروبا الانضمام إلى الولايات المتحدة في فرض عقوبات اقتصادية كبيرة قد تؤثر على الاقتصادات المحلية الأوروبية.

كانت عزيمة أوروبا والولايات المتحدة ستضعف بمرور الوقت ومع تفاقم نقص الغذاء والتضخم ونقص الطاقة. روسيا ستكون أفضل في الحفاظ على

عزيمتها، وكان تقدير بوتين أن الزمن في صالحه. على الأقل هذا ما أظهرته الاستخبارات الأمريكية.

قال بيرنز مرة أخرى: "هذا هو ما يخطط بوتين للقيام به". كان من غير المعتاد أن تكون وكالات الاستخبارات بهذا القدر من اليقين.

قال بايدن: "هذا سيكون جنونيًا". "أنا أعرف القادة. يميل القادة إلى التفكير كثيرًا في المخاطر السلبية أكثر من المكاسب الإيجابية، وبوتين انتهازي لكنه يميل إلى تجنب المخاطر إلى حد ما. إنه يقبل المخاطر إلى حد محدود للغاية. هذا يختلف جذريًا عما أعرفه عنه"، قال بايدن. "وأيضًا، ليتخذ قائد هذا القرار دون وجود حدث معين يشعل الفتيل، هذا سيكون جنونيًا".

قال بايدن: "أرى المعلومات الاستخباراتية". لم يكن الرئيس يشك في صحتها.

كانت الحيرة—والشعور بالقدر—مسيطرة في الغرفة.

قال بايدن أخيرًا: "يا إلهي! الآن عليّ التعامل مع ابتلاع روسيا لأوكرانيا؟" كان قد انتهى لتوه من أزمة أفغانستان. والآن هذا؟

رأى فاينر أن هذا سيحول مسار رئاسة بايدن، وأهداف الإدارة، والاستقرار العالمي.

قال فاينر: "هذا سيكون عامنا المقبل، إن لم يكن بقية هذا الفصل". "هذا سيكون الشيء الذي يسيطر ويهيمن."

وجه بايدن الاستمرار في النظر إلى الموقف من كل زاوية محتملة: "استمروا في النظر إلى الوضع من جميع الزوايا الممكنة."

كرر بايدن توجيهه الرئيسي: "رقم واحد، منع هذا."

ولكنه أضاف بصرامة: "قدرتنا على منع هذا محدودة." كان المعتدي، الذي يستعد للغزو، يمتلك ميزة أولية كبيرة. كانت هذه هي الحقيقة للاضطرابات العالمية التي قد يواجهونها.

ومع ذلك، كان توجيه بايدن هو: "حاولوا. سنقوم بعمل خطة ونرى."

رقم اثنين، التحضير الكامل: "إذا حدث ذلك"، قال بايدن، "نحتاج أن نكون مستعدين بأقصى قدر ممكن حتى يكون ردنا معززًا لمصالحنا وليس مستنزفًا لها." أرادوا تجنب الفوضى الإدارية والتأخير البيروقراطي في التمويل وتسليم الأسلحة بعد غزو بوتين.

كان بإمكان سوليفان أن يرى كيف كان بايدن يطبق عقودًا من خبرته في السياسة الخارجية. كان الرئيس قد قضى وقتًا كبيرًا في التفكير في التحالفات، الناتو، العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا، والسياسة الكبرى للقوى العظمى.

ظل سوليفان على اتصال منتظم مع فريد كاغان، خبير في التاريخ العسكري والاستراتيجية، الذي كان يكتب بانتظام لمعهد دراسة الحرب، وهو مركز أبحاث مستقل يُعتبر المعيار الذهبي لتقديم التقييمات المستقلة للمشهد الاستراتيجي للصراعات حول العالم.

قال كاغان بثقة لسوليفان: "لن يقوم بغزو كبير". كان يبدو واثقًا. كان المعهد يتابع عدد الألوية الروسية ويراقب الحشد العسكري الروسي.

قال كاغان: "هذا هو أساسيات الحرب 101". "عليك أن تجهز الأرضية العامة للحرب، وليس هناك شيء من هذا. لا شيء منه."

أوقفت نقطة كاغان سوليفان للحظة.

في محادثاتهم المستمرة، ناقش سوليفان وفاينر ما إذا كان بوتين قد يجري نوعًا من التجارب الذهنية.

إذا كانت التوقعات تشير إلى غزو واسع النطاق ولم يحدث سوى غزو أصغر، فقد يكون بوتين يراهن على رد فعل أقل من الولايات المتحدة وأوروبا. قال فاينر: "إذن، تخيف الناس بشيء كبير للتفاوض على شيء أصغر."

أكبر مشكلة في هذه النظرية هي أنها لا تتطابق مع المعلومات الاستخباراتية التي أظهرت أن خطة بوتين كانت الغزو الكامل.

كانت تلوح في الأفق ظلال الانسحاب الفوضوي لبايدن من أفغانستان على المعلومات الاستخباراتية. كان هذا المجال الذي رأى فيه بوتين نقاط ضعف في بايدن وإدارته، وفقًا للاستخبارات التي كشفت عن محادثات داخل الكرملين. هذه النقطة من الضعف أشارت إلى أن بايدن لن يعرف ما يجب عليه فعله عندما يقوم بوتين بالغزو.

الرئيس جورج دبليو بوش، الذي أمر بغزو العراق عام 2003، جزئيًا بسبب أن وكالة الاستخبارات المركزية قالت إن المعلومات التي تفيد بأن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل كانت "مؤكدة"، تعاطف مع فوضى بايدن في أفغانستان.

خلال مكالمة هاتفية بعد الانسحاب من أفغانستان، قال بوش لبايدن: "يا فتى، أفهم ما تمر به. لقد تعرضت للخداع من قبل موظفي استخباراتي أيضًا."

قال كولين كاهل، المستشار الرئيسي لوزير الدفاع أوستن: "علينا أن نأخذ في اعتبارنا العامل النفسي هنا". كان فريقه في البنتاغون يتابع التحركات العسكرية الروسية الكبيرة والاستعدادات على طول حدود أوكرانيا. "هذا أكثر من مجرد خدعة"، قال كاهل. أثناء دراستهم للمعلومات الاستخباراتية، كانت تبدو مذهلة في عمقها ووضوحها، ولكن ما اقترحته كان يبدو مجنونًا. قال كاهل: "لن نكرر ما حدث في أفغانستان بعدم استعدادنا لهذه الأزمة."

نظرًا لأن أفغانستان كانت مهمة لحلف الناتو، وليست مهمة أمريكية فقط، فإن الانسحاب الفوضوي قد خلق أيضًا اضطرابًا بين حلفاء الناتو الذين كانوا

ينتقدون تنفيذ الولايات المتحدة. قال كاهل: "عندما نرى هذه المعلومات الاستخباراتية، علينا أن نعمل بجهد مضاعف، لإقناع الحلفاء، لكي يثقوا في المعلومات، ليروا القطار القادم الذي نراه ونكون مستعدين للرد."

قال كاهل: "كانت هذه هي جواهر تاج الاستخبارات الأمريكية." كان عليهم إيجاد طريقة لمشاركتها مع الحلفاء.

بدأ بلينكن فورًا في بناء ائتلاف دولي لدعم أوكرانيا وفرض تكاليف على روسيا من خلال العقوبات والقيود على التصدير.

بالنسبة لبلينكن، كانت التداعيات السياسية أكبر بكثير من أوكرانيا. إذا تمكن بوتين من الإفلات بعدوانه الصريح على دولة أخرى، وإعادة رسم حدود دولة أخرى بالقوة، كان بلينكن يعتقد أن السلام والاستقرار في أوروبا وحول العالم الذي نشأ من رماد الحرب العالمية الثانية سيكون قد تلاشى.

كان قلقًا من خطر حدوث ارتدادات محتملة في منطقة المحيطين الهندي والهادئ حيث كانت الصين تهدد تايوان. إذا تمكنت روسيا من الإفلات من هذا، يمكن لدول أخرى أكثر قوة أن تأخذ ذلك كضوء أخضر لإعادة رسم حدودها الخاصة بالقوة.

بعد التواصل الأولي، قام بلينكن بتحديث الرئيس بايدن وسوليفان: قال بلينكن: "معظم الحلفاء يعتقدون حقًا أن هذا غير محتمل." لقد سمعنا الكثير من الشكوك. البعض رفض تحليل الولايات المتحدة تمامًا.

بدأ سوليفان وفاينر أيضًا في التواصل مع الحلفاء، بما في ذلك الأوكرانيين، لقياس رد فعل الآخرين على فكرة أن روسيا تستعد بجدية لغزو أوكرانيا.

قال فاينر: "كان علينا حقًا أن نختبر النظرية جيدًا قبل أن نكون مرتاحين للاعتقاد بها."

قال فاينر: "أعني حتى نحن، الأشخاص الذين كانوا يدقون الطبول بأعلى صوت داخل حكومتنا، مع شركائنا، بأن هذا سيحدث، أعتقد أنه حتى في مؤخرة أذهاننا على مستوى ما حتى النهاية، بدا الأمر جنونيًا لدرجة أنه على الأقل شعرنا أن هناك احتمالاً بأن بوتين لن يقدم على ذلك حتى مع كل المعلومات التي كانت واضحة أمامنا."

قال فاينر: "كنا نمضي قدمًا بأقصى سرعة منذ بداية الخريف. ولكن لم يكن الامر يبدو منطقيًا أبدًا."

الرابع عشر

على هامش قمة مجموعة العشرين في روما يومي 30 و31 أكتوبر، ترأس الرئيس بايدن اجتماعًا خاصًا مع مجموعة صغيرة من قادة العالم.

جلس رئيس وزراء المملكة المتحدة بوريس جونسون، والرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، والمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل حول طاولة صغيرة مع الرئيس بايدن في قاعة مؤتمرات. كما أحضرت ميركل خليفتها المرتقب، أولاف شولتز. جلس خلف كل زعيم وزير خارجيته ومستشاره للأمن القومي. جلس بلينكن وسوليفان خلف بايدن. تم فحص الغرفة لضمان عدم وجود أي وسائل تجسس سرية تستمع للمحادثة بين الاثني عشر شخصًا.

قال بايدن: "لقد رأينا جميعًا أن الروس قد أعادوا تجميع قواتهم على الحدود كما فعلوا في أبريل". وأضاف: "لدينا الآن معلومات حول ما يفكرون به حقًا، وما يخططون له ويدبرونه."

وتابع بايدن قائلاً: "ما لا نعرفه هو ما إذا كانوا قد قرروا بالفعل تنفيذ الهجوم. ولكن السلاح جاهز للإطلاق."

كانت هذه هي المرة الأولى التي يتحدث فيها بايدن مباشرة إلى الشركاء الأوروبيين الأساسيين حول ما تخطط روسيا للقيام به في أوكرانيا.

أعرب الرئيس الفرنسي ماكرون والقادة الألمان عن شكوكهم. لم يكن يبدو أن بوتين مجنون لهذه الدرجة. ربما كان الزعيم الروسي يسعى للحصول على نفوذ.

وجد بوريس جونسون أن المعلومات الاستخباراتية التي تشير إلى أن بوتين سيغزو أوكرانيا قابلة للتصديق تمامًا. كانت المخابرات البريطانية MI6 ووزير الدفاع بن والاس قد قدما لجونسون صورة مشابهة ومقلقة عن خطط بوتين

الحربية. ربما كانت هذه خدعة من بـوتين، لكن جونسـون كـان يعتقـد أن بـوتين وحشي لدرجة التفكير حتى في الأمر.

في مكالمة هاتفية، واجه جونسون بوتين.

قال جونسون: "ليس لـديك سبب لغـزو أوكرانيـا. لا يوجـد أي احتمـال أن تنضـم أوكرانيا إلى الناتو في أي وقت قريب."

رد بـوتين: "بـوريس، مـاذا تعـني بـأي وقت قـريب؟ مـتى يكـون ذلـك؟ الشـهر المقبل؟"

قـال جونسـون: "لا، انظـر، أعـني أن الحقيقـة هي أن أوكرانيـا لن تنضـم في المستقبل القريب."

كان جونسون يعتقد أن بوتين كـان يعـرف ذلـك. كـان يعتقـد أن هـذا كلـه مجـرد هوس من بوتين تجاه الناتو.

كـان الأمـر أيضًـا مجـرد لعبـة بالنسـبة لبـوتين. أراد الـزعيم الروسي اسـتفزاز جونسون وزعماء الغرب الآخرين لإعلان الأمر علنًا: لا يوجد أي احتمال لانضمام أوكرانيا إلى الناتو.

فكر جونسون في إحباطه: "لقد وضـعنا في فخ". لم يكن بإمكـان جونسـون أن يعلن ذلـك علنًـا لأن ذلـك كـان سـيتناقض مـع سياسـة البـاب المفتـوح للنـاتو، ويبـدو وكـأن بـوتين قـد فـرض حـق الفيتـو الروسي على قـرار دولـة ذات سـيادة بتقديم طلب الانضمام إلى الناتو.

اعتقد جونسون أن ذلك سـيكون "تنـازلًا ضـخمًا واعترافًـا بالهزيمـة، واستسـلامًا لضغط بوتين، وخطأ كبير."

جونسون، عضو في حزب المحافظين البريطاني وتخرج من إيتـون وأكسـفورد، وجد المحادثة مع بوتين "مخيفة للغاية"، وكشف فيمـا بعـد لأحـد المقـربين أن الطاغية الروسي كان "شخصًا دنيئًا سخيفا ومخادعًا."

الخامس عشر

في عـدة اجتماعـات سرية خلال النصـف الثـاني من أكتـوبر، نـاقش بايـدن وسـوليفان وبـيرنز أفضـل طريقـة لمواجهـة بـوتين بالمعلومـات الاسـتخباراتية الـتي جمعتها الولايـات المتحـدة، لإرسـال رسـالة واضـحة وقويـة "نحن نعلم". وبنفس الوضوح، تم تحديد العواقب التي ستواجهها روسيا.

قرروا إبقاء الرئيس بايـدن في الاحتيـاط. إذا قـام الـرئيس بزيـارة روسـيا شخصـيًا لتحـذير بـوتين ومحاولـة إقناعـه بالعـدول عن خططـه، ثم غـزا بـوتين أوكرانيـا، فسيُعتبر أن بايدن فشل وسيبدو ضعيفًا.

أمام احتمال نشوب حرب قد تهدد النظـام الـدولي بأكملـه، كـان بإمكـان بايـدن مواجهـة اللحظـة وتوجيـه التحـذير لبـوتين شخصـيًا. الـزعيم الروسي كـان يتـوق لاحترام قادة العالم. بالنسبة له، أي شخص آخـر هـو مجـرد موظـف حكـومي أو بيروقراطي. الشخص الوحيد من الولايات المتحدة الذي يمتلـك الـوزن والتـأثير الكافي لإيقاف بوتين هو الرئيس نفسه.

عندما أراد الرئيس ريغان تحذير الزعيم الروسي غورباتشوف بشأن عـزل بـرلين، لم يرسل مسؤولًا رفيعًا من إدارته. ذهب بنفسـه على الـرغم من نصـائح بعض مستشاريه بأن ذلك سيكون مستفزًا للغاية.

في وقوفه أمام بوابـة برانـدنبورغ في بـرلين في 12 يونيـو 1987، قـال ريغـان: "سيد غورباتشوف، اهـدم هـذا الجـدار". كـانت هـذه أشـهر عبـارة قالهـا ريغـان. وبعد سنتين انهار جدار برلين.

القادة يجب أن يخاطروا بأن يظهروا بمظهر الضعيف، خصوصًا في محاولاتهم لمنع الحروب. وغالبًـا مـا يتـذكر التـاريخ هـذه اللحظـات على أنهـا علامـات قـوة عظيمة. ربما كـان بـوتين غـير قابـل للتغيـير، لكن الأمـر كـان يسـتحق المحاولـة. القيادة غالبًا ما تكون حول القيام بخطوات كبيرة محفوفة بالمخاطر.

قرر الرئيس بايدن إرسال الشخص الذي كان لديه ربما أكبر قدر من الخبرة مع بوتين في الحكومة الأمريكية. وصف بايدن بيل بيرنز بأنه "خبير بوتين"، وكان يعتقد أنه الخيار الطبيعي لهذه المهمة.

بيرنز، رجل يبلغ من العمر 65 عامًا بنحافة وملامح صارمة، وله شعر أبيض وشارب، خدم لمدة 32 عامًا في السلك الدبلوماسي، بما في ذلك كسفير في موسكو. كان يعرف بوتين جيدًا. كان بيرنز في سنته السابعة كرئيس لمؤسسة كارنيجي للسلام الدولي عندما اتصل به بايدن وطلب منه أن يكون مديرًا لوكالة الاستخبارات المركزية. كان بيرنز مندهشًا وسعيدًا بفرصة العودة إلى الحكومة، خاصة في هذا المنصب البارز والمطلوب. لم يتم تعيين أي دبلوماسي محترف في منصب مدير وكالة الاستخبارات المركزية من قبل.

قال الرئيس بايدن إنه سيرسل بيرنز إلى موسكو للقاء بوتين. لكن بايدن لم يكن سيظل في الاحتياط تمامًا. كان بيرنز يحمل رسالة خاصة من بايدن إلى بوتين. الرسالة كانت متطابقة تقريبًا مع ما كان بيرنز سيقوله لبوتين. تم صياغة كل نقطة بعناية من قبل مجلس الأمن القومي بالتعاون مع وكالات الاستخبارات لإيصال رسالة "نحن نعلم" دون الكشف عن كل شيء أو كيفية معرفتهم بذلك.

كان مدير وكالة الاستخبارات المركزية مدركًا تمامًا لأهمية حماية مصادرهم وأساليبهم الاستخباراتية، التي وفرت لهم هذه الرؤية الدقيقة لخطة بوتين. لم يكن لديهم فقط صورة واضحة ومفصلة عن الخطط العسكرية الروسية، ولكن أيضًا عن استعدادات بوتين للسيطرة السياسية على أوكرانيا.

سافر بيرنز من قاعدة أندروز الجوية المشتركة على متن طائرة عسكرية من طراز 737 إلى موسكو يوم الثلاثاء، 2 نوفمبر. رافقه إريك جرين، مدير الشؤون الروسية في مجلس الأمن القومي، وكارين دونفريد من وزارة الخارجية، وفريق صغير من وكالة الاستخبارات المركزية.

عندما وصلوا بعد 12 ساعة، كان الضباب الكثيف قد غطى موسكو، مما اضطر طائرتهم إلى الدوران لمدة ساعتين إضافيتين حول المطارات الثلاثة الرئيسية في المدينة بحثًا عن فرصة للهبوط.

في الساعة 2:00 صباحًا، هبطوا في ريغا، لاتفيا، على بعد 500 ميل من موسكو. نام بيرنز لمدة ساعتين قبل أن تقلع الطائرة مرة أخرى، ليصل أخيرًا إلى موسكو في صباح اليوم التالي.

ذهب بيرنز أولاً إلى الكرملين للقاء سكرتير مجلس الأمن الروسي، نيكولاي باتروشيف، وهو حليف مقرب من بوتين منذ أيامهما في جهاز الأمن الروسي (KGB) في سانت بطرسبرغ. كان أيضًا الرئيس السابق لجهاز الأمن الفيدرالي الروسي (FSB)، وهو جهاز الأمن الداخلي والاستخبارات المضادة في روسيا.

كان باتروشيف، المعروف بتشدده، يبدو كرجل أعمال أوروبي أصلع، لكنه كان أقوى شخصية بين المسؤولين الاستخباراتيين في دائرة بوتين المقربة. لأغراض عملية، وبالنظر إلى أهمية الحقيبة الاستخباراتية في روسيا بوتين، كان باتروشيف يعادل منصب مستشار الأمن القومي، المنسق الرئيسي للسياسة.

واجه بيرنز باتروشيف بخطط روسيا للحرب.

بدت على باتروشيف علامات الدهشة والانزعاج. لم يكن بيرنز قد أعطى الروس تحذيرًا مسبقًا حول رسالته لبوتين. اعتقد باتروشيف أن بيرنز كان يزور موسكو للتحضير لاجتماع آخر بين بايدن وبوتين.

لم يكن باتروشيف بأي حال من الأحوال معتذرًا أو دفاعيًا، ولم يحاول دحض النقاط التي أثارها بيرنز. لاحظ مدير وكالة الاستخبارات المركزية أن باتروشيف كان متحديًا، لكنه لم يخبره بأنه كان مخططًا.

أشارت المعلومات الاستخباراتية الأمريكية إلى أن عدد الأشخاص حول بوتين المشاركين في اتخاذ القرار بشأن الحرب كان ضئيلًا للغاية. كان بيرنز يعلم أن باتروشيف واحد من هؤلاء الأشخاص في الدائرة الداخلية.

قال باتروشيف: "حسنًا، أنتم تعلمون أن الروس قد لا يتمكنون من المنافسة اقتصاديًا مع الولايات المتحدة، لكن لا تقللوا من شأن تحديثنا العسكري. لقد قمنا بتحديث جيشنا على مدى العقدين الماضيين. يمكننا المنافسة عسكريًا."

قال بيرنز: "أنا لا أقلل من جدية الرسالة التي أنقلها." لم يكن ينوي الدخول في منافسة حول من هو الجيش الأقوى.

كانت موجة جديدة من فيروس كورونا قد ضربت موسكو، التي كانت تحت حظر تجول صارم. وصفته الاستخبارات الأمريكية بأنه خائف وشبه مهووس بشأن الإصابة بالفيروس، كان بوتين يعزل نفسه في مجمعه الأمني العالي في سوتشي على ساحل البحر الأسود، على بعد حوالي **1000** ميل جنوب موسكو. تم إبلاغ بيرنز بأن بوتين سيتحدث معه عبر الهاتف.

استقبله المستشار الرئيسي للشؤون الخارجية لبوتين، يوري أوشاكوف، في مكتبه المجاور للكرملين. تركه أوشاكوف وحده في الغرفة. رن الهاتف.

تعرف بيرنز على صوت بوتين على الفور. استذكر بوتين الفترة التي كان فيها بيرنز سفيرًا في موسكو قبل **14** عامًا، ثم بدا وكأنه ينتظر من بيرنز أن ينقل رسالته. من شبه المؤكد أن باتروشيف كان قد أبلغه بما سيحدث.

أراد بيرنز أن يكون صريحًا مع الرئيس الروسي.

قال بيرنز: "نحن قلقون من أنك تفكر بجدية في غزو كبير لأوكرانيا. سيكون ذلك خطأ."

وتابع بيرنز كما وجهه الرئيس قائلاً ما يرونه والإجراءات الصارمة التي سيتخذها بايدن ردًا.

لم يقاطع بوتين. بدا وكأنه يستمع بعناية بينما شرح بيرنز العواقب.

قال بيرنز: "سوف نقوم بحشد الغرب، وسنفرض عقوبات اقتصادية قاسية وساحقة." أوكرانيا دولة ذات سيادة. سنستمر في دعم أوكرانيا. سنعدل من تموضع قواتنا في أوروبا.

قال بيرنز: "أنا لا أهددك، أنا فقط أقول لك ما سنفعله ردًا، ويجب أن تعرف ذلك." العواقب التي واجهتها في عام 2014 ستكون لا شيء مقارنة بما نحن مستعدون للقيام به الآن. في عام 2014، عندما غزا بوتين شبه جزيرة القرم، كان رد فعل الغرب بطيئًا وضعيفًا ومنقسمًا. وأشارت الاستخبارات إلى أن بوتين كان يتوقع الشيء نفسه هذه المرة.

قال بيرنز: "ستتأكد الولايات المتحدة من إزالة النظام المصرفي الروسي بأكمله من نظام سويفت"، مشيرًا إلى نظام الاتصالات العالمي الذي تستخدمه البنوك لتحويل الأموال بسرعة وأمان عبر شفرات معقدة.

يُرسل نظام سويفت حوالي 40 مليون رسالة يوميًا حيث تُنقل تريليونات الدولارات بشكل موثوق بين آلاف البنوك. إزالة روسيا من هذا النظام سيلحق ضررًا بالغًا بالبنوك الروسية لأنها ستضطر إلى تطوير نظام اتصالات مصرفي خاص بها، وهو أمر مرهق وشبه مستحيل.

قال بيرنز: "سنقوم بعزلكم دبلوماسيًا وسنساعد أوكرانيا في الدفاع عن نفسها."

كانت مداخلة بوتين طويلة نسبيًا، وكانت بالنسبة لبيرنز تكرارًا مألوفًا لقناعات بوتين حول أوكرانيا وثقته في قدرة روسيا على فرض إرادتها على أوكرانيا.

جادل بوتين قائلاً: "أوكرانيا ضعيفة ومنقسمة. ليست دولة حقيقية. مصالح روسيا تتطلب منا السيطرة على خيارات أوكرانيا."

رفض بوتين تمامًا اعتبار زيلينسكي قائدًا سياسيًا، وكرر شكاواه المعتادة حول عدم شرعية الحكومة الأوكرانية والتوسع المحتمل لحلف الناتو. وزعم أن الروس العرقيين في أوكرانيا يتعرضون للتمييز والاضطهاد.

لم يكن نبرة بوتين دفاعية أو اعتذارية. كما لم يبذل أي جهد للاعتراض على وصف بيرنز لاستعدادات روسيا للصراع. بدا لبيرنز أن بوتين كان يؤمن حقًا بكل ما قاله عن أوكرانيا، وأن شهيته للمخاطرة قد ازدادت.

سأل بيرنز بوتين: "بقوة تتراوح بين 180,000 إلى 190,000، كيف ستتحكم في بلد يضم 44 مليون نسمة لا يريد أن يتم التحكم فيه من قبل روسيا؟ كيف ستتعامل مع ذلك؟"

لم يرد بوتين.

وجد بيرنز دائمًا أن بوتين كان مهووسًا بالسيطرة على أوكرانيا. بدا أن بوتين لا يعتقد أنه يمكن أن يكون قائدًا روسيًا عظيمًا ما لم يجعل أوكرانيا جزءًا من روسيا.

في موسكو، التقى بيرنز أيضًا مع ألكسندر بورتنيكوف، رئيس جهاز الأمن الفيدرالي، الذي أظهرت الاستخبارات أنه كان مشاركًا بعمق في اتخاذ القرار بشأن الحرب. لم يتأثر بوضوح الولايات المتحدة بشأن خطط الحرب الخاصة بهم.

آخرون التقى بهم بيرنز مثل سيرجي ناريشكين، رئيس جهاز الاستخبارات الخارجية، بدا وكأنهم لا يعرفون شيئًا عن خطط الغزو الروسية.

التقط إريك جرين وكارين دونفريد، اللذان حضرا بعض الاجتماعات مع بيرنز، شعورًا بأن الروس كانوا يشعرون بنوع من الثقة الزائدة بعد الانسحاب الأمريكي من أفغانستان.

أشار جرين إلى أن "الانسحاب عزز تصور بوتين حول مدى سهولة الأمر". كانت كارثة الانسحاب الأمريكي من أفغانستان محور ازدراء بوتين. وأضاف جرين: "هنا قوة عسكرية دعمتها الولايات المتحدة لعقود من الزمن. انهارت ببساطة. لم تدعمها الولايات المتحدة."

أقام بيرنز ليلة واحدة في "سباسو هاوس"، البيت الكبير للسفير الأمريكي في موسكو حيث عاش بيرنز لمدة ثلاث سنوات. غادر روسيا في اليوم التالي وهو يشعر بقلق أكبر مما كان عليه عند وصوله. على متن الطائرة، أرسل برقية سرية للغاية إلى الرئيس بايدن.

قال بيرنز: "غادرت موسكو بانطباع قوي بأن بوتين قد اتخذ قراره تقريبًا بالذهاب إلى الحرب."

مدير وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) قال إن ذلك كان بسبب ما رآه في المعلومات الاستخباراتية الموثوقة فيما يتعلق بالتحضيرات الروسية للحرب، وأيضًا بناءً على إحساسه القوي بأن بوتين كان مقتنعًا تمامًا بأن روسيا لن تستطيع أن تعمل كقوة عظمى بدون السيطرة على خيارات أوكرانيا.

بيرنز كان يعتقد أن بوتين وصل إلى استنتاج استراتيجي مفاده أن نافذة الفرصة للسيطرة على أوكرانيا كانت تضيق. شتاء 2021-2022 قدم ظروفًا مواتية. بوتين اعتقد أن أوروبا كانت مشتتة. كانت الانتخابات الفرنسية قادمة في أوائل 2022. وكانت المستشارة ميركل على وشك أن يخلفها أولاف شولتس كزعيم جديد لألمانيا.

كما أشار بيرنز، بدا أن بوتين مقتنع بأنه قد حدّث الجيش الروسي إلى النقطة التي لن يواجه فيها تحديًا كبيرًا في أوكرانيا. بوتين كان يرى الرئيس زيلينسكي ضعيفًا ويعتقد أن الأوكرانيين سيستسلمون بسهولة.

بوتين عبّر عن إحساس شبه استحقاق للهيمنة على أوكرانيا، حسبما قال بيرنز.

وأضاف بيرنز: "لا شيء من ذلك كان جديدًا، لكن كان هناك هدف واعتقاد، قاسٍ في الكثير من الأوجه، أن ما كان يقوله كان واضحًا لا لبس فيه."

لم يسمع بيرنز من بوتين أو من الأشخاص حوله ما يشير إلى أنهم كانوا يبحثون عن مخرج للحرب.

توصل مدير وكالة الاستخبارات المركزية إلى استنتاج مفاده: "الأمر يتجه لأن يكون أكبر حرب برية في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية."

اتصل بيرنز بجايك سوليفان على خط آمن ولخص له ما أرسله إلى الرئيس. كما اتصل بالرئيس زيلينسكي وشرح له بالضبط ما نقله إلى بوتين وما قاله الزعيم الروسي في المقابل.

كان في قائمة مهام بيرنز التأكد من أن الأوكرانيين يفهمون ما هو قادم.

أثناء وجود بيرنز في موسكو، كان وزير الخارجية توني بلينكن ونائب رئيس طاقم موظفيه للشؤون السياسية، توم سوليفان، وهو شقيق جايك سوليفان، في غلاسكو باسكتلندا. على هامش مؤتمر الأمم المتحدة لتغير المناخ، التقى بلينكن بزيلينسكي لينقل له تحذيرًا من الرئيس بايدن.

قال بلينكن لزيلينسكي: "طلب مني الرئيس أن أنقل لك هذا." جلس الاثنان وجهًا لوجه.

لم يظهر زيلينسكي أي علامة تدل على أنه كان يعرف ما سيقوله وزير الخارجية الأمريكي.

قال بلينكن: "كلنا نعلم وأنت تعلم أكثر من أي شخص آخر أن الروس أعادوا حشد قواتهم على حدودك، ولكن لدينا معلومات تفصيلية للغاية حول ما يخططون فعليًا لفعله بهذه القوات. لدينا الخطط والتحضيرات وكل التفاصيل التي ليست مرئية، ونحن نعتقد أن هناك مخاطرة عالية جدًا بأن الروس سيعيدون غزو بلادك."

استمع زيلينسكي بعناية.

قال بلينكن: "سنربطك بأشخاصنا في الاستخبارات. سوف يعطونك التفاصيل الدقيقة حول ما نعرفه وما لا نعرفه. لكنني أردت أن تسمع ذلك مني نيابة عن الرئيس. هذا ما يثير قلقنا وهذا ما نراه يحدث."

كان زيلينسكي متشككًا.

طلب الرئيس الأوكراني من عدد قليل من كبار مستشاريه المقربين الحضور وطلب من بلينكن إعادة الرسالة مرة أخرى حتى يتمكنوا من سماعها بشكل مباشر.

أشار الأوكرانيون إلى أن حشد القوات الروسية لا يعني بالضرورة أن الروس ينوون الدخول. كان زيلينسكي يشك في أن الروس سيسحبون الزناد.

قال بلينكن: "انظر، لا أحد منا يريد أن يصدق أنهم سيفعلون شيئًا متهورًا بهذا القدر، لكننا نرى هذا الأمر بجدية تامة." ثم أضاف: "إذا لم يكن ذلك مؤكدًا، فإنه محتمل."

قال بلينكن: "يجب أن تكون مستعدًا ونحن نستعد." وكان تقييم البنتاغون المتشائم أنه إذا غزا بوتين أوكرانيا بجيشه الأكبر والأقوى، فإن الأراضي الأوكرانية ستسقط بسرعة في يد الروس.

أضاف بلينكن: "سنكون بجانبك. سنكون معك في الأشهر المقبلة مهما كان ما سيحدث. سنبذل كل ما في وسعنا لردع ذلك وسنبذل كل ما في وسعنا لدعمك."

قال زيلينسكي: "شكرًا على إبلاغي بذلك."

سافر إريك جرين وكارين دونفريد من موسكو إلى كييف لتبادل المعلومات الاستخباراتية مع رئيس الأركان الأوكراني أندريه يرماك ووزير الخارجية دميترو كوليبا.

كان استقبالهم مهذبًا ولكنه متحفظ. شعر جرين أن هناك شكًا من قبل الأوكرانيين وعنصرًا من "مرحبًا، نعم، الروس يسعون للإطاحة بنا. نحن نعرف ذلك. نحن نعيش هذه الحقيقة. ما الجديد؟"

أخيرًا، كان دور وزير الدفاع لويد أوستن لدق جرس الإنذار. أوستن، البالغ من العمر 68 عامًا، وهو جنرال متقاعد من الجيش، كان أول وزير دفاع أمريكي من أصل إفريقي. تخرج من وست بوينت في عام 1975 بعد انسحاب الولايات المتحدة المهين من فيتنام وخدم أكثر من أربعة عقود في الجيش — تجربة قتالية لا مثيل لها لأي وزير دفاع آخر.

كان أوستن الوحيد الذي شغل مناصب قيادية في الحروب الأمريكية في أفغانستان والعراق على مستويات النجمة الواحدة، النجمتين، الثلاث نجمات، وأربع نجمات. كان أوستن جنديًا حقيقيًا وكان يعرف بايدن لأكثر من عقد. خلال سنوات أوباما، كان أوستن مديرًا لهيئة الأركان المشتركة، وهو أحد أهم المناصب في الجيش، ولاحقًا تم إرساله إلى العراق كقائد عام للقوات الأمريكية هناك. كان ابن بايدن الأكبر، الراحل الرائد بو بايدن، محاميًا ضمن طاقم أوستن، وقد طوّرا علاقة قوية.

التقى أوستن بوزير الدفاع الأوكراني أوليكسي ريزنيكوف في واشنطن لاستعراض آخر تحركات القوات الروسية على حدود أوكرانيا.

وكما كان زيلينسكي، كان ريزنيكوف يشك في أن روسيا ستغزو بالفعل. ذكر ريزنيكوف أوستن بأن بوتين أرسل نفس عدد القوات إلى الحدود في الربيع.

وقال وزير الدفاع الأوكراني: "وماذا حصل بوتين؟ حصل على مكالمتين هاتفيتين مع بايدن واجتماع شخصي في جنيف." كان ريزنيكوف مقتنعًا بأن بوتين كان يحاول فقط الحصول على مزيد من الاهتمام والتنازلات من بايدن وحلف الناتو.

أنشأ أوستن روتينًا للاجتماعات في الساعة **8:00** صباحًا عدة مرات في الأسبوع. كان البنتاغون بحاجة للاستعداد للغزو، حتى لو كان بوتين يخادع. كانوا في فترة تحذير غامضة.

قال وكيل وزارة الدفاع للسياسة كولين كال: "هذا أحد التحديات التي واجهها كبار المسؤولين والرئيس. إذا لم يكن بوتين قد اتخذ القرار النهائي، فهل يمكن أن نثيره لاتخاذ خطوات قد تستفزه؟"

كان هذا بمثابة معضلة كلاسيكية في السياسة الخارجية والعسكرية. في محاولتك لردع شيء سيئ من الحدوث، قد تخلق دون قصد الظروف التي تؤدي إلى تحرك ضدك، مما يؤدي إلى حدوث الشيء الذي كنت تعمل بجد لتجنبه.

شبه كال الاجتماعات اليومية ببرنامج "هوليوود سكويرز" التلفزيوني القديم. حول الطاولة الافتراضية، كانت تملأ المربعات على شاشته الكبيرة القيادة العسكرية والمدنية العليا في البنتاغون مع قادته حول العالم.

بدأ أوستن كل اجتماع بمراجعة "النجوم الشمالية"، وهي أهدافهم العامة: دعم أوكرانيا في الدفاع عن نفسها. الاستعداد بالقوات التي تكون في حالة تأهب. تعزيز الناتو لضمان عدم انتشار أي نزاع في أوكرانيا. الحفاظ على وحدة الحلفاء وتجنب الخطوات التي قد تؤدي إلى صراع مباشر مع روسيا. إذا حدث ذلك، منع النزاع العسكري من التحول إلى الحرب العالمية الثالثة.

السادس عشر

سافرت نائبة الرئيس كامالا هاريس إلى باريس لإصلاح العلاقات بين البيت الأبيض والرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، الذي كان لا يزال غاضبًا بعد اتفاق الولايات المتحدة مع أستراليا بشأن الغواصات النووية، مما حرم فرنسا من عقد غواصات بقيمة 60 مليار دولار مع أستراليا. كان ماكرون قد استدعى السفير الفرنسي من واشنطن في خطوة درامية لإظهار استيائه. وكان وزير الخارجية الفرنسي قد صرح علنًا بأنهم قد تعرضوا "لطعنة في الظهر."

كلف بايدن أيضًا نائبته بمهمة ثانية: إطلاع ماكرون على أحدث المعلومات الاستخباراتية الأمريكية حول خطط روسيا الحربية.

قال بايدن لها: "كوني واضحة مع ماكرون أن هذا سيحدث. نحتاج إلى خطة ونحتاج إلى تضامن التحالف."

قالت نائبة الرئيس هاريس للرئيس الفرنسي ماكرون في قصر الإليزيه خلال اجتماع دام ساعتين في العاشر من نوفمبر: "نحن واثقون جدًا أن روسيا ستقوم بذلك."

كان ماكرون يشك في أن بوتين سيغزو بالفعل، لكنه أخذ التهديد بجدية. وكان مستشاروه يخبرونه: بوتين يخطط ويهدد ويحرك القوات. هذا لا يعني بالضرورة أنه سيفعل ذلك بالفعل.

قالت هاريس إذا أردنا أن نتمكن من ردعه، يجب أن يعرف بوتين أن الأوروبيين سيتحركون، .

وأضافت أن الاستخبارات الأمريكية تظهر كيف يفكر بوتين. يرى بوتين أن الأوروبيين "ضعفاء." يعتقد أن أوروبا لا تريد التعامل مع صراع، وأنها

منقسـمة، وليس لـديها ثقـة في القيـادة الأمريكيـة. يعتقـد بـوتين أن أوروبـا ستتقبل الأمر ببساطة.

حثت هاريس ماكرون على قيادة التحرك الأوروبي. وقالت إن بـوتين ينظـر إلى فرنسـا بشـكل مختلـف عن بقيـة الحلفـاء الأوروبـيين، لأن الفرنسـيين لم يكونـوا دائمًا متفقين مع الولايات المتحدة في القضايا عبر الأطلسي وقضايا الناتو.

طلبت هـاريس من مـاكرون أن يجمـع الأوروبـيين الآخـرين ويوضـح لبـوتين أن الناتو سيكون موحدًا وأنه ستكون هناك تكاليف اقتصادية شديدة إذا غزا.

مـع تنحي المستشـارة الألمانيـة أنجيلا ميركـل، لم يكن سرًا أن الـرئيس الفرنسي كان يطمح إلى أن يكون الزعيم الكبير التالي لأوروبا، القوة المحورية في اتخاذ القرارات والسياسة الخارجية الأوروبية. كانت هذه فرصة مغرية.

تولى مـاكرون المهمـة. وأمـر الجيش الفرنسي بتعزيـز حلفـاء أوروبـا الشرقية — بإرسال ألوية هجومية إلى رومانيا وتعزيز القوات في بولندا.

أكد ماكرون لهاريس: "فرنسا مستعدة لفرض التكاليف. أنا مستعد لذلك."

وأيضًا سيواجه بوتين شخصيًا.

قال ماكرون بحزم: "إذا كان هناك بلد قد يكون خطرًا على وحدة التحالف، فهـو ليس فرنسا." وأشار إلى مشروع خط أنابيب "نـورد سـتريم 2" الخـاص بألمانيـا واعتمادها على النفط والغاز الروسيين. وكـرر مـاكرون: "فرنسـا ليسـت الحلقـة الضعيفة في التحالف."

قال ماكرون: "إذا كانت هناك حلقة ضعيفة فستكون ألمانيا."

ورغم أن النقاش كان جادًا، إلا أن نـبرة الاجتمـاع كـانت وديـة. في ذلـك المسـاء، رافـق الـرئيس الفرنسي نائبـة الـرئيس إلى العشـاء حيث جلسـت في المقعـد الشرفي. وعنـدما ألقت هـاريس خطابهـا في منتـدى بـاريس للسلام في اليـوم التـالي، جلس مـاكرون في الصـف الأول. كـان هـذا إشـارة علنيـة قويـة إلى أنـه

على الرغم من الخلافات، حتى العنيفة، بين الولايات المتحدة وفرنسا، إلا أن البلدين بقيا حليفين ثابتين ملتزمين.

في الرحلات الخارجية، كانت نائبة الرئيس ترسل تقاريرها الخاصة إلى الرئيس بايدن، غالبًا ما تشمل سوليفان وبلينكن في التبادل عبر البريد الإلكتروني الآمن. وعندما غادرت باريس، أبلغت هاريس أنها شعرت بالرضا تجاه الاجتماع مع ماكرون. لم يكن هناك "أي ضغائن عالقة بشأن صفقة غواصات AUKUS." حتى أن الرئيس الفرنسي لم يذكرها.

السابع عشر

سافر وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن إلى ستوكهولم، السويد، لحضور اجتماع منظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE) في 2 ديسمبر 2021. كانت هذه المنظمة تعمل كأكبر منتدى عالمي للتعاون بشأن الأمن الإقليمي، وتشمل في عضويتها الولايات المتحدة وروسيا.

شاهد بلينكن وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف، الذي كان يعرفه منذ سنوات، وهو يلقي خطابه أمام المجلس الوزاري في القاعة المليئة بالأعلام. كان نيد برايس، مساعده الرئيسي، يجلس بجواره.

قال بلينكن لبرايس: "لافروف ذكي جدًا. إنه بارع في الجدل. هو ممتاز في أسلوب "وماذا عن...؟"، حيث تسير في اتجاه ما ثم يقول لك: حسنًا، ماذا عن عندما فعلتم هذا أو ذاك؟"

كان "سيرجي"، كما كان يسميه بلينكن، دبلوماسيًا محنكًا يبلغ طوله 6 أقدام و2 بوصة ويبلغ من العمر 71 عامًا، وهو وزير الخارجية الأطول خدمة في روسيا منذ سقوط الاتحاد السوفيتي. عينه بوتين شخصيًا في عام 2004. كان لافروف يتحدث عدة لغات بطلاقة، بما في ذلك الإنجليزية والفرنسية والسنهالية، وخدم لمدة عشر سنوات كسفير روسيا لدى الأمم المتحدة. كان يرتدي بدلات مصممة بدقة ونظارات رفيعة بدون إطار تضفي على نظراته الجادة طابعًا تحقيقياً، وكان حريصًا على الحفاظ على صورة عامة تليق ببوتين. كان يدخن بانتظام ويمكن أن يكون مراوغًا للغاية.

قال لافروف للمجلس الوزاري لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا: "المنظمة في حالة محبطة اليوم. لقد أصبحت رهينة للانضباط القائم على التكتلات داخل الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو وهي غارقة في أجندات صغيرة."

وأضاف: "يسعى شركاؤنا الغربيون إلى استبدال القانون الدولي بنظام قائم على القواعد التي يضعونها بأنفسهم على أساس استثنائيتهم الخاصة. يتم استغلال القيم الليبرالية للتدخل الوقح في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة."

كانت اتهامات روسيا مألوفة لدى بلينكن، لكن مع تجمع ما يصل إلى 100,000 جندي روسي على حدود أوكرانيا، كانت بطاقة "روسيا هي الضحية" تبدو أكثر زيفًا من المعتاد. ومع ذلك، استمع بلينكن بعناية لأي شيء قد يشير إلى وجود قلق أمني حقيقي أو فتح باب للتفاوض الفعلي.

واصل لافروف حديثه قائلاً: "سقوط جدار برلين كان بمثابة نهاية الحرب الباردة والتوقف عن الصراع بين نظامين. الآن، يتم بناء جدران جديدة من قبل أولئك الذين أعلنوا أنفسهم ديمقراطيات "متحضرة" ويعتبرون أن مهمتهم هي احتواء "الأنظمة الاستبدادية"."

وانتقل مباشرة إلى اتهام الناتو بتهديد روسيا. وقال: "يتم نقل البنية التحتية العسكرية للتحالف بشكل غير مسؤول نحو حدود روسيا، ويتم نشر أنظمة الدفاع المضادة للصواريخ التي يمكن استخدامها لشن ضربات صاروخية في رومانيا وبولندا. يمكن أن تظهر الصواريخ الأمريكية متوسطة المدى في أي يوم الآن على الأراضي الأوروبية." كان بلينكن يعرف أن هذا غير صحيح.

وأضاف لافروف: "أوروبا تظل صامتة. يتم تسليح أوكرانيا بشكل متزايد، مما يغذي رغبة الحكومة الأوكرانية في تقويض اتفاقيات مينسك" — وهي الاتفاقيات الأمنية التي تفاوضت عليها ووقعتها روسيا وأوكرانيا ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا بعد غزو بوتين لأوكرانيا عام 2014 — "ويغذي الوهم بأن الصراع يمكن حله بالقوة."

فشلت اتفاقيات مينسك في وقف الاشتباكات العسكرية المستمرة بين روسيا وأوكرانيا في دونباس منذ عام 2014. كانت روسيا وأوكرانيا تلومان بعضهما البعض على فشل الاتفاقيات.

قال لافروف: "قرار قمة الناتو في بوخارست في أبريل 2008 بأن جورجيا وأوكرانيا ستصبحان عضوين في الناتو كان بمثابة لغم زرع تحت أساسات الأمن الأوروبي. وقد انفجر بالفعل مرة واحدة، في أغسطس 2008، عندما أخذ ميخائيل ساكاشفيلي، الذي كان منتشيًا باحتمالية انضمام بلاده للناتو، مخاطرة كان لها عواقب وخيمة على جورجيا نفسها وجلبت الوضع الأمني في أوروبا إلى حافة الخطر."

شعر بلينكن بالغثيان. كان هذا تذكيرًا غير مباشر بأن روسيا غزت جورجيا بنجاح عام 2008 لمنعها من السعي للانضمام إلى الناتو. وكان ساكاشفيلي، الرئيس الجورجي السابق الذي وضع البلاد على مسار الإصلاح الديمقراطي نحو عضوية الاتحاد الأوروبي والناتو، الآن يذبل في زنزانة سجن جورجية.

وحذر لافروف قائلاً: "الدول الثالثة" — في إشارة إلى الولايات المتحدة — "ليس لها الحق في التعبير عن موقفها بشأن مسألة توسع الناتو، وهي تلعب بالنار. وأنا مقتنع أنهم لا يمكن أن يكونوا غافلين عن ذلك."

عندما جاء دور بلينكن في الحديث، تناول موضوع العدوان الروسي بنبرة باردة ودبلوماسية مريحة.

وقال بلينكن: "إن الاستيلاء على شبه جزيرة القرم بالقوة أدى إلى انتهاكات لا تنتهي ضد تتار القرم، والأوكرانيين العرقيين، وغيرهم ممن يعارضون هذا الاحتلال بسلام. وكما قلت بالأمس في اجتماع وزراء خارجية الناتو، نحن قلقون للغاية من الأدلة التي تشير إلى أن روسيا قد خططت لمزيد من العدوان الكبير ضد أوكرانيا، وبالتالي ندعو روسيا إلى احترام سيادة أوكرانيا وسلامة أراضيها، وإزالة التصعيد، وإعادة القوات إلى مواقعها الطبيعية السلمية، وتنفيذ التزامات مينسك."

وفي ختام الاجتماع، استدعى بلينكن لافروف لإجراء حديث خاص على هامش المنتدى.

قال وزير الخارجية الروسي: "توني، هل تعتقد حقًا أننا سنغزو؟ هل أنت جاد بشأن هذا الأمر؟"

أضاف لافروف: "ليس لدينا خطط لغزو أوكرانيا ولا نحاول تهديد كييف."

وقال إن الناتو كان مستمرًا في بناء تهديد أمني لروسيا، وأن التهديد الحقيقي موجه إلى روسيا، وليس إلى أوكرانيا.

وقال: "كييف تضع أسلحة متطورة في أوكرانيا بالقرب من حدود روسيا يمكن استخدامها لضرب عمق روسيا في غضون دقائق."

رد بلينكن قائلاً: "سيرجي، هذا ليس صحيحًا، وأنت تعلم أنه ليس صحيحًا، لذلك ما لم يتم تضليلك من قبل شعبك، يجب أن تعلم أنه ليس صحيحًا." كان الرئيس زيلينسكي حذرًا من عدم وضع الأسلحة بالقرب من الحدود خوفًا من إعطاء روسيا ذريعة لمهاجمة أوكرانيا.

ثم انتقل لافروف في حديثه إلى الاضطهاد المزعوم للروس العرقيين والمتحدثين بالروسية داخل أوكرانيا.

قال بلينكن: "حسب أفضل ما أستطيع الحكم عليه، فإن حقوق الروس العرقيين في أوكرانيا أكبر من حقوق الروس العرقيين في روسيا."

لاحظ بلينكن أن لافروف لم يعجب بهذا التعليق. قال لافروف ساخرًا: "توني، أنت تعلم أن هذا ليس صحيحًا."

تجادلا ذهابًا وإيابًا حول اتفاقيات مينسك.

كان لدى الروس سرد كامل حول عملية مينسك يشبه "أليس في بلاد العجائب"، فانتازيا.

نقل بلينكن رسالة الردع من الرئيس بايدن، محذرًا من أن الولايات المتحدة وحلفاءها سيفرضون تكاليف وعواقب شديدة على روسيا إذا اتخذت أي عمل عدواني إضافي ضد أوكرانيا، "بما في ذلك تدابير اقتصادية ذات تأثير كبير امتنعنا عن اتخاذها في الماضي."

كانت الاستراتيجية لا تزال تهدف إلى إبقاء الرئيس بايدن في الاحتياط. رد لافروف بتهديدات روسيا الخاصة. وقال: "جر أوكرانيا إلى الألعاب الجيوسياسية للولايات المتحدة سيكون له أخطر العواقب."

غادر بلينكن الاجتماع مقتنعًا بأن نظيره الروسي لم يكن على دراية كاملة بمدى خطط الحرب التي وضعها بوتين. كان لديه جزء ضئيل من التعاطف مع مدى بعد لافروف عن دائرة ثقة بوتين.

قال بلينكن: "أولاً، أعتقد أن لدينا معلومات جيدة تفيد بأن هذه الخطة— خطة الغزو — كانت محاطة بسرية شديدة بين بوتين وعدد قليل جدًا من الأشخاص — ثلاثة أو أربعة أشخاص." وأضاف: "لم يكن لافروف من ضمنهم."

"ثانيًا"، قال بلينكن، "إلى حد ما، كانت تصريحاته في هذه الاجتماعات مجرد صخب، ولكن من المحتمل أيضًا أننا كنا نعرف المزيد عن خطة الحرب أكثر مما كان يعرف. في الواقع، أعتقد أننا كنا نعرف أكثر."

في العشاء الرسمي تلك الليلة، جلس وزراء الخارجية والسكرتيرات الـ57 حول واحدة من أكبر طاولات الطعام التي شاهدها بلينكن في حياته. كان يجلس بجانب وزير الخارجية الأوكراني دميترو كوليبا، وكان لافروف جالسًا مباشرةً أمامه.

لم يضيع لافروف وقتًا، إذ بدأ على الفور في إطلاق خطبة حول أصول أحداث 2014، مدعيًا أن انقلابًا قد نُفذ من قبل الولايات المتحدة وآخرين في أوكرانيا، مما أدى إلى الإطاحة بالرئيس المنتخب بطريقة شرعية، فيكتور يانوكوفيتش.

بالنسبة لبلينكن، الذي عاش تلك الفترة بنفسه، شعر أنه من الضروري تصحيح لافروف الذي كان يحاول مرة أخرى استبدال التاريخ بالسرد المفضل لبوتين.

تدخل بلينكن قائلاً: "هذا ليس ما حدث، وأنت تعلم ذلك، وكل من على هذه الطاولة يعلم ذلك."

قام بلينكن بتوضيح ما حدث بالفعل في عام 2014.

لافروف، غير متأثر، أثار قضية عملية مينسك.

تدخل بلينكن مرة أخرى قائلاً: "سيرجي، يمكننا الحديث عن عملية مينسك.

"هنا" — حمل بلينكن ورقة في يده. "هنا هي المتطلبات التي كان يجب على روسيا تنفيذها بموجب عملية مينسك.

"وقف فوري وكامل لإطلاق النار في مناطق معينة من مقاطعات دونيتسك ولوهانسك في أوكرانيا والالتزام الصارم به اعتبارًا من الساعة 00:00 منتصف الليل (بتوقيت كييف) في 15 فبراير 2015.

"لم تفعلوا ذلك"، قال بلينكن.

"سحب جميع الأسلحة الثقيلة.

"لم تفعلوا ذلك"، قال بلينكن.

"السماح بمراقبة منظمة الأمن والتعاون في أوروبا.

"لم تفعلوا ذلك"، قال بلينكن.

"تبادل جميع السجناء السياسيين.

"لم تفعلوا ذلك.

"ضمان تقديم المساعدات الإنسانية.

"لم تفعلوا ذلك.

"استعادة السيطرة على الحدود للدولة إلى الحكومة الأوكرانية في منطقة الصراع بأكملها.

"لم تفعلوا ذلك"، قال بلينكن. "يمكنني الاستمرار. أعتقد أنك فهمت النقطة."

رد لافروف بتفاخر وإنكار صارخ وتعالٍ. لكنه كان يبدو مقنعًا. هذه كانت المشكلة مع لافروف في هذه الاجتماعات الكبيرة. كان عارضًا جيدًا ولديه جمهور منتبه.

قال بلينكن بعد ذلك لنيد برايس: "الاقتناع عندما يتحدث. إذا كنت غير مطلع أو لم تشارك في شيء ما، قد تقول بالفعل، ربما هذا صحيح."

أثناء وجوده في ستوكهولم، التقى وزير الخارجية أيضًا مع مسؤولي الاستخبارات السويدية لتسليم تحذير الولايات المتحدة بشأن أوكرانيا. بحلول ذلك الوقت، كان بلينكن قد ألقى عرضه التقديمي مرات عديدة حتى أصبح متقنًا تمامًا.

قال بلينكن: "لدينا معلومات تعود إلى عدة أسابيع تفيد بأن الرئيس بوتين لديه طموحات لغزو أوكرانيا. إنه يحشد القوات لوضعها في موضع يمكنه من شن غزو واسع النطاق لأوكرانيا بأمره. لا نعرف بالضبط متى سيحدث ذلك، لكن مسؤولي الاستخبارات لدينا واثقون من أنه يضع نفسه في موقع يسمح له بالقيام بذلك في المستقبل القريب."

كان زعيم الاستخبارات السويدية متشككًا. قال: "لم نرَ شيئًا يؤكد هذا النوع من المعلومات. وأنت تعلم أننا لدينا علاقة وثيقة، لكننا فقط لا نملك أي شيء يتحدث عن القلق الذي تطرحونه."

كان بلينكن يفهم الشكوك. خطة بوتين لم تكن منطقية، وحتى وزير الخارجية نفسه كان يحمل إحساسًا متأخرًا بعدم التصديق.

قال بلينكن: "انظروا، نحتاج إلى التأكد من أنكم ترون ما نراه وأن لديكم ما لدينا”."مسؤولو الاستخبارات لدينا كفؤون فيما يقيمونه"، أضاف بلينكن، "لكننا نحتاج إلى التأكد من أن أجهزة الاستخبارات لدينا مرتبطة حتى نكون نتعامل مع نفس مجموعة المعلومات."أصبح جزء من الدبلوماسية نوعًا من التسويق الخفي.

الثامن عشر

"علينا أن نضمن دعم الحلفاء لأننا لا نستطيع القيام بهذا الأمر بفعالية وحدنا"، حث بايدن مستشاريه الرئيسيين ونائب الرئيس خلال الإيجاز اليومي للرئيس. وعلى الرغم من الجهود المبذولة لدق ناقوس الخطر بشأن خطط روسيا، ظل الحلفاء يشككون بعمق في تحذيرات الولايات المتحدة وتقييمات الاستخبارات.

"لقد رأينا كيف أن بوتين قادر على الكذب بشكل مباشر، بلا حياء"، قالت مديرة الاستخبارات الوطنية هاينز. "إنه يكذب على الرؤساء باستمرار."

وأضافت هاينز: "إنه يكذب على الناس بشكل منتظم. وهذا يصعب على القادة الغربيين استيعابه."

اقترح سوليفان ونائبه جون فاينر أن يتخذوا نهجًا أكثر دراماتيكية في تبادل المعلومات الاستخباراتية، يشبه تقريبًا حملة تسويقية على طريقة "ماديسون أفنيو".

لم يكن التبادل الهادئ للمعلومات الاستخباراتية مقنعًا، وكان ذلك خطيرًا عندما نواجه خصمًا مثل روسيا، التي كانت ماهرة جدًا في فن التضليل الإعلامي. لقد أعطى ذلك بوتين الفرصة لتقسيم الرأي العام باستخدام ذرائع وأكاذيب مدروسة بعناية لتبرير الغزو. كانت وسائل الإعلام الروسية ممتلئة بالفعل بالبروباغندا التي تشير إلى أن أوكرانيا دولة نازية جديدة وأن الناتو يستخدم أوكرانيا لتهديد روسيا. الشكوك بين الحلفاء، وبين الجمهور وحتى بين الأوكرانيين، تعني وقتًا ثمينًا ومساحة لبوتين للمناورة.

قال جون فاينر، مستشهدًا بخبرته السابقة كصحفي في واشنطن بوست: "عندما تشارك شيئًا خاصًا أو حتى سريًا للغاية، فإن ذلك يجذب الانتباه".

وأضاف: "الناس يهتمون أكثر بالروايات التي عادة ما تكون متاحة فقط لمن هم داخل الغرفة." دعونا نرفع السرية عن بعض المعلومات الاستخباراتية حول خطط روسيا الحربية ونتقاسمها بشكل استراتيجي. باختصار، لنهيمن على الفضاء الإعلامي حتى يفقد بوتين عنصر المفاجأة.

في البداية، كانت وكالات الاستخبارات مترددة، شديدة الحذر حسبما قال سوليفان. ولكن بعد عدة اجتماعات إضافية مع مدير وكالة الاستخبارات المركزية بيرنز ونائبه، ومع هاينز ونائبتها، طوروا نهجًا جديدًا أطلقوا عليه اسم "تخفيض استراتيجي".

كان الاسم غير محبذ. "تخفيض" يوحي بأن المعلومات أصبحت أقل قيمة، مثل سلعة في تخفيضات. لكنها لم تكن كذلك على الإطلاق.

وجه بايدن هاينز لبدء مشاركة المعلومات الاستخباراتية المخففة مع الحلفاء والشركاء بشكل أسبوعي، بل وحتى يوميًا، وهو وتيرة غير مسبوقة في تبادل المعلومات الاستخباراتية. سافرت هاينز لتقديم الإحاطة إلى المجلس الأطلسي الشمالي أكثر من ست مرات. وقامت وكالات الاستخبارات ببناء تكنولوجيا جعلت من السهل تبادل المعلومات بسرعة. كانت هذه عملية قوية، موجهة بشكل كامل نحو روسيا.

كانت الخطوة التالية هي التحذير العام.

في 3 ديسمبر 2021، حملت صحيفة واشنطن بوست عنوانًا يقول: "روسيا تخطط لشن هجوم عسكري واسع ضد أوكرانيا يضم 175,000 جندي، تحذر الولايات المتحدة". عرضت الصفحة الأولى للصحيفة خريطة كبيرة لروسيا وأوكرانيا مدمجة بصور الأقمار الصناعية التي أظهرت حشد روسيا على حدود أوكرانيا. كان هذا هو أول "تخفيض" علني من قبل مجلس الأمن القومي.

بدلاً من استخدام صور الأقمار الصناعية الحكومية التي تحمل طابعًا سريًا، استخدم مدير برامج الاستخبارات في مجلس الأمن القومي ماهر بيطار صورًا

تجاريـة للأقمـار الصـناعية تظهـر نفس التشـكيلات من 70,000 جنـدي روسي يحتشدون في أربعة مواقع بالقرب من حدود روسيا مع أوكرانيا، بالإضـافة إلى الدبابات والمدفعية التي وصلت حديثًا إلى القرم.

اسـتمر بـوتين في نفيـه العلـني لفكـرة أنـه يعـتزم غـزو أوكرانيـا مـع القـوات الموجـودة على الحـدود. لكن لم يكن هنـاك أي مؤشر على أن روسـيا كـانت تسحب قواتها. وأشـار التقريـر إلى أن خطـط روسـيا الحربيـة تشـير إلى أن الـ 70,000 جنــدي الــذين تم تصــويرهم في 9 نوفمــبر 2021 يمكن أن يرتفــع عددهم إلى 175,000 بحلول أوائـل عـام 2022، وهي إشـارة للحلفـاء ووسـائل الإعلام حول العالم لمراقبة أي حشد إضافي.

كان الهدف من ذلك أن يكـون شـبيهًا بعـرض أزمـة الصـواريخ الكوبيـة، مشـابهًا للعـرض المـرئي الـدرامي الـذي قدمـه السـفير الأمـريكي لـدى الأمم المتحـدة أدلاي ستيفنسـون في عـام 1962 لإظهـار أن السـوفييت كـانوا يكـذبون عنـدما قالوا إنهم لم يضعوا صواريخ في كوبا. في جلسات اسـتماع متلفـزة في الأمم المتحـدة، شـاهدها الملايين، عـرض ستيفنسـون صـور الأقمـار الصـناعية على حوامل.

رفض الروس تقريـر واشـنطن بوسـت ووصـفوه بأنـه هـراء، زاعمين أن القـوات كانت هناك لأغراض تدريبية روتينية.

لكن داخل البيت الأبيض ووكالات الاسـتخبارات الأمريكيـة، كـان هنـاك هتافـات هادئــة. لقــد كسروا الــروتين القــديم المتعلــق بــإجراءات تبــادل المعلومــات الاسـتخباراتية، وخلقـوا نمطًـا جديـدًا من الحـرب الإعلاميـة يهـدف إلى هزيمـة بوتين في لعبته الخاصة.

لكن جعل المعلومات العامـة الـتي يعـرف بـوتين بالفعـل أنهـا صـحيحة لم يكن كافيًا لردعه.

التاسع عشر

"إذا قمت بهذا، ستكون هناك تكاليف ضخمة على روسيا"، قال الرئيس بايدن لبوتين خلال مؤتمر عبر الفيديو في الساعة 10:00 صباحًا يوم 7 ديسمبر 2021. "سنضمن ذلك."

أنكر بوتين بشكل قاطع أن روسيا لديها أي خطط لغزو أوكرانيا. وطالب بضمانات أمنية لمنع توسع الناتو شرقًا.

"لدينا فريق"، قال بايدن. "لقد أعدوا وثائق. نحن مستعدون لمناقشتها معك. إنها تتعلق بمسائل أوسع تتعلق بالأمن الأوروبي وليس أوكرانيا فقط." كان بايدن يحاول معرفة ما إذا كانت هناك مخاوف أمنية حقيقية لدى روسيا يمكن التفاوض بشأنها، أم أن كل هذا مجرد تغطية؟

"أنت تعلم أنك طلبت أشياء لا نعتقد أنها تمامًا خارج الحدود"، قال بايدن. "مثل عدم وضع أنظمة أسلحة بعيدة المدى داخل أوكرانيا. نعتقد أن هذه أشياء يمكننا التفاوض ومناقشتها.

"أنت تقول إنك قلق من وجود قوات قتالية للناتو داخل أوكرانيا. لا توجد خطة لوجود قوات قتالية للناتو أو الولايات المتحدة في أوكرانيا"، شدد بايدن. "نقوم بهذه المهمة التدريبية. وهي تقع في غرب أوكرانيا، وليس على حدودك، وليست تهديدًا لك".

كان بوتين، مثلما فعل في محادثته مع رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون، يريد من الولايات المتحدة منع توسيع الناتو بشكل أكبر، وإغلاق سياسة الباب المفتوح. بعبارة أخرى، ضمان أن أوكرانيا لن تصبح أبدًا جزءًا من الناتو.

كانت طلبات بوتين متطرفة، ويبدو أنه غير مهتم بالتفاوض على أي ترتيبات أمنية عملية مثل أماكن الأسلحة.

لذلك حاول بايدن الانتقال إلى التاريخ المشترك وذكر بوتين أنه خلال الحرب الباردة، كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي تتحملان مسؤولية خاصة لضمان الأمن في العالم. وقد تجنب أسلافهم الحرب المباشرة بين البلدين.

استمع سوليفان وفاينر إلى المكالمة.

ما فاجأ فاينر هو أنه كان يعتقد دائمًا أن بوتين مجرد بلطجي، لكن تصرفه مع بايدن كان هادئًا. كان أقرب إلى أسلوب المحامي الذي يدافع عن قضيته ليبين أن روسيا هي الطرف المتضرر، ولماذا تحتاج الولايات المتحدة وأوروبا لمعالجة مظالمه.

"طريقته ليست متعجرفة. إنها غير رسمية"، قال فاينر. "لا يصرخ. لا يستخدم لغة قاسية. إنه يتحدث بواقعية."

"كم بدا الأمر عاديًا"، قال فاينر. "لم تكن نغمة المحادثة تتناسب مع هذه اللحظة التاريخية." كانت الاستخبارات الأمريكية لا تزال تشير بشكل مقنع إلى أن بوتين سيغزو بغض النظر عما تفعله الولايات المتحدة لمحاولة ردعه.

"كان جو التوتر مخففًا بسبب الطريقة التي يعمل بها بوتين، والطريقة التي يقدم بها نفسه"، قال فاينر. "ولكن في نفس الوقت، كان من الواضح جدًا أنه لم يتراجع، ولم يكن مهتمًا بمخرج دبلوماسي، وأنه فهم جيدًا ما قاله الرئيس."

غادر بايدن المكالمة وهو مقتنع بأن الغزو قادم. لم يكن المخرج الدبلوماسي جذابًا لبوتين. كان في طريق الحرب. وكان الأمر الغريب أن هذا الاستنتاج لم يكن مستمدًا مما قاله بوتين، بل من كل ما لم يقله. أحيانًا كانت الحقيقة تُستخلص أكثر من صمت بوتين بدلًا من خطابه.

خلال مقابلة مع الرئيس ترامب في مار-إيه-لاجو قبل عام، كان ترامب قد تحدث معي عن علاقته مع الرئيس بوتين.

"التوافق مع روسيا هو أمر جيد، وليس سيئًا، أليس كذلك؟ خاصة لأن لديهم 1,332 رأسًا نوويًا لعينًا"، قال ترامب. "وهي تعمل!

"لم يكن أحد أكثر صرامة على روسيا مني"، أضاف ترامب. "بوتين يحترمني. وأنا أحترم بوتين. أعتقد أن بوتين يحبني. وأعتقد أنني أحبه”.

اختتم ترامب"أنا أحبه".

كان مستشار الأمن القومي لترامب روبرت أوبراين قد أعطاني تقييمًا مختلفًا. قلت لترامب: "أوبراين يقول إنه لا يمكننا أن نحظى بعلاقات جيدة مع روسيا إذا كانوا يغزون الجيران، مثل أوكرانيا وجورجيا."

"حسنًا، لا يعجبني ذلك. لا"، قال ترامب. "ولكن إذا نظرت، بسببنا، قاموا بتبادل كبير للسجناء مع أوكرانيا. الكثير من الأمور تحدث، بوب. الكثير من الأمور”.

"انظر إلى كل الأشياء التي قمت بها"، أعلن ترامب. "أوباما أرسل لهم الوسائد. وأنا أرسلت لهم مدمرات الدبابات."

كان الرئيس أوباما قد قدم أكثر من 120 مليون دولار كمساعدات أمنية لأوكرانيا لكنه رفض إرسال أسلحة فتاكة. كان ترامب أول رئيس يوافق على بيع أسلحة أمريكية فتاكة لأوكرانيا، بما في ذلك صواريخ جافلين المضادة للدبابات.

عشرون

"لن أرسل القوات الأمريكية إلى أوكرانيا"، قال بايدن لسوليفان بينما كانا يجلسان وحدهما في المكتب البيضاوي. كان هذا موقفه الحازم، خطه الأحمر الذي لا يمكن تجاوزه - لا قوات أمريكية.

أدى وجود القوات الأمريكية في فيتنام إلى كارثة. ونفس المشكلة حدثت في أفغانستان عندما كان بايدن نائب الرئيس، وعارض دون جدوى إرسال 30,000 جندي إضافي.

لذا قرر بايدن وسوليفان سؤال قادة الاستخبارات عن رأيهم: هل ينبغي أن يترك بايدن الباب مفتوحًا أمام احتمال إرسال القوات الأمريكية؟

"مجتمع الاستخبارات"، أفاد سوليفان، "اقترب من القول بقدر ما يمكن لمجتمع الاستخبارات قوله كتابةً، هل أنت مجنون بحق؟ إذا هددت باستخدام القوات الأمريكية في أوكرانيا، فسيتحرك بوتين بسرعة أكبر وبحجم أكبر، ولن يتراجع." سيتحرك بوتين قبل أن تكون الولايات المتحدة مستعدة لنشر قواتها.

اتفق مدير وكالة المخابرات المركزية (CIA) بيل بيرنز بشدة مع هذا التقييم. "وجهة نظر بيرنز"، قال سوليفان، "هي أن قول الولايات المتحدة إنها سترسل قوات إلى أوكرانيا للدفاع عنها كان سيعجل بالغزو، وليس يمنعه. لأن بوتين كان سيرغب في التحرك قبل أن نتمكن من التحضير للتعبئة."

كما قال بيرنز إن ذلك سيعقد جهود الولايات المتحدة لبناء تحالف لدعم أوكرانيا، لأن العديد من الدول ستكون غير مرتاحة للغاية إذا بدأت الولايات المتحدة تتحدث عن وضع قوات على الأرض في أوكرانيا.

كان بايدن يعلم أنها مسألة وقت قبل أن يسأله صحفي هذا السؤال، وأراد مناقشة إجابته مع سوليفان.

على مـر السـنين، كـان بايـدن دائمًـا يقـول: "القـوى العظمى لا تتظـاهر." سوليفان قد سمعها عدة مرات. أراد بايـدن أن يكـون موقفـه السياسي واضحًا، وليس غامضًا.

"لننظـر إلى الجـانب الآخـر"، قـال سـوليفان. "هـل هنـاك قيمـة اسـتراتيجية في التظـاهر؟ هـل يمكن للتظـاهر أن ينجح؟ تشرشـل، على سـبيل المثـال، كـان يتظاهر طوال الوقت."

"لـديك رصـيد الكبـير من الاوراق، لـديك مسـاحة ضـخمة للتظـاهر"، قـال سوليفان. كما هو الحال في البوكر، كانت الولايات المتحدة تمتلـك أكـبر رصـيد من الاوراق بالنظر إلى تفوقها العسكري والاقتصـادي. "إذا كـان لـديك الرصـيد الكبـير، يمكنـك تحمـل خسـارة بعض الاوراق دون الخـروج من اللعبـة. إذا كـان لديك الرصيد الكبير، نعم، يمكنك التظاهر طوال الوقت."

اعتقد سوليفان أن هناك قيمة ردعية في إبقاء إمكانية تدخل القوات الأمريكية مجهولة.

لكن التظـاهر، سـواء تم اكتشـافه أم لا، قـال بايـدن، سـيؤثر على مصـداقية الولايات المتحدة بشكل عام.

قـال بايـدن"إذا كنت دولـة كبـيرة ذات مصـالح في كـل مكـان وتتظـاهر هنـا"، "فسيكون له تأثير، على سبيل المثال، على كيفية نظـرة اليابـانيين إليـك هنـاك فيما يتعلق بالصين." النزيف في المصداقية لن يقتصر على ظرف واحد”.

التظاهر كان خارج الطاولة، قال بايدن. وبما أنه كان يعلم أنه لن يرسل القوات الأمريكية، فقد اعتقد أنه يجب أن يقول ذلك علنًا.

بالنسبة لسوليفان، كان قرارًا صعبًا بنسـبة 51-49 فيمـا إذا كـان يجب أن يقـول بشكل علني وقاطع إن الولايات المتحدة لن ترسـل قـوات للقتـال في أوكرانيـا. مـا زال سـوليفان يميـل نحـو اسـتخدام الرصـيد الكبـير من الاوراق الـذي لـديهم. كان التظاهر أداة متاحة في حقيبة السياسة الأمنية الوطنية. لماذا لا تجرب؟

بقي بايدن حازمًا: لا.

كان التظاهر، حتى فيما يتعلق بـالقوات الأمريكيـة، أكـبر خلاف اسـتراتيجي بين الرئيس وسوليفان.

في أزمة أمنية وطنية أو عندما تظهر مسألة، غالبًا ما يقول الرؤساء علنًا: "كـل الخيارات مطروحة على الطاولة." مثل هذا الموقف يبدو صارمًا وحتى مهددًا. يمنحهم مرونة أكبر بكثير.

لكن لم يكن قرار سوليفان ليتخذه. أراد بايدن الوضوح.

في 8 ديسمبر، بعد يوم واحد من المكالمة الآمنة التي استغرقت سـاعتين بين بايدن وبوتين، أجاب بايدن على أسئلة الصحفيين وهو يمشي عبر حديقة البيت الأبيض باتجاه المروحية مارين وان.

"لقد أوضحت تمامًا، إذا غـزا أوكرانيـا بالفعـل، سـتكون هنـاك عـواقب وخيمـة"، قال بايدن عن اجتماعه مع بوتين.

ثم كرر بايدن للصحفيين ما قاله لسوليفان بشكل خاص: إنـه لن يرسـل القـوات الأمريكية إلى أوكرانيا.

"هـذا ليس مطروحًـا على الطاولـة"، قـال بايـدن بشـكل قـاطع. "لـدينا الـتزام أخلاقي وقانوني تجاه حلفائنا في الناتو إذا تعرضـوا لهجـوم بمـوجب المـادة 5، وهو الـتزام مقـدس. هـذا الالـتزام لا يمتـد إلى... أوكرانيـا"، الـتي لم تكن عضـوًا في الناتو.

اتصل فريد كاجان، الذي كان يتابع الحشد العسـكري الروسي مـع معهـد دراسـة الحرب، بسوليفان في حالة من عدم التصديق.

"لا ينبغي أن تستبعدوا القوات من الطاولة"، قال كاجان. "الغمـوض يمكن أن يكون رادعًا. لماذا تجيب على افتراض؟"

كان من المبدأ المعتـاد في العلاقـات الدبلوماسـية والعسـكرية المتـوترة إبقـاء جميع الخيارات متاحة للنقاش والتفاوض.

"لقد أجرينا هذا النقاش بالضبط"، قال سوليفان، "وهو مشروع.

"المشكلة هي"، قال سوليفان، "إذا أبقيت الباب مفتوحًا 'هل ستنشر القوات الأمريكية؟ حسنًا، سنرى' وبدأت الحرب، فإن الضغط عليك لإرسال القوات الأمريكية سيكون هائلًا، وعدم إرسالها سيكون بمثابة التخلي عن البلاد في لحظتها الحرجة.

"لذلك فإن الوضوح"، أضاف سوليفان، "حول ما أنت مستعد لفعله وما لا تفعله مقدمًا يغير من 'لقد فشل بايدن' إلى 'واو، كانت استجابة بايدن قوية للغاية.'"

نائب مستشار الأمن القومي جون فاينر فوجئ بمدى صراحة بايدن في الإجابة على السؤال، لكنه قال لاحقًا للآخرين إنه يعتقد أن الرئيس اتخذ القرار الصحيح.

"شعرت وكأنه كان من الجيد وكان القرار الصحيح"، قال فاينر. "لقد جعل الأوكرانيين يدركون أنهم سيضطرون إلى القيام بذلك بأنفسهم"، قال، "مع الكثير من الدعم، ولكن لم تكن هناك قوات قادمة لإنقاذهم."

السؤال الذي لم تتم الإجابة عليه على الفور هو: هل هذا البيان بعدم إرسال القوات الأمريكية شجع بوتين أو حتى أعطاه الضوء الأخضر معتقدًا أنه لن يواجه بشكل مباشر أو بأي شكل القوة العسكرية الأكبر والأكثر خبرة في العالم؟

لكن بايدن أخبر سوليفان وفاينر أنه سيرسل الأسلحة الأمريكية إلى أوكرانيا. وسيدعم الجيش الأوكراني للدفاع عن نفسه. منذ عام 2014، التزمت الولايات المتحدة بأكثر من 2.5 مليار دولار في المساعدات الأمنية لأوكرانيا، بما في ذلك التدريب المتخصص من القوات الأمريكية والبريطانية.

لكن بايدن وضع حدًا لنوع الأسلحة التي كان مستعدًا لإرسالها. لن يذهب إلى حد بعيد أو يقدم أسلحة قوية للغاية. إذا غزت روسيا وسقطت أوكرانيا في

ثلاثة إلى خمسة أيام، لم يكن الرئيس يريد أن تقع التكنولوجيا العسكرية الأمريكية من الدرجة الأولى في أيدي الروس. بعد الانسحاب من أفغانستان، كانت صور طالبان وهي تتسلح بالأسلحة والمعدات الأمريكية التي قدمت للجيش الأفغاني لا تزال تحرق الأذهان.

اتصل الرئيس السابق ترامب بالجنرال المتقاعد لفتنانت كيلوج، مستشاره السابق للأمن القومي، في ديسمبر.

هناك الكثير من الحديث أن بوتين سيدخل، قال ترامب. "لماذا سيفعل ذلك؟"

"إذا كنت تريد الحقيقة، سيدي"، قال كيلوج، "فذلك لأنه يرى ضعفًا. يرى ضعفًا في اتخاذ القرارات الرئاسية نتيجة لما حدث في أفغانستان."

"تبًا، كانت فضيحة"، قال ترامب، مشيرًا إلى الانسحاب الفوضوي لإدارة بايدن. "لقد كان أمرًا سيئًا للغاية."

قال كيلوج"سيشجع هذا في الواقع قادة آخرين هناك".

"نعم، كان أمرًا سيئًا للغاية"، قال ترامب. "لقد جعلنا بايدن في مأزق. إنه زعيم ضعيف”.

سأل ترامب عن بوتين"هل تعتقد أنه سيدخل؟".

"لا، لن يدخل"، قال كيلوج. "لا أعتقد أنه لديه النية أو القوات للقيام بذلك. لم يتم ترتيبهم بشكل صحيح للقيام بذلك. سيحتاج إلى جهد كبير."

قال ترامب"حسنًا، حسنًا".

واحد وعشرون

كان بايدن في منزله في ويلمنغتون بولاية ديلاوير في 30 ديسمبر عندما التقط الهاتف على مكتبه ليجري جولة أخرى مع بوتين. كانت مكالمة ساخنة استمرت 50 دقيقة وواحدة من أكثر محادثاتهم جدلاً. كان بوتين غاضبًا بشأن العقوبات الاقتصادية التي كان بايدن يهدد بها، وحذر من أنها قد تؤدي إلى "قطع كامل" في العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا. استمر بوتين في الزعم أنه لا يخطط لمهاجمة أوكرانيا، وأنه يمكنه تحريك قواته داخل الأراضي الروسية كما يشاء.

اتهم بوتين الولايات المتحدة وحلف الناتو بالتخطيط لوضع أسلحة نووية بالقرب من حدود روسيا. أكد بايدن لبوتين أنه لا توجد مثل هذه الخطط. وصلت المحادثة إلى درجة التوتر حيث أشار بوتين في لحظة إلى خطر نشوب حرب نووية بطريقة تهديدية. رد بايدن بتذكير بوتين بأنه "من المستحيل الفوز" في حرب نووية.

قال الرئيس بايدن لأحد أصدقائه المقربين، وهو يعبر عن إحباطه من الاستجابة غير الكافية لإدارة أوباما لغزو بوتين السابق لأوكرانيا: "لقد أخطأوا في عام 2014".

وأضاف بايدن: "لهذا نحن هنا. لقد أخطأنا." وأردف قائلاً: "لم يأخذ باراك بوتين على محمل الجد أبدًا."

في عام 2014، غزا بوتين شبه جزيرة القرم بدقة وسرعة محسوبة. استولى "الرجال الخضر الصغار" – الجنود الذين لم يكن لديهم أي شارات تشير إلى أنهم روس – على مباني البرلمان الأوكراني بالقوة، ورفعوا الأعلام الروسية وضموا القرم كعمل زعموا أنه من أجل تقرير المصير. استولى بوتين على القرم وجزء من دونباس في أقل من شهر دون عواقب تُذكر على روسيا.

قال بايدن: "تعلم أننا لم يكن يجب أن نسمح لبـوتين بالـدخول إلى هنـاك وأخـذ دونباس في عام 2014. لم نفعل شيئًا". "لقد منحنا بوتين رخصة للاستمرار!"

كان بايدن غاضبًا جدًا، وهو شعور يتجنب إظهاره في العلن.

وقال بايدن: "حسنًا، أنا ألغي رخصته اللعينة!"

تمكن صـديق بايـدن من سـماع إصرار الـرئيس على منـع بـوتين من تكـرار مـا فعلـه. كـان واضـحًا أنـه لن يتنـازل عن هـذا الأمـر. "أوكرانيـا هي محـور رئاسـته بالكامل."

اثنان وعشرون

في منتصف يناير 2022، أرسل بايدن مدير وكالة المخابرات المركزية (CIA)، بيل بيرنز، للقاء سري مع الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي.

قال بايدن: "أقنع زيلينسكي بأن هذا سيحدث". أظهرت الاستخبارات الآن صورة أوضح لما سيحاول الروس القيام به عسكريًا.

التقى بيرنز بزيلينسكي في كييف.

قال مدير وكالة المخابرات المركزية للرئيس زيلينسكي: "سيكون هناك غزو كبير لبلدك، بما في ذلك عاصمتك. القوات الخاصة الروسية تحاول اغتيالك. إنهم قادمون من أجلك شخصيًا.

"ستأتي القوات الروسية عبر حدود بيلاروسيا مباشرة وتحاول الاستيلاء على كييف، وقطع رأس نظامك وإقامة حكومة موالية لروسيا"، قال بيرنز. كان هذا هو رأس الحربة في الهجوم الروسي.

تابع بيرنز قائلاً إن روسيا تخطط للاستيلاء على هوستوميل، في إشارة إلى المطار الرئيسي للبضائع شمال غرب كييف، ثم استخدامه كمنصة لجلب القوات المحمولة جواً للسيطرة على عاصمة أوكرانيا.

من خلال ما نراه في الاستخبارات، هذا سيحدث خلال أسابيع قليلة، نصح بيرنز زيلينسكي بالنظر عن كثب في تفاصيل أمنه الشخصي. كانت هناك أيضًا مخاوف من اختراق روسي لخدمات الأمن الأوكرانية.

قال زيلينسكي: "شكرًا لك على معلوماتك. ولكن رجاءً توقف عن الحديث علنًا عن هذا الأمر لأنه يضر باقتصادي".

ظل زيلينسكي مشككًا في أن روسيا قد تخطط للسيطرة الكاملة على دولة يبلغ عدد سكانها 44 مليون نسمة. قال زيلينسكي إن الولايات المتحدة تركز

على الخيار الأكثر عدوانية والأقل احتمالًا. كان القادة الأوروبيون قد أخبروه أن التوقعات الأمريكية كانت مبالغًا فيها، وأن بوتين أكد في محادثات خاصة معهم، وكذلك علنًا، أنه لا ينوي الغزو.

لكن مع ذلك، بدا أن زيلينسكي أخذ تحذير مدير وكالة المخابرات المركزية بجدية أن الغزو قادم. شعر بيرنز أن الرئيس الأوكراني كان مترددًا في الذهاب إلى التعبئة الكاملة لقواته المسلحة لأن بوتين قد يستغل ذلك ويدعي أن الأوكرانيين يستعدون للحرب. قال زيلينسكي إن بوتين سيزعم: "انظروا، الأوكرانيون يستعدون للحرب. نحن فقط نرد عليهم".

كان بيرنز يعتقد أيضًا أن خدمات الاستخبارات الأوكرانية كانت جيدة جدًا، وأنهم كانوا يتابعون عن كثب الأعداد الهائلة من القوات الروسية على حدود أوكرانيا.

شعر بيرنز أن المحادثة كانت جدية للغاية، على المستوى العاطفي والشخصي. كانت هذه أخبار مدمرة للزعيم الأوكراني الشاب، الذي كان يستمع لكنه لم يكن يصدق تمامًا، في مواجهة أزمة سياسية واستراتيجية لا يمكن تصورها.

أحد التحديات الأكثر تعقيدًا بالنسبة لمدير وكالة المخابرات المركزية بيرنز ومديرة الاستخبارات الوطنية أفريل هاينز كانت عمليات "العلم الزائف" التي كان ينفذها بوتين—أي أحداث مُفتعلة تبدو وكأن الروس العرقيين قد قُتلوا على يد الأوكرانيين كذريعة للصراع. كانوا يرون بوتين ومن حوله يستعدون لهذه العمليات في منطقة دونباس، شرق أوكرانيا.

ناقش بيرنز وهاينز وجيك سوليفان مستشار الأمن القومي في البيت الأبيض باستفاضة كيفية إزالة السرية عن بعض المعلومات الاستخبارية ومشاركتها على أمل إعاقة الخطط الروسية.

في البيت الأبيض، استعرض مدير برامج الاستخبارات، ماهر بيطار، التقارير الاستخباراتية التي أفادت بأن روسيا تخطط لتدبير انفجار في شرق أوكرانيا

وتـزعم أن أوكرانيـا هي المسـؤولة عنـه. كـانت روسـيا سـتقول إن الحكومـة الأوكرانيـة قتلت الـروس العرقـيين ثم تتحـرك نحـو أوكرانيـا بذريعـة زائفـة لإنقاذهم. حتى أن المؤامرة الروسية تحدثت عن توظيـف ممثلين لتجسـيد دور المشيعين في جنازة.

كما كانت وسائل الإعلام الروسية تروج قصصًا عن تـدهور حقـوق الإنسـان في أوكرانيا وتصور قادة أوكرانيا على أنهم عصابة عنيفة.

قـال جـون كـيربي، المتحـدث باسـم وزارة الـدفاع (البنتـاغون) في إحاطـة علنيـة في 14 ينـاير: "دون الـدخول في الكثـير من التفاصـيل، لـدينا معلومـات تشـير إلى أن روسيا تعمل بنشاط بالفعل على خلق ذريعة لغزو محتمل.

"لقد رأينا مثل هذه الأمـور من روسـيا من قبـل"، قـال كـيربي. "عنـدما لا يكـون هناك أزمة فعلية تناسب احتياجاتهم، سيختلقون واحدة".

ثلاثة وعشرون

في 19 ينــاير 2022، أعلن بايــدن في مــؤتمر صــحفي متلعثم أن بــوتين على الأرجح "سيتحرك" ضد أوكرانيا.

قال بايدن: "لست متأكدًا مما إذا كان [بوتين] متأكدًا مما سيفعله". "تخمينـي هو أنه سيتحرك".

ثم جاء التعليق العفوي غير المحسوب من بايدن.

قال بايدن: "أعتقد أن ما سترونه هو أنه سيتم محاسـبة روسـيا إذا غـزت. وهـذا يعتمد على مـا سـتفعله". "هنـاك فـرق إذا كـان الأمـر يتعلـق بتوغـل صـغير ثم نجد أنفسنا في جدل حول ما يجب فعلـه أو عـدم فعلـه، ومـا إلى ذلـك. لكن إذا فعلـوا مـا هم قـادرون على فعلـه بـالقوات المتجمعـة على الحـدود، فسـيكون ذلك كارثة لروسيا".

"إذا كـان هنـاك شيء يتعلـق بـالقوات الروسـية الـتي تعـبر الحـدود وتقتـل المقاتلين الأوكرانيين وما إلى ذلك، أعتقد أن هذا يغـير كـل شيء"، قـال بايـدن. "ولكن الأمـر يعتمـد على مـا سـيفعله، وإلى أي مـدى سـنكون قـادرين على تحقيق وحدة كاملة في صفوف الناتو."

لم تكن هـذه الرسـالة مكتوبـة على بطاقـات ملاحظاتـه. دون أن يبـدو مـدركًا لذلك، قام بايدن للتو بتقويض فكرة أن الولايات المتحدة ملتزمـة بشـكل جـدي بسيادة أوكرانيا. وبـدلاً من ذلـك، أعطى وزنًـا لفكـرة أنـه، كمـا حـدث في 2014، أي استجابة من الولايـات المتحـدة وحلفائهـا تجـاه غـزو روسي لأوكرانيـا سـتكون معرقلة بسبب النقاش والانقسام. كان هذا الخطأ تكرارًا لتـاريخ بايـدن الطويـل في ارتكاب الزلات.

رد الرئيس زيلينسكي في تغريدة: "نريد أن نذكر القوى العظمى بأنه لا توجد توغلات صغيرة ولا دول صغيرة. كما أنه لا توجد خسائر صغيرة ولا حزن بسيط من فقدان الأحباء. أقول هذا بصفتي رئيس دولة عظمى."

هل كانت الولايات المتحدة تغير موقفها من أوكرانيا؟ تصريحات بايدن غير المقررة تسببت في حدوث ارتباك بين الحلفاء وقلق بشأن قدرة الرئيس على تحديد خطوط حمراء واضحة لروسيا.

تواصل جيك سوليفان مع نظرائه في تسع دول على الجناح الشرقي للناتو، وكذلك اليابان، لاحتواء الأضرار وتقديم تطمينات بأن الولايات المتحدة لم تغير موقفها.

اضطر بايدن لتوضيح أن أي تحرك من القوات العسكرية الروسية عبر الحدود سيُعتبر غزوًا.

قال الرئيس بايدن لوزير الخارجية أنتوني بلينكن: "إذا كانت هناك فرصة بنسبة 1%، أو حتى 0.1%، لردع هذا الأمر، فسيكون الأمر يستحق العناء". "اذهب وانظر إذا كانت لدى روسيا أي مخاوف أمنية يمكننا معالجتها". كان بايدن لا يزال يسعى إلى حل توفيقي.

كان يومًا مشمسًا واضحًا في جنيف في 21 يناير 2022، ولكنه كان عاصفًا بشكل خاص. كانت بحيرة جنيف تتماوج بالأمواج البيضاء.

قال بلينكن لوزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف: "لا أعرف ما إذا كنت قد نظرت إلى البحيرة اليوم، لكنها مياه مضطربة". "مهمتنا هي محاولة استعادة بعض الهدوء ومحاولة تجنب ما سيكون في النهاية كارثة."

قال بلينكن: "نحن واثقون من أنك تستعد لشن غزو شامل لأوكرانيا. أخبرنا أنك لديك مخاوف أمنية. نحن مستعدون للعمل معك بشأن هذه المخاوف".

كانت أوكرانيا بالنسبة لروسيا حاجزًا يفصلها عن الناتو، الذي توسع على مدى العقود الثلاثة الماضية ليشمل أكثر من عشرة جمهوريات سوفيتية سابقة وحلفاء سوفيت.

قال ميخائيل غورباتشوف، آخر زعيم للاتحاد السوفيتي عندما انهار وتم حله في عام **1991**، بعد سنوات، إن الولايات المتحدة كانت تمتلك "عقلية المنتصر الخطرة".

كان بلينكن يعتقد أن الروس يشعرون بقلق مشروع بشأن نشر الأسلحة النووية أو الهجومية طويلة المدى على الحدود الروسية أو بالقرب منها. أراد بلينكن تهدئة الوضع وتجنب الظهور بمظهر المغرور أو المتفوق.

مثل بوتين، كان لافروف دائمًا يميل إلى الدراما. لم يكن يمانع في إعداد مشهد توبيخ علني أو مغادرة الاجتماع على نظير غربي. ولكن في الاجتماعات الخاصة، كان بلينكن يأمل أن يتخلى لافروف عن العرض التمثيلي.

قال بلينكن للافروف في خصوصية الغرفة: "اسمع، الأمر بيننا فقط". "ما الذي يحدث هنا؟ أخبرني ما الذي يجري حقًا؟"

كان لافروف صامتًا.

قال بلينكن: "هل هذا عملي؟ بعبارة أخرى، هل يتعلق الأمر بمخاوفك الفعلية بشأن أمن روسيا؟ إذا كان الأمر كذلك، يمكننا التحدث عن ذلك. يمكننا التحدث عن وضع الصواريخ الهجومية. يمكننا التحدث عن آليات الاستقرار وإجراءات بناء الثقة التي من شأنها أن تخفف أي مخاوف أمنية حقيقية لديك."

أضاف بلينكن: "نحن لا نسعى إلى تشكيل تهديد لك"، مطمئنًا لافروف. "الناتو ليس تهديدًا لك، لذا دعونا نعمل على هذا إذا كان، كما تعلم، عمليًا".

"ولكن إذا كان هذا لاهوتيًا، إذا كان هذا نابعًا من قناعة بأن أوكرانيا كدولة مستقلة ذات سيادة لا يمكن أن توجد، إذا كان هذا يعتمد على فكرة أن أوكرانيا وشعبها ينتمون إلى روسيا الأم، إذن لا يوجد شيء للتحدث عنه."

أنكر لافروف أن أي غزو كان مخططًا له.

وجدت الاستخبارات الأمريكية لاحقًا أن لافروف لم يكن على علم كامل بما كان يخطط له بوتين.

شعر بلينكن تقريبًا بالشفقة على لافروف. لقد أصبح مجرد بوق إعلامي. كان من المؤسف أن شخصًا رفيع المستوى وله هذه المسيرة الطويلة لم يكن مطلعًا على الأمور، مما جعل المحاولة الدبلوماسية بلا جدوى.

أربعة وعشرون

في أواخر يناير، بدأ ترامب في طرح فكرة الترشح مرة أخرى للرئاسة.

قال ترامب للسيناتور ليندسي غراهام خلال تناول الغداء في مارالاغو: "تعرف أن جاك نيكلوس كان مشهورًا بترك الناس ينهارون ويبقى هو في الانتظار"، مشيرًا إلى لاعب الغولف الأمريكي الأسطوري. وتابع ترامب قائلاً إن هذه يجب أن تكون استراتيجيته مع بايدن. "عندما كان نيكلوس متأخرًا في إحدى البطولات، كان دائمًا يقول، حسنًا، ماذا ستفعل؟ سأبقى فقط وأرى ما سيحدث. هكذا فاز ببطولة الماسترز في عام 86. تعلم، لديك جولتان جيدتان والناس تبدأ في الانهيار."

قال ترامب: "حسنًا، سأبقى فقط في الانتظار!"

خمسة وعشرون

على طول حدود أوكرانيا، كانت المستشفيات الميدانية الروسية تُنشأ بشكل واضح، وتم نقل بنوك الدم إلى جانب المزيد من المعدات العسكرية والمشارح المتنقلة تحضيرًا للقتلى المتوقعين. كانت وكالات الاستخبارات الأمريكية تبلغ البيت الأبيض أن أمر بوتين بغزو أوكرانيا قد يصدر في غضون "أسابيع، أيام أو ساعات".

مع تذكره لأزمة الرهائن الإيرانيين في عام 1979 عندما تم احتجاز 53 أمريكيًا كرهائن لمدة 444 يومًا خلال رئاسة جيمي كارتر، صعد سوليفان إلى المنصة في 11 فبراير. كان يتمتع بأسلوب ثابت ومرن، يعامل جميع الأسئلة على أنها معقولة.

قال سوليفان: "نواصل تقليص حجم تواجد سفارتنا في كييف". وأضاف: "نشجع جميع المواطنين الأمريكيين المتبقين في أوكرانيا على المغادرة فورًا. يجب على أي أمريكي في أوكرانيا المغادرة في أقرب وقت ممكن، وفي أي حال، في غضون الـ 24 إلى 48 ساعة القادمة".

قال سوليفان: "لن يخاطر الرئيس بحياة رجالنا ونسائنا في الجيش بإرسالهم إلى منطقة حرب لإنقاذ أشخاص كان بإمكانهم المغادرة الآن ولكنهم اختاروا عدم المغادرة". لم يرغبوا في تكرار ما حدث في أفغانستان.

وقال: "لن نخوض حربًا في أوكرانيا". وأضاف أن القوات الأمريكية "لن تخوض حربًا مع روسيا".

كان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون يتصل ببوتين تقريبًا كل يوم. كان مقتنعًا بأنه يمكنه التحدث بعقلانية مع الزعيم الروسي. كان ماكرون يتصل بالرئيس بايدن قبل وبعد العديد من محادثاته مع بوتين.

قال ماكرون في إحدى المكالمات لبايدن: "أعتقد أنها كانت محادثة جيدة". وأضاف أن بوتين أعطاني كلمته بأنه لن يغزو.

رد بايدن: "إذا كنت تجري هذه المحادثة، فهذا شيء جيد". وأضاف: "أنا منفتح جدًا على المزيد من المحادثات مع بوتين إذا كنت تعتقد أنه يمكننا ثنيه".

وأضاف بايدن: "شخصيًا، أعتقد أنه قد قرر بالفعل الغزو".

كان رئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال مارك ميلي ووزير الدفاع لويد أوستن يعملان على دحض ادعاءات روسيا بأن هذا كان تمرينًا عسكريًا. كانت القوات الروسية تتجمع على حدود أوكرانيا منذ سبتمبر 2021. قال ميلي: "لا أحد يجري تمرينًا لهذه المدة". وأضاف: "ما نوع هذا التمرين؟"

بينما كان موكب أوستن يسير عبر بولندا في 18 فبراير، اتصل بوزير الدفاع الروسي سيرجي شويغو. كان وزير الدفاع الأمريكي يسافر في موكب كبير إلى حد ما في الخارج. لم يكن كبيرًا مثل موكب الرئيس، ولكنه كان قريبًا إلى حد ما اعتمادًا على الدولة.

قال أوستن لشويغو: "أعرف تمامًا ما تفعله". وأضاف: "أرى ما تفعله من خلال حشد قواتك على الحدود".

رد شويغو: "إنه مجرد تمرين". وأضاف: "إنه مجرد تمرين عسكري".

استمر موكب أوستن في التجول حول المدينة حتى يتمكن من إنهاء المكالمة.

ضغط أوستن قائلاً: "حسنًا، إذا كان تمرينًا، فمتى سينتهي؟"

حاول شويغو تجنب السؤال بالتحدث بقوة.

قال أوستن: "نحن نعرف تمامًا ما تفعله". وأضاف: "لا تفعل ذلك".

في اليوم التالي، سافر أوستن إلى فيلنيوس، ليتوانيا، لطمأنة الحلفاء في دول البلطيق بأن الولايات المتحدة وحلف الناتو سيدعمانهم ويدافعان عنهم. كانت دول مثل إستونيا، ذات الجيوش الصغيرة، قلقة للغاية من أنه إذا

سقطت أوكرانيا في يد روسيا، فستكون هي التالية في قائمة بوتين. لم يكن أحد يتوقع أن تصمد أوكرانيا طويلاً أمام الجيش الروسي.

أبلغ كبار مستشاري الوزير الذين سافروا معه وحضروا العديد من اجتماعاته عن موضوع شائع: "تهديد ترامب بالمادة 5" على مدى أربع سنوات كان يجعل العديد من حلفاء الناتو يتساءلون عما إذا كانت الولايات المتحدة ستتدخل عندما يحين الوقت. كان القلق ملموسًا في الغرفة.

قال أوستن لوزير الدفاع الإستوني هانو بفكور: "عندما يحين الوقت، سنكون بجانبكم". وأضاف: "ستفتحون النوافذ وتتمكنون من شم رائحة وقود الطائرات". وكان يقصد بذلك مدى سرعة تدخل الجيش الأمريكي.

كان أوستن، الذي يتمتع بوجود طاغٍ بفضل طوله الذي يتجاوز ستة أقدام ووزنه الذي يبلغ 250 رطلًا، يقدم هذه التأكيدات بحزم وهدوء. قال: "سنكون هنا". وأضاف: "سندافع عن المادة الخامسة".

قال أوستن لمستشاريه فيما بعد: "لا يتخذ الناس قرارات جيدة عندما يكونون قلقين وغير مستقرين". وأضاف: "إذا فعل بوتين ذلك، فقد يؤدي إلى أكبر حرب برية في أوروبا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية". كانوا بحاجة إلى الهدوء على طول الجبهة الشرقية.

كجزء من الجهود الدبلوماسية الأخيرة للردع، أرسل الرئيس بايدن نائبة الرئيس كامالا هاريس إلى ألمانيا لحضور مؤتمر ميونيخ الأمني في 19 فبراير 2022. أراد أن تمثل الولايات المتحدة على أعلى المستويات، وكانت نائبة الرئيس التقليد المتبع. حضر بايدن بصفته نائبًا للرئيس، وحتى إدارة ترامب حافظت على استمرار هذا التقليد.

لذا كانت هاريس في الساحة.

قال بايدن إنه بحاجة إلى إقناع زيلينسكي بأنهم الآن في الأيام وربما اللحظات قبل أن تغزو روسيا بلاده. كانت المعلومات الاستخباراتية قد تبلورت. كان على زيلينسكي قبول أن هذا سيحدث.

كما تم تكليف هاريس بمهمة إصلاح الموقف. بعد الزلة المؤلمة لبايدن حول "توغل صغير"، كان عليها أن تظهر الدعم الموحد من الولايات المتحدة وحلف الناتو لسيادة أوكرانيا.

قالت نائبة الرئيس هاريس مخاطبة زعماء العالم في فندق "بايريتشر هوف" في ميونيخ: "لم يجتمع هذا المنتدى في ظل ظروف قاتمة كهذه منذ نهاية الحرب الباردة".

في ما يعتبر على نطاق واسع أفضل خطاب لها كنائبة للرئيس، نجحت هاريس في إبراز التزام الولايات المتحدة تجاه أوكرانيا، تجاه المادة الخامسة للناتو، وتجاه السلام. بدلاً من تحذير بوتين، وهو النهج المعتاد لبايدن، وجهت هاريس انتقادات حادة لروسيا، قائلة إنها تتظاهر "بالجهل والبراءة".

وأضافت: "كما رأينا طوال الوقت، هناك كتاب قواعد للعدوان الروسي". "نرى روسيا تنشر المعلومات المضللة والأكاذيب والدعاية.

"سوف نستهدف أولئك الذين يتواطئون وأولئك الذين يساعدون ويدعمون هذا الغزو غير المبرر"، حذرت. "لا تخطئوا".

ورسمت تمييزًا حادًا بين رؤية بايدن وهاريس لدور أمريكا القيادي في العالم وفي حلف الناتو، ونهج إدارة ترامب الذي يقوم على العزلة وتفضيل أمريكا أولاً.

قالت: "موضوع هذا المؤتمر قبل عامين كان يتساءل عن قوة الغرب ومدى تماسكه، وتأثيره، وجاذبيته".

وأضافت: "لذا سأجيب على المتشككين وأولئك الذين يسعون لاختبارنا: اليوم، الولايات المتحدة، وحلفاؤنا، وشركاؤنا، أقرب الي بعضهم البعض. اليوم، نحن واضحون في هدفنا.

"يجب عدم التقليل من قوتنا"، قالت. "كما أظهرنا دائمًا، يتطلب الأمر الكثير من القوة لبناء شيء ما أكثر مما يتطلبه هدمه".

بعد خطابها، وفي غرفة خاصة في مبنى "كوميرتس بنك" المقابل لفندق "بايريتشر هوف"، جلست نائبة الرئيس كامالا هاريس على كرسي مقابل الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي. جلس إلى جانبها مستشارها للأمن القومي فيليب غوردون. أحضر زيلينسكي مستشاره الرئيسي أندريه يرماك ووزير الدفاع أوليكسي ريزنيكوف.

كانت ألمانيا تطبق بروتوكولات خاصة بفيروس كورونا، لذا ارتدت هاريس وغوردون الأقنعة. لم يصافحا الأوكرانيين، مما أثار استياء زيلينسكي. شعر وكأنه على وشك أن يتم توبيخه. كان الطرفان، المفترض أنهما في نفس الفريق، في مواجهة بعضهما البعض.

قالت هاريس له بقوة: "عليك أن تأخذ على محمل الجد احتمال أن يغزو الروس بلدك في أي يوم الآن."

غالبًا ما كانت تُنتقد طريقة هاريس وأسلوبها في التواصل بسبب كونها تصادمية للغاية. كان ذلك سمة تكاد تكون متجذرة في جيناتها بفضل سنوات عملها كمدعية عامة ونائبة عام في ولاية كاليفورنيا.

رد زيلينسكي: "نحن لا نعتقد أنهم سيغزون." وأضاف: "نعم، إنهم يهددوننا، إنهم يتنمرون علينا. هذا ما يفعلونه."

بدأت هاريس في قراءة أحدث أرقام القوات.

قالت: "لدى الروس 200 ألف جندي مخصصين لهذه العملية، بما في ذلك حوالي 40 ألف في بيلاروسيا."

قال وزير الدفاع ريزنيكوف مقاطعًا: "هناك أقل من 10 آلاف جندي في بيلاروسيا."

ردت هاريس: "هذا لا يتوافق مع معلوماتنا على الإطلاق."

قال ريزنيكوف: "البيلاروسيون لن يدعموا ذلك. لن يشاركوا في القتال."

قال فيليب غوردون، مستشار هاريس للأمن القومي، لوزير الدفاع الأوكراني إن المعلومات الاستخباراتية الأمريكية دقيقة. لم يكن هذا تحليلًا أمريكيًا أو تقييمًا غامضًا. كانت هذه بيانات خام. صور أقمار صناعية. لم يكن غوردون متأكدًا من من تحاول الحكومة الأوكرانية خداعه بإنكار التهديد الروسي.

قالت هاريس لزيلينسكي: "انظر، فرقنا ستشارك معكم معلومات أكثر تفصيلًا، لكننا نخبرك أن أرقامكم غير صحيحة. أنتم حقًا تواجهون غزوًا محتملًا في أي لحظة."

كان زيلينسكي في حالة إنكار تام. بدت هاريس أكثر فأكثر وكأنها مدعية في المحكمة. تبادلا الحديث ذهابًا وإيابًا. كرر زيلينسكي أنه يأخذ الوضع على الحدود على محمل الجد.

قال زيلينسكي: "نحن نفهم بوضوح ما يحدث." وأضاف: "هذه أرضنا، والشيء الوحيد الذي نريده هو تحقيق السلام، إعادة السلام إلى بلدنا." وإنهاء القتال في شرق أوكرانيا.

الديناميكية النفسية التي كانت تلعب دورًا هنا هي أن زيلينسكي لم يرغب في إرسال إشارة بأن غزوًا روسيًا كاملاً سيحدث لأنه كان سيؤدي إلى نبوءة تحقق ذاتها، حيث ينهار الاقتصاد الأوكراني وربما الحكومة.

أخيرًا، نظر زيلينسكي إلى هاريس مباشرة في عينيها وقال: "ماذا تريدونني أن أفعل؟"

امتد الصمت بينهما بشكل محرج.

قال زيلينسكي: "ماذا سيعطيك ذلك؟" وأضاف: "إذا اعترفت بذلك هنا في هذه المحادثة، هل ستفرضون عقوبات؟ هل ستغلقون الموانئ أمام السفن الروسية؟ هل ستعطوننا صواريخ ستينغر وجافلين والطائرات الحربية؟"

قـالت هـاريس إن الولايـات المتحـدة لن تفـرض عقوبـات على روسـيا بعـد. "العقاب يمكن أن يأتي فقط بعد ارتكاب الجريمة."

بدا ذلك وكأنه تملص للأوكرانيين. روسيا كانت "ترتكب جرائم" ضد الأوكرانيين في دونباس منذ عام 2014.

تساءل ريزنيكوف: "ماذا تعتقد الولايات المتحدة أن على أوكرانيا أن تفعل؟" هل تستسلم؟ تعترف بأنها لن تفوز إذا أطلق بوتين غزوًا كاملاً؟ تخضع لمزيد من مطـالب الكـرملين؟ توقّـع المزيـد من اتفاقيـات السـلام الـتي سـتنتهكها روسيا؟

اقترحت هاريس: "ابدأوا في التفكير في أشياء مثل وضع خطة لخلافة إدارة البلاد في حـال تم القبض عليكم أو قتلتم أو لم تسـتطيعوا الحكم." وأشـارت إلى ضرورة وجود خطة هروب لتجنب القبض أو القتل. وربما تعبئة المزيد من القوات الأوكرانية. إعداد خطة لاستمرار الحكم.

قـالت هـاريس محـذرة: "لكن لا يمكنـك اتخـاذ القـرارات الصـحيحة إذا كنت سـتتظاهر فقـط بـأن هـذا الأمـر لا يحـدث." وأضـافت: "إذا فعلـوا ذلـك، فسيتوجهون إلى كييف."

وأضـافت بنـبرة أكـثر هـدوءًا: "نحن معكم." وأكـدت لـه أن روسـيا سـتواجه عواقب. لكن عندما نظـرت هـاريس إلى زيلينسـكي، لم تسـتطع إلا أن تتسـاءل عما إذا كانت الولايات المتحدة قد قامت بما يكفي.

بعـد الاجتمـاع، التفت غـوردون إلى نائبـة الـرئيس وقـال: "إنهم مجـانين لعـدم وضـع خطـة للهـروب والاختبـاء في مكـان مـا." كـان زيلينسـكي واضـحًا بأنـه سيبقى في كييف".

ردت هاريس: "قد لا نراه مجددًا."

السادس والعشرون

يوم الاثنين، 21 فبراير، وضع الرئيس بوتين رسميًا روسيا على الطريق العلـني للحـرب. في اجتمـاع طـويـل لمجلس الأمن الروسي الـذي بثـه التلفزيـون من الكرملين، استطلع بوتين آراء كبار المسؤولين حول مسألة الاعتراف باستقلال منطقـتين انفصـاليتين مـدعومتين من روسـيا في شرق أوكرانيـا، دونيتسـك ولوغانسك، بطريقة عدوانية.

جلس بـوتين وحـده على مكتب في غرفـة بيضـاء ذات أعمـدة بيضـاء ضخمة، وواجـه مستشـاريه الـذين جلسـوا بقلـق على كراسي هشـة على بعـد 30 قـدمًا على الأقل منه. دعاهم بوتين واحدًا تلو الآخر إلى منبر لإبداء آرائهم، بينما كـان يقرع أصابعه بنفاد صبر.

أعطى وزيـر الخارجيـة سـيرجي لافـروف، والـرئيس الروسي السـابق ديمـتري ميدفيـديف، وأمين مجلس الأمن نيكـولاي باتروشـيف، ورئيس مجلس الـدوما فياتشيسلاف فولودين، بوتين التأييد الذي كان يريد سماعه.

تعثر مدير جهاز الاستخبارات الخارجيـة سـيرجي ناريشـكين أثنـاء حديثـه، وتلعثم في قـراءة سـطوره المعـدة مسـبقًا. تقلصـت فكي بـوتين غضـبًا. قـال بـوتين بصوت مميز ينم عن الاستمتاع: "تحدث بوضوح"، بينما كان ناريشكين يتلوى.

حاول ناريشكين مرة أخرى أن يجد الكلمات التي يريـدها الـرئيس. قـال: "أؤيـد الاقتراح بالاعتراف..."

قـاطع بـوتين بغضـب واضـح: "أؤيـد أم تـدعم؟" وتـابع: "تحـدث بوضـوح، سيرجي."

قال ناريشكين بصعوبة بالغة: "أؤيد الاقتراح..."

رد بوتين ببرود: "قل نعم أو لا فقط."

قــال ناريشــكين: "نعم. أؤيــد الاقــتراح للاعــتراف بجمهــوريتَي دونيتســك ولوغانسك كجزء من الاتحاد الروسي."

ضحك بوتين، وهز رأسه قائلاً: "هذا ليس ما نتحدث عنه. نحن نناقش الاعتراف باستقلالهم."

اهتزت يدا ناريشكين، بينما كان ينظر بعيون متوسلة إلى بوتين، الذي كان يميل إلى الأمام فوق الميكروفون على مكتبه، ويداه متشابكتان أمامه كما لو كان يستمتع بشدة.

قال ناريشكين: "نعم، أؤيد الاقتراح بالاعتراف باستقلالهم."

قال بوتين ببرود: "يمكنك أن تجلس"، واستلقى بشكل مريح في كرسيه.

على الفور، أصدر الرئيس بايدن أمرًا تنفيذيًا يحظر جميع الأنشطة الاقتصادية في دونيتسك ولوغانسك. أعلنت ألمانيا أن مشروع خط أنابيب الغاز "نورد ستريم 2" البالغة قيمته 11 مليار دولار مع روسيا لن يمضي قدمًا.

اتخـذت القـوات الروسـية مواقـع تكتيكيـة على الحـدود. بـدأ الانفصـاليون المـدعومون من روسـيا في شرق أوكرانيـا بإجبـار المـدنيين الأوكرانـيين على مغادرة منازلهم وتجنيد الرجال والفتيان الأوكرانيين في الجيش الروسي.

قـال تـرامب في مقابلـة على محطـة إذاعيـة محافظـة في اليـوم التـالي، 22 فبراير، من مارالاغو، وهـو يثـني على خطـوة بـوتين بإعلان منـاطق معينـة من أوكرانيا مستقلة: "هذا عبقري."

قال ترامب: "لذا فإن بوتين يقول الآن، 'إنها مستقلة'، وهي منطقة كبيرة من أوكرانيا. قلت، 'ما مدى ذكاء ذلك؟' وهو سيذهب هناك ليكون حارسًا للسلام. تلك أقوى قوة سلام. يمكننا استخدام ذلك على حدودنا الجنوبية. تلك أقوى قوة سلام رأيتها في حياتي. هناك المزيد من الدبابات أكثر مما رأيته من قبل.

إنهم سيحافظون على السلام بشكل جيد. لا، لكن فكر في ذلك. هذا رجل ذكي للغاية. أنا أعرفه جيدًا. جيدًا جدًا."

وقال ترامب ببهجة: "كنت أعرف دائمًا أنه يريد أوكرانيا. كنت أتحدث معه حول ذلك. قلت، 'لا يمكنك فعلها. لن تفعلها.' لكنني كنت أرى أنه كان يريدها."

سبعة وعشرون

في الساعة 9:15 صباحًا يوم 23 فبراير، كان سوليفان يعقد اجتماعه حول أوكرانيا في مكتبه في الجناح الغربي عندما فتح الباب ودخل مدير وكالة المخابرات المركزية (CIA) بيل بيرنز وهو يحمل ورقة.

لم يكن بيرنز قد اقتحم اجتماعًا من قبل.

قال سوليفان: "مرحبًا، بيل".

نظر بيرنز حوله وكأنه يتأكد من من كان في الغرفة. قال إنه في طريقه إلى المكتب البيضاوي.

"هل يحدث ذلك؟" سألت أماندا سلوت، مديرة الشؤون الأوروبية. كانوا جميعًا ينتظرون بقلق الإشارة بأن بوتين قد أصدر الأمر للقوات الروسية بالغزو.

قال بيرنز: "إنه يحدث".

قبل شروق الشمس في موسكو يوم الخميس، 24 فبراير، ظهر بوتين على التلفزيون. جلس وحده على مكتب في الكرملين، محاطًا بالأعلام الروسية.

قال بوتين: "لقد قررت القيام بعملية عسكرية خاصة في أوكرانيا".

وتابع بوتين: "من يحاول أن يعرقلنا، بل وأكثر من ذلك، من يحاول خلق تهديدات لبلدنا، يجب أن يعلم أن رد روسيا سيكون فوريًا. وسيؤدي إلى عواقب لم تواجهوها من قبل في تاريخكم".

وأضاف مهددًا: "روسيا تبقى واحدة من أقوى الدول النووية".

تم الإبلاغ عن انفجارات مدوية في كييف، العاصمة، وفي خاركيف، ثاني أكبر مدينة. قالت وزارة الداخلية الأوكرانية إن القوات الروسية هبطت في أوديسا في الجنوب وبدأت في عبور الحدود. لم تكن الشمس قد أشرقت بعد.

اندفع الرئيس زيلينسكي في موكبه عبر شوارع كييف المظلمة، متجاوزًا سيارات مكتظة بأشخاص يفرون في الاتجاه المعاكس. لا يزال الظلام قائمًا. فكر في الصواريخ المتجهة نحو أطفاله، وأطفال أوكرانيا جميعهم، وصارع لتقبل الهجوم الهائل الذي شنته روسيا. كل ما استطاع التفكير فيه هو العدد الهائل من الوفيات.

رن هاتف زيلينسكي. كان وزير الداخلية، دينيس موناستيرسكي، الذي يشرف على الشرطة وحرس الحدود في البلاد.

سأل زيلينسكي: "من أين يأتي الروس؟ من أي اتجاه؟" أراد أن يعرف بالضبط المحور الذي اختاره بوتين لغزو أوكرانيا.

قال موناستيرسكي: "من كل الجهات".

كان برونو كاهل، رئيس جهاز الاستخبارات الألماني (BND)، في كييف صباح الغزو. حتى لحظة إطلاق الصواريخ الروسية الأولى، كان مقتنعًا أن الغزو لن يحدث، رغم كل التقييمات الاستخباراتية الأميركية والبريطانية.

كان البولنديون، منافسو ألمانيا، يستمتعون برواية قصة كيف تم إخراج رئيس الاستخبارات الألمانية من أوكرانيا بواسطة القوات الخاصة لأنه لم يتمكن من ركوب طائرته بعد بدء الغزو الروسي.

في واشنطن العاصمة، كانت الساعة تجاوزت 9:30 مساءً بقليل في 23 فبراير. تجمع كبار المسؤولين في غرفة العمليات. كان الرئيس بايدن على اتصال هاتفي آمن من مقر إقامته.

قال الجنرال ميلي، رئيس هيئة الأركان المشتركة، ووزير الدفاع أوستن إن بوتين حشد 123 مجموعة قتالية تكتيكية روسية تضم ما بين 175,000 و

190,000 جندي. كانت القوات الروسية تغزو على محاور متعددة: بيلاروسيا في الشمال، دونباس المحتلة من قبل روسيا في الشرق، وشبه جزيرة القرم في الجنوب. كان هناك خطان من القوات الروسية يتجهان مباشرة نحو كييف للإطاحة بالحكومة وتنصيب حكومتهم.

توقعت بعض التقييمات في البنتاغون أن تسقط كييف في غضون 72 إلى 96 ساعة الأولى. بينما توقعت تقييمات استخباراتية أخرى أن الأمر سيستغرق عدة أسابيع. كانت روسيا تمتلك قوة عسكرية متفوقة بشكل كبير من كل النواحي القابلة للقياس.

أعطى بايدن الإذن لأوستن وميلي بنقل القوات الجوية والبرية الأميركية الموجودة بالفعل في أوروبا إلى إستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولندا ورومانيا، قرب الحدود الأوكرانية، لتذكير بوتين بأن الولايات المتحدة ستدافع عن كل شبر من أراضي الناتو.

قال ترامب أثناء جمع تبرعات في فلوريدا تلك الليلة، وهو يقيم الغزو كما لو كان صفقة عقارية بدلاً من كونه رئيسًا سابقًا: "إنه ذكي جدًا".

قال ترامب: "لقد استولى على بلد مقابل 2 دولار من العقوبات"، مضيفًا: "حقًا، إنها منطقة شاسعة، قطعة أرض عظيمة بها الكثير من الناس، وقد دخل ببساطة."

في المجمع الرئاسي في كييف، عاد زيلينسكي إلى ما يجيده – التواصل. اتصل أولاً برئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون، أحد أقوى مؤيديه.

قال زيلينسكي لجونسون: "سنقاتل، بوريس. لن نستسلم."

اتصل زيلينسكي أيضًا بالرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، الذي كان منخرطًا بشكل مكثف مع بوتين في محاولة لإقناعه شخصيًا بعدم الغزو.

قال زيلينسكي: "من المهم جدًا، إيمانويل، أن تتحدث مع بوتين. نحن متأكدون أن القادة الأوروبيين وبايدن يمكنهم التواصل. إذا اتصلوا به وقالوا له توقف، فسيتوقف. سيسمع".

قال بايدن لسوليفان وجون فينر: "أريد التحدث مع الرئيس زيلينسكي". كان بايدن قلقًا جدًا بشأن سلامة زيلينسكي الشخصية.

قال بايدن لزيلينسكي: "ماذا يمكنني أن أفعل لك؟ كيف يمكنني أن أساعد؟"

قال زيلينسكي: "اجمع قادة العالم. اطلب منهم دعم أوكرانيا."

كان من الواضح لسوليفان وفينر، اللذين كانا يستمعان للمكالمة، أن زيلينسكي كان خائفًا. فقد اختفت لهجة زيلينسكي المعتادة التي يتحدث بها في المكالمات مع بايدن.

قال بايدن: "سنكون معكم دائمًا. يجب أن تخبرنا دائمًا بما تحتاجه." وعرض عليه مساعدة زيلينسكي في الخروج من البلاد وإنشاء حكومة أوكرانية مؤقتة في المنفى في بولندا.

رفض زيلينسكي. كان سيبقى. طلب زيلينسكي من بايدن فرض منطقة حظر طيران حول أوكرانيا. وقال إن أوكرانيا تتعرض لقصف جوي كثيف.

قال بايدن لا. فرض منطقة حظر طيران يتطلب من الطائرات الأميركية أو طائرات الناتو إسقاط الطائرات الروسية – وهو تصعيد مستحيل بالنسبة لبايدن.

قال زيلينسكي في نهاية المكالمة: "لا أعرف متى سأتمكن من التحدث إليك مرة أخرى."

بدا أن التعليق علق في الهواء.

قال بايدن مطمئنًا زيلينسكي: "إذا أردت التحدث إلي في أي وقت، سأكون هنا."

بعد بضع ساعات، حوالي الساعة 11:20 صباحًا، خاطب زيلينسكي شعبه عبر فيديو من كييف، قائلاً إن أي شخص يريد بندقية هجومية يمكنه الحصول عليها من مراكز التوزيع التي تم إعدادها في جميع أنحاء المدينة. انتشرت عبر وسائل التواصل الاجتماعي صور قوية تظهر الشعب الأوكراني وهو يلتقط البنادق، العديد منهم لأول مرة. ومع تقدم الألوية الروسية نحو كييف، نزل الأوكرانيون إلى الشوارع يصرخون في القوات الروسية التي تقترب "اذهبوا إلى الجحيم" وطلبوا منهم المغادرة. وقام آخرون بمساعدة الجيش الأوكراني في تحديد الأهداف الروسية.

في جزيرة الثعبان، وهي موقع أوكراني صغير على البحر الأسود، أمرت سفينتان حربيتان روسيتان حراس الحدود الأوكرانيين الـ13 المرابطين هناك بالاستسلام. فالتقط أحد الحراس جهاز الإرسال ورد قائلاً: "السفينة الحربية الروسية، اذهبوا إلى الجحيم." استولت روسيا على جزيرة الثعبان، لكن تحدي الأوكرانيين بث في وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم، وأصبح رمزًا للمقاومة الأوكرانية.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، انتشرت شائعات بأن زيلينسكي وفريقه قد فروا من أوكرانيا. لذلك قام زيلينسكي بتصوير فيديو لنفسه وهو يسير في قلب كييف مع فريق مستشاريه، بما في ذلك رئيس مكتبه أندري يرماك.

وقال زيلينسكي: "نحن جميعًا هنا، ندافع عن استقلالنا، دولتنا وستبقى كذلك. المجد لمدافعاتنا، المجد لأوكرانيا!"

وعند مشاهدته لذلك، قال رئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال مارك ميلي: "كان زيلينسكي ولا يزال سيد وسائل الإعلام."

كما أعجب مدير وكالة الاستخبارات المركزية بيرنز بقيادة زيلينسكي. "في تلك الـ 48 إلى 72 ساعة الأولى، بقي. تلقى أفضل ضربة يمكن أن توجهها روسيا. وما زال واقفًا، وأعتقد أنه جلب معه البلاد بأكملها."

في الساعات الأولى من الحرب، كما توقعت الاستخبارات الأمريكية، حاولت القوات الروسية السيطرة على مطار هوستوميل - وهو مطار بضائع كبير يقع على بعد أقل من 10 أميال من كييف. كانت الطائرة الأكبر في العالم، "مريا"، موجودة في هذا المطار.

كان للمطار قيمة استراتيجية هائلة بالنسبة للروس، الذين خططوا لاستخدامه كجسر جوي لهبوط طائرات النقل العسكري الضخمة من طراز Il-76 المحملة بالمركبات المدرعة والكتائب المحمولة جواً للسيطرة على كييف. وكان لدى الروس بالفعل العديد من طائرات Il-76 في الجو جاهزة للهبوط.

كان الخطأ التكتيكي الذي ارتكبه الأوكرانيون هو إرسال ألويتهم الأكثر استعدادًا للقتال إلى الشرق. لكن الهجوم على المطار لم يسر وفق الخطة الروسية. فقد حاصرت القوات الأوكرانية القوات الروسية داخل المطار قبل أن تتاح لهم فرصة جلب التعزيزات. كانت هذه أول معركة كبيرة في الحرب.

قاتلت القوات الأوكرانية بشراسة لدرجة أن روسيا لم تتمكن من إنزال طائراتها. وعلى الرغم من أن روسيا فازت في النهاية بالسيطرة على المطار، إلا أن الأوكرانيين ألحقوا به الكثير من الأضرار باستخدام القنابل والمدفعية، ولم يتمكن الروس من استخدامه لإعادة الإمداد.

وقال الجنرال فاليري زالوجني، المعروف باسم الجنرال الحديدي وقائد القوات المسلحة الأوكرانية: "النظرية العسكرية لا تأخذ بعين الاعتبار الرجال العاديين بملابس رياضية وبنادق صيد."

في الموجة الأولى، استولت القوات الروسية أيضًا على محطة الطاقة النووية في تشيرنوبل، لكنها ارتكبت مرة أخرى أخطاءً فادحة، حيث قادت الدبابات والمركبات المدرعة عبر "الغابة الحمراء"، وهي المنطقة الأكثر سمية. وذكر موظفو تشيرنوبل أن الروس قالوا إن استنشاق الغبار المشع بمثابة انتحار.

وكـان بـيرنز قـد رأى في الاسـتخبارات أن "رمح الغـزو الروسي سـيكون مباشرة جنوبًـا من بيلاروسـيا وسيسـتهدف أوكرانيـا، الـتي بـدون حركـة مـرور كبـيرة هي مسافة ساعتين ونصف بالسيارة. الهدف كان توجيه ضربة سريعة لكييف. كان الهدف هو قطع رأس النظام."

ومن المفاجآت الأخرى أن الطيارين الروس لم يحبوا الطـيران ليلاً، وهـو الـوقت الرئيسي للطيارين الأمريكيين. وفي النهار، كانوا يجعلون أنفسهم أهدافًا سهلة للنيران الأوكرانية. كما أن القوات الأوكرانية كانت تنفذ عمليـات أرضـية معقـدة باستخدام غطاء الظلام لدفع الروس إلى الخلف.

بحلـول اليـوم الخـامس من الغـزو، **28** فـبراير، تـوقفت قافلـة روسـية بطـول **40** ميلًا تضم **15** ألف جندي روسي، ودبابات، وشاحنات إمداد، وأسـلحة، ومدفعيـة في زحمة مرور هائلة - وهو خطأ تكتيكي روسي واضح.

وقال بيرنز: "لم يكن الأمر معقدًا ما فعله الأوكرانيون." "لقد اسـتهدفوا بشـكل منهجي المركبـات الأولى والأخـيرة في القافلـة، ثم ذهبـوا وراء كـل شـاحنات الوقود. وسرعان ما كانوا عالقين."

تـوقفت دبابـات روسـيا في الوحـل، وخـرج بعضـها بسـبب الوقـود، وبعضـها تم توجيهه بعيدًا عن كييف بعد أن قام الأوكرانيـون بتغيير علامـات الشـوارع. قـام قناص أوكراني بقتل جنرال روسي كبير عندما تقدم أمام المركبات المتوقفة.

كانت القافلة الروسـية قـد أحضرت الطعـام والمـاء لثلاثـة أيـام فقـط. وأظهـرت لقطـات فيـديو لـدبابات روسـية محترقـة ومركبـات أخـرى أن الجنـود قـد أحضروا معهم زي العرض العسكري، متوقعين احتفالاً بالنصر.

وقـالت السـفيرة الأوكرانيـة لـدى الولايـات المتحـدة، أوكسـانا ماركاروفـا، وهي تشـاهد العمـود القـادم من بيلاروسـيا متجهًـا نحـو مسـقط رأسـها فورزيـل: "اعتقـدوا أنهم سـيقودون بسـهولة من بيلاروسـيا إلى كـييف وكـانوا جميعًـا يستعدون للعرض."

"أصبحت كفاءة العملية العسكرية الروسية واضحة"، وفقًا لما رآه بيرنز وهو يشاهد الأحداث. "كان جزء من ذلك لأن دائرة صنع القرار كانت ضيقة جدًا لدرجة أن الجيش الروسي كان لديه مستويات أقل من الضباط العمي وكبار المسؤولين العسكريين الذين كانوا يحاولون اللحاق بالأحداث وهم في خضمها."

"لم يكن لدى قادة الوحدات فهم واضح لأهدافهم"، قال بيرنز. "كانت لوجستياتهم وقيادتهم العامة في حالة فوضى."

كان الجيش الروسي، على عكس الجيش الأمريكي، يعتمد بشدة على نظام القيادة من الأعلى إلى الأسفل. كانت هناك مبادرات قليلة في مستويات الضباط الأدنى. لذلك كانت القوات الروسية تنتظر الأوامر من القيادة العليا، بدلاً من التكيف والارتجال.

وتوقع بيرنز أن يقوم الجيش الروسي بالخطوة الواضحة وفقًا للعقيدة العسكرية.

وقال: "كنا نتوقع منهم أن يفعلوا بالضبط ما كان سيفعله الجيش الأمريكي، وهو قضاء الـ24 ساعة الأولى في تعطيل نظام القيادة والتحكم وتعطيل نظام الدفاع الجوي. لم يفعلوا ذلك."

استشار مدير وكالة الاستخبارات المركزية محللي استخباراته. لماذا لم تفعل روسيا ما هو واضح؟ كان جزء من السبب هو الغطرسة. "لقد كانوا مقتنعين جدًا بأن الأوكرانيين سيتراجعون ببساطة. فلماذا تدمير كل هذه الأنظمة ثم الاضطرار إلى إعادة بنائها لاحقًا؟"

استمرت معركة كييف أقل من خمسة أسابيع. وأعلنت وزارة الدفاع الروسية - وليس بوتين- أنها ستسحب القوات الروسية من العاصمة. وشارك في الحملة الفاشلة على كييف ما لا يقل عن 35 ألف جندي روسي. ووفقًا لحسابات الناتو، قُتل ما لا يقل عن 10 آلاف جندي روسي.

أجبر الأوكرانيون ثاني أقوى جيش في العالم على التراجع، مما دمر صورة روسيا كقوة قتالية شديدة الكفاءة.

في البنتاغون، كان وزير الدفاع أوستن يقيم باستمرار ساحة المعركة في أوكرانيا.

وقال أوستن لمستشاريه المقربين عن بوتين: "لا أعتقد أنه اتخذ القرار النهائي [بالغزو] حتى وقت متأخر جدًا."

قال أوستن"الجنود يقومون في القتال بالضبط بما تم تدريبهم على القيام به، وإذا كانوا يؤمنون بقادتهم، وإذا كانوا يثقون بهم، فسوف يتجاوزون كل التوقعات. إذا لم يفعلوا ذلك، سيكون من الصعب تحقيق الأهداف".

عندما تراجعت القوات الروسية عن معركة كييف، تركت وراءها أدلة على جرائم حرب مروعة. اكتشفت مقابر جماعية لمئات المدنيين، وجثث مشوهة نتيجة التعذيب، وأشخاص آخرين تعرضوا للعنف الجنسي.

وأظهرت الاستخبارات الأمريكية أن روسيا كانت تخطط لإنشاء معسكرات اعتقال في المدن والبلدات الأوكرانية التي احتلتها لتصفية المدنيين الذين لم يخضعوا للحكم الروسي.

داخل مجلس الأمن القومي، تأمل سوليفان وفاينر وفريقهم في كل ما حدث حتى الآن.

وقال أليكس بيك، مدير التخطيط الاستراتيجي في مجلس الأمن القومي: "لقد أصبنا شيئًا واحدًا تمامًا وهو ما كانوا سيفعلونه، وأين سيفعلونه، ومتى سيفعلونه."

"كل شيء آخر أخطأنا فيه"، قال. "لقد قللنا بشكل كبير من تقدير استجابة أوروبا."

لأشهر شعروا وكأنهم يجـرون شركاءهم الأوروبـيين مثـل زلاجـة ثقيلـة فـوق تـل شديد الانحدار. ولكن بعد غزو روسيا ، تحرك الأوروبيون بسرعة وحسم.

وخلص بيـك إلى القـول: «لقـد قللنـا من شـأن عـزم الأوكرانـيين بشـكل سيء وبالغنا في تقدير الجيش الروسي».

وقال: "كل هذه الأشياء الثلاثة انهارت لصالحنا".

"لقـد نفـذنا أفضـل اسـتراتيجية ممكنـة يمكن أن تكـون لـدينا" ، قـال جـون فينر. "لكنك تنظر إلى النتيجة ومن الصعب أن تشعر بالرضا عنها. لا تزال حربا مروعة".

ثمانية وعشرون

ستيف بانون، الاستراتيجي اليميني المتطرف ذو الشعر الرمادي الطويل والمستشار القديم لترامب، كان يشاهد ما يحدث بين روسيا وأوكرانيا بشغف.

قال بانون في برنامجه الإذاعي "غرفة الحرب": "بوتين ليس مستيقظاً". "هذا سيكون على الطريقة القديمة بأسلوب العصابات الأصلية".

وأضاف بانون قائلاً: "أوكرانيا هي نوع من المفاهيم. إنها ليست حتى دولة".

بمجرد أن غزت روسيا، دعا بانون إلى عزل بايدن، مدعيًا أن الرئيس كان أكثر اهتمامًا بحماية حدود أوكرانيا من اهتمامه بالحدود الجنوبية للولايات المتحدة. "سيتم عزله. نحن نعزله!"

قال بانون متهكماً: "هل هانتر بايدن هناك مع شركائه في العمل؟ هل يجلس هناك مع العلم الأوكراني؟ أين هانتر؟ هل هو في معرضه الفني؟ هل هو مع المزيد من الراقصات؟ هل يدخن المزيد من الكوكايين؟"

مقدم برنامج فوكس نيوز تاكر كارلسون كان أيضاً يؤجج الحروب الثقافية ويطلب من الأمريكيين إعادة التفكير في أي انتقاد لبوتين. ووصف محاولة الزعيم الروسي الوحشية لغزو الأراضي بأنها مجرد "نزاع حدودي" مع أوكرانيا. وقال للمشاهدين: "لماذا أكره بوتين كثيراً؟ هل سبق لبوتين أن وصفني بالعنصري؟ هل هدد بطردي لمخالفته الرأي؟ هل يحاول القضاء على المسيحية؟"

تسعة وعشرون

"ذلك اللعين بـوتين"، قال الـرئيس بايـدن بغضـب لمستشـاريه في خصوصـية المكتب البيضـاوي. كـان غاضـبًا جـدًا بشـأن الـرئيس الروسي. "هـل يمكنـك أن تتخيل لو لم نفعل ما فعلناه؟ من أجل المسيح!" صرخ.

قال بايدن"أعني أنه كان سيهاجم إستونيا، كان سيهاجم دول البلطيق. إنه أكثر إنسان تفاجأ على وجـه الأرض بسـبب المقاومـة الـتي يواجهها الآن. إنـه يقاتـل من أجل البقاء".

كـان بايـدن يشـعر بالاشـمئزاز من التقـارير والصـور الـتي كـان يراهـا يوميًـا لمحاولات روسيا "التهام أوكرانيا".

قال بايدن بشبه حماس ديني"بـوتين شرير. نحن نتعامـل مـع التجسـيد الفعلي للشر".

قال بايدن إن بوتين كان يسيطر عليه شـغفه بـأن يُـرى ويُـذكر في تـاريخ روسـيا كقائد لقـوة عظيمـة، كـزعيم عـالمي يسـاوي في المكانـة الـرئيس الصـيني شي جين بينغ ورئيس الولايات المتحدة.

إنها "خيال"، قال بايدن. "علينا إيقافه."

كان بايدن مقتنعًا بأن بوتين لن يتوقف عند أوكرانيـا. كـانت الحـرب في أوكرانيا الآن معركة من أجل الحرية وحرية الدول المحبة للحرية في كل مكان.

أظهـرت روسـيا عـدم كفـاءة مدهشـة في السـاعات والأيـام الأولى من الحـرب، ممـا أظهـر زيـف الأسـطورة القائلـة بـأن الجيش الروسي هـو قـوة قتـال رهيبـة وقادرة تمامًا.

قــاتلت أوكرانيــا معركــة بين داود وجــالوت وأوقفت روســيا على عكس كــل التوقعات. لكن تقارير الاستخبارات الأمريكية الـتي وصـلت إلى بايـدن أظهـرت أن بوتين كان يعتقد أن الوقت وحجم الجيش الروسي كانا لصالحه.

قال الرئيس بايدن إنه يريـد التأكـد من أن غـزو بـوتين سـيكون فشـلًا اسـتراتيجيًا ضخمًا لروسيا. أراد توجيه ضربة واضحة ولا لبس فيها لبوتين.

استدعى الرئيس مستشاريه في مجال الأمن القومي المتخصصين في روسيا وأوكرانيـا إلى مقـر الـبيت الأبيض في وقت متـأخر من إحـدى الليـالي لبحث الأفكار.

أشار سوليفان وفاينر، اللذان قادا النقاش، إلى أن بوتين غزا، جزئيًا على الأقل، لمنع دولة واحدة، أوكرانيا، من الانضمام إلى الناتو ولردع الآخرين عن الطموح في الانضـمام من خلال إظهـار التحـالف على أنـه متفكـك وضـعيف ومنقسـم وهش.

ماذا لو أضافوا المزيد من الدول إلى تحالف النـاتو، وهـو عكس مـا كـان يريـده بوتين بالضبط؟ سيكون هـذا ضربة اسـتراتيجية هائلـة لبـوتين وبيانًـا عامًا قويًا عن وحدة الناتو إذا تم القيام به بشكل صحيح.

كانت فنلندا والسـويد قـد حافظتـا تاريخيًا على الحيـاد العسـكري كجـزء أساسي من سياساتهما الخارجية، لكن غزو روسيا قد زعزع استقرارهما بوضوح.

أظهرت استطلاعات الرأي العامـة في فنلنـدا والسـويد، حسـبما أشـار فـاينر، أن غـزو روسـيا لأوكرانيـا قـد دفـع إلى اهتمـام جديـد بالانضـمام إلى النـاتو. أعلنت فنلندا استقلالها عن روسيا في عام 1917 وتشارك حدودًا بطول 832 ميلًا مـع روسيا. ماذا لو انضمت فنلندا إلى الناتو؟

قبل الغزو، أشارت الاستطلاعات إلى أن حوالي 25 في المئـة فقـط من سـكان فنلنـدا يفضـلون الانضـمام إلى النـاتو. أمـا الآن فقـد أظهـرت الاسـتطلاعات الجديدة دعمًا مذهلًا بنسـبة 76 في المئـة من الفنلنـديين. ولأول مـرة، سـجلت

السويد دعمًا بنسبة 51 في المئة من السويديين للانضمام إلى الناتو، ارتفاعًا من 42 في المئة في يناير قبل الغزو. هذه تغييرات سياسية لا بد أن يأخذها السياسيون على محمل الجد، حسبما قال فاينر.

بالنسبة للفنلنديين على وجه الخصوص، كانت معركة الأوكرانيين مألوفة بشكل مخيف. غزت روسيا فنلندا في عام 1939 خلال الحرب العالمية الثانية. على الرغم من تفوقهم العددي الهائل، قاتل الفنلنديون ضد الاحتلال السوفييتي فيما عرف لاحقًا بحرب الشتاء، لكنهم فقدوا جزءًا بنسبة 10 في المئة من مقاطعتهم الشرقية، كاريليا، التي لا تزال حتى اليوم جزءًا من روسيا.

رأى بايدن فرصة. كانت الدولتان الشماليتان ديمقراطيتين قويتين تتمتعان باقتصادات متطورة وجيوش منظمة. تمتلك فنلندا قوة عسكرية في زمن الحرب تبلغ 280,000 فرد. أما السويد، فقوتها أصغر بكثير حيث تبلغ حوالي 46,000 فرد، ولكن استثماراتها في الجيش زادت بعد أن غزا بوتين القرم في عام 2014.

إذا انضمت فنلندا إلى الناتو، فسوف تضاعف فعليًا حدود الناتو التي تواجه موسكو وستمنح الحلف هيمنة استراتيجية في بحر البلطيق، حيث تمتلك السويد أيضًا حدودًا بحرية مع روسيا.

قال فاينر"إنه بمثابة توجيه الإصبع الأوسط إلى روسيا".

أماندا سلوت، مديرة الشؤون الأوروبية في مجلس الأمن القومي، دفعت بايدن للقاء الرئيس الفنلندي ساولي نينيستو للحصول على وجهة نظره حول بوتين.

"الفنلنديون يراقبون بوتين عن كثب أكثر من أي شخص آخر تقريبًا في أوروبا"، قالت سلوت. "نينيستو مراقب قديم لروسيا." وتحدث نينيستو إلى بوتين في مناسبات عديدة. "أعني، دولهم لديها خلافات حول صيد الأسماك وأشياء أخرى عليهم تسويتها"، أضافت سلوت.

قال بايدن: دعونا نستكشف هذا ونرى ما هو الممكن.

في 4 مارس، بعد عشرة أيام من غزو بوتين، التقى الرئيس بايدن بالرئيس الفنلندي نينيستو في البيت الأبيض للحديث عن طريق فنلندا إلى الناتو.

قال نينيستو إنه كان يعرف بوتين لفترة طويلة. كان يلعب الهوكي معه أحيانًا، لكن بوتين لم يخسر أبدًا.

قال بايدن: "أي شيء تحتاجه منا لتسهيل هذا عليك، أخبرنا."

قال نينيستو إنه كان قلقًا بشأن الفجوة الزمنية بين إعلان فنلندا نيتها الانضمام إلى الناتو وبين قبولها فعليًا في التحالف وحصولها على حماية المادة الخامسة. كانت الفجوة طويلة جدًا وغير مؤكدة، مما قد يتركهم عرضة للخطر. قد يستغل بوتين هذا الوقت ويحاول إجبار فنلندا على التراجع عن قرارها. لم يرغب نينيستو في أن تكون فنلندا أوكرانيا القادمة.

قال بايدن لسوليفان وفاينر أن يبحثا عن خيارات لإدارة المخاطر خلال تلك الفترة. هل يمكنهم زيادة وتيرة التدريبات المشتركة مع فنلندا والسويد؟ ما هي الرسائل التوضيحية القوية التي يمكنهم إرسالها لردع روسيا من محاولة أي شيء؟ ما هي الضمانات الأمنية التي يمكن تقديمها؟

"ليس هناك الكثير مما يمكن أن تفعله روسيا"، قال فاينر لسوليفان. "ربما 50 أو 60 في المئة من قدرة روسيا القتالية والتسليحية موجهة جنوبًا نحو أوكرانيا. آخر شيء يمكن أن تتحمله روسيا بالفعل هو جبهة جديدة من نوع ما."

حذر دميتري ميدفيديف، نائب رئيس مجلس الأمن الروسي، من أنه إذا انضمت السويد وفنلندا إلى الناتو، فإن روسيا ستنشر أسلحة نووية وصواريخ أسرع من الصوت في كالينينغراد، وهو جيب روسي محصور بين بولندا وليتوانيا.

قال ميدفيديف: "لا يمكن الحديث بعد الآن عن أي وضع خالٍ من الأسلحة النووية في البلطيق. يجب إعادة التوازن."

في أوائل مايو، أكدت السويد علنًا أنها تلقت ضمانات أمنية من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بالإضافة إلى دول أخرى في الناتو.

قالت وزيرة الخارجية السويدية آن ليندي على التلفزيون السويدي بعد اجتماعها مع بلينكن في واشنطن: "روسيا تعلم جيدًا أنه إذا وجهوا أي نوع من الأنشطة السلبية ضد السويد، التي هددوا بها، فلن يكون ذلك شيئًا ستسمح الولايات المتحدة بحدوثه... دون رد."

وأصدرت دول الناتو النرويج والدنمارك وأيسلندا بيانًا مشتركًا تعهدت فيه بتقديم الدعم في حال حدوث انتقام روسي. "إذا تعرضت فنلندا أو السويد لعدوان على أراضيها قبل الحصول على عضوية الناتو، فسوف نساعد فنلندا والسويد بكل الوسائل اللازمة."

كان رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون أكثر علانية في عرضه لضمانات الأمن، حيث سافر إلى كل من السويد وفنلندا لتوقيع اتفاقيات أمنية متبادلة تنص على أنه إذا واجهت أي من الدولتين هجومًا أو كارثة، فسوف يساعدان بعضهما البعض بطرق متنوعة، والتي قد تشمل الوسائل العسكرية.

وفي مؤتمر صحفي عُقد في القصر الرئاسي في هلسنكي بعد التوقيع، سُئل نينيستو عن الانتقام الروسي إذا انضمت فنلندا إلى الناتو.

قال نينيستو موجهًا رده إلى بوتين، صديقه القديم: "إذا كان هذا هو الحال، فإن ردي سيكون: أنت من تسبب في ذلك. انظر إلى المرآة."

عندما أعلن رئيس فنلندا نينيستو ورئيسة الوزراء سانا مارين في 12 مايو أن فنلندا ستسعى رسميًا للانضمام إلى الناتو، اتهم الكرملين فنلندا على الفور بتحويل أراضيها إلى خط مواجهة عسكري جديد مع روسيا.

وحذرت وزارة الخارجية الروسية: "ستضطر روسيا إلى اتخاذ خطوات انتقامية، سواء كانت ذات طبيعة عسكرية أو فنية أو غير ذلك، لوقف التهديدات لأمنها

القـومي." وأضـافت: "يجب على هلسـنكي أن تـدرك المسـؤولية والعـواقب لمثل هذه الخطوة."

بعـد يـومين، اتصـل نينيسـتو ببـوتين وأبلغـه الخـبر مباشرة: فنلنـدا تنضـم إلى الناتو. كان بوتين هادئًا، مفاجئًا بفتور اعتراضه.

قال بوتين إنه كان خطأً، حسبما أفاد نينيستو، أن فنلندا لم تكن تحت أي تهديد.

وبعد ذلك بوقت قصير، أعلنت السويد علنًا نيتها الانضـمام إلى النـاتو، منهيـة بذلك سياسة عدم الانحياز العسكري التي استمرت 73 عامًا.

في نفس اليوم، أطلـق النـاتو واحـدة من أكـبر تدريباتـه العسـكرية في منطقـة البلطيق، حيث شارك حوالي 15,000 جندي من 10 دول، بمـا في ذلـك 8 دول من الناتو والسويد وفنلندا. جرت التدريبات، التي أُطلق عليهـا اسـم "القنفـذ"، في إستونيا على بعد 40 ميلًا فقط من أقرب قاعدة عسـكرية روسـية، وحـاكت هجومًا روسيًا على تلك الدولة، مما أرسل رسالة قوية إلى بوتين.

وفي الوقت نفسه، انطلقت التدريبات العسكرية للناتو في جميع أنحاء أوروبـا من الشـمال إلى البلقـان، حيث شـارك 18,000 جنـدي في بولنـدا، وتـدريبات مروحيـات في مقـدونيا الشـمالية، و3,000 جنـدي من الحلفـاء و1,000 مركبـة، بما في ذلك دبابات ليوبارد 2 الألمانية، في ليتوانيا.

كانت الرسالة إلى بوتين واضحة.

في 4 أبريل 2023، أصبحت فنلندا رسـميًا عضـوًا في النـاتو مـع حمايـة المـادة الخامسة، مضيفةً 832 ميلًا إلى حدود روسيا مـع النـاتو. كـان ذلـك تحـولًا كبـيرًا في سياسة فنلندا الخارجية والأمنية.

في البداية، عرقلت تركيا والمجر انضمام السويد إلى النـاتو، لكن في 7 مـارس 2024، أصبحت السويد أخيرًا عضوًا كاملًا.

ثلاثون

في أحد عطلات نهاية الأسبوع بعد الغزو، كان السيناتور الجمهوري ليندسي غراهام من ساوث كارولينا في مارالاغو للعب الجولف وتناول العشاء مع ترامب.

قال غراهام: "الذهاب إلى مارالاغو يشبه إلى حد ما الذهاب إلى كوريا الشمالية". "الجميع يقف ويصفق في كل مرة يدخل فيها ترامب”.

"لذلك أدخل خلفه وأحصل على تصفيق وقوف!" قال غراهام. افترض أن التصفيق كان بسبب تعليقاته عن بوتين. قال: "لقد كنت أقول تخلصوا من بوتين. إذا كان يجب عليكم قتله، اقتلوه".

في مقابلة في 4 مارس على قناة فوكس نيوز، أعلن غراهام أن الروس يجب أن يغتالوا الرئيس بوتين. وتابع ذلك بمنشور على وسائل التواصل الاجتماعي: "الطريقة الوحيدة لإنهاء هذا هي أن يقوم شخص ما في روسيا بالتخلص من هذا الرجل. ستقدمون خدمة عظيمة لبلدكم - وللعالم"، قال غراهام.

أثارت تعليقاته ضجة قصيرة.

وكانت السكرتيرة الصحفية للبيت الأبيض، جين بساكي، سريعة في توضيح أن هذا "ليس موقف حكومة الولايات المتحدة".

ورد المتحدث باسم الكرملين، ديمتري بيسكوف، متهما غراهام بالجنون. قال بيسكوف: "للأسف، في مثل هذا الجو المتوتر للغاية، هناك تصعيد هيستيري لرهاب الروس. في هذه الأيام، لا يتمكن الجميع من الحفاظ على الرصانة، بل أقول حتى العقلانية، وكثيرون يفقدون عقولهم".

قلل غراهام من شأن تعليقاته للآخرين في مارالاغو.

قـال غراهـام: "لا أعتقـد أن الأمـر مثـيرًا". "هـل يشـك أحـد في أنهم كـانوا سيكونون أفضل حالًا إذا تخلص الألمان من هتلر؟"

خلال العشـاء في ذلـك المسـاء، تحـدث تـرامب وغراهـام عن تهديـد بـوتين باستخدام الأسلحة النووية في أوكرانيا.

قال ترامب: "لا يمكننا السماح له بـالإفلات من ذلـك". "لـدينا جيش أكـبر. لـدينا غواصات قاتلة. كنت سأرسل غواصات تتجول على طـول سـاحل روسـيا قائلـةً إننا نراقبك.

"لمـاذا لا نسـتطيع التـدخل؟" سـأل تـرامب غراهـام. "لمـاذا نـترك الطـائرات تحلـق؟" أدرك غراهـام أن تـرامب كـان يتسـاءل عن سـبب عـدم قيـام الولايـات المتحدة بإنشاء منطقة حظر طيران لمنع الطائرات الروسية من دخول المجـال الجوي الأوكراني.

كان زيلينسكي يتوسل إلى بايدن لإغلاق السماء. وقد رفض بايـدن ذلـك مـرارًا. لم يكن يريد موقفًا حيث تضطر القوات الأمريكية أو قـوات النـاتو إلى إسـقاط الطـائرات الروسـية. يمكن أن يتصـاعد ذلـك بسرعة كبـيرة إلى الحـرب العالميـة الثالثة.

قال غراهام: "كان الجميع يعتقدون أن الروس سيمرون عبر أوكرانيا في حوالي أسـبوع، وسـيقومون بعقـد صـفقة سـلام، وسـتنتهي المسـألة". "حسـنًا، الأوكرانيون يقاتلون مثل النمور. لقد أصبح زيلينسكي تشرشل زمانـه، والـروس في ورطــة كبــيرة. في الواقــع، يمكنهم أن يخسروا هــذا. يمكنهم بالفعــل أن يخسروا هذه المعركة العسكرية إذا تمكنا من تحسين الوضع في الجو."

في صباح اليوم التالي، لعب غراهام تسع حفـر من الجولـف مـع تـرامب، الـذي كــان يلعب الجولــف الآن خمس مــرات في الأســبوع. اقــترب بعض حــاملي العصي وطلبوا صورة. ليس مع ترامب، بل مع غراهام.

مازح غراهام ترامب قائلاً: "حاملو العصي يريدون التخلص من بوتين أيضًا." لكن الرئيس السابق لم يكن ينتبه بعد الآن. لقد كان مهووسًا بحاملي العصي، وكأنه أدرك فجأة أن الموقف الصارم ضد بوتين كان شعبيًا.

في 5 مارس، خلال حفل لجمع التبرعات في نيو أورليانز مع كبار المانحين الجمهوريين، اقترح ترامب أن على الولايات المتحدة وضع علم الصين على طائرات F-22 الخاصة بها ثم "تقصف روسيا بشدة".

قال وهو يكاد يشعر بالبهجة: "ثم نقول، الصين فعلت ذلك، نحن لم نفعل ذلك، الصين فعلت ذلك، ثم يبدأون في القتال مع بعضهم البعض ونحن نجلس ونشاهد."

ضحك الجمهور.

واحد وثلاثون

في بولندا، وسط صناديق ضخمة من المساعدات الإنسانية لأوكرانيا، سُئل وزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن عن أهداف أمريكا في الحرب.

قال أوستن: "نريد أن نرى روسيا ضعيفة إلى الحد الذي لا يمكنها معه القيام بالأشياء التي قامت بها في غزو أوكرانيا"، مضيفًا أن روسيا "قد فقدت بالفعل الكثير من قدراتها العسكرية والكثير من جنودها، بصراحة".

كان هذا إشارة إلى أن أهداف أمريكا قد تغيرت من مجرد مساعدة أوكرانيا في الدفاع عن نفسها. أراد بايدن الآن أن يحد بشكل حاسم من قدرة روسيا على تهديد أوروبا.

بعد ذلك بيومين، في 26 أبريل، عقد أوستن اجتماعًا لمجموعة الاتصال الدفاعية الخاصة بأوكرانيا في قاعدة رامشتاين الجوية في ألمانيا. ناقش وزراء الدفاع من 40 دولة نوع المساعدات، التدريب، والنصائح التي ينبغي تقديمها لأوكرانيا. كيف يجب أن يكون دور الناتو في هذه المسألة؟

كان وزير الدفاع الأوكراني أوليكسي ريزنيكوف متحمسًا بعد الاجتماع وأبلغ زيلينسكي بحدوث "تحول فلسفي كبير" في نهج الناتو تجاه أوكرانيا. لم يكن موضوع عضوية الناتو مطروحًا، لكن الحلف التزم بتزويد الجيش الأوكراني بأسلحة الناتو، وتدريبه، وتقديم المعلومات الاستخباراتية وكأنهم فريق واحد.

من خلال غزو أوكرانيا، سرّع بوتين بشكل كبير بالضبط ما كان يخشاه. ستصبح أوكرانيا قوة قتالية عالية الكفاءة بمعايير الناتو، مدعومة بأقوى تحالف عسكري في العالم.

اثنان وثلاثون

في إحدى الأمسيات في ذلك الربيع، كان بايدن يتناول العشاء مع صديق له في البيت الأبيض عندما دخل هنتر بايدن، سحب كرسيًا وجلس إلى الطاولة. كانت السيدة الأولى جيل بايدن خارج المدينة.

قاطع هنتر المحادثة وبدأ يتحدث عن سبب كونه الشخص الأكثر تأثرًا بنتائج انتخابات التجديد النصفي.

إذا فاز الجمهوريون بالسيطرة على مجلسي النواب والشيوخ، فإنهم سيستمرون في محاولة التحقيق في كل شيء يخصه.

بدأ هنتر يتحدث بشكل عشوائي عن أزمته الشخصية.

تراجع الرئيس بايدن إلى الوراء في كرسيه، وأغلق عينيه وأطلق تنهيدة. كان أشبه بحالة شبه غيبوبة استمرت لفترة من الوقت.

قال صديقه لاحقًا: "لا يمكن لأي منا أن يقيس فعلاً العبء الذي يمثله هنتر عليه".

بعد العشاء، أخذ بايدن صديقه في جولة في مقر إقامة البيت الأبيض.

قال بايدن وهو يسير إلى غرفة نوم في الجزء الخلفي من المقر: "أريد أن أريك المكان الذي ينام فيه أحفادي عندما يأتون إلى البيت الأبيض".

على الطاولة كانت مجموعة من الصور المؤطرة التي تعرض أفراد عائلة بايدن في أعمار مختلفة ومن مسارات حياتية متنوعة، يبتسمون ويحتضنون بعضهم. في نهاية الطاولة كانت هناك صورة لشاب يرتدي بدلة وربطة عنق.

رفع بايدن الصورة وأراها لصديقه.

قال بايدن: "هذا والدي، كان رجلاً رائعًا".

دخل في وضعه المعتاد لسرد القصص. "ذات مرة عندما كنت صغيرًا كنت على وشك الخروج في المساء، فقال لي والدي، جوي، لا تخرج. سأصطحبك إلى مدينة نيويورك إلى مطعم فاخر. سأريك كيف تتعامل مع رئيس الطهاة".

أدرك الصديق أن والد بايدن ربما لم يكن لديه أي فكرة عن كيفية التعامل مع رئيس الطهاة، لكنه ربما اعتقد أن من المهم أن يتعلم ابنه.

أخرج الرئيس محفظته وسحب صورة.

قال بايدن وهو يبدأ في البكاء: "هذه ابنتي". كانت صورة لنعومي بايدن، التي قُتلت في حادث سيارة مع زوجته الأولى نيليا هانتر بايدن في عام 1972. كانت نيليا قد خرجت للتسوق لشجرة عيد الميلاد مع أطفالهم الثلاثة قبل الحادث. نجا ولداهم هنتر وبيو. تم أداء القسم لبايدن كعضو في مجلس الشيوخ في الشهر التالي.

كان الأمر وكأن بايدن في حالة عاطفية وهو يلتقط ويضع الصور التي ربما رآها ألف مرة. كان هناك شيء عادي ومألوف بشأنه، كما فكر الصديق. استمر بايدن في الحديث عن الماضي وعائلته وكأنها قصة قبل النوم التي تبعث على الراحة. لما الوجع

ثلاثة وثلاثون

في إحدى الأمسيات الربيعية في نادي ترامب للغولف في بدمينستر، خارج مدينة نيويورك، حثّ السيناتور ليندسي غراهام ترامب على الترشح للرئاسة مرة أخرى. كان معهما جاي كلايتون، رئيس هيئة الأوراق المالية والبورصات في عهد ترامب.

قال ترامب لهما: "سأفعلها". لم يكن بحاجة إلى أن يُطلب منه الترشح، بل كان سيقفز إلى السباق عندما يريد.

وأضاف ترامب أنه "جاهز بنسبة 90%". كان الأمر أيضًا قرارًا تجاريًا بالنسبة له، حيث كان عليه التفكير في موارده المالية ومنازله. ما الذي يمكنه فعله كمرشح مقابل عدم كونه مرشحًا؟

قال غراهام له: "إذا قارنت ما فعلته كرئيس بما يفعلونه الآن، لديك فرصة جيدة للفوز. إذا سألت الحزب الجمهوري: هل تعتقد أن ترامب يجب أن يترشح مرة أخرى أم حان الوقت لشخص جديد؟ الجواب سيكون 60-40 الآن".

وأضاف غراهام: "إذا ترشحت وفزت، فلن تكون أحداث السادس من يناير هي نهايتك. إذا لم تترشح، فسيمضي الزمن. المرشح الجمهوري القادم سيحاول أن يكون مختلفًا عنك شخصيًا: أنا أحب سياسات ترامب، لكنني لا أحب ترامب".

"إذا ترشحت وفزت، فسيكون ذلك أكبر عودة في تاريخ السياسة الأمريكية"، قال غراهام. "سيكون لديك أربع سنوات لإعادة كتابة إرثك وجعل الترامبية حركة أكثر استدامة. ستصبح شيئًا يمكنك تمريره إلى الجيل القادم."

ترامب بدا مهتمًا بكلام غراهام. بعد لحظة، سأل ترامب: "ماذا يعني ذلك؟"

قال غراهام: "الفرص الثانية نادرة في السياسة، سيدي الرئيس. إذا حصلت على فرصة ثانية، استخدمها."

أراد غراهام أن يفكر ترامب بشكل كبير. قال له: "اجمع البلاد على قضايا مثل الهجرة، إصلاح الاستحقاقات، والطاقة."

لكن ترامب أراد أن يستمر في الحديث عن نتائج انتخابات 2020، والتي لم يقبل حتى الآن أنه خسرها.

قال غراهام: "سيدي الرئيس، 20% من الناس الذين يريدون الاستمرار في الحديث عن 2020 لن يجعلك تُنتخب."

ترامب لم يقتنع.

"الجمهوريون مستعدون للمضي قدمًا من 2020، أعدك بذلك"، قال غراهام. عندما يذهب ترامب إلى الفراش كل ليلة، هل كان حقًا يعتقد أن الانتخابات قد سُرقت؟ لم يكن غراهام متأكدًا. لكن تلك كانت الرواية التي لن يتخلى عنها ترامب أبدًا.

قال غراهام: "يريدونك أن تترشح مرة أخرى. يعتقدون أنك كنت رئيسًا جيدًا. لكن إذا اعتقدوا أنك لا تستطيع الفوز، فسوف يتخلون عنك".

وأضاف: "الفوز هو الأهم للجمهوريين في الوقت الحالي."

من خلال محادثاته مع زملائه، كان غراهام يعتقد أن لديه قراءة دقيقة للحزب الجمهوري. "هناك 50% من الناس سيتبعون ترامب إلى الهاوية في الانتخابات التمهيدية للجمهوريين. هناك 20% سيدفعونه إلى الهاوية. و30% ينتظرون الرياح."

قال غراهام: "عليك أن تقنعهم بأنك تستطيع الفوز، والفوز يعني 2024 وليس 2020."

ربما كان ترامب قد فقد انتباهه منذ فترة طويلة.

بعد بضعة أيام، اتصل غراهام بترامب ليخبره أن الحكومة الإسرائيلية قد حُلّت. قال له: "لابيد سيكون رئيس الوزراء الجديد. سيجرون انتخابات في أكتوبر وهناك احتمال بنسبة 40% أن يعود بنيامين نتنياهو."

كان ذلك سيكون خامس انتخابات في إسرائيل خلال ثلاث سنوات. كان ترامب لا يزال غاضبًا من أن نتنياهو اتصل لتهنئة بايدن على فوزه في انتخابات 2020.

قال غراهام: "ربما سيحاول نتنياهو الاتصال بك ليطلب منك دعمه. فقط ابتعد عن كل ذلك. لا تحتاج إلى أن تشارك."

قال ترامب: "ألقيت خطابًا اليوم ولم أذكر انتخابات 2020 إلا مرتين!" وكأنه كان يظهر أقصى درجات ضبط النفس.

في مايو، مرر الكونغرس حزمة مساعدات طارئة لأوكرانيا بقيمة 40 مليار دولار تضمنت 19 مليار دولار في تمويل عسكري. اتهم العديد من الجمهوريين، بمن فيهم ليندسي غراهام، إدارة بايدن والبنتاغون "بالمماطلة" في تقديم المساعدة العسكرية.

كانت روسيا قد خسرت 30 ألف جندي. لكن الأوكرانيين كانوا بحاجة ماسة إلى المزيد من الأسلحة لمواجهة التدفق المستمر للجنود الروس.

قال غراهام: "إنهم في معركة مدفعية وهم متفوقون علينا بعشرة إلى واحد! إذا ضعفوا، سيُسحقون".

"عادة ما تربح الحروب عندما ينفد لدى العدو الناس، الأموال، والأسلحة"، قال غراهام. "إذاً من الذي سينفد منه الناس، الأموال والأسلحة أولاً؟"

كان غراهام يعتقد أن الجواب هو أوكرانيا بالطبع.

قال غراهـام: "إذا تمكنـا من اجتيـاز الأشـهر الخمسـة أو السـتة المقبلـة وإذا بـدأ الأوروبيـون في الابتعـاد عن الغـاز والنفـط الروسـيين، فـإن بـوتين سـيكون في ورطة كبيرة. لأن هذا هو الشيء الوحيد الذي يبقيه على قيد الحياة."

"طالما أننا نواصل تدفق الأسلحة ودعم الاقتصاد، هذه حـرب اسـتنزاف، أليس كذلك؟"

بينمـــا دعمت غالبيـــة الجمهـــوريين في مجلس النـــواب مشروع قـــانون المسـاعدات، حيث مـرر بأغلبيـة **378** مقابـل **57**، انتقـد تـرامب الـديمقراطيين لإرسالهم مليارات إلى أوكرانيا.

قال ترامب: "الـديمقراطيون يرسـلون **40** مليـار دولار أخـرى إلى أوكرانيـا، بينمـا يعاني الآباء الأمريكيون حتى من إطعـام أطفـالهم"، مـدعيًا أن "لا أحـد يتحـدث عن" نقص حليب الأطفال في الولايات المتحدة.

قـال زعيم الجمهـوريين في مجلس الشـيوخ، ميتش مكونيـل: "لقـد كـان هنـاك دائمًا أصوات انعزالية في الحزب الجمهوري،" مضيفًا: "لن تكون مشكلة."

اربعة وثلاثون

في أواخر يونيو 2022، جلس وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن بجانب المستشار الألماني أولاف شولتس في البار في "شلوس إلماو"، منتجع جميل وقصر فاخر يقع في جبال الألب البافارية. كانوا يسترخون بعد يوم كامل من اجتماعات مجموعة السبع. مجموعة السبع هي تجمع غير رسمي وذو نفوذ يضم الديمقراطيات المتقدمة: الولايات المتحدة، فرنسا، ألمانيا، المملكة المتحدة، إيطاليا، كندا، واليابان.

كانت فرصة لتبادل بعض المخاوف العميقة والخاصة أثناء احتساء الشراب.

قال بلينكن للمستشار: "ما قمت به أمر غير عادي، في تحريك ألمانيا لتلعب دورًا رائدًا وقويًا في الدفاع ليس فقط عن أوكرانيا، بل في إعادة توجيه موقف البلاد في أوروبا". كان شولتس قد أعلن أن ألمانيا ستزيد ميزانيتها الدفاعية بنسبة 3%، في حين يتم تخفيض الميزانية العامة بشكل كبير.

كان ذلك تغييرًا تاريخيًا من موقف ألمانيا المناهض للعسكرية بعد الحرب العالمية الثانية، حسبما لاحظ بلينكن.

قال شولتس: "أشعر بقوة تجاه هذا الموضوع، لكني قلق بشأنه أيضًا."

سأله بلينكن: "ماذا تعني، سيدي المستشار؟"

أجاب شولتس: "الناس يصفقون لهذا الآن. لكني لست متأكدًا من كيفية شعورهم بعد بضع سنوات عندما نحقق ذلك، عندما تصبح ألمانيا مرة أخرى القوة العسكرية الرائدة في أوروبا. لست متأكدًا من أن الناس سيتقبلون ذلك."

وأوضح شولتس: "لدي عبء التاريخ على عاتقي، لذا فإن هذا ليس بالأمر السهل، ومن المهم جدًا أن تظل ألمانيا—المتأصلة بعمق كدولة أوروبية—بهذا الشكل، وقد لا يكون الناس متحمسين لهذا الأمر."

قال بلينكن: "أعتقد أن وضعك لهذا في إطار تاريخي أمر جدير بالإعجاب. في نهاية المطاف، من وجهة نظري، أنت تفعل الشيء الصحيح والمهم لأن أفضل طريقة للحفاظ على السلام، وتجنب نشوب صراع عالمي آخر، هي أن تلعب الدول التي يمكنها أن تؤدي دورًا قياديًا في الحفاظ على النظام. وألمانيا تحت قيادتك تقوم بذلك."

لكن بلينكن رأى أن القرار كان يثقل كاهل المستشار. أن تكون واعيًا لتاريخ أمتك هو أمر جوهري للمضي قدمًا. وكان ذلك صعبًا بالنسبة لألمانيا ربما أكثر من أي دولة أخرى.

بعد أشهر، تذكر بلينكن هذه اللحظة خلال محادثة مع وزيرة الخارجية الألمانية أنالينا بيربوك—وهي زعيمة من حزب الخضر وأحد أشد المؤيدين لأوكرانيا في البرلمان الألماني.

كان بلينكن يتحدث بانتظام مع بيربوك في محاولة لإقناع ألمانيا بتزويد أوكرانيا بدبابات ليوبارد 2، أو على الأقل السماح لدول أخرى بنقل هذه الدبابات.

كانت دبابات ليوبارد 2 الألمانية الصنع، التي تزن 62 طنًا، مزودة ببرج وسارية بندقية ضخمة. كانت الأرض تهتز حرفيًا عندما تتحرك. كانت أداة حرب قوية، ورمزًا رئيسيًا للقوة القتالية، سواء جسديًا أو نفسيًا. يأخذ الخصوم الحذر عندما تتحرك. يبلغ مدى ليوبارد 2 حوالي 300 ميل، وهي مزودة بنظام رؤية ليلية متخصص وجهاز لتحديد المدى بالليزر يمكنه أيضًا تمكين الأوكرانيين من استهداف الأهداف المتحركة بشكل أفضل.

كانت أوكرانيا تطالب بهذه الدبابات لمساعدتها في الدفاع ضد القوة النارية الروسية المتزايدة وإعادتها إلى الخلف.

الأهم من ذلك أن أكثر من اثني عشر دولة أوروبية كانت تستخدم دبابات ليوبارد 2. كانت هذه الدبابات متاحة، وجاهزة، وتتوفر لها اللوجستيات

والصيانة بالفعل في أوروبا. ولكن مثل جميع أنواع الأسلحة، يجب على الدول التي تشتريها أن تحصل على إذن من الدولة المصنعة لتسليمها إلى دولة أخرى. ومع موافقة ألمانيا، كان بإمكان الحلفاء الأوروبيين المساهمة بالدبابات، والتدريب أو قطع الغيار لأوكرانيا.

أخبرت بيربوك بلينكن بأنها كانت تدعو في الحكومة الألمانية لتزويد أوكرانيا بدبابات ليوبارد 2.

لكنها قالت: "المستشار ليس متحمسًا". وأضافت: "قال في أحد اجتماعاتنا: هل يمكنك تخيل صور الدبابات الألمانية وهي تجتاح أوروبا؟ كيف سيستجيب الناس لذلك؟" كان ذلك تذكيرًا حيًا بالعدوان الألماني في الحربين العالميتين الأولى والثانية.

قال بلينكن: "انظري، أنا أفهم ذلك. أفهم تمامًا." ثم روى لبيربوك المحادثة التي أجراها سابقًا مع شولتس في ذلك البار في جبال الألب.

كان بلينكن يعتقد أن شولتس لا يرفض تقديم الدبابات لأوكرانيا، ولكنه كان حقًا يتحدث عن عبء التاريخ والصور التي لا يمكن تجاهلها.

قال بلينكن: "كان قلقًا للغاية بشأن الرسالة التي قد توصلها هذه الخطوة للناس عن ألمانيا."

سألت بيربوك بلينكن: "ماذا سيفعل الأمريكيون؟ هل ستقدمون دبابات أبرامز؟"

دبابات M1 Abrams الأمريكية هي دبابات قتال ثقيلة أنتجتها الولايات المتحدة واستخدمتها القوات الأمريكية في الحروب في أفغانستان والعراق.

قال بلينكن: "انظري، أعتقد أن جيشنا يرى الأمر كما لو كان تفاحة وبرتقالة، لأن الدبابات التي لديكم يمكن للأوكرانيين استخدامها فورًا. أما الأبرامز فهي نظام مختلف تمامًا. سيستغرق تدريب الأوكرانيين عليها وقتًا. وصيانتها أصعب. لذلك لا أعتقد أن هناك تكافؤًا بين الاثنين."

قالت بيربوك: "لا أعرف إذا كنا سنتمكن من إقناع المستشار بذلك."

كان البنتاغون أيضًا يعارض تقديم دبابات أبرامز لأوكرانيا نظرًا للوقت الطويل الذي تحتاجه واللوجستيات الصعبة.

قال وكيل وزارة الدفاع كولين كال للصحفيين في يناير 2023: "دبابة أبرامز قطعة معقدة جدًا من المعدات. لا ينبغي أن نوفر للأوكرانيين أنظمة لا يستطيعون إصلاحها، أو لا يستطيعون صيانتها، أو التي لا يستطيعون تحمل تكاليفها على المدى الطويل، لأنها لن تكون مفيدة."

انضم الرئيس الأوكراني زيلينسكي إلى قمة دافوس عبر رابط فيديو وشكا من التأخيرات والتفكير الزائد. قال بلهجة عاجلة إن أوكرانيا تحتاج إلى دبابات الآن. وأضاف: "الوقت الذي يستخدمه العالم الحر للتفكير هو الوقت الذي تستخدمه الدولة الإرهابية للقتل."

بعد فترة وجيزة، جلس الرئيس بايدن عند مكتبه في المكتب البيضاوي واتصل بشولتس عبر الهاتف. وضع المستشار الألماني على مكبر الصوت ليتمكن بلينكن وسوليفان من الاستماع إلى المحادثة.

بعد التحيات وتبادل الأمنيات الروتينية، تحول شولتس إلى العمل.

سأل شولتس: "هل ستقدمون دبابات أبرامز؟"

كرر بايدن الأسباب التي تجعله لا يخطط لذلك. وقال في النهاية إن الأمر لا معنى له. فالدبابات الأمريكية تحتاج إلى وقت طويل للتسليم، وسيستغرق تدريب الأوكرانيين على استخدامها وقتًا طويلاً، وستكون صيانتها وإمدادها بالمؤن أمرًا صعبًا، ولن تكون مفيدة لهم على الفور في ساحة المعركة.

وقال بايدن: "لكن دباباتكم ستكون مفيدة لهم الآن. هل يمكننا إعطاؤهم الدبابات؟"

أجاب شولتس: "وماذا عن دباباتكم؟" وكرر الطلب.

استمع بلينكن وسوليفان بينما تبادل الزعيمان الآراء مرارًا وتكرارًا.

قال شولتس: "جو، تعرف أنني إذا لم تتحرك في هذا الموضوع سيكون من الصعب جدًا بالنسبة لي أن أفعل ذلك." وأضاف: "لا أعتقد أنني أستطيع فعل ذلك."

قال بايدن: "حسنًا، أسمع ما تقوله ولكن دعنا نستمر في الحديث عن هذا. أعتقد أن من المهم جدًا أن نصل إلى حل. سأجعل فرقنا تتابع الموضوع."

أنهى بايدن المكالمة ونظر إلى سوليفان وبلينكن. وقال: "أعتقد أننا وصلنا إلى طريق مسدود هنا. جدار من الطوب."

قال بلينكن: "سيدي الرئيس، أعتقد أن هناك في الواقع طريقة لحل هذا الأمر." وأضاف: "أنت على حق تمامًا أننا لا نستطيع توفير دبابات أبرامز للأوكرانيين في الوقت المناسب حتى تكون مفيدة على الأرجح في هذا الهجوم المضاد. ولكن إذا كنا سنفعل ذلك في النهاية—لأننا نتحدث عن قوة أوكرانيا المستقبلية وأنهم بحاجة إلى دفاع أرضي قوي—فلماذا لا نقول إننا سنفعل ذلك ونعطي الألمان الغطاء اللازم للمضي قدمًا بدباباتهم حتى لو لم تصل دباباتنا لمدة عام آخر؟"

أضاف بلينكن: "طالما أننا نعلن ذلك، فقد يمنح ذلك شولتس ما يحتاجه." كان الغطاء السياسي حليفًا في هذا القرار، كما كان في معظم القرارات".

قال بايدن: "هذه فكرة جيدة، دعنا نتابعها."

اختبر بلينكن ووزارة الخارجية الاقتراح عبر القنوات الخلفية مع الألمان.

كان الرد: "حسنًا، سنفعل ذلك. تلتزمون بتقديم دبابات أبرامز من حيث المبدأ. ونحن نلتزم بتقديم دبابات ليوبارد في أقرب وقت."

لاحقًا، في 25 يناير 2023، في غرفة روزفلت، أعلن الرئيس بايدن أن الولايات المتحدة سترسل 31 دبابة أبرامز إلى أوكرانيا، ووصفها بأنها "أكثر الدبابات قدرة في العالم."

وقال بايدن: "ليس هناك تهديد هجومي ضد روسيا. إذا عادت القوات الروسية إلى روسيا، حيث ينبغي أن تكون، ستنتهي هذه الحرب اليوم."

خمسة وثلاثون

في أواخر سبتمبر 2022، جلس جيك سوليفان بمفرده على مكتبه في الجناح الغربي للبيت الأبيض يقلب بين تقارير "معلومات حساسة للغاية وسرية للغاية" التي أظهرت العمق الاستثنائي لاختراق الاستخبارات الأمريكية حول العالم، خاصة داخل بلدان مثل روسيا.

حدق سوليفان في المعلومات الجديدة أمامه بخوف.

كانت وكالات الاستخبارات الأمريكية تبلغ عن محادثات جديدة حساسة وموثوقة داخل الكرملين تظهر أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين كان يفكر بجدية في استخدام سلاح نووي تكتيكي في الحرب بين روسيا وأوكرانيا.

أفادت الوكالات أن بوتين أظهر علامات متزايدة على اليأس بسبب الإخفاقات الأخيرة في ساحة المعركة.

كان الأوكرانيون، بدعم من كميات كبيرة من الأسلحة الأمريكية والأوروبية، قد نفذوا هجومًا مضادًا مذهلاً في الشمال الشرقي، اخترقوا الخطوط الروسية بسرعة مفاجئة ودفعوا القوات الروسية إلى الخروج من المدن والبلدات في كامل منطقة خاركيف، التي تبعد 35 ميلاً فقط عن الحدود الروسية.

أفادت الاستخبارات الأمريكية أن هذه الهزيمة كانت إذلالًا لبوتين.

هرب الجنود الروس بأي طريقة ممكنة، بما في ذلك الدراجات المسروقة والتخفي في زي السكان المحليين. انهيار الخطوط الروسية المحصنة على امتداد 70 كيلومترًا (43 ميلاً) في بعض الأماكن وفقدان أكثر من 1000 ميل مربع من الأراضي صدم موسكو. استعاد الأوكرانيون في خمسة أيام أراضي أكثر مما كانت القوات الروسية قد استولت عليه في كل عملياتها.

الآن ومع رفع الأعلام الأوكرانية في خاركيف، تحولت القوات الأوكرانية جنوبًا في محاولة لتحرير مدينة خيرسون على الضفة الغربية لنهر دنيبرو.

كان بوتين لديه حوالي 30 ألف جندي متمركزين في خيرسون. وقد قدرت وكالات الاستخبارات أنه إذا تم تطويق القوات الروسية من قبل الأوكرانيين في خيرسون، فهناك احتمال بنسبة 50% أن يأمر بوتين باستخدام أسلحة نووية تكتيكية لتجنب مثل هذه الخسارة الكارثية في ساحة المعركة.

كانت خيرسون ذات أهمية استراتيجية هائلة لموسكو. السيطرة على خيرسون تمنح روسيا جسرًا بريًا إلى شبه جزيرة القرم والوصول إلى إمدادات المياه العذبة لنهر دنيبرو، التي حجبها الأوكرانيون عن القرم بعد استيلاء روسيا عليها بالقوة في 2014.

أفاد مدير وكالة المخابرات المركزية بيرنز أن الاستخبارات أظهرت أن بعض الجنرالات كانوا أخيرًا يطالبون بوتين بالانسحاب عبر النهر إلى موقع أكثر دفاعية.

قال بيرنز لكن إذا سقطت خيرسون، "فمن الممكن أن ينهار الجيش الروسي وأن يتم تهديد سيطرة بوتين على القرم".

وفقًا للعقيدة النووية الروسية، فإن أي خسارة كارثية في ساحة المعركة أو تهديد وجودي لروسيا يمكن أن يدفع بوتين إلى اللجوء إلى استخدام الأسلحة النووية—الاستخدام الأول منذ عام 1945 عندما ألقت القوات الأمريكية قنابل نووية على اليابان في الحرب العالمية الثانية.

"الشيء المتعلق بالقرم"، أفاد بيرنز، "في نواحٍ عديدة كان وجوديًا بالنسبة لبوتين لأنه إذا فقد القرم، فإن السبب الرئيسي لوجوده كرئيس روسي في عينيه سيكون مهددًا".

أعلن بـوتين في 21 سـبتمبر أنـه سـيقوم بتعبئـة 300,000 جنـدي روسي وضـم أربع محافظات أوكرانية، بما في ذلك خيرسـون—معلنًـا أنها أصبحت جـزءًا من روسيا.

حذر بوتين في خطابه"إذا تم تهديد سلامة أراضي بلدنا، سنستخدم بدون شك كل الوسائل المتاحة لحماية روسيا وشعبنا—هذا ليس خداعًا".

كانت التقارير الاستخباراتية التي قرأها سوليفان "متميزة"، أي أنها مشتقة من أفضـل المصـادر والأسـاليب. كـان هـذا التقـييم الأكـثر إثـارة للقلـق حـول نوايـا بوتين منذ بداية الحرب في فبراير 2022.

كانت مديرة الاستخبارات الوطنية أفريـل هـاينز أكثر قلقًـا ممـا كـانت عليـه في أي وقت مضى بشـأن احتمـال أن يقـوم بـوتين باسـتخدام الأسـلحة النوويـة. أفادت هـاينز بـأن هنـاك مـا يكفي من البيانـات الـتي تشـير إلى أن هنـاك عـددًا كافيًا من الأشخاص داخل النظام الروسي يتحدثون عن الأمر.

من بين المؤشرات المثـيرة للقلـق أيضًـا كـانت المعلومـات الاسـتخباراتية الـتي أفادت بأن بوتين قـد خفـف القيـود التشـغيلية لجعـل الأمـر أسـهل لإصـدار أمـر باستخدام سلاح نووي تكتيكي في الحرب.

أمر الرئيس بايدن سوليفان قائلاً: "على جميـع القنـوات، تواصـل مـع الـروس"، قال. "أخبرهم بما سنفعله كـرد فعـل". يجب إيجـاد لغـة تهديديـة دون أن تكـون مباشرة جـدًا، قـال. إذا كـانت قويـة جـدًا، فقـد تـؤدي إلى رد الفعـل الـذي نحـاول تجنبه.

كان بايدن قد رأى ما يكفي من الأخطاء غير المقصودة ولم يكن يريد استخدام أي سلاح نووي، مهما كانت قوته منخفضة.

لقد حافظ الردع النـووي الشـامل على السـلام والاسـتقرار بين القـوى العظمى منـذ الحـرب العالميـة الثانيـة. أي اسـتخدام سـيحطم هـذه القاعـدة الهشـة وقـد يؤدي إلى سلم تصـعيد غـير متوقـع سـيكون من الصـعب التحكم فيـه، حسـبما

قدر سوليفان. مهما حدث بعد ذلك خلال رئاسة بايدن، فإن ذلك سيعتبر فشلاً سيعيش في التاريخ كإرث مدمر.

ثانيًا، قال بايدن لسوليفان: "دعنا نرسل بيل للتحدث مع نظيره". كان هذا مدير وكالة المخابرات المركزية بيل بيرنز، الذي كان يعرف جميع اللاعبين الروس الرئيسيين، وخاصة بوتين.

"نحتاج إلى فتح قناة"، قال بايدن، "ليس للتفاوض حول أوكرانيا، ولكن حول تجنب كارثة بين الولايات المتحدة وروسيا".

ثم تواصل الرئيس مع بوتين مباشرة. أرسل له رسالة للتأكيد على خطورة الأمر و"العواقب الكارثية" إذا استخدمت روسيا سلاحًا نوويًا.

قالت الرسالة أيضًا: "أريد إرسال شخص للتحدث مع شخص من طرفكم بمزيد من التفصيل حول مخاوفنا". وسمى الرئيس بيل بيرنز.

رد بوتين على بايدن وقال إنه سيرسل ناريشكين، رئيس جهاز المخابرات الخارجية الروسي، للقاء بيرنز.

في 30 سبتمبر، أقام بوتين مراسم توقيع في قصر الكرملين الكبير بموسكو للمناطق التي تم ضمها ووعد بحمايتها "بكل القوات والوسائل المتاحة لدينا".

"أريد أن تسمعني السلطات في كييف وأسيادها الحقيقيون في الغرب حتى يتذكروا هذا"، قال بوتين. "الناس الذين يعيشون في لوهانسك ودونيتسك وخيرسون وزابوريجيا أصبحوا مواطنينا. إلى الأبد".

"الولايات المتحدة هي البلد الوحيد في العالم الذي استخدم الأسلحة النووية مرتين"، أضاف بوتين، "ودمر المدن اليابانية هيروشيما وناجازاكي، ووضع سابقة".

في الأسبوع التالي، في 6 أكتوبر، وجه بايدن تحذيرًا صارمًا خلال تصريحات أدلى بها في حفل لجمع التبرعات في منزل جيمس مردوخ في نيويورك. جيمس هو الابن الأصغر الأكثر ليبرالية لروبرت مردوخ، مؤسس نيوز كورب وفوكس، الذي بنى إمبراطورية نشر عالمية.

قال بايدن: "لم نواجه احتمالًا مثل هذا منذ كينيدي وأزمة الصواريخ الكوبية". "لدينا رجل أعرفه جيدًا، اسمه فلاديمير بوتين. لقد قضيت قدرًا لا بأس به من الوقت معه. إنه لا يمزح عندما يتحدث عن احتمال استخدام الأسلحة النووية التكتيكية أو البيولوجية أو الكيميائية".

"لدينا بعض القرارات الصعبة للغاية التي يجب اتخاذها"، أضاف بايدن. "نحن نحاول معرفة: ما هو مخرج بوتين؟"

في البنتاغون، في الطابق الثالث في الحلقة الخارجية، نظر وزير الدفاع لويد أوستن إلى النقاط الرئيسية المعدة بعناية التي كان قد وجه مستشاره الأقرب كولين كال لإعدادها.

لم يكن أوستن معروفًا بالبلاغة أو الوضوح في الإيجازات أو المقابلات العامة. لقد أبعدته طريقة تقديمه المتوترة عن أن يكون المتحدث العام باسم الإدارة، ولكن في المحادثات الخاصة كان يحمل نفسه بصدق وجدية تمنحه جاذبية خاصة. كان أوستن يعلم أن الرئيس بايدن مصمم تمامًا على عدم السماح بأن تتحول حرب أوكرانيا إلى حرب عالمية ثالثة، وشارك أوستن هذا التصميم.

كان بوتين يتوقع أن تحقق قواته نصرًا سريعًا في أوكرانيا—غزو، قطع رأس النظام، ووضع رأس روسي جديد في غضون أيام من غزوهم. لقد فشل فشلًا ذريعًا. كان أوستن يعتقد أن نظرية بوتين الجديدة للنصر كانت ببساطة الصمود أكثر من دعم الغرب لأوكرانيا.

كـان يسـتطيع رؤيـة من الاسـتخبارات أن الجيش الروسي كـان محبطًـا بشـدة، يكافح لإعادة التزويد، وقيادته غير منظمة. كانت القوات الروسـية تطـوي مثـل بدلة رخيصة.

هل كان بوتين يائسًا بما فيه الكفايـة لاسـتخدام الأسـلحة النوويـة لوقـف تقـدم الأوكرانيين؟

تذكر كاهل مشهداً في فيلم "سيد الخـواتم" حيث ضرب غانـدالف عصـاه على الأرض وأعلن: "لن تمروا." هل كان هناك نسخة من ذلك حيث استخدم بـوتين عشرات الأسلحة النووية التكتيكية في جنوب أوكرانيا لسحق القوات الأوكرانيـة التي كانت تتجه نحو خيرسون، وفي النهاية القرم؟

كان أوستن يستعد الآن للحديث مع وزير الدفاع الروسي سيرجي شويغو، وهو شخص متشدد وحليف مقرب من بوتين. بعـد غـزو روسـيا لأوكرانيـا في فـبراير، تحدث أوستن مع شويغو مرة واحدة فقط، في مايو 2022. حـتى خلال الحـرب الباردة، كان القادة العسكريون يتحدثون عبر القنوات الخلفية، ولكن كـان وزيـر الدفاع الروسي بعيداً عن الاتصال ومغلقاً بشكل محبط.

كـان شـويغو، القصـير ذو الوجـه الجـاد، جـزءاً من الـدائرة المقربـة الأكـثر ولاءً لبوتين، حيث عرفه وعمـل معـه لمـدة ثلاثـة عقـود. في عـام 2012، عيّن بـوتين شويغو وزيراً للدفاع، وسـاعد شـويغو في التخطيـط لضـم روسـيا لشـبه جزيـرة القرم في عام 2014. في سنته الأولى كوزير للدفاع، وجه شويغو القـادة لبـدء كل يـوم في الثكنـات بـأداء النشـيد الوطـني الروسي. لم يـتراجع المـدح والـولاء لبـوتين وروسـيا. كـان شـويغو بامتيـاز نموذجـاً للبـيروقراطي الروسي – صـارماً، ملتزماً، وخاضعاً.

كانت وسائل الإعلام الروسية مليئـة بالصـور لبـوتين وشـويغو معـاً في ملابس متطابقـة يصـطادون،و يصـطادون السـمك، يتنـاولون الطعـام، ويتخيّمـون في برية سيبيريا. كان شراكة غريبة.

في يوم الجمعة، 21 أكتوبر، أخيرًا نجح أوستن في الوصول إلى شويغو.

قـال أوسـتن بصـوت عميـق واضـح: "نحن نعلم أنكم تفكـرون في اسـتخدام أسلحة نووية تكتيكية في أوكرانيا. دعني أخبرك ببعض الأمور حول ذلك.

"أولاً، أي استخدام للأسلحة النووية بأي حجم ضد أي شخص سيتم اعتباره من قبل الولايات المتحدة والعالم حدثاً يغير العـالم. لا يوجـد أي حجم من الأسـلحة النووية يمكننا أن نتجاهله أو يمكن أن يتجاهله العالم".

"أي اسـتخدام للأسـلحة النوويـة في أي مكـان سـيمس المصـالح الوطنيـة الحيوية للولايات المتحـدة"، قـال أوسـتن. "لمـاذا؟ لأننـا لا يمكن أن نعيش في عالم حيث تسـتخدم القـوى النوويـة الأسـلحة النوويـة ضـد الـدول غـير النوويـة دون عـواقب. لا يمكننـا العيش في هـذا العـالم. لـذلك، قـد تعتقـد أن أوكرانيـا تهمكم أكثر مما تهمنا، ولكن في هذا السياق، فإنها تهمنا بقدر ما تهمكم."

"لن يهم حجم السلاح النووي"، أضاف أوستن.

استمع شويغو فقط. رغم أنه كان يُحتفى به كجنرال يرتـدي زيًـا سـوفيتيًا مزينًـا بالميداليات، إلا أن شويغو لم يخدم أبدًا في الجيش قبل أن يعينه بـوتين وزيـرًا للدفاع.

قال أوسـتن: "إذا فعلتم ذلـك، سـيكون أول اسـتخدام للأسـلحة النوويـة في أي مكان في العالم منذ ثلاثة أرباع قرن، وقـد يطلـق سلسـلة من الأحـداث الـتي لا يمكنك التحكم فيها ولا يمكننا التحكم فيها.

"قـال قادتنـا وقـادتكم مـراراً إن حربـاً نوويـة لا يمكن الانتصـار فيهـا ولا ينبغي خوضها أبداً. هذا قد يضعنا على طريق مواجهة ستكون لهـا تـداعيات وجوديـة لكم ولنا. لا تخطو على هذا المنحدر الزلق."

انتقـل أوسـتن إلى النقطـة التاليـة: "إذا فعلتم ذلـك، فـإن كـل القيـود الـتي كنـا نعمل تحتها في أوكرانيا سيتم إعادة النظر فيهـا. لقـد حرصـنا على عـدم القيـام بأمور معينة. هنـاك أشـياء معينـة لم نقـدمها للأوكرانـيين. وهنـاك قيـود معينـة وضـعناها على كيفيـة اسـتخدامهم للأشـياء الـتي قـدمناها لهم، ولم نتـدخل

مباشرة في النزاع ضد قواتكم. إذا فعلتم ذلك، فكل هذه القيود، كل هذه القيود التي فرضناها على أنفسنا سيتم إعادة النظر فيها."

لم يكن بالإمكان تقديم رسالة الانتقام المباشر بشكل أكثر وضوحًا.

أوصل أوستن رسالته الأخيرة: "كل هؤلاء الفاعلين في العالم الذين تعتقد أنهم أصدقاؤكم أو الذين يتجاهلون الموقف، سيقفون ضد روسيا في هذا السيناريو - الصينيون، الهنود، الأتراك، الإسرائيليون. هذا سيعزل روسيا على المسرح العالمي إلى درجة لا يمكنكم، أنتم الروس، تقديرها بالكامل."

رد شويغو في النهاية: "أنا لا أتقبل التهديدات."

قال أوستن بصراحة دون أي أثر للغضب: "سيدي الوزير، أنا قائد الجيش الأقوى في تاريخ العالم. أنا لا أطلق تهديدات."

في البنتاغون، أجرى رئيس هيئة الأركان المشتركة، الجنرال مارك ميلي، أيضًا مكالمة هاتفية آمنة مع نظيره في روسيا، الجنرال فاليري غيراسيموف.

بدأ ميلي قائلاً: "الجنرال غيراسيموف، بعض القادة السياسيين لديكم يلوحون بالسلاح النووي ويتحدثون عن استخدام الأسلحة النووية. هذا جذب انتباه الكثير من الناس، لذا أحتاج منك أن تخبرني: ما هي الشروط التي ستستخدمون فيها الأسلحة النووية؟"

كان ميلي مباشرًا. لقد عرف غيراسيموف لسنوات. في الغرفة مع ميلي كان هناك أشخاص من مجتمع الاستخبارات يستمعون إلى المكالمة.

قال غيراسيموف: "أنت تعرف بالفعل تحت أي ظروف، لأنك تملك أدلتنا ومذهبنا." وذكر رقم صفحة.

قال ميلي: "حسنًا، أنا أقدر ذلك. لكنني لا أملك الدليل أمامي. أحتاج منك أن تخبرني تحت أي ظروف ستستخدمون الأسلحة النووية."

أراد أن يسمعها مباشرة من الجنرال الروسي.

قــال غيراســيموف: "حســنًا. إنهــا علنيــة على أي حــال. يمكنــك الاطلاع على الشروط." لكنه استعرض عقيدة روسيا النووية.

قال غيراسيموف: "إذا كان هناك هجوم على روسيا يهدد استقرار النظام، هـذا هــو الشرط الأول." عــرف ميلي أن هــذا قــد يفسر على أنــه تهديــد للحكومــة الروسية أو لبوتين نفسه.

قـال غيراسـيموف: "ثانيًـا، إذا هـاجمت قـوة أجنبيـة روسـيا بسـلاح دمـار شـامل، سواء كان كيميائيًا أو بيولوجيًا أو نوويًا".

"ثالثًا، تحتفظ روسيا بـالحق في اسـتخدام الأسـلحة النوويـة التكتيكيـة في حالـة حدوث خسارة كارثية في ساحة المعركة".

"هذه هي الظروف التي سنفعل ذلك فيها."

قال ميلي: "حسنًا، هذا جيد، لأن أياً من هذه الظـروف لن يتحقـق، لـذلك أعتقـد أنك لن تستخدم الأسلحة النووية لأن لا أحـد سـيهاجمك بسـلاح دمـار شـامل. لا أحد يقوم بأي نوع من التغيير في النظام. وتحليلي لساحة المعركة هو أنني لا أعتقد أنك ستتعرض لخسارة كارثية مثل خسارة جيشك بأكمله، لذا..."

كان ميلي راضياً. غيراسيموف قد نقل ووافق على الشروط المقررة في عقيدة روسيا النووية. لم يتغير شيء هناك على الأقل.

قال ميلي: "رائع، سأمرر ما قلته إلى حكومتي."

رد غيراسيموف: "حسنًا، شكرًا."

في الــبيت الأبيض، كــان جيــك ســوليفان وجــون فــاينر في حالــة من العمــل المكثف. كان العنصر الأساسي في التقييم الاسـتخباراتي هـو أن هنـاك احتمـالاً بنسبة 50٪ أن تستخدم روسيا سـلاحًا نوويًـا تكتيكيًـا. ارتفـع التقـييم من حـوالي 5٪ إلى 10٪ ثم إلى الآن فرصة 50/50. شعر فاينر بقلق شديد.

بينما كان سوليفان غالبًا يجد في الاستخبارات دقة زائفة، خاصة فيما يتعلق بالأرقام، إلا أن تقييم 50٪ لا يمكن تجاهله. حتى قبل هذا التقييم الاستخباراتي، كان يحمل قلقًا من أن بوتين في لحظة ما خلال الحرب قد يلجأ إلى استخدام الأسلحة النووية.

قال سوليفان: "جميع الأشخاص الذين يتجاهلون هذا الاحتمال هم بشكل أساسي سذج بطريقة ما." بعد انسحاب أفغانستان، كانت إدارة بايدن تركز بشدة على الاستعداد للتعامل مع إمكانية حدوث أمور سيئة للغاية.

في مايو، وبعد ثلاثة أشهر فقط من بدء حرب أوكرانيا، شكّل سوليفان فريقًا لدراسة وتحضير الخطط لاحتمالات حدوث أحداث منخفضة الاحتمال ولكن عالية التأثير في الحرب، بما في ذلك استخدام روسيا لسلاح نووي. أنتج الفريق دليلًا عن خيارات الاستجابة النووية. فجأة، لم يعد هذا الدليل مجرد نظرية وأصبح يجب تطبيقه.

في غاية السرية، التقى سوليفان في البنتاغون مع أوستن ورئيس هيئة الأركان ميلي وفريقاتهم من خبراء الأسلحة النووية لوضع خرائط وتحليل السيناريوهات النووية المختلفة. تحركات. ردود. خيارات الاستجابة العسكرية التي ستتم تفعيلها إذا استخدم بوتين الأسلحة النووية.

أظهر أوستن وميلي لسوليفان كيف كانوا يحاكون السيناريوهات من منظور عسكري. بوتين يستخدم سلاح نووي تكتيكي. هذه هي الحركة الأولى. الحركة الثانية، تستجيب الولايات المتحدة. ثم يتحرك الروس. ثم الولايات المتحدة، وكان الأمر يشبه بداية سباق.لقد كانت لعبة حرب كلاسيكية ولكنها حقيقية بشكل مثير للقلق

عند كل "دور" كان أوستن وميلي يحضران للرئيس خياراته في التصعيد بترتيب تصاعدي للحجم. ومع سوليفان، قاموا بفحص كيف يتطابق كل خيار مع الرد المتوقع من روسيا.

قال سوليفان: "وهكذا يصبح الأمر خوارزمية معقدة للغاية من الخيارات للرئيس." انفجار نووي واحد سيؤدي إلى أعلى مستوى من حافة الهاوية المحتملة".

تحدث سوليفان، أوستن وميلي مع بايدن عن كل خيار بالتفصيل الممل للحصول على توجيهاته حول كيفية استجابته. في أي لحظة لم يكن من المفترض أن يتخذ بايدن قرارًا نهائيًا أو يقيد نفسه برد معين. بدلاً من ذلك، احتفظ بخيارات مفتوحة.

قال بايدن بشكل خاص إنه إذا استخدم بوتين سلاحًا نوويًا تكتيكيًا في ساحة المعركة في أوكرانيا، فإن الولايات المتحدة لن ترد بالأسلحة النووية.

قال بايدن لمستشاريه: "لن أرد برد نووي على استخدام في ساحة المعركة في أوكرانيا". ولكن الواقع كان، والجميع في الغرفة كانوا يعرفون ذلك، أن الأسلحة النووية كانت دائمًا احتمالًا بمجرد بدء التصعيد. كانت الأسلحة النووية هي الظل الصامت الحاضر في جميع مداولاتهم.

تراوحت خيارات الرد من طلقة تحذيرية لا تقتل أحدًا إلى ضربة عسكرية أمريكية داخل روسيا باستخدام القوات التقليدية، وهو سيناريو كابوسي أيضًا للرئيس. كان بايدن وسوليفان يعتقدان أن مواجهة مسلحة بين القوات الأمريكية والروسية في أي مستوى قد تؤدي بسهولة إلى الحرب العالمية الثالثة. كان الأمر واضحًا بشكل مقلق. كانوا في عالم جديد تمامًا.

لم يكن هناك خيار "جيد". في صراع مباشر بين الولايات المتحدة وروسيا، كانت السياسة المعلنة للولايات المتحدة هي أن الولايات المتحدة ستستخدم الأسلحة النووية فقط للرد على هجوم نووي أو تهديد وجودي.

مسار التصعيد نحو الحرب العالمية الثالثة سيصبح مضغوطًا للغاية، وسيكون من الصعب أكثر فأكثر إيجاد مخرج إذا بدأ استخدام الأسلحة النووية.

ما هي الإشارات، الأدلة حول ما سيفعله بوتين بعد ذلك؟ ما مدى جدية هذا التهديد؟ كان مجلس الأمن القومي ووزارة الخارجية الأمريكية قد اعتادا

العيش في عالمين متناقضين منذ أن حصلت الاستخبارات الأمريكية على خطة الغزو الخاصة ببوتين بالتفصيل الممل، قبل خمسة أشهر من الغزو. لم يكن واضحًا بالضبط متى سيغزو، ولكن جميع الأدلة كانت تشير إلى أن الغزو قادم. عاش فريق الأمن القومي في هذا العالم وحاول ردع بوتين.

في العالم الآخر، بدت خطة بوتين غير عقلانية ومدمرة لذاته لدرجة أن الزعيم الروسي لا يمكن أن يمضي قدمًا فيها.

لكن بوتين غزا، وأطلق أزمة عالمية.

الآن، كان سوليفان والرئيس محبوسين في عالم عدم اليقين والشك مرة أخرى. هل سيقوم بوتين بخطوة أخرى غير عقلانية ومدمرة لذاته؟

قال سوليفان لموظفي مجلس الأمن القومي مرارًا: "علينا أن نبقى خطوة واحدة قبل بوتين". "علينا أن نفعل ذلك."

كان يسألهم: ما هي الخيارات الاقتصادية المتاحة لدينا؟ ما هي الخيارات الدبلوماسية؟ ماذا تفعل الولايات المتحدة عسكريًا؟ هل تتخذ إجراءات عسكرية أم لا؟ وإذا قمت باتخاذ إجراءات عسكرية، أين تقوم بها؟ داخل أوكرانيا؟ داخل روسيا؟ داخل أجزاء أوكرانيا المحتلة؟

ولكن كعدواني غير متوقع، كان لدى بوتين اليد العليا. كحاكم مطلق قوي لروسيا، كان هو من يقرر أفعال روسيا وخطوطها الحمراء.

حاول سوليفان الدخول في عقل بوتين، متسائلاً: "كيف أتجنب، أنا فلاديمير بوتين، هزيمة مذلة؟"

ماذا كان بوتين يخطط؟

قال سوليفان: "إن إصدار أمر باستخدام الأسلحة النووية التكتيكية لتجنب خسارة كارثية في ساحة المعركة هو أمر مستعد للقيام به."

وقال سوليفان: "أعتقد أنه قلق من استخدام الأسلحة النووية، لأنه سيجعلنا نتدخل مباشرة في الصراع". "لكن على مستوى معين، لن يهتم بما نفكر فيه أو نفعله."

لقد أصبحت حاجة بوتين إلى جعل أوكرانيا جزءًا من روسيا مسألة ضرورة مطلقة وذات اتجاه واحد بالنسبة له.

بالنسبة لنائب مستشار الأمن القومي جون فاينر، كانت فكرة أن حدثًا بهذا التغيير العالمي – استخدام الأسلحة النووية فعليًا – يعتمد على "قلب عملة" أمرًا يفوق الخيال، وكانت التداعيات تمتد إلى ما هو أبعد من الحرب في أوكرانيا. إن تفجير سلاح نووي تكتيكي واحد سيدمر النظام العالمي الذي تم إنشاؤه بعد الحرب العالمية الثانية، والذي كان قائماً على عدم استخدام الأسلحة النووية مرة أخرى.

كان لدى البنتاغون سلسلة كاملة من خطط الطوارئ الحربية لاستخدام الأسلحة النووية تسمى سلسلة 5000. على سبيل المثال، كانت خطة العمليات 5027 تغطي خطط الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية للرد على استخدام كوريا الشمالية للأسلحة النووية. كانت هناك خطط طوارئ شاملة إذا هاجمت روسيا الولايات المتحدة أولاً. الآن كان مجلس الأمن القومي والبنتاغون يعقدان اجتماعات لتحديث ومزامنة خطط الطوارئ لحرب نووية بنفس الطريقة التي أدرك فيها فاينر أن أسلافه قد فعلوا خلال الحرب الباردة أو أزمة الصواريخ الكوبية عام 1962 منذ أكثر من نصف قرن.

كان فاينر مكلفًا أيضًا بإدارة سلسلة صغيرة جدًا وسرية للغاية من الاجتماعات على مستوى النواب ومع الحلفاء الأساسيين للولايات المتحدة في المجموعة الأوروبية الرباعية - ألمانيا، فرنسا، والمملكة المتحدة - لوضع خطط طوارئ مشتركة بين الحلفاء لسيناريوهات مختلفة.

قال فاينر: "كما هو الحال مع الغزو نفسه، علينا أن نكون مستعدين لاحتمال أن هـذا لن ينجح أيضـًا". كـان من الممكن تمامـًا أن يفشـل ردع بـوتين عن استخدام سلاح نووي تكتيكي.

كانت روسيا، في ذلك الوقت في عام 2022، تمتلك ترسانة من حوالي 2000 سلاح نـووي تكـتيكي، وهـو عـدد يزيـد بعشرة أضـعاف عن ترسـانة الولايـات المتحدة. تتراوح الأسلحة النووية التكتيكية الروسية في قوتها التفجيرية من 0.3، أو جـزء من الكيلوتـون، إلى 50 كيلوتـون أو أكـثر. ممـا يعـني أن السـلاح النـووي اليـوم يمكن أن يأخـذ شـكل رأس حـربي صـغير بمـا يكفي ليتم اطلاقـه بواسطة شخص واحد، أو يكون كبيرًا بما يكفي ليتم نشره من غواصة، قاذفة، أو صاروخ باليستي عابر للقارات.

منحت ترسـانة بـوتين عـددًا هـائلًا من الخيـارات على طـول مقيـاس الأسـلحة النوويـة. يمكنـه إطلاق سـلاح نـووي "تكـتيكي" منخفض القـوة واحـد أو شـن هجوم كبير بعدد كبير من الأسلحة.

في عـام 1945، أمـر الـرئيس ترومـان باسـتخدام القنابـل الذريـة الوحيـدة لإنهـاء الحرب العالمية الثانية. قنبلة ذرية بقوة 15 كيلوتون أسقطت على هيروشيما وقنبلة بقوة 21 كيلوتون على ناغازاكي.

كانت السيناريوهات النووية التي تم تمرينها في المحاكاة الحربية تشمل قيام بـوتين بـأمر بإجراء اختبـار نـووي فـوق البحـر الأسـود لتخويـف أوكرانيـا من أجـل التخلي عن الأراضي، أو اسـتخدام سـلاح نـووي تكـتيكي ضـد قاعـدة عسـكرية أوكرانية من شأنه أن يجعل الأرض المحيطة بها غير صالحة للسكن لسنوات بسبب التلوث الإشعاعي.

كـان كـولين كـال، المستشـار الاسـتراتيجي الرئيسـي ويـد الـرئيس اليمـنى لـوزير الدفاع أوستن، في منزله مرتديًا ملابس النوم مع أطفالـه عنـدما جـاء طلب من الروس في وقت مبكر جدًا من صباح الأحد، 23 أكتوبر، لإجراء مكالمة ثانيـة بين

أوستن وشويغو. كانت قد مرت 36 ساعة فقط منذ أن أصدر أوستن تحذيره لشويغو.

فكر كال: "هذا غريب. ماذا يحدث؟"

كان جميع الموظفين الذين يكتبون نقاط الحديث لوزير الدفاع أوستن في منازلهم. لم يكن أحد في المكتب، لكن الروس كانوا يتصلون بجنون.

دخل كال غرفة في منزله التي تم تحويلها إلى منشأة معلومات حساسة (SCIF) – مرفق يحتوي على معلومات سرية للغاية – ليرى ما إذا كانت هناك أي معلومات استخباراتية قد وردت خلال الليل قد تفسر إلحاح المكالمة. لم يبرز شيء في قنوات الاستخبارات.

على هاتفه المحمول، لاحظ كال أن مصادر روسية على وسائل التواصل الاجتماعي وتطبيق تيليغرام – وهو تطبيق مراسلة آمن – كانت تتداول اتهامًا بأن الأوكرانيين يخططون لاستخدام قنبلة قذرة.

القنبلة القذرة هي مزيج من المتفجرات مع مواد مشعة تنشر إشعاعًا خطيرًا لكنها لا تُحدث تفاعلًا نوويًا متسلسلًا أو انفجارًا ذريًا. ومع ذلك، فإن القنبلة القذرة لا تزال شديدة الخطورة لأنها تجعل المنطقة غير صالحة للسكن.

بدأت التقارير تتوالى بأن الروس كانوا أيضًا يتصلون بوزراء الدفاع في المملكة المتحدة وفرنسا وتركيا.

فكر كال: "يا إلهي، الروس سيقومون بتزييف قنبلة قذرة في أوكرانيا كذريعة لاستخدام الأسلحة النووية ضد أوكرانيا. السيناريو الكابوسي."

كان هذا الأمر جزءًا من خطة اللعب الروسية، كما فكر كال. ماذا كان الروس يفعلون طوال فترة الحرب؟ حاولوا خلق أعلام زائفة وذرائع للتصعيد. لم يكن لديه تأكيد، كان مجرد شعور داخلي.

دون كال نقاط الحديث لأوستن.

عندما تحدث شويغو إلى أوستن، قال فجأة: "لدينا كل هذه المعلومات الاستخباراتية التي تقول إن الأوكرانيين يفكرون في استخدام قنبلة قذرة. وإذا فعلوا ذلك، فإننا سنعتبره عملاً من أعمال الإرهاب النووي، ولن يكون لدينا خيار سوى الرد". فكر كال: "بالتأكيد، لقد حدث."

قال أوستن بحزم: "نحن لا نصدقك. نحن لا نرى أي مؤشرات على ذلك، وسيرى العالم من خلال هذا."

قال أوستن بصوته الجهوري الممتلئ بالتحذير: "يبدو لنا أنكم تحاولون إنشاء ذريعة لاستخدام الأسلحة النووية، وإذا فعلتم ذلك، فهذه ستكون العواقب."

أوستن، الذي كان عادةً هادئًا، نقل مرة أخرى رسالة الردع من الرئيس بقوة: "لا تفعلوا ذلك."

قال شويغو: "أفهم. سنشارك معلوماتنا معكم ومع العالم."

اتصل جيك سوليفان بأندري يرماك، المستشار الرئيسي للرئيس الأوكراني زيلينسكي، وأخبره بأن يدعو فورًا الوكالة الدولية للطاقة الذرية (IAEA) إلى المنشآت النووية في أوكرانيا. افتحوا هذه المنشآت للتفتيش.

وصل مفتشو الوكالة الدولية للطاقة الذرية بسرعة ولم يعثروا على أي دليل على تحضير لبناء قنبلة قذرة.

حشد البيت الأبيض والبنتاغون جميع قنوات الاتصال، متصلين بالصينيين، والهنود، والإسرائيليين، والأتراك – الدول الصديقة لروسيا التي كانت أيضًا تجري مكالمات مع بوتين. لا ينبغي لأحد أن يستخدم سلاحًا نوويًا في أوكرانيا. أرسلوا الإشارة إلى بوتين.

وقد فعلت هذه الدول ذلك.

في غضون 12 ساعة، بدا أنهم أفشلوا مخطط روسيا.

قـال الـرئيس بايـدن للصـحفيين في 26 أكتـوبر، واضـعًا الأمـر بشـكل مباشر: "دعوني أقول فقط أن روسيا سترتكب خطأً خطيرًا للغاية إذا استخدمت سلاحًا نوويًا تكتيكيًا."

أطلعت مديرة الاستخبارات الوطنية أفريل هاينز الـرئيس بايـدن على أن تقـييم مجتمع الاستخبارات هو أن الرئيس الصيني شي جين بينغ كان لديـه أكـبر نفـوذ على بـوتين وكـان في أفضـل وضـع للتـأثير على تفكـير بـوتين بشـأن الأسـلحة النووية.

اتصل بايدن بشي وأكـد على الحاجـة إلى ردع روسـيا عن اسـتخدام سـلاح نـووي في أوكرانيـا. إذا كسر بـوتين حـاجز اسـتخدام الأسـلحة النوويـة، فسـيكون ذلـك حدثًا ضخمًا للعالم.

وافق الـرئيس شي. وأكـد أنـه سـيحذر بـوتين من الإقـدام على ذلـك. بـل إن شي فعــل ذلــك علنًــا. قــال الــرئيس شي من بكين في 4 نوفمــبر 2022: "يجب ألا تُخاض الحروب النووية." ودعا الدول إلى معارضة اسـتخدام الأسـلحة النوويـة أو التهديد باستخدامها.

العامل الحاسم الآخر الذي أسهم في ردع بوتين عن استخدام الأسـلحة النوويـة هـو أنـه لم يكن هنـاك انهيـار كـارثي في قـوات روسـيا. تحـركت أوكرانيـا ببطء وبالتـدريج، وانسـحبت القـوات الروسـية بأمـان عـبر نهـر دنيـبرو ومن خيرسـون. عندها فقط عدلت الاستخبارات الأمريكية تقييمها بشأن التهديد النووي.

احتفظ بوتين ببطاقاته النووية في الوقت الحالي.

قال كال: "ربما كانت تلك هي اللحظة الأكثر إثارة للرعب في الحرب بأكملها."

بعد ذلك، أراد الرئيس بايدن التأكد من أن روسيا قد تلقت الرسالة.

في أنقـرة، تركيـا، عقـد مـدير وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة وليـام بـيرنز اجتماعًـا سريًا مع رئيس الاسـتخبارات الخارجيـة الروسـية سـيرغي ناريشـكين لمـدة أربـع

ساعات في 14 نوفمبر 2022. كان مشهدًا كأنه خرج من رواية جاسوسية لجون لو كاريه.

عندما جلسوا، سربت روسيا خبر الاجتماع بينهما، في لعبة قوة أخرى.

جلس بيرنز مقابل ناريشكين. لقد عرف كل منهما الآخر منذ 20 عامًا كخصمين. تقريبًا على الفور، تمكن بيرنز من رؤية أن ناريشكين أراد التحدث عن "خطة سلام أمريكية جديدة لإنهاء الحرب."

قال بيرنز: "استمع. مهما كنت تقرأ في واشنطن، نحن لن نتفاوض بدون الأوكرانيين." كان بايدن صارمًا في هذا الشأن. "وما جئت للتحدث عنه هو الخطر الجسيم لاستخدام الأسلحة النووية."

شرح بيرنز بالتفصيل لناريشكين ما ستكون "العواقب الكارثية" إذا استخدمت روسيا سلاحًا نوويًا تكتيكيًا وكسرّت التابو النووي.

حذر بيرنز قائلًا: "لن تكون روسيا فقط معزولة تمامًا ومنبوذة، بل ستكون هناك أيضًا عواقب عملية جدًا من حيث الضرر الذي سنلحقه بالجيش الروسي."

أقسم ناريشكين بشدة أن ليس لديهم أي نية أو خطة للقيام بذلك. قال إنه كان يتحدث باسم بوتين.

أبلغ بيرنز الرئيس بايدن أنه واثق من أن الروس قد تلقوا الرسالة.

واجه الرئيس بايدن مأزقًا حقيقيًا.

قال الرئيس بايدن لمستشاره للأمن القومي إن الحرب الروسية الأوكرانية تمثل معضلة أساسية للولايات المتحدة والعالم.

قال بايدن: "إذا لم ننجح تمامًا في طرد روسيا من أوكرانيا، سنكون قد سمحنا لبوتين بالهرب نوعًا ما بفعلته. وإذا نجحنا تمامًا في طرد روسيا من أوكرانيا، نواجه احتمالًا قويًا جدًا لاستخدام الأسلحة النووية لأن بوتين لن يسمح لنفسه

بالهزيمـة في أوكرانيـا دون كسر حـاجز الأسـلحة النوويـة التكتيكيـة. لـذا نحن عالقون. الكثـير من النجـاح يعـني استخدام الأسـلحة النوويـة، والقليـل جـدًا من النجاح يعني نتيجة غير محددة وغير مؤكدة."

واختتم القائـد العـام قـائلاً: "هـذه هي الصـورة الاسـتراتيجية الـتي ننظـر إليهـا ونحاول التنقل من خلالها الآن."

من خلال المثـال والتجربـة، كـان بايـدن يعـترف بـأن العـالم غـير محمي من العقوبـات وكارثـة حـرب بين القـوى العظمى. كـان الهـدف، غـير المعلن ولكن المترسخ في كل إجراء وسياسة، هـو إيجـاد طريقـة لمحاولـة جعـل بـوتين يقبـل بفشـل مُعـدّل مـع جمـود في سـاحة المعركـة أو حـتى أفضـل، أن يهـزم بـوتين نفسه.

ستة وثلاثون

الرئيس السابق دونالد ترامب رأى في انتخابات منتصف المدة فرصته لتعزيز عودته السياسية. كان يهدف إلى مكافأة المرشحين الذين دعموا مزاعمه بأن الانتخابات السابقة تم تزويرها ومعاقبة الذين لم يفعلوا ذلك.
ولكن انتخابات منتصف المدة لم تكن الموجة الحمراء التي توقعها الحزب الجمهوري أو ترامب. استعاد الجمهوريون السيطرة على مجلس النواب بفارق ضئيل في 16 نوفمبر 2022، لكن الديمقراطيين احتفظوا بالسيطرة على مجلس الشيوخ.

كان ترامب غاضبًا من النتيجة. العديد من المرشحين الذين دعمهم فشلوا. في سباقات الحكام، خسر مرشحوه في بنسلفانيا، وماريلاند، وميتشيغان. وفي أريزونا، خسرت مرشحته كاري ليك سباقها على منصب الحاكم. ادعت ليك، دون أساس، أن الانتخابات تم تزويرها. وفي سباق مجلس الشيوخ، خسر المرشح المفضل لدى ترامب، هيرشل ووكر، الحائز على جائزة هايزمان لعام 1982، في جورجيا، وخسر أيضًا محمد أوز في بنسلفانيا.

ترامب ألقى باللوم على زوجته ميلانيا بسبب قراره بدعم أوز. قال: "ليس أفضل قرار لها"، محملاً اللوم للجميع عدا نفسه.

أظهرت استطلاعات الخروج أن الرئيس السابق كان ينظر إليه بإيجابية من قبل 39 في المئة فقط من الناخبين، مما وضعه دون معدل تأييد بايدن الذي كان 41 في المئة. كما قال ما يقارب الثلث من الناخبين إن تصويتهم كان رسالة معارضة لترامب. المرشحون الذين حصلوا على تأييد ترامب أدوا بشكل سيء بينما تفوق من لم يحصلوا على تأييده بفارق يزيد عن سبع نقاط.

كتب ترامب على منصته للتواصل الاجتماعي، "تروث سوشال": "بالرغم من أن انتخابات الأمس كانت محبطة إلى حد ما، من وجهة نظري الشخصية كانت

انتصارًا كبيرًا—219 فوزًا و16 خسارة في الانتخابات العامة—من حقق نتائج أفضل من ذلك؟"

ولكن النتيجة اعتبرت بشكل عام استفتاءً على ترامب.

قال ليندسي جراهام للرئيس السابق: "لديك مشكلة مع النساء المعتدلات. الناس الذين يعتقدون أن الأرض مسطحة وأننا لم نذهب إلى القمر، هؤلاء لديك. دع هذا الأمر يذهب."

كان على ترامب أن ينتقل من إعادة فتح ملف انتخابات 2020 ويركز على القضايا السياسية الفعلية وجعل انتخابات 2024 استفتاءً على بايدن، حسب اعتقاد جراهام.

قال جراهام لترامب: "يجب أن تكون حجتك هي: عندما كنت في الحكم، كان لدينا حدود آمنة، انظر ماذا حدث الآن. عندما كنت في الحكم، كنت تستطيع ملء خزان سيارتك دون أن ترهن بيتك. عندما كنت في الحكم، كانت روسيا والصين في صندوق. عندما كنت في الحكم، كانت إيران ضعيفة. عندما كنت في الحكم، لم يكن لدى طالبان أفغانستان."

وأضاف جراهام: "سيدي الرئيس، ليس كافيًا أن تنتقد بايدن، عليك أيضًا أن تقول: أستطيع إصلاح هذا."

قال جراهام"لا أحد يهتم بانتخابات 2020".

ولكن ترامب كان يهتم.

بعد أسبوع، كان ترامب جاهزًا للإعلان عن حملته الرئاسية الثالثة. وصف الإعلان بأنه "أهم خطاب في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية" وأنه "سيتم تذكره إلى الأبد."

حث الجمهوريون ترامب على تأجيل الإعلان. أن يكون صبورًا. دعه يدع الحزب الجمهوري يعيد ترتيب صفوفه بعد خسائر انتخابات منتصف المدة. لكنه لم يفعل.

قال ترامب في 15 نوفمبر 2022 أمام حشد صغير في قاعة مارالاغو الفاخرة: "نحن أمة في تراجع. بدء التعافي الأمريكي يبدأ الآن." وصف فترته الرئاسية بأنها "العصر الذهبي". ولكن عندما غادر ترامب البيت الأبيض في يناير 2021، كان لديه أدنى معدل تأييد لأي رئيس.

كان ترامب يطلق حملته الرئاسية في وقت كانت تتزايد فيه التحقيقات المدنية والجنائية ضده، بما في ذلك تحقيقات وزارة العدل في تصرفاته في 6 يناير واحتفاظه بوثائق سرية في مارالاغو بعد مغادرته المنصب.

قال ترامب في خطابه الذي استمر لمدة ساعة: "أي شخص يسعى حقًا لمواجهة هذا النظام المزور والفاسد سيواجه عاصفة من النار لا يفهمها إلا القليلون"، كما لو أن قراره بالترشح مرة أخرى كان تضحيات شخصية عظيمة.

في البيت الأبيض، كانت ردود الفعل على إعلان ترامب مختلطة. الرأي السائد بين الموظفين كان أن ترامب قد انتهى. لكن الرئيس بايدن ونائبته كامالا هاريس لم يشاركا هذا الرأي. كان ترامب يتحدى التقاليد. كل الأمور التي كان ينبغي أن تكون مدمرة له بدت وكأنها تجعله محبوبًا أكثر لدى أتباعه. اعتقدت هاريس أن إعلان ترامب كان مزعجًا للغاية.

قالت هاريس لمستشاريها في الأمن القومي: "هذه الانتخابات هامة للغاية، ربما الأكثر أهمية في تاريخ هذا البلد." كانت تعتقد أن انتخاب ترامب لأول مرة كان خطأً كبيرًا ولكن مع الكثير من الأشياء المجهولة. أما انتخابه مرة ثانية بعد كل ما فعله قد يكون "جرس موت للديمقراطية الأمريكية."

قالت ريبيكا ليسنر، نائبة مستشارة هاريس للأمن القومي: "يشعر نائب الرئيس والرئيس بثقل هذا الأمر بشكل حاد للغاية فيما يتعلق بما يجب أن يحدث."

سبعة وثلاثون

جاك سوليفان كان غالبًا ما يصف نفسه بأنه "مشرف إمدادات الجيش الأوكراني". السخرية لم تكن خافية عليه.

كان والده مسالمًا متشددًا، معترضًا ضميريًا على حرب فيتنام، حيث درس ليصبح كاهنًا، ثم ترك الدراسة وأصبح متطوعًا يسوعيًا في سان فرانسيسكو يدعم الأطفال الذين خرجوا من نظام الرعاية البديلة ولكنهم ما زالوا بحاجة إلى دعم.

عندما كان سوليفان طفلًا، لم يكن مسموحًا له بامتلاك مسدس ماء أو ألعاب فيديو.

الآن، كان يدير حربًا، وكان يساهم في إيصال الأسلحة الفتاكة الأمريكية إلى أوكرانيا، وهي الأسلحة التي أصبحت في صميم بقاء أوكرانيا. في البيت الأبيض، كان الكولونيل في الجيش جو دا سيلفا، الذي خدم في حروب أفغانستان والعراق، مسؤولًا عن خط إمدادات الأسلحة إلى أوكرانيا لصالح مجلس الأمن القومي.

في نوفمبر، بعد التفاؤل الذي أعقب الهجوم المضاد الجريء لأوكرانيا، اتخذ الأوكرانيون موقفًا دفاعيًا في محاولة للحفاظ على مواقعهم خلال أشهر الشتاء القاسية المقبلة. أخبر دا سيلفا سوليفان أن أوكرانيا كانت تواجه مشكلة كبيرة في الدفاع الجوي، وكانت الذخائر تنفذ.

منذ أكتوبر 2022، كانت روسيا تقصف شبكات الطاقة الأوكرانية في محاولة مستهدفة لحرمان الأوكرانيين من الضوء والتدفئة والماء خلال الأشهر الشتوية المقبلة. كانت درجات الحرارة ستنخفض قريبًا إلى -5 درجات فهرنهايت. كانت المدن تغرق في الظلام، وكان ملايين الأوكرانيين بلا كهرباء.

أخبر الرئيس بايدن الرئيس الأوكراني زيلينسكي بأنهم يسرعون في إرسال نظامين NASAM—وهو نظام دفاع جوي متقدم—إلى أوكرانيا للمساعدة في مواجهة الهجوم الصاروخي الروسي.

نظام NASAM هو الدرع الجوي الرئيسي الذي يُستخدم لحماية المجال الجوي فوق البيت الأبيض، والكونغرس، والبنتاغون. يكلف كل بطارية من نظام NASAM حوالي 23 مليون دولار وتطلق صواريخ بطول عشرة أقدام. وخلال أسبوع من وصولها، أثبتت NASAM فعاليتها. أبلغ زيلينسكي أن الروس أطلقوا عشر طائرات مسيرة وصواريخ من صنع إيراني، وتمكنت NASAM من إسقاطها جميعًا.

للدفاع ضد الصواريخ الباليستية الروسية، أرسلت الولايات المتحدة أحد أكثر أنظمة الدفاع الجوي تقدمًا في العالم، وهو نظام باتريوت. تم استخدام نظام باتريوت لأول مرة من قبل الولايات المتحدة في حرب الخليج عام 1991 لحماية إسرائيل والسعودية. تكلف كل بطارية باتريوت 400 مليون دولار، بالإضافة إلى 690 مليون دولار أخرى مقابل 150 صاروخًا بتكلفة 4 ملايين دولار لكل منها. ورغم ارتفاع تكلفته، إلا أنه لا يقدر بثمن في ساحة المعركة.

أصبح نظام باتريوت عنصرًا مهمًا للأوكرانيين، حيث أسقط بانتظام صواريخ "كينجال" الروسية فرط الصوتية، التي كانت تسافر بسرعات تفوق سرعة الصوت. كان بوتين قد تفاخر علنًا بأن صواريخ "كينجال" "لا تُقهر".

في 21 ديسمبر، سافر الرئيس زيلينسكي سرًا إلى واشنطن لإلقاء خطاب أمام الكونغرس. حتى طاقم الطائرة العسكرية الأمريكية C-40 737 التي أقلته من بولندا لم يكن لديهم إشعار مسبق حول هوية من كانوا سينقلونه.

في سترة خضراء مميزة، شكر زيلينسكي "كل أمريكي" وقدم نداء قويًا لاستمرار الدعم لأوكرانيا. في بعض الأحيان كان جادًا ومطالبًا، وفي أحيان أخرى كان مرحًا، حيث أظهر مرة أخرى أقوى أسلحته: مهاراته الاستثنائية في التواصل.

قال زيلينسكي: "لدينا مدفعية، نعم. شكرًا. لدينا. هل هي كافية؟ بصراحة، ليست كذلك حقًا"، مما أثار الضحك.

وتلقى تصفيقًا حارًا.

المشكلة الحادة التي كان على سوليفان ودا سيلفا التعامل معها كانت استدامة ذخائر أوكرانيا من عيار 155 ملم. الحفاظ على إمدادات ثابتة من الذخائر كان أمرًا حيويًا لقدرة أوكرانيا على البقاء في القتال ودفع روسيا للتراجع.

أصبح المدفع الضخم بطول 36 قدمًا هو العمود الفقري لدفاع أوكرانيا، وكان سلاحًا ناجحًا ومتعدد الاستخدامات في ساحة المعركة. كان المدفع، وهو تقاطع بين مدفع ومدفع هاون، يقذف ذخائر عيار 155 ملم، وهي قذيفة كبيرة يبلغ عرضها ست بوصات وطولها قدمين وتزن 100 رطل لكل واحدة. كان مدى المدفع يصل إلى 15 ميلًا مع معدل إطلاق ثابت يصل إلى 40 طلقة في الساعة، مما جعله ذا قيمة كبيرة للقوات البرية في تدمير أهداف العدو من مسافة بعيدة دون تعريض أنفسهم للخطر. لكن أوكرانيا كانت تستنزف ذخائر 155 ملم بمعدل مثير للقلق وكانت على وشك نفادها.

أدرك سوليفان أن النقص في ذخائر 155 ملم سيكون أحد المؤشرات في الحرب. كانت أوكرانيا أصعب بيئة عسكرية لأي جيش منذ الحرب العالمية الثانية، حسبما قال دا سيلفا. كانت حربًا مدفعية شاملة الآن، حيث كانت أوكرانيا وروسيا عالقتين في حرب خنادق، وكانت الخطوط الأمامية بالكاد تتحرك.

في أواخر يناير 2023، قدم الجنرال مارك ميلي تحديثًا قاتمًا في اجتماع لجنة رؤساء الأركان.

قال ميلي: "سيحتاج الأمر إلى 700,000 طلقة من ذخائر المدفعية عيار 155 ملم بين 1 فبراير و1 يونيو للحفاظ على الدفاع، وتنفيذ هجوم مضاد، وتوحيد المكاسب". كان هذا رقمًا ضخمًا.

كانت أوكرانيا تستهلك حوالي 100,000 طلقة في الشهر، أي حوالي 3,000 في اليوم، ولم يكن لدى الولايات المتحدة المخزون الكافي لمواكبة هذا الطلب.

كان سوليفان، وجون فينر، وأنتوني بلينكن يبحثون في جميع أنحاء العالم عن ذخائر 155 ملم، لكن أكبر المتبرعين، الحلفاء الأوروبيين، كانوا تقريبًا بنفس حالة الولايات المتحدة من النفاد. كانت الحرب قد كشفت مدى تخلف الولايات المتحدة وأوروبا في إنتاج وتخزين الأسلحة الأساسية.

قال سوليفان لدا سيلفا: "ابحث عن الدول التي ترغب في البقاء تحت الرادار"، تلك التي قد لا ترغب في التبرع لأوكرانيا ولكن قد تكون مستعدة للبيع للولايات المتحدة بدلاً من ذلك—لتقوم الولايات المتحدة بإيصالها إلى أوكرانيا.

عندما كان بايدن يجري مكالمة مع أحد زعماء العالم، كان دا سيلفا يفكر في طلب الأسلحة أو الذخيرة الذي يمكن إضافته إلى المكالمة.

ماذا تمتلك كوريا الجنوبية؟ جنوب أفريقيا؟ مصر؟ قبرص؟ الإكوادور؟

تمكن البنتاغون من التوصل إلى اتفاق مع كوريا الجنوبية أدى إلى توفير أكثر من نصف مليون طلقة من ذخائر 155 ملم لأوكرانيا. لكن هذا لم يكن كافيًا لتغطية العجز المتزايد في ساحة المعركة.

أدار دا سيلفا اجتماعًا يوميًا بين الوكالات من منتصف فبراير وحتى 10 أبريل 2023، ركز على سد النقص في ذخائر 155 ملم.

كان سوليفان يسأل يوميًا: "ما هو العجز؟"، ويطرح أسماء الدول وكأنه مضيف في برنامج مسابقات جغرافيا عالمية. من لم نجربه بعد؟ من لم يستجب؟ من لم يتم إثبات نفاد مخزونه بعد؟

كان المسؤولون في البنتاغون يحثون الأوكرانيين بشدة على عدم الاعتماد الزائد على المدفعية.

كانت الرسالة: "أطلقوا النار بشكل أقل، حاولوا أن تكونوا أكثر دقة، لا تنفدوا من الذخيرة، عليكم بالمناورة".

لكن دا سيلفا، الذي كان ينسق مع البنتاغون يوميًا، كان يدافع بقوة.

قال دا سيلفا: "إنهم لا يهدرونها". "إنهم يستخدمونها بأفضل طريقة ممكنة لتحقيق الديناميكيات التكتيكية التي يحتاجونها". كان الروس قد زرعوا آلاف الألغام في مناطق متشابكة بمساحات كيلومتر مربع. كانت هذه الفخاخ المميتة تزيد من كابوس الأوكرانيين.

لم يكن هناك "تجاوز". كان المزيلون الأوكرانيون يحفرون في الأرض قدمًا تلو الأخرى لتحديد وإزالة الألغام. "فقد ستة مزيلين أرجلهم"، حسبما قال مزيل ألغام أوكراني في اللواء 35 لقناة CBS News. كانت هذه العملية الدقيقة في إزالة الألغام تعطل بشكل كبير خطط الهجوم المضاد لأوكرانيا.

ضغط سوليفان على وزير الدفاع أوستن وآخرين في البنتاغون لتسريع إنتاج ذخائر 155 ملم. كان مخزونهم محدودًا لأن الولايات المتحدة لم تكن تفكر في حرب مدفعية ضخمة مستقبلية. كانت جداول الإنتاج الأمريكية قد ركزت بدلاً من ذلك على الأسلحة المتقدمة مثل الأسلحة النووية، وحاملات الطائرات العملاقة، والطائرات المقاتلة F-16، والصواريخ الباليستية، وأنظمة الدفاع الجوي. كان سوليفان واضحًا بأنهم بحاجة إلى توجيه القاعدة الصناعية الدفاعية نحو إنتاج عدد أكبر بكثير من ذخائر 155 ملم.

كان مستشار الأمن القومي يقضي نصف ساعة في معظم الأيـام على البحث عن ذخـائر 155 ملم. وكـان يتضـح بشـكل متزايـد أنـه إذا لم يتمكنـوا من العثـور على ما يكفي، فسيكونون أمام خيـار صـعب ومعقـد أخلاقيًا: إمـا إرسـال ذخـائر عنقودية أو ترك أوكرانيا بلا دفاعات.

ثمانية وثلاثون

في ميونيخ، ألمانيا، دخل وزير الخارجية بلينكن إلى الهيكل الأبيض الشبيه بالخيمة الذي أعده فريق الاتصالات الخاص به في جناحه بالفندق للاتصالات الآمنة. كانت الموسيقى تُشغل بالعكس كتشويش.

قال بلينكن عن الصوت: "يمكن أن يصيبك بالجنون بعد فترة". لكن الفنيين قالوا إنه يحجب ما يقوله، مما يجعل التنصت شبه مستحيل.

وضع وزير الخارجية سماعاته وتم توصيله بمكالمة سرية للغاية مع الرئيس، وأوستن، وميلي، وسوليفان.

قال بلينكن: "هناك اهتمام كبير من الشركاء الأوروبيين بتزويد أوكرانيا بطائرات F-16، وهي الطائرة المقاتلة الأمريكية الممتازة". كان في ألمانيا لحضور مؤتمر ميونيخ الأمني وكان يتلقى استفسارات متعددة من الحلفاء حول ما إذا كان الأميركيون سيمضون قدمًا في الأمر ومتى. كان زيلينسكي يطلبها منذ عام.

طائرة F-16 هي طائرة مقاتلة أمريكية متعددة المهام بمحرك واحد تفوق سرعة الصوت، مما سيمنح الأوكرانيين قدرات هجومية ودفاعية جوية متطورة. ولأن طائرات F-16 هي تكنولوجيا أمريكية، يتطلب الأمر موافقة أمريكية لكي تقدمها دول أخرى إلى دول ثالثة مثل أوكرانيا.

حتى الآن، كان الرئيس بايدن قد حجب الموافقة. كان مصدر قلقه الرئيسي هو التصعيد الذي قد يدفع حلف الناتو إلى الحرب مع روسيا أو يدفع بوتين لاستخدام سلاح نووي.

لم يكن هناك مقياس مثالي لهذا، وفقًا لما يعتقده بلينكن.

كان يشعر بالتردد على الطرف الآخر من الخط.

قال أوستن: "يجب أن نركز على الهجوم المضاد، ولن تفيد الأوكرانيين في هذا الهجوم لأننا لا نستطيع تدريبهم أو تزويدهم بطائرات F-16 خلال هذه الفترة." كان ذلك سيستغرق وقتًا طويلاً.

كان موقف البنتاغون ثابتًا بأن طائرات F-16 ليست حاجة فورية. لن يكون لها تأثير على المدى القريب في ساحة المعركة لأن الطيارين الأوكرانيين سيحتاجون إلى تدريب متخصص للطيران بالطائرات، بالإضافة إلى تدريب مكثف على اللغة الإنجليزية لأن الكتيبات والتحكمات وكل شيء يتعلق بالطائرات كان باللغة الإنجليزية.

اعتقد بلينكن أن هذه كانت حجة منطقية جدًا.

قال بلينكن: "انظروا، سلاح الجو الحديث سيكون جزءًا من المعادلة، لذلك هذا شيء سنفعله على الأرجح في النهاية. لماذا لا نبدأ الآن؟"

وأضاف: "سيكون هناك وقت طويل للتهيئة، لكنه سيجيب على المطالب، وسيُمكننا من البدء، كما تعلمون؟ وسيبعث رسالة أننا في هذا الصراع على المدى الطويل."

قال الرئيس بايدن: "توني، أحبك ولكن هذا لن يحدث."

قال بلينكن مازحًا: "ماذا عن طائرة سيسنا؟"

ضحك الرئيس.

لم يتراجع بلينكن. بعد عقدين من المحادثات مع بايدن، كان يعلم أن الرئيس يمكن أن يقول بحزم "لن نفعل ذلك"، بينما لا يزال يستمع ويبقي عقله مفتوحًا.

قال بلينكن: "لماذا لا نبدأ التدريب؟ لأنه سيكون هناك وقت طويل للتحضير للتدريب. ثم يمكنك اتخاذ القرار بشأن طائرات F-16 لاحقًا."

كان بلينكن يحاكي نهج بايدن في حل النزاعات السياسية، مفضلًا الوسطية. لم يكن من غير المعتاد أن يتردد بايدن ويؤجل اتخاذ قرار صعب.

قال بلينكن للآخـرين فيمـا بعـد: "الشيء المهم الـذي يجب معرفتـه عن الـرئيس هو أنه في النقاش، في الجدال الودي، غالبًا ما يتخذ موقفًا يقنعك بأنه مؤيد لشيء ما أو ضده بشدة."

وأضاف: "في الواقع، ما يحاول فعله هو دفع الأشخاص الذين يتحدث إليهم". وتابع: "بالنسبة للأشخاص الـذين لا يعرفونه جيدًا، يخلصـون إلى أن: آه، انسَ الأمر، لن يفعل ذلك. أما أنا، بعد قضاء كل هذا الوقت معه، أعلم أنه يحاول اختبار الفكرة عن طريق مهاجمتها بقوة."

أخيرًا قال بايدن: "لنبدأ بالتدريب."

تسعة وثلاثون

الجنرال مارك ميلي، رئيس هيئة الأركان المشتركة، وهو أعلى ضابط عسكري في الولايات المتحدة، قاد حملة طويلة بدأت في أوائل فترة رئاسة بايدن للقاء النائب العام ميريك جارلاند.

كان جارلاند، المحامي الحذر، قد استغرق وقته في التفكير في الأمر، لكنه وافق أخيرًا، ورتبت وزارة العدل لقاء على الغداء.

يُعتبر من النادر جدًا، إن لم يكن غير مسبوق، أن يزور رئيس هيئة الأركان المشتركة شخصيًا النائب العام في وزارة العدل. أحد المحامين الكبار في وزارة العدل، الذين كانوا معنيين بالأمر، اعتقد أن هذه هي المرة الأولى في تاريخ أمريكا.

اعتبر الجنرال ميلي أن هذا جزء من مهامه الروتينية كمستشار لمجلس الأمن القومي الذي كان جارلاند عضوًا فيه. أخبر فريقه أن من مسؤوليته مقابلة جميع المسؤولين في الحكومة "لتوحيد المواقف"، وهو مصطلح من سلاح المشاة يعني تسوية جميع الأسلحة على خط النار لضمان دقة الإطلاق.

كان ميلي مقتنعًا بشدة أن ترامب يشكل خطرًا على البلاد، وضغط على جارلاند للتحقيق في التهديدات الداخلية. كان قلقًا بشكل خاص من الجماعات اليمينية المتطرفة، التي هاجمت العديد منها مبنى الكابيتول في 6 يناير 2021 وما زالت تهدد بالعنف ضد الحكومة الفيدرالية.

قال ميلي: "هناك حركة ميليشيا كبيرة موجودة"، مضيفًا أن هناك تصاعدًا في الغضب والقلق الذي، إذا لم يتم التعامل معه بشكل صحيح، قد يؤدي إلى احتمالات للعنف. لكنه استدرك: "لن يصل الأمر إلى مستويات الحرب الأهلية أو شيء من هذا القبيل، ولكن يمكن أن يصل إلى مستويات من العنف الداخلي."

لم يكن ميلي الوحيد الذي ضغط على جارلاند. كانت هناك العديد من الادعاءات والخطوط التي يجب التحقيق فيها حول ترامب وتمرد 6 يناير لدرجة أن تحقيقًا مستقلًا حول الرئيس السابق كان شبه حتمي.

في 18 نوفمبر 2022، أعلن النائب العام جارلاند أنه سيكون هناك تحقيق مستقل بشأن ترامب.

عين جارلاند جاك سميث، وهو مدعٍ عام سابق بوزارة العدل، كمستشار خاص للإشراف على التحقيق في تمرد 6 يناير 2021. شجع ترامب المتظاهرين الذين اقتحموا الكابيتول في محاولة لإلغاء نتائج الانتخابات الرئاسية لعام 2020. تم تعيين جاك سميث أيضًا للتحقيق في تعامل ترامب مع الوثائق السرية وسجلاته الرئاسية التي تم الاحتفاظ بها في نادي ومقر إقامته في مارالاغو بفلوريدا.

قال جارلاند: "استنادًا إلى التطورات الأخيرة، بما في ذلك إعلان الرئيس السابق أنه مرشح للرئاسة في الانتخابات القادمة، وتصريح الرئيس الحالي [بايدن] بأنه ينوي الترشح أيضًا، استنتجت أنه من المصلحة العامة تعيين مستشار خاص."

تحدث ترامب لمدة ساعة و42 دقيقة في 4 مارس 2023 في مؤتمر العمل السياسي المحافظ (CPAC)، وهي مجموعة محافظة كبيرة ومؤثرة تأسست عام 1974 عندما ألقى حاكم كاليفورنيا آنذاك، رونالد ريغان، الخطاب الافتتاحي.

قال ترامب: "اليوم، أنا محاربكم. أنا عدالتكم. ولأولئك الذين تم ظلمهم وخيانتهم، أنا انتقامكم."

كان هذا شعارًا مهمًا ومركزيًا في حملة ترامب الرئاسية لعام 2024، وهو وعد بالانتقام لأولئك الذين شعروا بأنهم تعرضوا للظلم أو الاستبعاد.

بعد يومين، في الاثنين 6 مارس 2023، حضرت استقبالًا في فندق ويلارد في واشنطن العاصمة.

قال لي الجنرال ميلي عند اقترابي منه: "علينا أن نتحدث."

لم يكن ميلي يرتدي زيه العسكري، بل كان يرتدي سترة رياضية داكنة عصرية وقميصًا مربع النقش. كان يبدو كما لو أنه استحم حديثًا وكان مسترخيًا، رغم أنه كان يقف بشكل مستقيم مع صدره العريض ووضعية كتفٍ متزنة كرجل جيش.

كان ميلي لا يزال قلقًا بشأن ترامب.

قال ميلي: "لم يكن هناك أحد أكثر خطورة على هذا البلد من دونالد ترامب." وأضاف: "هل تدرك، هل ترى ما هو هذا الرجل؟ لقد لمحت ذلك عندما تحدثت إليك في الماضي—بالنسبة لكتاب *الخطر*، لكنني أدرك الآن ذلك تمامًا. أدرك ذلك."

كان ميلي قد شاركني قلقه بشأن الاستقرار العقلي لترامب وسيطرته على الأسلحة النووية من أجل كتاب *الخطر* الذي شاركت في تأليفه مع روبرت كوستا.

واصلنا الحديث، مما أثبت أنه من الممكن إجراء محادثة خاصة جدًا في وسط غرفة مكتظة بالناس.

قال ميلي: "علينا أن نوقفه!" وأضاف: "عليك أن توقفه!" وكان يقصد بـ"أنت" الصحافة بشكل عام. "إنه أخطر شخص على الإطلاق. كنت أظن أن هناك علامات على تدهوره العقلي وما إلى ذلك، ولكن الآن أدرك أنه فاشي تمامًا. إنه أخطر شخص على هذا البلد."

كانت عيناه تتجولان في الغرفة التي كانت مليئة بـ 200 ضيف من مجموعة كوهين، وهي شركة استشارات أعمال عالمية يديرها وزير الدفاع السابق ويليام كوهين. تحدث كوهين ووزير الدفاع السابق جيمس ماتيس في الاستقبال.

قال لي ميلي مرة أخرى: "فاشي حتى النخاع!"

لن أنسى أبدًا شدة قلقه.

في يونيو، أعلن ترامب على وسائل التواصل الاجتماعي أنه يواجه اتهامات جنائية تتعلق بتعامله مع الوثائق السرية في مارالاغو، مما جعله أول رئيس سابق يواجه اتهامات جنائية فيدرالية. قال ترامب على منصة تروث سوشيال: "لقد أبلغتني إدارة بايدن الفاسدة عبر محاميّ أنه تم توجيه الاتهام لي، فيما يبدو بسبب خدعة الصناديق". وأضاف: "أنا بريء."

قدم محاميه السابق، بيل بار، تقييمًا صريحًا على قناة فوكس نيوز. قال بار: "إنه منتهي" إذا ثبت صحة حتى نصف ما تم الادعاء به. وأضاف: "إنه ليس ضحية هنا. لقد كان مخطئًا تمامًا في اعتقاده أن لديه الحق في الاحتفاظ بهذه الوثائق. هذه الوثائق هي من بين أكثر الأسرار حساسية في البلاد."

كما كان الرئيس بايدن يعزز حملته الانتخابية لإعادة انتخابه، حيث حضر العديد من الفعاليات لجمع التبرعات في يونيو 2023. كان وادي السيليكون، الذي يُعتبر مركز التكنولوجيا، مليئًا بالمتبرعين المهمين وأصحاب الأموال الكبيرة. كانت أول فعالية لجمع التبرعات التي استضافها كيفين سكوت، المدير التقني لشركة مايكروسوفت، في منزله في لوس غاتوس في 19 يونيو، حضرها 38 ضيفًا، بما في ذلك بعض من أكبر المتبرعين الديمقراطيين في الوادي. جمعت الفعالية 2.7 مليون دولار لصندوق إعادة انتخاب بايدن. لكن الضيوف قالوا إن أداء بايدن كان "سيئًا بشكل مخيف". ووصفوه بأنه "مثل جدك العجوز المصاب بالخرف" يتجول في الغرفة ويقول للنساء: "عيناك جميلتان جدًا."

كان بايدن، الذي كان عمره 80 عامًا، قد سافر من واشنطن في وقت سابق من ذلك اليوم. واعترف أحد المتبرعين أنه ربما استيقظ مبكرًا جدًا لكنه بدا متعبًا. "لم يكن بإمكانه الانتظار ليجلس ولم يرد إلا على سؤالين معدين

مسبقًا." كان يحمل مجموعة من البطاقات التي تحمل الإجابات المكتوبة عليها، لكنه حتى مع ذلك كان يبدو أنه يتشتت عن الموضوع.

في فعالية أخرى أكبر لجمع التبرعات في نفس اليوم استضافها رجل الأعمال ستيف ويستلي، المراقب المالي السابق ومستثمر كبير في تسلا، وزوجته أنيتا يو، أفاد الحضور بأن تجربتهم مع بايدن كانت معاكسة تقريبًا. قال المضيف للآخرين: "كان نشيطًا"، مضيفًا "لم يجلس لمدة ساعتين." حضر الفعالية حوالي 170 شخصًا.

استمرت أداءات بايدن، خاصة في فعاليات جمع التبرعات، في إظهار علامات مقلقة على التدهور خلال يونيو.

في فعالية في فندق فور سيزونز في مدينة نيويورك، لم يستطع بايدن تذكر كلمة "محارب قديم". وعندما فقد الكلمة، سأل مجموعة صغيرة من المتبرعين لمساعدته في العثور على الكلمة المناسبة لشخص خدم في الجيش. فساعده أحد الضيوف على قولها—"محارب قديم." فوجئت المجموعة وشعرت بالاضطراب.

وفي فعالية لجمع التبرعات حضرها حوالي 20 شخصًا في منزل المحسنين سوزي ومايكل جيلمان في تشيفي تشيس بولاية ماريلاند، في 27 يونيو 2023، وصف الضيوف تفاعلهم مع بايدن بأنه "مؤلم".

قال بيل رايشبلوم، المؤسس المشارك ورئيس مؤسسة ليبرتيز جورنال، الذي حضر مع زوجته ووالده، السفير الأمريكي السابق لدى رومانيا: "لم يكمل جملة واحدة." وأضاف: "كان يبدأ بالحديث عن شيء، ثم يقفز إلى مكان آخر. كان يروي نفس القصة ثلاث مرات بنفس الطريقة تمامًا وتاه الموضوع لدرجة... كان الأمر لافتًا."

قال رايشبلوم: "بصراحة، كان انطباعي في بعض الأوقات أنه وكأنه لم نكن موجودين. كان فقط يهذي ويتحدث عما خطر بباله." كان بايدن يبدو لرايشبلوم كجد أو والد مسن يتحدث ويتحدث لكن "دون أن يُحدث أي معنى."

تساءل كثيرون عما إذا كانت مجرد "ليلة سيئة" بالنسبة لبايدن.

سأتعلم أهمية هذه الفعاليات لجمع التبرعات كعلامات مبكرة على تدهور بايدن بعد سنة من ذلك، في يونيو 2024.

أربعون

في 11 يونيو 2023، قدم العقيد جو دا سيلفا تحديثًا لجايك سوليفان حول الوضع الخطير لمخزون الذخيرة في أوكرانيا.

قال دا سيلفا: "إنهم يحرقون كمية هائلة من الذخيرة يوميًا". وأضاف: "يستخدم الأوكرانيون أكثر من 10,000 طلقة من ذخيرة 155 ملم يوميًا." ففتح سوليفان عينيه بدهشة وقال: "حسنًا، متى سينفد مخزونهم؟"

رد دا سيلفا: "ربما بحلول نهاية يوليو"، أي بعد ستة أسابيع.

نظر دا سيلفا إلى سوليفان بوجه جدي. كان كلاهما يعلم أن حرب المدفعية بدون ذخيرة مدفعية تعني نهاية أوكرانيا.

كانت هذه الحرب الثالثة التي يخوضها دا سيلفا. فقد خدم 38 شهرًا في حرب العراق. وقد شهد العيوب في النهج الأمريكي في العراق وأفغانستان، وكان يشعر بقوة أن مساعدة أوكرانيا في الدفاع عن نفسها ضد محاولة بوتين الوحشية للغزو الإقليمي كانت أعدل قضية شارك فيها خلال سنواته الـ21 في الجيش الأمريكي.

كان والد دا سيلفا، الذي يبلغ من العمر 93 عامًا وهو مهاجر برتغالي وعمل كحارس مدرسة، دائمًا متشككًا في الحروب الأمريكية في أفغانستان والعراق.

قال الأب لابنه: "جو، لا أدري ما الذي نفعله هناك."

لكن في حرب أوكرانيا، قال والده: "لم يكن يجب على الروس أن يفعلوا هذا، وأنا سعيد لأننا نساعد هؤلاء الناس."

رغم الانقسامات السياسية، كان دا سيلفا يشعر بأن الأمريكيين يفهمون الفروق بين الصواب والخطأ. معظم الأمريكيين، سواء كانوا جمهوريين أو ديمقراطيين أو مستقلين، كانوا يرون أن الحرب قضية عادلة.

أكد البنتاغون أن المصدر الوحيد البارز لذخيرة 155 ملم على الأرض التي يمكن إطلاقها من المدافع كانت القنابل العنقودية الأمريكية.

تُعتبر القنابل العنقودية محظورة من قبل 123 دولة على أنها غير إنسانية وعشوائية. حيث تنفجر في الهواء فوق الهدف وتطلق عشرات أو أكثر من القنابل الصغيرة فوق منطقة واسعة بحجم ملعبين لكرة القدم. تنفجر هذه القنابل الصغيرة في الهواء إلى شظايا معدنية قاتلة. أما تلك التي لا تنفجر، فتبقى كقنابل موقوتة على الأرض، غالبًا ما تنفجر بعد شهور أو حتى سنوات عندما يعثر عليها المدنيون والأطفال أو يعبثون بها في الحقول القديمة من الحروب الماضية. أظهرت الدراسات في فيتنام أن القنابل العنقودية تسببت في إصابات أكثر بثماني مرات من الذخائر العادية. إنها إحدى الوسائل القبيحة في الحرب.

كان الرئيس بايدن قد أعرب بوضوح عن عدم ارتياحه للقنابل العنقودية. قال عندما طُرحت طلبات أوكرانيا للحصول على القنابل العنقودية: "آخر الحلول".

وكان الآن الحل الأخير.

قال البنتاغون، الذي كان مترددًا في إعطاء أوكرانيا العديد من الأسلحة الأخرى، إن القنابل العنقودية الأمريكية (الذخائر التقليدية المحسنة متعددة الأغراض) ستضاعف فعالية أوكرانيا على أرض المعركة. وكانت الولايات المتحدة تملك مخزونًا كبيرًا من 413,000 قنبلة عنقودية محسنة بمعدل فشل 1.3 في المئة، وأكثر من 800,000 قنبلة بمعدل فشل 2.35 في المئة.

كانت روسيا بالفعل تستخدم القنابل العنقودية في أوكرانيا بمعدل فشل أعلى بكثير يتراوح بين 30 و40 في المئة.

تم تقديم المعارضة للقنابل العنقودية في إطار حقوق الإنسان، لكن كان من الصعب على سوليفان وفاينر التفكير في انتهاك أكثر جرأة مما لو سُمح للروس بالتقدم لارتكاب المزيد من الفظائع في الأراضي الأوكرانية المحتلة.

قُتل أكثر من 2,400 مدني أوكراني في ماريوبول. وقُتل أكثر من 450 مدنيًا في بوتشا مع وجود أدلة واضحة على الإعدام: أيديهم كانت مربوطة خلف ظهورهم، وتم إطلاق النار عليهم في الرأس أو ذُبحت أعناقهم. وفي إربين، عُثر على أكثر من 290 مدنيًا قتلى—قتل العديد منهم بنيران روسية عشوائية أو الإعدام. كانت الضربات الصاروخية في المراكز الحضرية المزدحمة في أكثر الأوقات ازدحامًا خلال اليوم.

كان بوتين مسؤولاً أيضًا عن اختطاف ما لا يقل عن 6,000 طفل أوكراني من الأراضي المحتلة مثل ماريوبول وخيرسون وخاركيف وتبنيهم لعائلات روسية.

وضع أحد التقييمات الاستخباراتية الأمريكية الأمر ببساطة: إذا لم يتم تزويد أوكرانيا بالقنابل العنقودية، فستصبح للجيش الروسي ميزة بنسبة 5 إلى 1 أو حتى 10 إلى 1 في عدد الطلقات المدفعية المتاحة له—وهو فارق مدمر. وكان ضمنيًا أن أوكرانيا لن تخسر الحرب فحسب، بل ستكون مذبحة.

خلال إفادة الرئيس اليومية في 29 يونيو، كان جميع المسؤولين الرئيسيين متفقين تمامًا. أوصى كل من أوستن وميلي بايدن بإرسال القنابل العنقودية.

كان أوستن وميلي قد قادا وحدات قيادة خلال حرب العراق عندما استخدمت القوات الأمريكية القنابل العنقودية. وذكروا أنه لا يوجد بديل أفضل لها في ساحة المعركة.

وقال سوليفان وفاينر إنهما تلقيا تأكيدات صريحة من الحلفاء الموقعين على الحظر الدولي على القنابل العنقودية بأنه إذا أقدم بايدن على اتخاذ القرار، فلن يكلف الولايات المتحدة شيئًا في وحدة التحالف.

أشار رؤساء المخابرات، مدير الاستخبارات الوطنية أفريل هينز ومدير وكالة المخابرات المركزية ويليام بيرنز، إلى أن إرسال القنابل العنقودية لن يُعتبر تصعيدًا كبيرًا من قبل الروس. إذ إن الروس يستخدمون بالفعل قنابل عنقودية أكثر خطورة بمعدل أعلى. وكانت فكرة رسمهم لخط أحمر تجاه هذه الخطوة سخرية.

قال بايدن: "أنا أوافق على النقل".

قال سوليفان مازحًا في وقت لاحق لدا سيلفا: "كيف أصبحت المدافع العلـني الرئيسي لاسـتخدام القنابـل العنقوديـة؟ لم أكن أعتقـد أبـدًا في حيـاتي أنـني سأفعل ذلـك. جـو دا سـيلفا، هـذا خطـؤك"، وأضـاف مازحًـا: "أنت من جعلـني أفعل ذلك."

كـان سـوليفان يفهم أنهـا إحـدى الضرورات القاسـية وغـير المرغـوب فيهـا في الحرب التي تجبر على اتخاذ خيار أخلاقي صعب وبعيد عن الوضوح.

واحد وأربعون

يفغيني بريغوجين، الطباخ الشخصي لبوتين الذي تحول إلى مقاول عسكري خاص، كان غاضبًا علنًا من عدم كفاءة وتنظيم الجيش الروسي.

بريغوجين، الرجل الضخم والأصلع الذي يبدو كأنه مأخوذ مباشرة من صورة نمطية لبلطجي روسي، استخدم وسائل التواصل الاجتماعي خلال الحرب لتحدي دوافع الكرملين في القتال في أوكرانيا.

قال بريغوجين: "لم تكن الحرب ضرورية لإعادة المواطنين الروس إلى أحضاننا، ولا لنزع السلاح أو نزع النازية عن أوكرانيا. كانت الحرب ضرورية لكي يهلل مجموعة من الحيوانات بمجدهم."

كما كان منخرطًا في خلاف علني جريء مع وزير الدفاع الروسي شويغو، الذي اتهمه بحرمان قوات فاغنر التابعة له—وهي مزيج من المرتزقة النخبة وآلاف السجناء الروس—من الذخيرة في أوكرانيا. وقد جعل هذا فاغنر، التي كانت تقاتل لصالح روسيا، مجرد آلة قتل.

وقال بريغوجين بازدراء: "القمامة التي لا تعطينا الذخيرة ستأكل أحشاءها في الجحيم."

في معركة باخموت التي استمرت شهورًا، وهي مدينة أوكرانية في الشرق، أبلغ بريغوجين أن فاغنر فقدت أكثر من 20,000 رجل. نشر فيديو لنفسه وهو يمشي في حقل ليلاً بين عشرات الجثث بالزي العسكري. قال بريغوجين: "هؤلاء هم شباب من فاغنر ماتوا اليوم. دمهم لا يزال طازجًا!"

ثم هاجم قادة الدفاع الروس، صارخًا في الكاميرا: "شويغو، غيراسيموف، أين الذخيرة اللعينة؟"

في نهاية المطاف، وفي يوم الجمعة 23 يونيو 2023، أمر بريغوجين قواته بالالتفاف في أوكرانيا وأمرهم بـ "المسير من أجل العدالة" إلى موسكو. كانت مواجهة درامية. بدأت دبابة بالتقدم ببطء من أوكرانيا نحو العاصمة الروسية، مما لفت انتباه العالم. قدمت إيران تغطية لحظة بلحظة على قنواتها الإخبارية، واتصل الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي ببوتين في مكالمة قلقة.

قال بوتين في خطاب متلفز إلى الأمة ذلك اليوم بنبرة واضحة الغضب: "الأفعال التي تفرق وحدتنا هي طعنة في ظهر بلدنا وشعبنا."

وفي أقل من 24 ساعة، وعلى بعد 125 ميلاً من موسكو، أعلن بريغوجين أنه توصل إلى اتفاق مع الرئيس البيلاروسي ألكسندر لوكاشينكو وسيتراجع عن تحركه.

وبعد شهرين، قُتل بريغوجين في حادث تحطم طائرة شمال موسكو.

قالت أفريل هاينز، مديرة الاستخبارات الوطنية (DNI)، أثناء مراقبتها لبوتين: "اتخاذ إجراءات، مثل قتل بريغوجين، والقيام بالأشياء التي قام بها، يشعره بالإحساس بالتمكين. هو في السيطرة، لقد فعل هذا، وهذا جزء من نفسيته."

خلال مؤتمر اقتصادي في روسيا في سبتمبر، قال بوتين: "السيد ترامب يقول إنه سيحل جميع القضايا الملتهبة في غضون عدة أيام، بما في ذلك الأزمة الأوكرانية. لا يمكننا إلا أن نشعر بالسعادة حيال ذلك."

وصف بوتين القضايا الجنائية المتراكمة ضد ترامب—التي وصلت إلى 91 تهمة جنائية—بأنها اضطهاد سياسي. وأضاف بوتين: "في ظل الظروف الحالية، ما يحدث هو أمر جيد بالنسبة لنا، في رأيي، لأنه يُظهر مدى فساد النظام السياسي الأمريكي، الذي لا يمكنه أن يدعي تعليم الديمقراطية للآخرين."

عند سؤاله عن تعليقات بوتين في مقابلة على برنامج "Meet the Press" مع الصحفية الأمريكية كريستن ويلكر من شبكة NBC، تباهى ترامب قائلاً: "أحب أن قال ذلك لأن ذلك يعني أن ما أقوله صحيح."

وقال ترامب: "سأحصل عليه في غرفة، سأحصل على زيلينسكي في غرفة وسأتوصل إلى صفقة." وعندما ضغطت عليه ويلكر للحصول على تفاصيل، أضاف ترامب: "إذا أخبرتك بالتحديد، سأفقد كل أوراقي التفاوضية. أعني، لا يمكنك حقًا أن تقول بالضبط ما ستفعله. لكنني سأقول أشياء معينة لبوتين، وسأقول أشياء معينة لزيلينسكي." لم يكن واضحًا أن ترامب لديه أي أفكار ملموسة حول كيفية حل الحرب.

وقال ترامب عن بوتين: "أنا أتفق معه جيدًا، وهذا أمر جيد، وليس سيئًا."

اثنان وأربعون

رون ديرمر، أقرب مستشار لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، والذي يُطلق عليه غالبًا "عقل بيبي"، في منزله في القدس مع عائلته بمناسبة بدء عيد سيمحات توراه اليهودي يوم السبت 7 أكتوبر 2023. وفي حوالي الساعة 6:30 من صباح ذلك اليوم، بدأ هاتفه يرن ويرن ويرن ويرن. لقد بدأ نظام التنبيه الأحمر، وهو التطبيق المتطور على هاتفه الذي يخطره في كل مرة يتم فيها إطلاق صاروخ على إسرائيل والمكان الذي سيضربه، في العمل بشكل جنوني.

كان يراقب بقلق متزايد تدفقًا سريعًا من الإشعارات على شاشة هاتفه. لقد تم إطلاق وابل من 3000 صاروخ على إسرائيل. بدأت حماس، الجماعة الفلسطينية المسلحة التي تسيطر على قطاع غزة جنوب إسرائيل، هجومًا مفاجئًا ضخمًا.

كان السبت يوم راحة للشعب اليهودي، ولكن عندما فتح ديرمر جهاز التلفاز وشاهد شاحنات بيضاء صغيرة مليئة بمسلحي حماس تسير على طول الطرق الرئيسية في جنوب إسرائيل، ركب سيارته على الفور وتوجه إلى تل أبيب للقاء نتنياهو.

وبحلول الوقت الذي وصل فيه ديرمر إلى كيرياه، النسخة الإسرائيلية من البنتاغون، ونزل إلى عمق المخبأ تحت الأرض، كان مسلحو حماس قد بدأوا في قتل أي إسرائيلي تمكنوا من العثور عليه.

"هذه حرب"، هكذا قال نتنياهو لديرمر، وهو تصريح تردد صداه في مختلف أنحاء البلاد.

تم تنبيه منسق مجلس الأمن القومي في الشرق الأوسط بريت ماكجورك، البالغ من العمر 50 عامًا، من قبل غرفة العمليات في البيت الأبيض إلى هجمات صاروخية في إسرائيل بعد منتصف الليل بقليل في واشنطن العاصمة، في 7 أكتوبر 2023. كانت المنطقة الزمنية لإسرائيل متقدمة بسبع ساعات عن واشنطن.

لم يفكر ماكجورك كثيراً في الأمر، فقد كانت الإنذارات بإطلاق الصواريخ أمراً شائعاً في إسرائيل.

وبعد لحظات، في الساعة 12:17 صباحا، رن هاتفه برسالة نصية من السفير الإسرائيلي لدى الولايات المتحدة مايكل هيرتزوغ، وهو جنرال سابق في قوات الدفاع الإسرائيلية: "لقد شنت حماس للتو هجوما صاروخيا ضخما ضد إسرائيل. هذه حرب".

ثم قال مستشار الأمن القومي الإسرائيلي تساحي هنغبي: "ما يحدث هو هجوم ضد إسرائيل، هجوم منسق!"

ثم جاء التحديث من هيرتزوغ: "لقد شنوا الهجوم على حين غرة، بما في ذلك التسلل عبر الحدود. هذا هجوم ضخم غير مبرر لا يمكن الرد عليه. نحن بحاجة إلى إدانة علنية قوية من جانبكم ودعم واضح".

وكتب ماكجورك في الساعة 1:12 صباحًا: "نحن معكم".

لقد ظل مستيقظا بقية الليل.

كانت الساعات الأولى من الغزو عبارة عن ضباب من الفوضى والارتباك، ولكن الصورة الكاملة ظهرت مع مرور الوقت وكانت صورة رعب لا يمكن تصوره. فقد اقتحم مسلحو حماس من غزة الحدود إلى جنوب إسرائيل. وحطموا المعابر، وهدموا أبراج الاتصالات، وهاجموا مراكز القيادة العسكرية الإسرائيلية غير المنتبهة. ثم باستخدام الشاحنات الصغيرة وفانات والسيارات الجيب والدراجات النارية وحتى الطائرات الشراعية، تدفق ثلاثة آلاف من مسلحي

حماس إلى مجتمعات الكيبوتس، وأحرقوا المنازل وذبحوا عائلات بأكملها، بما في ذلك الأطفال والرضع في مهودهم وأسِرتهم ذات الطابقين(وشوحو فخادهم في السمنة وأكلوهم). وكان العديد منهم لا يزالون في ملابس النوم. وكان آخرون جالسين لتناول الإفطار. وأطلقت حماس النار على الإسرائيليين وقطعت رؤوسهم وأحرقتهم وقطعت أوصالهم وأحرقتهم أحياء.

وفي نفس اليوم، هاجم خمسون إرهابياً من حماس مهرجاناً موسيقياً في مدينة رعيم الإسرائيلية، على بعد ثلاثة أميال من حدود غزة. وأطلقت سيارات الجيب والشاحنات الصغيرة المكتظة بمسلحي حماس النار على المشاركين في المهرجان، وحاصرتهم في الصحراء المفتوحة مع وجود أماكن قليلة للاختباء. واستهدف المسلحون الشباب والفتيات أثناء فرارهم أو اختبائهم في الأشجار أو الشجيرات.

كما ارتكب مسلحو حماس أعمال عنف جنسي ووحشية ضد النساء، بما في ذلك ربطهن بالأشجار واغتصابهن(ادي اخرة الاستمناء الفكري)**. روى رامي ديفيديان، أحد عمال الطوارئ في مهرجان الموسيقى، في وقت لاحق في الفيلم الوثائقي لشيريل ساندبرج " الصراخ قبل الصمت "، "رأيت فتيات مقيدات بأيديهن خلف كل شجرة هنا. قتلهن أحدهم واغتصبهن وأساء معاملتهن هنا على هذه الأشجار. كانت أرجلهن متباعدة ... وأدخلوا كل أنواع الأشياء في أعضائهن الحميمة، مثل الألواح الخشبية والقضبان الحديدية. قُتلت واغتصبت أكثر من 30 فتاة هنا"**(الدمعة نزلت من كوبري)**.**

تحدث راز كوهين، مشارك آخر في المهرجان، في الفيلم الوثائقي، وكان مختبئًا مع صديقه شوحم. "قال شوحم، الذي كان بجواري، 'إنه يطعنها. إنه يذبحها'... ولم أرد أن أنظر... عندما نظرت مجددًا، كانت قد ماتت بالفعل، وكان لا يزال يفعل ذلك. كان لا يزال يغتصبها بعد أن ذبحها."

وفي وقت لاحق، قام أعضاء حماس بعرض جثة امرأة قتلوها، وهي شاني لوك، وهي مواطنة ألمانية إسرائيلية تبلغ من العمر 22 عامًا، في شاحنة صغيرة عبر مدينة غزة. كانت ترتدي ملابس داخلية فقط. وهتف المسلحون "الله أكبر"، وبصقوا على جثتها.

في مساء السابع من أكتوبر/تشرين الأول، في أعماق الأرض في تل أبيب، التقى رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو ورون ديرمر مع قيادات الأمن والجيش الإسرائيلي في الوقت الذي استمر فيه الهجوم المفاجئ في جنوب إسرائيل في تدمير المجتمعات.

كانت التقارير عن الأهوال تزداد سوءًا كل ساعة، وكانت التقارير عن أعداد القتلى تتزايد بالمئات.

هل نحن مسيطرون على الموقف؟ طلب نتنياهو من مجلس الوزراء الأمني أن يتدخل. لم يتم إبلاغه بالهجوم إلا في الساعة 6:30 من صباح ذلك اليوم. انطلقت إشارات الإنذار المبكر في حوالي الساعة 3:00 صباحًا، لكنها لم تتصاعد أبدًا إلى مستوى إبلاغ رئيس الوزراء. لقد كان فشلًا استخباراتيًا وعسكريًا هائلاً.

سأل ديرمر"لماذا لم توقظوا رئيس الوزراء؟" لم يكن لدى أحد إجابة جيدة.

ظل نتنياهو يركز بشدة على الوضع المتطور: هل قوات الدفاع الإسرائيلية تتوجه إلى المجتمعات التي تتعرض للهجوم؟ هل تسلل مسلحو حماس إلى ما وراء ضواحي غزة؟ هل هناك هجوم آخر قادم؟ ماذا نحن مستعدون للقيام به؟ ماذا يجب أن نفعل دبلوماسيًا؟

عقد الرئيس بايدن اتصالًا مع فريقه للأمن القومي، بما في ذلك سوليفان، بلينكن، أوستن وبيرنز. وقدموا تحديثًا حول كل ما كانوا يرونه يحدث في إسرائيل.

قال بايدن إنه يريد التحدث إلى نتنياهو في أقرب وقت ممكن وأضـاف: "يجب أن يكون هناك بشدة إدانة لما حدث، ولحماس".

على الهـاتف في وقت لاحـق من ذلـك اليـوم، قـال نتنيـاهو لبايـدن: "إسرائيل ستنتصر" في حرب ضد حماس. لم يكن تركيزه على هجوم حماس بل على مـا قد يأتي لاحقًا.

وأضـاف لبايـدن: "عليـك أن تبـدأ في إرسـال رسـائل إلى حـزب الله حـتى يبقى خـارج الحـرب. يحتـاج حـزب الله إلى تلقي الرسـالة من الولايـات المتحـدة: لا تدخلوا الحرب. لا تدخلوا الحرب. ابقوا خارج الحرب."

كـان نتنيـاهو، الـذي بـدا مرتبكـا، قلقًـا من أن حـزب الله، الميليشـيا القويـة المدعومة من إيران في لبنان، قد يهاجم إسرائيل من الشمال.

"هؤلاء الناس يعتقدون أننا ضـعفاء"، قـال نتنيـاهو. "وفي الشرق الأوسـط، إذا كنت ضعيفًا، فأنت مجرد فريسة."

"نحن معكم"، قال بايدن لنتنياهو، وأكد له أن هناك تنسـيقًا وثيقًـا مسـتمرًا بين الجيشين والاستخبارات الأميركية والإسرائيلية.

واتصل نتنياهو بعد ذلك بجاك سوليفان مباشرة.

كـان مستشـار الأمن القـومي في قريـة صـيد صـغيرة في جنـوب فرنسـا على وشـك بـدء عطلـة قصـيرة مـع زوجتـه، مـاجي جودلانـدر، وعـدد من أصـدقائهما المقربين، عندما تلقى تنبيهًا عن هجوم حماس. الآن سيتوجه إلى واشنطن.

قال نتنياهو لسوليفان بلهجة ملحة: "جايك، نحتاج منك أن تهدد حزب الله. هـذا .نحتاج منك أن تخبرهم أنه إذا تعاملوا معنا ، فإنهم يتعاملون معك ".

كان حـزب الله يمتلـك أكـبر قـوة مقاتلـة لأي جهـة غـير حكوميـة في العـالم، مـع عشرات الآلاف من الجنود وأكثر من **150,000** صاروخ وقذيفة.

كان سوليفان يشعر من نبرة نتنياهو أن هذا كان وجوديًا لإسرائيل—لحظة من أشد لحظات الضعف. بدا نتنياهو وكأنه يعتقد أنه قد يفقد بلاده حقًا. حزب الله قد يأتي، إيران قد تأتي، الجميع قد يأتي في وقت واحد لمحاولة تدمير إسرائيل.

كانت إحدى ركائز الردع الإسرائيلي هي الجيش الإسرائيلي المعروف والمخابرات المتقدمة. هذه الفكرة قد تحطمت للتو.

في البيت الأبيض، كان بريت مكغورك يتصفح تقارير الاستخبارات ليرى ما إذا كان هناك هجوم آخر قادم لإسرائيل. وكان يراقب أيضًا التقارير الواردة من الإسرائيليين على الأرض.

قالت إسرائيل إنها سيطرت على الوضع وإنها قد أمسكت بجميع المسلحين من حماس.

وبعد ساعات أدرك ماكيورك أن الأمر لم يكن كذلك. وقال: "لا يزال هناك ألف من عناصر حماس داخل إسرائيل**!**"

لقد كان الأمر أشبه بحرب حقيقية. ولم يتبين حجم وحشية حماس الكاملة إلا بعد أيام.

في ذلك اليوم، على منصة في غرفة الطعام الرسمية في البيت الأبيض، وجه الرئيس بايدن، محاطًا بوزير الدفاع بلينكن، تحذيرًا إلى إيران ووكلائها، مثل حزب الله في لبنان.

وقال بايدن "اليوم يتعرض شعب إسرائيل للهجوم من قبل منظمة إرهابية، حماس".

"وفي هذه اللحظة المأساوية، أود أن أقول لهم وللعالم وللإرهابيين في كل مكان أن الولايات المتحدة تقف إلى جانب إسرائيل. ولن نتردد أبدا في دعمهم".

كما قال بايدن: "دعوني أقول هذا بأوضح ما يمكن: هذه ليست لحظة لأي جهة معادية لإسرائيل لاستغلال هذه الهجمات لتحقيق مكاسب.و العالم يراقب."

استغرق الأمر ثلاثة أيام حتى تمكن الإسرائيليون من السيطرة على الهجوم.

وقال ديرمر "كنا نحصي القتلى لأيام عديدة، وظل هذا العدد في ارتفاع مستمر لمدة عشرة أيام لأن الجثث كانت منتشرة في كل مكان".

وبالمجمل، قتلت حماس أكثر من **1200** إسرائيلي وسحبت أكثر من **240** رهينة عبر الحدود إلى الأنفاق تحت الأرض في غزة.

وكان هذا الهجوم الأكثر دموية في التاريخ اليهودي منذ الهولوكوست.

لقد فكر رون ديرمر في كيفية وقوع هذا الهجوم تحت أنوفهم مباشرة.

في السادس من أكتوبر/تشرين الأول، أي قبل يوم واحد من الهجوم، كان تقييم الاستخبارات الإسرائيلية أن حماس في غزة قد تراجعت. فلم تكن حماس قوية بما يكفي لمواجهة إسرائيل.

كانت إسرائيل قد وجهت ضربات قوية لحماس في مايو/أيار **2021** بعد أن أطلقت حماس صاروخا على القدس. وفي ذلك الوقت، اعتقدت إسرائيل أنها دمرت الكثير من القدرات الرئيسية لحماس. وقال ديرمر: "في السادس من أكتوبر/تشرين الأول، اعتقدت أن حماس تعرضت لضربة قوية قبل عامين"لم يكونوا يبحثون عن قتال”.

كما عمل نتنياهو على تغيير سياسة إسرائيل للسماح لسكان غزة بالعمل في إسرائيل. وارتفع عدد سكان غزة الذين حصلوا على تصاريح عمل تدريجيا إلى نحو عشرين ألف شخص بحلول السابع من أكتوبر/تشرين الأول. وكان العمال الإضافيون يساعدون الاقتصاد الإسرائيلي، لكنهم عملوا أيضا على تحسين اقتصاد غزة بشكل كبير.

وبحسب تقديرات الاستخبارات الإسرائيلية، فإن حماس لديها الآن الحافز للحفاظ على الهدوء حتى يتمكن سكان غزة من مواصلة العمل في إسرائيل. وأي عنف من شأنه أن يقطع الطريق على الوصول إلى هناك.

وقال ديرمر إن "التقييم الذي توصل إليه الناس هو أن حماس ليس لديها مصلحة في الدخول في حرب مع إسرائيل".

كما ظلت حماس بعيدة عن المعارك "الصغيرة" القليلة التي خاضتها إسرائيل.على مدى العامين الماضيين، تفاوضت حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية، وهي منظمة إرهابية أصغر حجماً في غزة كانت تابعة مباشرة لإيران. أطلقت حركة الجهاد الإسلامي صواريخ على إسرائيل، وردت إسرائيل بقتل بعض القادة المتشددين. ولم تتدخل حماس.

وقد فسر محللو الاستخبارات الإسرائيلية ذلك باعتباره إشارة أخرى إلى أن حماس لا تسعى إلى الحرب. والآن، بعد السابع من أكتوبر/تشرين الأول، كان التقييم هو أن حماس ظلت هادئة من أجل التحضير لهجومها المفاجئ، الذي شارك فيه أيضاً أعضاء من حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية.

قال ديرمر: "نتنياهو يعرف أن حماس مكرسة لتدميرنا. ليس لديه شك في إرادتهم لقتلنا وقدراتهم. الأمر هو وجود خطة هجوم بهذا الحجم." كان حجم الهجوم في 7 أكتوبر أكبر مفاجأة.

وبعد أشهر، أظهرت تقديرات الاستخبارات الإسرائيلية أن ثلاثة فقط من قادة حماس كانوا على علم بالخطة التي ستنفذ في السادس من أكتوبر/تشرين الأول لشن هجوم على إسرائيل في اليوم التالي. وقد أخفت حماس الخطة

عن الاستخبارات الإسرائيلية من خلال إبقائها ضمن دائرة ضيقة للغاية. ولم يكتشف أغلب المسلحين البالغ عددهم ثلاثة آلاف أنهم لم يكونوا في تدريب آخر إلا في اللحظات التي سبقت شن الهجوم الضخم.

وفي إهمال غير عادي آخر، اكتشفت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية في وقت لاحق أنها كانت بحوزتها خطة هجوم حماس قبل عام كامل تقريبا من هجوم السابع من أكتوبر/تشرين الأول.

وقال السفير هيرزوغ "لا أعلم من في هرمنا رأى ذلك أو قرأه، ولكن لا أحد صدقه".

وقال هرتسوج "لقد قال الجميع إن حماس ليست قوية بما يكفي لمواجهة إسرائيل. ولن يجرؤوا على القيام بشيء كهذا. والآن نعلم أن استخباراتنا تمكنت من وضع يديها على خطط حماس الكاملة قبل عام من الهجوم.

"لقد أعطت الخطة الكاملة لحماس"، كما قال هيرتزوغ، "لشن هجوم ضخم عبر الحدود بالصواريخ، بكل ما في وسعها ـ الدخول إلى القواعد العسكرية وجميع الكيبوتسات والقرى والبلدات المأهولة بالسكان المدنيين القريبة من الحدود. لقد كانت خطة دقيقة للغاية وقد تدربوا عليها".

لقد فشلت إسرائيل في التصرف بناءً على المعلومات، ونتيجة لهذا، لم يكن لديها ما يكفي من القوات بالقرب من الحدود عندما بدأ الغزو. وفي وقت لاحق، قال السكرتير العسكري الإسرائيلي إن مجرد 15 دقيقة من التحذير كانت ستحدث فرقًا كبيرًا في قدرة إسرائيل على الدفاع ضد هجوم حماس في السابع من أكتوبر.

وبدلاً من ذلك، فوجئت إسرائيل تمامًا.

وبينما كان عدد القتلى لا يزال في مرحلة العد، بدأ رئيس الوزراء نتنياهو ومجلس الوزراء الأمني الإسرائيلي في التخطيط لرد عسكري لم تشهده

حماس من قبل. وكان نتنياهو يريد "انتصارا حاسما على حماس في غزة"، والقضاء على قادة حماس وتفكيك سيطرتهم على غزة بشكل دائم.

وقال ديرمر إنه بالنسبة لإسرائيل فإن "التهديد الوجودي هو أنه إذا لم نتمكن من القضاء على المنظمة التي فعلت ما فعلته بنا في السابع من أكتوبر، فإن هذا يعرض مستقبل البلاد بأكمله للخطر لأن كل الصقور التي تحوم حول إسرائيل سوف تنظر وتشاهد، سيرون أن بإمكانهم الإفلات من العقاب .

وأضاف ديرمر "ليس كافيا أن نضربهم بقوة. وليس كافيا أن نستنزف قدراتهم. بل يتعين علينا، بالنسبة لدولة مثل إسرائيل تعتمد على الردع ـ على ردع الأعداء عن شن مثل هذه الهجمات ـ أن نظهر لكل الأعداء في المنطقة أنه إذا شنت مثل هذا النوع من الهجمات فإنهم لن ينجوا منها".

يعتقد السفير هيرتزوغ أن السابع من أكتوبر/تشرين الأول ضرب على وتر وجودي لدى الإسرائيليين. فقد كان جندياً مقاتلاً برتبة عريف في حرب يوم الغفران عام 1973، أي قبل خمسين عاماً من هذا الهجوم الذي شنته حماس.

قال هيرتسوغ عن هجوم 7 أكتوبر: "أعتقد أن هذه الحرب تلمس مستوى وجوديًا لدى الإسرائيليين بطريقة لم تفعلها حرب عام 1973." في ذلك الوقت، كانت إسرائيل تقاتل جيشي مصر وسوريا. وانتهى الأمر بوقف إطلاق النار الذي أدى إلى اتفاقيات كامب ديفيد، مع مصر كأول دولة عربية تعترف بإسرائيل كدولة.

والآن أصبحت إسرائيل تقاتل ضد قوة غازية مختلفة تماما: حماس، المنظمة الإرهابية التي تسعى إلى تدمير إسرائيل.

وقال هيرتزوغ "إذا لم نزيل هذا التهديد فلن نتمكن من عيش حياة طبيعية. لقد أصبحت حماس وكيلة لإيران على مدى العقد الماضي وإذا لم نتمكن من هزيمة حماس فإننا بذلك نشجع هذا المحور".

ولم تكن حماس بعيدة عنهم بآلاف الأميال، ولكنها بالنسبة للإسرائيليين كانت قريبة منهم جسدياً ونفسياً.

لقد فاجأ حجم الهجوم الذي شنته حماس على إسرائيل في السابع من أكتوبر/تشرين الأول وكالات الاستخبارات الأميركية أيضاً.

ولقد قامت مديرة الاستخبارات الوطنية أفريل هاينز بفحص التقارير. فقبل السابع من أكتوبر/تشرين الأول كانت هناك علامات تشير إلى تصاعد التوترات بين إسرائيل وحماس. وكانت وكالات الاستخبارات الأميركية قد حذرت من احتمالات متزايدة لشن هجوم أكثر محدودية، وهو ما يتفق مع ما فعلته حماس في الماضي. ولكن النطاق الهائل لهجوم السابع من أكتوبر/تشرين الأول كان مفاجأة كبيرة. قالت هاينز: "بدون شك، كان مفاجأة."

لقد لفت انتباه هاينز في المعلومات الاستخباراتية التي صدرت قبل السابع من أكتوبر/تشرين الأول التقارير التي تحدثت عن احتجاجات فلسطينية في غزة ضد حماس. وقد قال هاينز متأملاً: "إن هذا أمر غير معتاد على الإطلاق". فقد كانت هناك مؤشرات على بداية تآكل الدعم السياسي لحماس في غزة.

وكانت الاستخبارات الأميركية تركز بشكل أكبر على حزب الله، المنظمة المسلحة التي تسيطر على لبنان، شمال إسرائيل.

وأضافت هاينز: "من نواح كثيرة، كنا نلاحظ تصاعد التوترات مع حزب الله خلال هذه الفترة، حتى أكثر من تصاعدها مع حماس".

وأظهرت الاستخبارات الأميركية أن حزب الله "في وضع مستقر نسبيا، لكنه ينمو". كما عاد إلى لبنان عدد كبير من مقاتلي حزب الله النخبة الذين أرسلوا إلى سوريا. كما كان حزب الله يخزن أسلحة تقليدية متقدمة.

وقال هاينز في إشارة إلى زعيم حزب الله حسن نصر الله: "لا نرى أن نصر الله في موقف يجعله يرغب في خوض حرب مع إسرائيل في تصعيد شامل. ولكن في الفترة التي سبقت ذلك، كان هناك الكثير من الشكوك حول قدرة

حـزب الله على تصـعيد الموقـف".وبحلـول السـابع من أكتـوبر/تشرين الأول، أصـبح أكـثر ثقـة في مسـاحته وصـار يضـغط على إسرائيل. وكـانت إسرائيل تضغط عليه في المقابل".

الآن، بعد هجوم حماس الضخم، دفعت هـاينز وكالات الاستخبارات الأمريكية إلى العمل بسرعة أكبر. قالت لهم: "ساعدوا إسرائيل في رؤيـة مـا يحـدث على حـدودها الأخـرى." كـان حـزب الله وإيـران والحوثيـون في اليمن والميليشـيات المتحالفة مع إيران في العراق وسوريا تحوم حول إسرائيل.

ثلاثة وأربعون

في اليوم التالي لـ 7 أكتوبر، كان جيك سوليفان يبحث عن تدابير ردع أو رموز للردع لتهدئة المنطقة. ولم يكن هناك رمز أفضل للردع من حاملة الطائرات الأمريكية.

اتصل سوليفان بكيلي ماجسامين، المستشارة المدنية للسياسة الخارجية ورئيسة موظفي وزير الدفاع أوستن، وسأل: "أليس لدينا مجموعة حاملة طائرات في البحر المتوسط لأغراض أوكرانيا؟" كان سوليفان قد نسي تقريبًا أمر الحاملة لأنها لم تكن تفعل الكثير من أجل أوكرانيا. قال: "لنُعد تموضع حاملة الطائرات فورد. انظري ما رأي أوستن."

وافق أوستن ووجّه مجموعة حاملة الطائرات يو إس إس جيرالد ر. فورد، والتي شملت الحاملة، الطرادات الموجهة بالصواريخ والمدمرات، للتحرك إلى شرق البحر المتوسط، بالقرب من إسرائيل. كما سعى سوليفان للحصول على موافقة بايدن.

قال بايدن عن نقل السفن: "هذا هو التوازن المثالي بالنسبة لنا." لن يحتاج إلى إصدار تهديد علني أو إعلان خط أحمر. ينبغي أن تكون الرسالة مباشرة. وأضاف: "يجب ألا نبالغ في الأمر. فقط نقوم بالحركة." كان بايدن سعيدًا لأنهم تمكنوا من خلق ردع دون أن يضعوا الولايات المتحدة أو نفسه في موقف قد يكون محفوفًا بالمخاطر. مكافأة دون مخاطرة.

أربعة وأربعون

اتصل وزير الخارجية توني بلينكن برئيس حكومة قطر، رئيس الوزراء ووزير الخارجية محمد بن عبد الرحمن آل ثاني، المعروف في الولايات المتحدة بالاختصار "MBAR".

قال بلينكن لآل ثاني بلهجة عاجلة: "هناك رهائن أمريكيون،" مشيرًا إلى أن "الوضع تغيّر تمامًا بالنسبة لنا". كانت حماس قد احتجزت أكثر من 240 رهينة، بما في ذلك 33 طفلًا و12 أمريكيًا.

رد MBAR بأنه يفهم الموقف.

قطر، الإمارة الصغيرة والغنية على الخليج الفارسي، تلعب دورًا كبيرًا في السياسة الواقعية للشرق الأوسط. تمتلك قطر بعضًا من أكبر احتياطيات الغاز الطبيعي في العالم، وتتمتع بأعلى دخل للفرد عالميًا، بإجمالي ناتج محلي يبلغ حوالي 250 مليار دولار سنويًا.

قائدها البالغ من العمر 43 عامًا، الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، الذي تلقى تعليمه في بريطانيا في مدرسة هارو الملكية والأكاديمية العسكرية الملكية ساندهيرست، قام بتحويل علاقة قطر بالغرب مع الحفاظ على علاقات وثيقة مع إيران ودعم مالي لجماعات سياسية وعسكرية مثل حماس التي هاجمت إسرائيل بوحشية. وكان الأمير يُعتبر أحد أكثر السياسيين حنكة في المنطقة.

ساعد الأمير الولايات المتحدة في إجلاء مواطنيها من أفغانستان في عام 2021 عندما انهارت الحكومة الأفغانية، مما دفع الرئيس بايدن إلى تصنيف قطر كـ"حليف رئيسي من خارج الناتو."

في مكالمة مع جيك سوليفان بعد بضعة أيام، قال MBAR: "لدينا قناة مع حماس." كان MBAR المستشار الأكثر ثقة للأمير، وقد شغل منصب وزير الخارجية منذ عام 2016 وفي مارس 2023 عينه الأمير أيضًا رئيسًا للوزراء.

قال MBAR لسوليفان: "عليك أن تنشئ خلية تعمل مع فريقي"، مشيرًا إلى مجموعة أساسية من الأمريكيين والإسرائيليين المخصصة للعمل على إطلاق سراح الرهائن.

انتهز سوليفان فرصة التفاوض على قناة الاتصال ، مدركًا مدى أهمية الرهائن بالنسبة للرئيس بايدن والسياسة الأمريكية .

أخبر سوليفان MBAR بأنه سيُنشئ خلية ويربطها بالإسرائيليين. بنى سوليفان خليته بمساعدة مدير وكالة الاستخبارات المركزية بيل بيرنز، ومنسق شؤون الشرق الأوسط بمجلس الأمن القومي بريت ماكغورك، والمستشار القانوني لمجلس الأمن القومي جوش جلتزر.

اختارت إسرائيل ديفيد بارنيا، رئيس الموساد.

كان سوليفان يعرف أن الأمير آل ثاني ورئيس الوزراء MBAR هما المفتاح لإخراج الرهائن بسلام. كان الأمير قد استضاف القيادة السياسية لحماس في العاصمة الدوحة لسنوات وقدم مساعدات لحماس في شكل مئات الملايين من الدولارات لغزة. حتى أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وافق على المساعدات القطرية على أساس أنها ستحتوي حماس وتثبت استقرارها في غزة.

بالنسبة لنتنياهو، كان احتواء قيادة حماس في غزة هو الأفضل لأنه يقلل بشكل كبير من الضغط على إسرائيل للتفاوض على حل الدولتين مع الفلسطينيين. لم يكن هناك دفع للاعتراف بحماس كرئيس دولة. وكان يُشار إلى هذا غالبًا باسم "شراء الهدوء" مع جماعة حماس الإرهابية. والآن كان واضحًا أن استراتيجية بيبي كانت فشلًا كارثيًا. هذا كان يبدو وكأنه نفاق مذهل. لكن شراء الحماية كان أسلوب حياة للقادة في الشرق الأوسط.

حدث سوليفان الرئيس بايدن قائلاً إن قطر لديها قناة مع حماس، موضحًا فكرته عن الخلية والخطة التي هو وMBAR قد وضعاها.

قال بايدن: "ماذا تعني؟ سأقوم بإخراج الرهائن. هذا هو عملي. يمكنك أن تفعل ما تشاء، ولكن سيتعين علي الاتصال بالأمير وسيتعين علي الاتصال بالسيسي وسيتعين علي الاتصال ببيبي." وكان بايدن يشير إلى الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي.

وأكد بايدن على نقطته لمستشاره للأمن القومي قائلاً: "من المسؤول عن إعادة الرهائن إلى الوطن؟ أنا المسؤول."

أعطى بايدن الضوء الأخضر لسوليفان للبدء في العمل على الخلية.

قال بايدن: "عظيم، يمكنك تنظيمها كما تشاء، لكن ضع في اعتبارك أنني أشعر بالمسؤولية وأشعر في النهاية أنني سأضطر إلى تحقيق ذلك."

كانت مسألة الرهائن تشكل الجانب العاطفي لمعظم القادة، وخاصة بايدن. إعادة الرهائن بسلام ستكون انتصارًا، والفشل في ذلك قد يُلحق ضررًا دائمًا برئاسته.

خمسة وأربعون

وضع الرئيس بايدن رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو على مكبر الصوت. تجمع فريقه الأساسي حول مكتب الرئاسة في المكتب البيضاوي. كان ذلك في الساعة 9:55 صباحًا في 11 أكتوبر 2023، بعد أربعة أيام من اقتحام 3000 إرهابي من حماس الحدود الجنوبية لإسرائيل من غزة وقتلوا حوالي 1200 إسرائيلي.

كان نتنياهو يسعى للحصول على تأكيد واضح من بايدن بأن الولايات المتحدة ستدعم إسرائيل بالكامل في أي هجوم استباقي على حزب الله، المنظمة الإرهابية الضخمة المدعومة من إيران والتي تعمل في جنوب لبنان على الحدود الشمالية لإسرائيل.

ادعى نتنياهو أن لديه معلومات استخباراتية مؤكدة بأن حزب الله كان على وشك مهاجمة إسرائيل. وكان ترسانة حزب الله التي تضم أكثر من 150,000 صاروخ تفوق بكثير أسلحة حماس في الجنوب.

أراد نتنياهو أن يشن هجومًا استباقيًا شاملًا على كل موقع صواريخ وموقع عسكري لحزب الله.

قال بايدن لنتنياهو: "هل تعتقد حقًا أنك ستكون قادرًا على تدمير كل تلك الصواريخ قبل أن يتم إطلاقها على مدنك؟ وإذا أطلقوا صواريخ بهذا الحجم، هل تعتقد حقًا أن دفاعاتك الجوية ستكون قادرة على التصدي لها؟ هل هذا هو الوقت المناسب لإسرائيل لبدء مثل هذا الموقف وتعريض سكانها للخطر؟"

تابع بايدن: "هذا سيؤدي إلى وضع سيتصاعد بسرعة كبيرة، وسيشمل معظم سكانكم، وجميعهم في مدى الصواريخ."

كـان لـدى بايـدن معلومـات اسـتخباراتية تظهـر أن صـواريخ حـزب الله يمكن أن تصـل إلى كـل زاويـة من إسرائيل. فإسرائيل، الـتي يبلـغ طولهـا **290** ميلاً من الشمال إلى الجنوب وعرضها **85** ميلاً في أوسـع نقطـة، تشـبه حجم ولايـة نيـو جيرسي.

قال بايدن: "لا شك أنك قادر على إلحاق ضرر كبير بحزب الله، لكن الضرر الـذي يمكن أن يلحقوه بك وبمدنك وبين شعبك سيكون كبيرًا."

"ترسـانتهم هائلـة وقـادرة على الوصـول إلى جميـع المـدن الإسرائيلية الكـبرى تقريبًا."

قال بايدن: "لقد تحدثت للتو مع رئيس هيئـة الأركـان المشـتركة، وتحـدثت للتـو مع جميع مستشاري الاستخبارات، وتحدثت مع القادة العسكريين، وما تفكرون فيه لن ينجح."

وأضاف الرئيس: "مرحبًا، هل نتفق جميعًا على أننا لا نريد أن تتحـول هـذه إلى حرب إقليمية أكبر؟ ستكون كارثة."

قـال نتنيـاهو: "بـالطبع، جـو، هـذا مـا لا نريـده. ولكن ليس لـدينا خيـار، وهـذا سيقصر الحرب. هذا سيقصر الحرب."

كـان بايـدن يعلم أن الحـرب بين إسرائيل وحـزب الله سـتتحول على الأرجح إلى حـرب بين إسرائيل وإيـران. كـان حـزب الله في الأسـاس عصـابة يقودهـا أمينـه العـام حسـن نصر الله، وهـو رجـل دين لبنـاني سـاعد في إنهـاء احتلال إسرائيل لجنـوب لبنـان عـام **2000**، والمرشـد الأعلى لإيـران، علي خـامنئي. كـانت إيـران تمتلك أكبر جيش في الشرق الأوسط.

أظهـرت الاتصـالات أن نصر الله وخـامنئي كانـا يتـآمران بانتظـام. كلاهمـا كـان ملتزمًـا علنًـا بالقضـاء على إسرائيل كدولـة. حـتى هـذه اللحظـة، كـانت إيـران تسـتخدم وكلاءهـا لاسـتهداف إسرائيل، لكن الجهـود الكبـيرة لتـدمير حـزب الله ستكون مستحيلة على إيران تجاهلها.

قال بايدن: "انظر، أحد أهدافنا مع هذا الهجوم الرهيب الذي شنته حماس في السابع من أكتوبر هو محاولة احتوائه في غزة وعدم تحوله إلى حرب إقليمية أكبر. ما أنت على وشك فعله سيضمن نشوب حرب إقليمية."

قال بايدن إنه لا يمكنه الجزم بأن الحرب الإقليمية لن تحدث بعد هجوم حماس، لكنه أضاف: "أستطيع أن أؤكد لك أنه إذا شنت هذا الهجوم، فستكون هناك حرب. لذا دعونا نأخذ وقتنا هنا."

وأضاف بايدن: "وبالمناسبة، نحن لسنا معكم في هذا."

إذا كانت هناك أي شكوك، كرر الرئيس وجهة نظره: "نحن، الولايات المتحدة، لسنا معكم في هذا الصراع، لذا يجب ألا تعتمدوا على دعمنا إذا شننتم هجومًا استباقيًا على حزب الله."

قال بايدن: "إذا هاجموكم، إذا هاجموا إسرائيل، فإن الولايات المتحدة ستدافع دائمًا عن أمن إسرائيل."

"ولكن إذا شننت حربًا استباقية مثل هذه، فنحن لا ندعم ذلك."

كانت وكالات الاستخبارات الأمريكية تراقب الحدود الإسرائيلية اللبنانية عن كثب منذ الهجوم المدمر الذي شنته حماس في 7 أكتوبر. كانت إسرائيل قد أرسلت قوات لتعزيز دفاعاتها خوفًا من أن يقوم حزب الله بالتسلل عبر الحدود في الشمال، كما فعلت حماس في الجنوب. رداً على التعزيزات الإسرائيلية، أضاف حزب الله المزيد من القوات الخاصة به وحرك بعض قواته الخاصة إلى الحدود. كانت الأجواء مشحونة للغاية، حيث كان الجانبان يراقبان بعضهما البعض، بحثًا عن أدنى استفزاز.

قال بايدن: "أولاً، نحن لا نقرأ الوضع بالطريقة التي تقرأونها. لا نعتقد أن الحرب حتمية."

ثانيًا، قال بايدن، "هذا هو الوقت الذي لا يجب فيه أن تنجر إلى الحرب من قبل جيشك."

كان وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف غالانت مستعدًا للهجوم، داعيًا إلى الضربة الاستباقية. وكان رئيس أركان الجيش الإسرائيلي هرتسي هليفي يعتقد أن الجيش الإسرائيلي قد أكمل خطته العسكرية وأنه حصل على فرص تشغيلية فريدة من مصادر حساسة.

خشي الجنرالات الإسرائيليون من أن حماس وحزب الله قد تحالفا ويعملان معًا، وأن هجوم 7 أكتوبر كان جزءًا من خطة رئيسية منسقة لتدمير إسرائيل. أولاً، ستهاجم حماس في 7 أكتوبر لتشتيت انتباه إسرائيل في الجنوب، ثم يشن حزب الله هجمات مدمرة من الشمال.

قبل مكالمته مع نتنياهو، تلقى بايدن إحاطة من كبار مستشاريه. سأل: هل رأينا أي معلومات استخباراتية تدعم هجومًا من حزب الله على إسرائيل؟ وكانت الإجابة بالإجماع من مدير وكالة الاستخبارات المركزية بيل بيرنز، ومديرة الاستخبارات الوطنية أفريل هاينز، ورئيس هيئة الأركان المشتركة سي كيو براون: "لا."

واصل بايدن تقديم حججه لنتنياهو.

قال بايدن: "هناك سبب يجعلنا ننتخب القادة السياسيين في الديمقراطيات. علينا، نعم، أن نأخذ بنصيحة الجيش، ولكن الأمر متروك لكم ولا تعتقدوا أنه لمجرد أن الجيش يقول لكم، عليكم الذهاب، فهذا يعفيكم من مسؤولية اتخاذ القرار."

قبل حوالي 15 عامًا، عندما كان بايدن نائب الرئيس أوباما، كان قد قاوم بشدة —وبلا نجاح—الضغط العسكري لإقناع أوباما بإضافة 30,000 جندي إضافي إلى حرب أفغانستان. في ذلك الوقت، قال بايدن بغضب: "الجيش لا يعبث معي"، وهو تصريح أدى لاحقًا إلى انعدام الثقة بينه وبين الكثير من المؤسسة الدفاعية الأمريكية.

كان الشك في الجيش والمشورة العسكرية جزءًا من نهج بايدن كرئيس.

ثالثًا، نصح بايدن نتنياهو: "خذ نفسًا. دعنا نعمل معًا ونتأكد من ما نتعامل معه بالفعل، وبعد ذلك يمكننا اتخاذ قرار مدروس دون التسرع فيه."

وأخيرًا، قال بايدن: "إذا بدأت هذه الحرب، لدي أشخاص في جميع أنحاء الشرق الأوسط."

بشكل عام، كان هناك 45,000 من الأفراد العسكريين الأمريكيين والمتعاقدين المتمركزين في الشرق الأوسط، وسرعان ما سيصبحون أهدافًا أيضًا.

قال بايدن لنتنياهو: "الشروط غير متوافرة. المسرح غير معدّ لهم. لذا علي أن أعتني بشعبي. لدي مصلحة شخصية هنا. لا أريدك أن تقوم بشيء قد يعرّض شعبنا للخطر دون أن نتوصل أنا وأنت إلى فهم واضح لما يجري."

قال نتنياهو إن حكومته ستجتمع الآن لمناقشة ضربة استباقية ضد حزب الله.

قال نتنياهو: "سنواصل مناقشته. سنتخذ القرار بناءً على مصالح إسرائيل، وهذا لا يعني أننا لن نقدم على هذا الفعل."

عرف بايدن ونتنياهو بعضهما البعض منذ 40 عامًا، حيث التقيا لأول مرة عندما كانا شابين في واشنطن، بايدن كان عضوًا جديدًا في مجلس الشيوخ ونتنياهو كان نائب رئيس البعثة في السفارة الإسرائيلية في واشنطن في الثمانينيات. كانت علاقتهما تحتوي على تقلبات، لكن مؤخرًا كتب نتنياهو في مذكراته عن بايدن 28 مرة بشكل غير عادي ودود ولطيف مقارنة بلحظات تصفية الحسابات التي وجهها نحو خصوم إسرائيليين وأمريكيين آخرين.

كتب نتنياهو أن بايدن كان صريحًا، وهذا شيء كان يقدّره بشكل خاص. "ليس لديك الكثير من الأصدقاء هنا، يا صديقي"، تذكر نتنياهو بايدن وهو يقول له بعد دعوته إلى منزل نائب الرئيس. "أنا الصديق الوحيد الذي لديك، فاتصل بي عندما تحتاج."

لكن الآن العلاقة كانت تعرفها عدم الثقة التي تراكمت على مر السنين. كانت هذه الثقة معدومة لدرجة أنها يمكن أن تؤدي إلى تصدع التحالف في وقت تكون فيه الثقة أكثر حاجة.

كان بريت ماكغورك، خبير مجلس الأمن القومي في الشرق الأوسط، أحد كبار مستشاري الرئيس وكان يجلس أمام مكتب الرئاسة. أدار ماكغورك أزمات مكثفة عبر أربع إدارات جمهورية وديمقراطية — جورج دبليو بوش، باراك أوباما، دونالد ترامب والآن بايدن. كان الشخص الوحيد في الصفوف العليا لإدارة بايدن الذي عمل سابقًا مع أحد أكثر أعضاء المحكمة العليا تحفظًا، الرئيس ويليام رينكويست، قبل 20 عامًا.

كان يُعتبر مستشارًا غير حزبي بخبرة تفوق تقريبًا أي شخص آخر باستثناء بايدن.

بالنسبة إلى ماكغورك، "لقد كانت أزمة حرب ضبابية كلاسيكية **. يمكنك أن تعلمه في ندوة." الخطر كان في المجهول — ما الذي يخطط له حزب الله أو ما لا يخطط لفعله — وفي الزخم العسكري المتزايد بعد هجمات السابع من أكتوبر. سمع ماكغورك نبرة نتنياهو، التي كانت أقل عدوانية من المعتاد، واعتقد أن نتنياهو كان يبحث عن مساعدة الرئيس لسحبه وقادته العسكريين من حافة الهاوية.**

أنهى بايدن مكالمته النهائية في مكالمة 11 أكتوبر: "لا تفعل هذا. تعرفني، لقد عرفنا بعضنا البعض منذ وقت طويل. هذا خطأ. لا تسلك هذا الطريق."

قال نتنياهو: "سمعتك. كنت واضحًا جدًا. ولكنني أريد أن أكون واضحًا أيضًا أننا سنتخذ قرارنا الخاص، وبينما ستؤثر هذه المحادثة على القرار، فإنها لن تقرره."

أنفق بايدن السنة والنصف الأخيرة في تجهيز أوكرانيا بمليارات الدولارات من الأسلحة الأمريكية للدفاع ضد غزو روسيا. وكان مصممًا على عدم إرسال أي قوات أمريكية للقتال في أوكرانيا. الآن، ربما تكون الحرب في الشرق الأوسط على وشك أن تبدأ في غضون ساعات، وهذه المرة يمكن أن يتم جر الولايات المتحدة إليها.

خيم الشعور بالخوف بين المستشارين. كلهم كانوا يعلمون أن بايدن كان يتمتع بنفوذ استراتيجي وسياسي كبير مع نتنياهو. كانت الولايات المتحدة أكبر مزود للمساعدات العسكرية لإسرائيل. لكن في نفس الوقت، كانوا يشعرون وكأنهم مجرد مراقبين. بالرغم من قرب الولايات المتحدة من إسرائيل، لم يكن هناك الكثير مما يمكنهم قوله أو فعله لإيقاف إسرائيل من التصرف وفقًا لما تعتبره مصلحتها الوطنية الحيوية.

تذكر وزير الخارجية بلينكن إحدى الحقائق المركزية في العلاقات الخارجية. حتى مع أقرب حليف، تتخذ كل دولة في النهاية قراراتها الخاصة.

شعر بلينكن بإحساس من الضعف العالمي لم يشعر به من قبل في 30 عامًا من العمل في الأمن القومي. إذا قررت إسرائيل شن الهجوم، يمكن أن يؤدي إلى حرب تهز العالم بأسره.

أخيرًا قال نتنياهو لبايدن: "قد نضطر إلى القيام بذلك. قد نضطر إلى القيام بذلك."

في الساعة 10:35 صباحًا، استدعى بايدن القادة إلى مكالمة آمنة حتى يتمكنوا من الاستعداد للأسوأ. كان الجو مليئًا بعدم اليقين المخيف. تم استدعاء وزير الدفاع أوستن من اجتماع وزراء الدفاع في بروكسل حتى يتمكن من الانضمام إلى المكالمة من مساحة مصنفة صغيرة، غرفة 17، في مقر حلف الناتو.

ما لم يُقال في محادثة بايدن مع نتنياهو، ولكنه كان مفهومًا بوضوح من قبل الرئيس وفريق الأمن القومي، هو أن نتنياهو وقادته العسكريين قد تعرضوا لخسارة مدمرة، شخصيًا ومهنيًا ووطنيًا، في الهجوم المفاجئ الذي شنته حماس. لقد فشلوا في الحفاظ على أمن إسرائيل، وفشلوا في وعدهم الأساسي الذي قطعوه على أنفسهم بـ "لن يحدث ذلك مرة أخرى" لشعب

إسرائيل. ويمكن أن يوفر نجاح ضربة استباقية ضد حزب الله استعادة للقوة المطلوبة بشدة ونصرًا يحتاجون إليه.

بعد خمس دقائق من مكالمة الرئيس مع القادة في الساعة **10:40** صباحًا، وصل خبر إلى المكتب البيضاوي بأن المساعد الأول لنتنياهو، رون ديرمر، اتصل بغرفة العمليات في البيت الأبيض. كان يطلب التحدث إلى جيك سوليفان على الفور.

سُحب سوليفان من المكتب البيضاوي لتلقي المكالمة من ديرمر، الذي كان قد غادر اجتماع الحكومة الإسرائيلية.

قال ديرمر: "يتجه النقاش نحو الضربة الاستباقية." جيشنا كله يدفعنا للمضي قدمًا. عبر ديرمر عن استيائه الشديد لأن الرئيس بايدن حث نتنياهو على عدم الهجوم.

مكرراً حجج بايدن، ذكر سوليفان ديرمر بأن هذا ما يتوجب على القيادة المدنية والقيادة السياسية فعله — تبني منظور أوسع من مجرد المصلحة العسكرية في اللحظة.

سوليفان، الذي كانت نبرته عادة هادئة ومستقرة، رفع صوته: "ما تفكرون فيه خطير. إنه غير عقلاني." ليس في مصلحتكم وليس في مصلحة الولايات المتحدة. "ستقررون ما هو في مصلحتكم"، قال، ولكن الخطر كان كبيرًا.

تابع سوليفان: "نحن لا نعتقد أن هذا جيد لإسرائيل ونحن نعلم تمامًا أنه ليس جيدًا لنا... لا تمضوا قدمًا في ذلك." وأضاف: "كان الرئيس جادًا جدًا بشأن ذلك."

في الساعة **11:13** صباحًا، عاد سوليفان إلى المكتب البيضاوي لتحديث سريع لبايدن وبلينكن وماكغورك حول ما قاله لديرمر. توجه إلى مكتبه على طول الممر من المكتب البيضاوي.

بعد ثلاث دقائق في الساعة 11:16 صباحًا، اتصل ديرمر مرة أخرى بسوليفان بشأن حزب الله. ضغط سوليفان على مكبر الصوت حتى يتمكن ماكغورك من الاستماع. كان الاتصال شبه مفتوح مع إسرائيل الآن.

قال ديرمر: "مرحبًا، نحن فقط نكون شفافين معكم، لقد شنوا الهجوم. هناك طائرات شراعية قادمة من الشمال. واحدة منها هبطت للتو وأطلقت النار على جنازة لشخص قُتل في هجوم 7 أكتوبر. نحن بصدد شن الهجوم. وأنا أقول لكم، عليكم أن تستعدوا."

قال ديرمر إنهم يتلقون أيضًا تقارير عن طائرات بدون طيار لحزب الله تعبر الحدود الشمالية، وصفارات الإنذار تطلق.

قال ديرمر: "أنا أخبرك فقط أننا ليس لدينا خيار." وأضاف: "سنشن الهجوم." كانت الطائرات الإسرائيلية محملة بالذخائر وجاهزة للضرب. وأكد أنهم سيبدؤون في غضون 30 دقيقة.

كانوا على بُعد بوصات من حرب كبيرة في الشرق الأوسط.

فكر ماكغورك قائلاً: "اللعنة، ربما أطلق حزب الله هجوم الطائرات الشراعية." استخدمت حماس الطائرات الشراعية في هجمات 7 أكتوبر.

لكن لم تكن لديهم أي معلومات استخباراتية تؤكد ذلك.

ترك ماكغورك سوليفان وركض إلى مكتبه في الغرفة 326 في مبنى المكتب التنفيذي المجاور للبيت الأبيض. كان في نفس المكتب خلال إدارة بوش الجمهورية. اتصل بقائد القيادة المركزية إريك كوريلا.

قال كوريلا: "مرحباً، يقول المسؤول الاستخباراتي J2 الخاص بي إنه لا توجد طائرات شراعية. لا يوجد أي إشارة لأي شيء من هذا. إنه وهم."

فكر ماكغورك قائلاً: "الإسرائيليون يفعلون هذا دائمًا. يدعون أن لديهم معلومات استخباراتية، يقولون 'ستظهر، ستراها.' لكن في 50% من المرات، لا تظهر هذه المعلومات الاستخباراتية المزعومة."

عاد ماكغورك إلى المكتب البيضاوي، واستعار ربطة عنق إضافية من نائب مستشار الأمن القومي جون فاينر في طريقه.

أثناء مكالمة ماكغورك مع كوريلا، أجرى سوليفان وبلينكن مكالمة آمنة من مكتب مستشار الأمن القومي مع مديرة المخابرات الوطنية هاينز، ومدير وكالة الاستخبارات المركزية بيرنز، ووزير الدفاع أوستن، ورئيس هيئة الأركان المشتركة براون.

سأل سوليفان: "هل نرى أيًا من هذا؟"

أجاب قادة الاستخبارات والجيش: "لا، لا نرى أي شيء." أعاد سوليفان التأكيد مع بيرنز الساعة 11:31 صباحًا، وأكد بيرنز مرة أخرى بوضوح: "لا شيء."

لكنهم رأوا أن وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام الرئيسي كانت مليئة بتقارير عن طائرات مسيرة وصفارات الإنذار. كان الملايين من الإسرائيليين يهرعون إلى الملاجئ.

اتصل سوليفان بديرمر وسحبه من اجتماع الحكومة الإسرائيلية.

قال له سوليفان: "وكالات الاستخبارات الأمريكية لا ترى أي شيء من هذا. في الواقع، هذه المعلومات غير موجودة." وأضاف: "التقارير على وسائل التواصل الاجتماعي غير مدعومة على الإطلاق. لا يمكن لإسرائيل أن تتخذ قرارات بناءً على وسائل التواصل الاجتماعي. عد إلى الاجتماع الحكومي وأخبرهم أن هذه تقارير كاذبة."

ثم اتصل سوليفان برئيس موظفي ديرمر وأملى عليه رسالة لإرسالها إلى ديرمر، الذي كان يجلس بجانب نتنياهو في اجتماع الحكومة.

قال سوليفان: "جيك إلى رون: معلوماتكم خاطئة. أنتم تتخذون قرارات في ضباب الحرب. تمهلوا."

في الوقت نفسه، تلقى ماكغورك رسالة من إيران، الداعمة القوية لحزب الله، عبر قناة خلفية بين الولايات المتحدة والحرس الثوري الإيراني. جاءت الرسالة عبر وسيط نرويجي موثوق.

قالت الرسالة الإيرانية: "نحن لا نبحث عن صراع. مهما كان الذي يجري، فنحن لا نسعى لصراع."

قال ماكغورك إنهم لا يمكنهم التأكد مما إذا كان الإيرانيون صادقين، لكن الرسالة كانت متسقة مع تقييم الاستخبارات الأمريكية.

قال ماكغورك: "دعونا نخفف من حدة الوضع."

كانت فترة اتخاذ القرار تتقلص.

قال وزير الخارجية بلينكن: "الإسرائيليون على بُعد 30 دقيقة من شن هجوم استباقي، أو وقائي في نظرهم، بناءً على معلومات خاطئة تمامًا."

في الساعة 1:00 ظهرًا، اتصل ديرمر بسوليفان، الذي كان في المكتب البيضاوي.

قال ديرمر: "صوتت الحكومة الإسرائيلية ضد اتخاذ إجراء عسكري في لبنان."

بارتياح، أبلغ سوليفان الرئيس. لم يكن هناك ضربة استباقية.

أعلن جيش الدفاع الإسرائيلي علنًا أن المعلومات المتعلقة بالطائرات المسيرة والطائرات الشراعية والهجمات الأخرى على الحدود الشمالية كانت خاطئة. لم يحدث أي من ذلك بالفعل.

قال المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي، الأدميرال دانيال هاجاري: "كان هناك خطأ، ونحن نحقق في الأمر. في نهاية المطاف، أريد تهدئة الجمهور والقول إنه في هذه المرحلة، لا يوجد حادث أمني كبير في الشمال."

اتضح أن "الطائرات المسيرة" التي أبلغ الإسرائيليون عنها بالقرب من الحدود الشمالية كانت في الواقع طيورًا.

قال بلينكن بعد ذلك، مصدوماً: "لقد كان الأمر قريبًا جدًا. فكرة أن هذا الصراع كان يمكن أن يتوسع بشكل كبير بناءً على معلومات خاطئة."

كادت إسرائيل أن تجد نفسها في حرب مع حزب الله بسبب بعض الطيور. كان الأمر شبه غير معقول، لكنه كان هناك وشاهده.

في وقت لاحق، قال ديرمر لسوليفان: "حسنًا، لم نكن أنا ورئيس الوزراء داعمين لهذا. كان ذلك مدفوعًا من قبل الجيش، كما تعلمون، لذا فإن هذه النتيجة جيدة في الأساس."

ظل بايدن قلقًا وقال لماكغورك: "هؤلاء الأشخاص لا يفكرون بوضوح. يجب أن أذهب إلى هناك." أراد الرئيس أن يسافر إلى إسرائيل، وهي منطقة حرب نشطة، للقاء نتنياهو وحكومته الحربية وجهًا لوجه.

كان جيك سوليفان يعتقد أنه هو وبايدن والآخرون لم يسبق لهم أن عاشوا يومًا كهذا. لو هاجمت إسرائيل حزب الله أولاً، كان من الممكن أن يتصاعد الأمر بسرعة، مما يغرق الشرق الأوسط في الحرب. لقد عاشوا خمس ساعات و12 دقيقة — من 7:48 صباحًا ذلك اليوم حتى الساعة 1:00 ظهرًا — على الحافة. يتحركون نحو الكارثة ثم يبتعدون عنها بسرعة مذهلة، حيث يشاهدون اليقين يتلاشى.

في تلك الليلة، عاد سوليفان أخيرًا إلى منزله لزوجته التي تزوجها منذ ثماني سنوات، ماجي غودلاندر، وهي ضابطة سابقة في البحرية ومحامية حالية رفيعة المستوى في وزارة العدل.

قال لها: "كان هذا أكثر الأيام توترًا في حياتي المهنية بأكملها، وربما في حياتي كلها." لم يعتقد أبدًا أن إدارة التحالفات ستكون محفوفة بالمخاطر إلى هذا الحد. كان الضغط يتسبب في إرهاقه. لم يكن يأكل بما فيه الكفاية، وبالتأكيد لم يكن ينام جيدًا.

قال لزوجته: "لقد اقتربنا من حرب شاملة في الشرق الأوسط. كادت تبدأها إسرائيل لاعتقادها أن حزب الله كان على وشك الهجوم."

كـان من المـروع والواضـح أن إسرائيل في حالـة هشـة مـع الرهانـات العاليـة. "كـان الإحسـاس بـأنهم — الإمـبراطور لا يرتـدي ملابس، نحن عـراة، واضـحا وعميقًـا للغايـة. كـان الأمـر مكشـوفًا جـدًا. الشيء الـذي كـان الأكـثر بـروزًا في أذهـانهم هـو، هـل أمتنـا في خطـر وجـودي الآن؟ هـل هـذه هي اللحظـة الـتي ستنهار فيها الأمور علينا؟"

خلال خطاب حملته الانتخابية في ويسـت بـالم بيتش بولايـة فلوريـدا في وقت لاحق من ذلك اليـوم، وصـف تـرامب حـزب الله بأنـه "ذكي جـدًا" ووصـف وزيـر الدفاع الإسرائيلي يوآف غالانت بأنه "أحمق."

قال ترامب: "إذا استمعت إلى هذا الأحمق، فسوف تهاجم من الشمال."

رد الـبيت الأبيض في خطـوة نـادرة على تصريحات الـرئيس السـابق ووصـفها بأنها "خطيرة وغير متزنة."

ستة وأربعون

هبط وزير الخارجية الأمريكي توني بلينكن في إسرائيل صباح يوم الخميس، 12 أكتوبر، وتوجه مباشرة لرؤية نتنياهو. عندما يحتاج البيت الأبيض إلى شيء من إسرائيل كان هناك نهجان . إما أن يذهب الوزير ويحاول إقناع "بيبي" (نتنياهو) بالقوة، أو يتصل الرئيس به مباشرة. غالبًا لا ينجح أي منهما.

في خطوة غير عادية، أخذ نتنياهو بلينكن مباشرة إلى غرفة الحرب الخاصة به، مكانه المقدس لاتخاذ القرارات، في "الكريا". قدم نتنياهو بلينكن إلى جوهر القيادة السياسية والعسكرية لإسرائيل التي كانت تخطط لردها العسكري على غزة.

قال نتنياهو: "نحتاج إلى ثلاثة أشياء: الذخيرة، الذخيرة، الذخيرة." لم يتفاجأ بلينكن بأن تركيز نتنياهو الأول كان على الذخيرة.

كانت لقطات مزعجة وصور فوتوغرافية من هجمات 7 أكتوبر تُعرض في الخلفية. جثث بشرية محترقة، وأطفال محروقون. كان من الصعب النظر بعيداً.

قال بلينكن لنتنياهو وحكومته الأمنية: "نحن معكم. نحن معكم. سنقدم الدعم لكم. لقد قمنا بالفعل بإنشاء قنوات ونتحدث حول كيفية إيصال الأمور. العمل جارٍ بالفعل." وأضاف: "نحن معكم."

كانت الولايات المتحدة بالفعل تزود إسرائيل بالذخيرة والمعترضات لإعادة تزويد نظام "القبة الحديدية"، وهو نظام الدفاع الجوي الإسرائيلي الذي يدمر الصواريخ والقذائف التي تُطلق من مسافات تصل إلى 40 ميلًا. كانت أول طائرة نقل تحمل أسلحة أمريكية متقدمة لإسرائيل قد وصلت إلى قاعدة نيفاتيم الجوية في جنوب إسرائيل قبل يومين.

تقدم أمريكا لإسرائيل، وهي الديمقراطيةضحك الوحيدة في الشرق الأوسط، أكثر من 3 مليارات دولار من المساعدات العسكرية سنويًا، ويحتفظ البنتاغون بمخزونات من الأسلحة والذخيرة في حوالي نصف دزينة من المواقع حول إسرائيل. تم استغلال هذه المخزونات بالفعل لتوفير ذخيرة عسكرية عيار 155 ملم لأوكرانيا. قال بلينكن إن المزيد في الطريق لإسرائيل.

تحول بلينكن إلى السؤال الفوري: "ماذا ستفعل إسرائيل بشأن المدنيين في غزة؟"

قطاع غزة، الذي ما زال تحت سيطرة حماس، هو أحد أكثر الأماكن كثافة سكانية في العالم. تحده مصر، إسرائيل، والبحر الأبيض المتوسط، ويبلغ عدد سكانه 2.3 مليون نسمة مضغوطين في هذه الجيب المعزول الذي تبلغ مساحته 18 ميلًا مربعًا. مدينة غزة أكثر ازدحامًا من مدينة نيويورك.

كان بلينكن يعلم أن معظم مستشاري نتنياهو المقربين في الغرفة يمثلون مختلف الأطياف السياسية لنتنياهو نفسه. جالانت سياسي لكنه أكثر مرونة. رئيس الأركان الإسرائيلي هرتسي هاليفي هو صقر أيضًا، لكنه معقول.ولكن ما مدى معقولية القيادة الإسرائيلية المصابة بصدمة عميقة؟

كان لدى نتنياهو رد جاهز على سؤال بلينكن. قال: "لنقم بإنشاء ممر إنساني. سنأخذهم جميعًا إلى مصر ونتركهم يذهبون إلى هناك."

تفاجأ بلينكن. كان من الواضح من البداية أن الولايات المتحدة وإسرائيل لن تريا هذا الوضع بنفس الطريقة. هل كانت الخطة حقًا دفع كل الفلسطينيين إلى خارج غزة نحو مصر؟ كان بلينكن يعلم أن السيسي، الذي كان زعيمًا لمصر منذ حوالي 10 سنوات، سيكون غاضبًا. لم يكن ليريد أو يقبل مئات الآلاف، وربما حتى مليون لاجئ فلسطيني.

فكر بلينكن على الفور في التاريخ الطويل لنقل الفلسطينيين من أراضيهم. كان ذلك هو "النكبة"، النزوح الجماعي للشعب الفلسطيني خلال حرب 1948 العربية الإسرائيلية، التي اعتبرها القادة العرب الجريمة التاريخية الكبرى

والخسارة الأكبر في الذاكرة الفلسطينية. كانت "النكبة" هي الكلمة العربية التي تعني "الكارثة".

قال بلينكن للقادة الإسرائيليين: "قد تكون هناك مخاوف بشأن ذلك، لكن دعونا نتحدث مع الآخرين." كان من المقرر أن يجتمع مع قادة من جميع أنحاء العالم العربي في الأيام القليلة المقبلة.

قال ديرمر: "لن تكون هناك أزمة إنسانية في غزة إذا لم يكن هناك مدنيون هناك." وأضاف: "رجل واحد—السيسي—لا يمكن أن يقف في الطريق."

كان الرئيس المصري السيسي يرفض فتح معبر رفح—المعبر الوحيد بين مصر وقطاع غزة—لسماح الفلسطينيين بالدخول إلى مصر. كان السيسي يعلم أن نتنياهو سيكون سعيدًا إذا فتح حدوده ودفع الفلسطينيين خارج غزة، ثم لم يسمح لهم بالعودة أبدًا. بعد كل شيء، فعلت إسرائيل ذلك من قبل. بعد الحروب مع إسرائيل في عامي 1948 و1967، لم يتمكن اللاجئون الفلسطينيون الذين فروا إلى الأردن، لبنان وسوريا—وملايين من نسلهم—من العودة إلى منازلهم. كانت إسرائيل قد اتخذت موقفًا بأنه يجب إعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين خارج حدود إسرائيل. كانت حق العودة أحد العقبات الرئيسية في جميع مفاوضات السلام.

قال بلينكن: "دون فتح المعبر المصري، ماذا ستفعلون في هذه الأثناء؟ عليكم أن تجدوا طريقة لإدخال المواد الأساسية."

أصر ديرمر على موقفه قائلاً: "لن تدعم إسرائيل ذلك طالما أن هناك رهائن محتجزين."

قال بلينكن: "عليكم أن تفعلوا شيئًا بشأن الطعام والماء."

كرر ديرمر: "لن نفعل أي شيء في الوقت الحالي طالما أن الرهائن محتجزون."

عندما لم يكن نتنياهو يتحدث، كان إما يمرر الملاحظات مع ديرمر أو ينظر حوله ليرى كيف كانت ردود فعل أعضاء حكومته الأمنية—وبلينكن—على ما يُقال. كان هناك شعور بأنه كان يقيس باستمرار المزاج في الغرفة.

قال نتنياهو: "يجب أن يكون العالم كله واضحًا بأن حماس هي داعش." كان تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا (داعش) معروفًا بالإبادة الجماعية، التطهير العرقي، الاغتصاب، القتل، والاستعباد وغيرها من جرائم الحرب. وأضاف: "داعش ليس له جناح سياسي. القاعدة ليس لها جناح سياسي. حماس مثل داعش."

قال نتنياهو: "إذا رأيتم ما فعلوه بالمدنيين هنا—قتلوا الأطفال، قتلوا النساء. هذه وحشية بمستوى داعش، ويجب على العالم كله أن ينظر إليها كما ينظر إلى داعش."

قال بلينكن: "يجب أن نتحدث عن ذلك ونتفكر فيه." وأضاف: "من وجهة نظرنا، تقديم المساعدات الإنسانية للفلسطينيين وحماية المدنيين هو أمر أخلاقي ضروري. لكن حتى لو كنتم تختلفون مع ذلك، فهو أمر استراتيجي ضروري."

كان بلينكن يعلم أن 7 أكتوبر كان حدثًا زلزاليًا في المنطقة، جزئيًا بسبب ما ستبدو عليه استجابة إسرائيل العسكرية الشاملة. كان من المؤكد أن تكون مزعزعة للاستقرار تمامًا.

مع استمرار إطلاق حماس الصواريخ على إسرائيل من غزة، لم يتمكن بلينكن من البقاء في تل أبيب طوال الليل، لذا استقل طائرة لمدة 45 دقيقة إلى عمان، الأردن.

في صباح اليوم التالي، 13 أكتوبر، التقى بلينكن بالملك عبد الله الثاني.

عبد الله، البالغ من العمر 61 عامًا، صعد إلى العرش في عام 1999 وأغلق وجود حماس في الأردن—طرد مسؤولي حماس إلى قطر وأغلق مكاتبهم في عمان. الأردن موطن لأكثر من مليوني لاجئ فلسطيني.

قال الملك عبد الله: "أخبرنا إسرائيل بعدم القيام بذلك. أخبرناهم بعدم الاقتراب من حماس. حماس هي جماعة الإخوان المسلمين."

الإخوان المسلمون هي أقدم منظمة إسلامية سياسية في العالم العربي والأب لبعض أكثر الجماعات الإرهابية تطرفًا اليوم. تأسست في مصر، وتحولت فروعها العنيفة إلى أشكال وأيديولوجيات مختلفة، بما في ذلك حماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني في غزة.

قال الملك عبد الله لبلينكن: "يجب هزيمة حماس. لن نقول ذلك علنًا، لكننا ندعم هزيمة حماس ويجب على إسرائيل أن تهزم حماس.

"لم يكن ينبغي لهم أبدًا التحالف معهم منذ البداية. كان ينبغي عليهم التعامل مع السلطة الفلسطينية والعمل معهم." كانت السلطة الفلسطينية هي الهيئة الحاكمة في الضفة الغربية.

قال الملك: "دعمت إسرائيل حماس لسنوات." كانت عشرات الملايين من الدولارات تتدفق إلى حماس بمعرفة إسرائيل وموافقتها بناءً على الحجة أن الأموال تحسن الحياة وتساعد في استقرار غزة.

كان ذلك أحد التناقضات والمخاطر للبقاء. خيار سريع ولكنه مكلف.

بعد بضع ساعات، التقى بلينكن بقائد قطر، الأمير الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، في الدوحة بينما كان قادة حماس السياسيون يعملون في مكاتبهم السياسية على بُعد شوارع قليلة.

قال الأمير لبلينكن: "أوضحنا لحماس أن لا أحد يقبل ذلك. لا أحد يقبل ما فعلوه. لم يعد لديكم أصدقاء. ماذا تتوقعون أن نقول للأمريكيين والإسرائيليين؟"

دعا الأمير بلينكن إلى غرفة فخمة مزينة بستائر زرقاء ملكية وأرضيات مفروشة بالسجاد السميك. انضم إليهم مستشاره السياسي الموثوق، محمد بن عبد الرحمن آل ثاني، رئيس وزراء قطر ووزير خارجيتها.

كان كلاهما يرتدي الثياب البيضاء الطويلة والصنادل، لباسهما التقليدي. بينما كان بلينكن يرتدي البدلة السوداء وربطة العنق، الزي الدبلوماسي الأمريكي.

قال الأمير آل ثاني إنه لم يكن واضحًا ما إذا كان قادة حماس في الدوحة يعرفون مسبقًا عن هجمات 7 أكتوبر.

قال الأمير: "من الممكن أن يكون سنوار قد فعل ذلك بمفرده، لكن من الممكن أيضًا أنهم يعرفون ولا يريدون إخبار أحد."

يحيى السنوار، قائد حماس في غزة، كان يُشتبه في كونه المدبر الرئيسي لهجمات 7 أكتوبر. كان السنوار، وهو فلسطيني، قد سُجن سابقًا في إسرائيل لمدة 22 عامًا حيث خضع لجراحة أنقذت حياته بسبب ورم في المخ. أُطلق سراحه في صفقة تبادل أسرى في عام 2011 ولم يُشاهد منذ 7 أكتوبر، لكن الإسرائيليين اشتبهوا في أنه يختبئ في شبكة أنفاق حماس تحت غزة.

قال بلينكن للأمير: "هناك أمران باسم الرئيس: الآن أنتم تتعاملون مع حماس بخصوص الرهائن. نحن نُقدّر أهمية وجود قناة للتفاوض على إطلاق سراح الرهائن،" وأضاف: "ولكن عندما ينتهي هذا، لا يمكن أن يستمر الوضع كالمعتاد مع حماس. هذا غير مقبول."

قال الأمير: "أفهم ولن يحدث ذلك. لا أحتاج إلى حماس بعد الآن. لا أريد عقبات مع أمريكا. سنبقي القناة مفتوحة الآن لأنكم تجدونها مفيدة. علاقتنا مع أمريكا مهمة جدًا."

تفاجأ بلينكن. كان يعتقد أن التخلص من الملاذ الآمن لقيادة حماس سيكون مجالًا سيعملون عليه مع مرور الوقت وربما حتى سيواجهون بعض الصعوبات. لكن الأمير بدا وكأنه يشير ضمنيًا دون أن يصرح بذلك بشكل مباشر أنه إذا طلبت أمريكا في نهاية الأمر التخلص من حماس، فسيتم ذلك.

واصل الأمير قائلاً: "أخبرتنا حماس أنهم سيطلقون سراح بعض الرهائن. لديهم بعض الرهائن والجهاد الإسلامي الفلسطيني لديه آخرون."

تفاجأ بلينكن مرة أخرى. كانت هذه أول إشارة إلى أن حماس ستطلق سراح رهائن.

قال الأمير: "هم على استعداد لإطلاق سراح بعض الرهائن، ولكنهم بحاجة إلى ممرات إنسانية للسماح للرهائن بالمغادرة."

وأضاف: "يحتاجون إلى ساعتين أو ثلاث من الهدوء للتحرك وضمان مرور آمن للرهائن، لكنهم على استعداد للقيام بذلك."

"بالطبع، من المحتمل أنهم يريدون شيئًا في المقابل، لكنهم أبدوا استعدادًا."

كانت إسرائيل قد بدأت حملة قصف مكثفة في غزة. قصف متواصل أعقبه المزيد من القصف. أينما ذهب بلينكن، كانت قناة الجزيرة أو وسائل الإعلام العربية تعرض ارتفاع حصيلة القتلى المدنيين في غزة والمباني المدمرة. طلبت حماس من إسرائيل وقف هجومها للسماح لها بالتحرك وتسليم الرهائن.

قال محمد بن عبد الرحمن آل ثاني: "حاولت الوصول إلى شخص في إسرائيل لكنني لا أستطيع أن أجعل أحدًا يستمع لي."

قال بلينكن للقطريين: "سأتصل بالإسرائيليين فورًا للعمل على هدنة مؤقتة. هذا القرار سيتم اتخاذه على المستوى السياسي، وسأعمل عليه."

في طريقه إلى طائرته، كان بلينكن منبهرًا بعض الشيء. وضع القطريون الأساس لاتفاق حول الرهائن بعد ستة أيام فقط من 7 أكتوبر. كان هذا غير عادي.

في طريقه إلى البحرين، اتصل بلينكن برون ديرمر في إسرائيل.

قال بلينكن بلهفة: "حماس مستعدة للبدء في الحديث عن هذا. هناك رهائن أمريكيون. وهناك رهائن إسرائيليون. نحتاج إلى بدء التحرك."

ثم اتصل بالرئيس بايدن وجايك سوليفان. كانت حماس مستعدة للإفراج عن الرهائن. وتم تفعيل فريق العمل بسرعة بقيادة مدير وكالة الاستخبارات المركزية، بيرنز.

بعد التوقف في البحرين، قضى بلينكن وفريقه المرهق الليل في الرياض،

السعودية. كانت تلك هي الدولة الرابعة التي يزورونها في يوم واحد.

في صباح اليوم التالي، 14 أكتوبر، التقى بلينكن بوزير الخارجية السعودي الأمير فيصل بن فرحان آل سعود، البالغ من العمر 48 عامًا.

قال الأمير: "كان يجب على بيبي أن يعرف أفضل من ذلك. لقد أخبره الجميع بعدم التعامل مع حماس. نحن أخبرناه. كان يجب أن يعرف أفضل من ذلك على أي حال. لكننا بالتأكيد أخبرناه بعدم القيام بذلك.

أضاف الأمير"حماس هي جماعة الإخوان المسلمين".

سمع بلينكن هذا كثيرًا. جميع القادة العرب تعاملوا مع نوع ما من حماس التي تسببت في مشاكل في بلدانهم، كما أدرك بلينكن. لهذا السبب كان الملك الأردني، أمير قطر، ولي عهد البحرين، السعوديون، المصريون، وجميع

هـؤلاء القـادة مهتمين بهـذا الأمـر. فالجماعـات الإرهابيـة لا تريـد فقـط القضـاء على إسرائيل، بل تريد أيضًا الإطاحة بقادة آخرين.

قـال الأمـير: "نحن قلقـون بشـأن تـأثير عمليـات إسرائيل على أمننـا جميعًـا. مـا يأتي بعد حماس قد يكون أسوأ."

"تعرفون داعش"، قال الأمير - في إشارة إلى تنظيم الدولة الإسـلامية - "كـان أسوأ من القاعدة."

سأل بلينكن عن دعم السعودية لإعادة إعمار غزة بعد الصراع.

قال الأمير: "لن نـدفع لتنظيـف فوضى بيـبي. إذا دمـرت إسرائيل كـل هـذا، فلن ندفع لإعادة بنائه."

كان الأمير السعودي قلقًا من أنهم سيستثمرون في إعادة الإعمار، فقط ليعود الصراع وينهار كل ما بنوه.

قـال بلينكن إن كيفيـة اسـتجابة إسرائيل مهمـة، وقـد شـدد هـو والـرئيس بايـدن على ذلك علنًا.

بعد ذلك، طار بلينكن إلى الإمارات العربية المتحدة للقاء الرئيس الشيخ محمد بن زايـد آل نهيـان، المعـروف باسـم "MBZ"، وهـو رئيس الأسرة الملكيـة وقائـد سابق في القوات الجوية الإماراتية.

قـال محمـد بن زايـد، البـالغ من العمـر 62 عامًـا: "يجب القضـاء على حمـاس. يمكنننـا أن نعطي إسرائيل المجـال لتـدمير حمـاس، لكن يجب على إسرائيل أن تعطينا مساحة. دعوا المساعدات الإنسانية تدخل. أنشئوا منـاطق آمنـة للتأكـد من أنهم لا يقتلـون المـدنيين. سـيطروا على عنـف المسـتوطنين في الضـفة الغربية."

كان ضمن الطلب فهمٌ بـأن الهـدوء سيسـاعد في تهدئـة مواطنيـه الـذين كـانوا غاضبين من مشاهد الدمار في غزة.

طلب محمد بن زايد الواضح والعادل من الإسرائيليين - أعطونا مساحة لنمنحكم مساحة - بقي في ذهن بلينكن. كان القادة العرب مستعدين لإعطاء إسرائيل المجال للقيام بما يجب عليها مع حماس، لكن إسرائيل بحاجة إلى خلق مساحة للمساعدات الإنسانية في غزة. احتفظ بلينكن بهذه الفكرة لاستخدامها لاحقًا مع بيبي.

أضاف محمد بن زايد أن إسرائيل كانت تقدم دعمًا ماليًا لحماس بشكل غير مباشر. "حذرنا إسرائيل من عدم التعامل مع حماس. إنهم جماعة الإخوان المسلمين."

على عكس السعودية، كانت الإمارات قد طبعت العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل بموجب اتفاقيات إبراهيم التي تمت تحت إدارة ترامب.

قبل مغادرته، أخذ بلينكن وفريقه جولة في بيت العائلة الإبراهيمية، وهو مجمع ديني متعدد الأديان يحتوي على مسجد وكنيسة وكنيس مبني على جناح زوار علماني. يمثل هذا المكان طريقًا للتعايش، ومسارًا للمنطقة، كما قال الإماراتيون لبلينكن.

عاد بلينكن إلى الرياض تلك الليلة لأن ولي العهد السعودي، الأمير محمد بن سلمان، وافق بشكل مبدئي على الاجتماع.

في عام 2018، تم قتل جمال خاشقجي، الصحفي السعودي المولد والمقيم في الولايات المتحدة والمعارض، بوحشية في القنصلية السعودية في تركيا. تم تقطيع جثته بمنشار عظم. وقد خلصت وكالة الاستخبارات المركزية لاحقًا إلى أن محمد بن سلمان هو من أمر باغتياله. كانت العلاقات مع الولايات المتحدة متوترة بشكل خاص منذ ذلك الحين. وكان الرئيس بايدن قد وصف السعودية بأنها "منبوذة".

اعتبر بلينكن محمد بن سلمان مجرد شخص عليه التعامل معه في المنطقة. كان ولي عهد يحكم قبضته على السلطة وكان لديه أيضا الجزرة الوحيدة -

الشيء الوحيد الذي يريده الإسرائيليون - التطبيع مع المملكة العربية السعودية ، أكبر دولة في الشرق الأوسط.

تحقق بلينكن وفريقه من تسجيلهم في فندق راديسون بلو في الحي الدبلوماسي، وأُخبروا بأن يكونوا جاهزين لأن يرسل محمد بن سلمان رسالة حول موعد الاجتماع إما في تلك الليلة أو في صباح اليوم التالي.

كانت الأيام القليلة مرهقة جدًا بالنسبة لبلينكن وفريقه، الذين كانوا يستيقظون متسائلين في أي دولة هم. لكنهم انتظروا بجانب هواتفهم.

أبقاهم محمد بن سلمان مستيقظين حتى الساعة السابعة صباحًا في 15 أكتوبر. كان بلينكن يعلم أن هذا ليس فريدًا بالنسبة له. يحدث ذلك لكل أنواع الناس. كان السعوديون يسهرون لأن الأمسيات كانت أكثر برودة من النهار، لكن محمد بن سلمان أخذ ذلك إلى أقصى الحدود.

بالنسبة لبلينكن، كان "محمد بن سلمان ليس سوى طفل مدلل".

قال محمد بن سلمان لبلينكن عندما التقيا أخيرًا: "أريد فقط أن تختفي المشاكل التي أوجدها السابع من أكتوبر."

كانت السعودية وإسرائيل تسعيان إلى التطبيع قبل هجوم حماس في 7 أكتوبر. كان ذلك جزءًا من خطته الطموحة "رؤية السعودية 2030" التي تهدف إلى تقليل اعتماد السعودية على صادرات النفط وتحويل البلاد إلى اقتصاد ومجتمع مستقبلي.

قال محمد بن سلمان: "أود العودة إلى تلك الرؤية لكن غزة يجب أن تهدأ. التطبيع لم يمت. لا يمكننا بالطبع السعي إليه الآن. هم على وشك شن حرب. لكنني أحب أن أعود إلى هناك في وقت ما."

قبل عودته إلى إسرائيل، قام بلينكن بجولة في القاهرة للقاء الرئيس المصري السيسي.

طرد السيسي فريق بلينكن ليبقى وحده مع الوزير. كان للسيسي هدف واحد - الحفاظ على السلام مع إسرائيل الذي تم التوصل إليه بوساطة الرئيس جيمي كارتر في اتفاقيات كامب ديفيد عام 1979.

فريق بلينكن، الذي شمل نائب رئيس الأركان توم سوليفان، والمستشار ديريك شوليت، والمتحدث باسم وزارة الخارجية ماثيو ميلر، ذهب للقاء وزير الخارجية المصري سامح شكري ورئيس المخابرات عباس كامل. بخلاف السيسي نفسه، كان كامل هو الشخص الأكثر نفوذًا في مصر، حيث يدير نصف البلاد فعليًا لصالح السيسي.

قدم كامل للأمريكيين تقييمات حول مدى عمق واتساع أنفاق حماس تحت غزة. وقال إن حماس متجذرة في غزة، وأن القضاء عليهم سيكون صعبًا للغاية.

قال كامل: "يجب ألا تدخل إسرائيل مرة واحدة. انتظروا حتى يظهروا ثم اقطعوا رؤوسهم."

لم يكن يمزح، أدرك الأمريكيون.

سبعة وأربعون

هبط بلينكن مرة أخرى في تل أبيب صباح يوم 16 أكتوبر. كانت المهمة الأولى للرئيس بايدن هي إقناع الحكومة الإسرائيلية بفتح المجال لإدخال المساعدات الإنسانية إلى غزة، التي دمرها بالفعل القصف الاسرائيلي.

كان بلينكن يعلم أن هذا سيكون طلبًا كبيرًا من الإسرائيليين. لم يكن من المفترض أن يكون تقديم الطعام والماء للمدنيين أمرًا مثيرًا للجدل، لكن في الحرب، كل شيء يمكن أن يتحول إلى سلاح.

اجتمع الوزير مع نتنياهو، ديرمر، وعدد قليل من المسؤولين الإسرائيليين الرئيسيين في مكتب رئيس الوزراء في القدس.

قال بلينكن: "نحتاج منكم السماح بدخول المساعدات الإنسانية."

انفجر نتنياهو بغضب، رافضًا الفكرة تمامًا. وقال: "الشعب الإسرائيلي لن يتسامح مع تقديم مساعدات لهؤلاء النازيين إذا لم نكن قد دمرنا حماس بالكامل."

رد بلينكن قائلاً: "هذه مساعدات لرجال ونساء وأطفال أبرياء سيجوعون ويموتون إذا لم تصلهم المساعدة. إنه الشيء الصحيح الذي يجب القيام به، ولكنه أيضًا في مصلحتكم."

وتابع بلينكن: "منذ آخر لقاء لنا، سافرنا في المنطقة. التقينا بأصدقائكم وأشخاص ليسوا أصدقاء، لكنهم ليسوا أعداء لكم. والشيء الوحيد الذي سمعناه مرارًا وتكرارًا هو أنهم يدعمون ما تقومون به. يدعمون هزيمة حماس. قد لا يستطيعون قول ذلك علنًا الآن، لكنهم يدعمونكم في ذلك. يريدون الاستقرار. لا يوجد حب ضائع بين أي من هذه الدول وحماس."

وأضاف بلينكن، مستشهدًا بكلمات رئيس الإمارات الشيخ محمد بن زايد: "لكن كما قال أحد أصدقائكم: إسرائيل تحتاج إلى إعطائنا مساحة لنعطيكم مساحة."

رد نتنياهو غاضبًا: "لا، مطلقًا."

كان الرئيس بايدن يخطط لزيارة إسرائيل في الأيام القليلة المقبلة. لم يهدد بلينكن بعد بأن الرئيس لن يأتي، لكنه احتفظ بذلك كورقة احتياط. بدلاً من ذلك، قال: "تعلمون أن الرئيس سيأتي. نحتاج أن نكون قادرين على الإعلان قبل مجيئه بأنكم ستسمحون بدخول المساعدات الإنسانية."

قال نتنياهو بنبرة غاضبة: "تعلمون أن هذا سيكون خطأً كبيرًا. لقد تعرضت هذه البلاد للهجوم. يجب ألا يُعتبر مجيء الرئيس بمثابة زيارة لمساعدة الفلسطينيين. إنه هنا للوقوف مع إسرائيل. لا ينبغي أن تكون زيارة لمساعدة الفلسطينيين."

رأى الجميع أن الاجتماع لن يؤدي إلى نتيجة. أراد بيبي الجلوس والتفاوض، لكن بلينكن اقترح إعادة التجمع والعودة في وقت لاحق من اليوم.

ذهب بلينكن للقاء وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف غالانت. بعد يومين من السابع من أكتوبر، قال غالانت: "لقد أمرت بحصار كامل على غزة. لن يكون هناك كهرباء، ولا طعام، ولا وقود. كل شيء مغلق. نحن نحارب حيوانات بشرية ونتصرف بناءً على ذلك."

سأل بلينكن: "كيف ترى أن تسير هذه الحملة؟ ما التكلفة؟ وما الخسائر البشرية؟ وكم ستستغرق؟"

رد غالانت: "لدي مهمة وسأتمها. السعر ليس مهمًا - لا من جانبنا ولا من جانبهم."

شعر بلينكن ببرودة في جسده. كان غالانت يقول: لا يهم عدد القتلى. لدي مهمة للقضاء على حماس، ولا يهم كم من الفلسطينيين سيموتون، ولا كم من الإسرائيليين سيموتون. سأكمل مهمتي.

فكر بلينكن: "يا يسوع، هذا هو العقلية التي تعيش فيها إسرائيل."

عنـد السـاعة الخامسـة مسـاءً في مقـر القيـادة العسـكرية بتـل أبيب، أُعطي بلينكن الفرصة للتحدث مع نتنياهو وطاقمه الأمني.

دفع بلينكن مرة أخرى من أجل السـماح بـدخول المسـاعدات الإنسـانية، مقترحًـا فتح نقطة وصول من خلال معبر رفح. وقال: "ساعدونا بالمساعدات الإنسـانية لنساعدكم."

وتـابع بلينكن: "قـد تعتقـدون أن هـذا ليس الشيء الصـحيح الـذي يجب فعلـه. لكننـا نعتقـد أنـه أمـر ضروري أخلاقيًـا. كمـا أنـه يخـدم مصـلحتكم الإسـتراتيجية بعمق لأنه إذا كنتم تريدون وقتًا ومسـاحة للتعامـل مـع حمـاس، فسـيغلق هـذا الفضاء بسرعة إذا لم توفروا الاحتياجات الأساسية للمدنيين الأبرياء."

لكن نتنياهو استمر في رفضه قائلاً: "لا قطرة، ولا أوقية من أي شيء سـتذهب إلى غزة لمساعدة الناس."

وأضاف: "هـذا ليس أنـا فقـط، هـذا ليس حـتى تحـالفي. لا يمكن لأحـد في هـذا البلد قبول فكرة تقديم المساعدة للفلسطينيين في غزة بينما يحتجـزون هـؤلاء الرهائن وبعدما ذبحوا شعبنا."

رد بلينكن قائلاً: "الفلسطينيون، وليس حمـاس. هـؤلاء رجـال ونسـاء وأطفـال لا علاقة لهم بما حدث في السابع من أكتوبر."

كرر بلينكن: "مـرة أخـرى، من وجهـة نظرنـا، هـذا هـو الشيء الصـحيح والضروري أخلاقيًـا. وإذا كنتم تريـدون وقتًـا ومسـاحة للتعامـل مـع حمـاس، فـإنكم إذا لم تقـدموا المسـاعدة للأشـخاص الـذين يحتاجونهـا بشـدة، فـإن هـذا الـوقت والمساحة سيغلقان بسرعة كبيرة. لـذا، يجب عليكم القيـام بـذلك حـتى تتمكنـوا من القيام بما تعتقدون أنه ضروري لحماية أمنكم والدفاع عن أنفسكم."

استمر الحديث بينهما ذهابًا وإيابًا لمدة ساعتين.

أخيرًا قال بلينكن: "تعلمون أن الرئيس سيكون هنا خلال يومين." وكان قـد رأى فريق الرئيس التمهيـدي في المطـار في تـل أبيب في ذلـك الصـباح، والطـائرة

التي تحمل سيارة الرئيس المدرعة "الوحش" كانت جاثمة على المدرج. كانت الرحلة قد تسربت في وسائل الإعلام الإسرائيلية لكنها لم تُعلن علنًا بعد.

وقال بلينكن: "لا يمكنني إصدار هذا الإعلان إذا لم يكن لدينا اتفاق مبدئي بأنكم ستسمحون بدخول المساعدات إلى غزة."

فجأة انطلق جرس الإنذار مما يشير إلى أن القبة الحديد أطلقت. وقف الإسرائيليون جميعًا وكذلك الأمريكيون، وتوجهوا معًا إلى ملجأ آمن. شعر بلينكن أن التوتر في الغرفة قد خف قليلاً أثناء انتظارهم، وتمكنوا من سماع دوي الصواريخ التي اعترضتها القبة الحديدية فوقهم.

بعد عودتهم إلى غرفة الاجتماعات، قال نتنياهو: "حسنًا، نحن موافقون، وافقت الحكومة الأمنية، لكن علي أن أطرح الأمر على مجلس الوزراء الأكبر."

كان مجلس الوزراء الكامل على وشك الاجتماع. قال نتنياهو: "علي أن أرأس هذا الاجتماع. يجب أن يكون بعض الوزراء في هذا الاجتماع. تعال معي"، قال لبلينكن. "ستجلسون في غرفة، وسنكون في غرفة أخرى، وسنتفاوض بشأن هذه العملية."

وافق بلينكن.

في حوالي الساعة السابعة مساءً، وعلى مدار الساعات القليلة التالية، اختبأ بلينكن مع فريقه في مكتب صغير تحت الأرض بستة طوابق لصياغة الاقتراح الأمريكي: المستشار ديريك شوليت، مساعدة وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى باربرا ليف، القائم بأعمال السفارة ستيفاني هاليت، ونائبه والمساعد الأيمن توم سوليفان.

بين الحين والآخر، كان توم سوليفان يخرج إلى المرآب حيث يمكنه الحصول على إشارة هاتف للاتصال بأخيه، جيك سوليفان، في البيت الأبيض لتحديثه حول سير الأمور. أراد معرفة مدى إمكانية تهديد بلينكن لرحلة بايدن. كانت هذه الورقة الرئيسية التي يمتلكها مع الإسرائيليين.

في مرحلة ما، اتصل بلينكن أيضًا مباشرة بالرئيس بايدن: "أريد أن أتمكن من القول إنه إذا لم يوافقوا على فتح هذا الأمر، فلن تتمكن من القدوم."

رد بايدن قائلاً: "بالتأكيد. أخبرهم أنني لن آتي إذا لم يوافقوا على ذلك."

دخل ديرمر إلى الملجأ عدة مرات لمناقشة الأمور مع الفريق الأمريكي ثم مرر ملاحظات إلى نتنياهو خلال اجتماع مجلس الوزراء. وكان بلينكن يتلقى ملاحظات من ديرمر تحتوي على تعديلات واقتراحات مكتوبة بخط يد نتنياهو. أراد بلينكن أن تبدأ أولى شاحنات المساعدات الإنسانية في التحرك نحو غزة عبر معبر رفح قبل وصول الرئيس بايدن إلى تل أبيب.

استمروا في التفاوض ذهابًا وإيابًا حتى الساعة الواحدة صباحًا عندما انتهى اجتماع مجلس الوزراء.

دخل نتنياهو.

قال لبلينكن: "ليس لدينا اتفاق."

استمروا في مناقشة الأمور لمدة ساعة وخمس عشرة دقيقة أخرى.

قال نتنياهو: "لا، لا، لا يمكننا السماح بدخول الشاحنات. لا يمكننا السماح بدخول الشاحنات."

رد بلينكن: "ماذا تقصد بأنه لا يمكننا السماح بدخول الشاحنات؟ كيف سنوصل المساعدات للناس؟"

رد ديرمر مازحًا: "ربما عربة وحمار ستفي بالغرض."

أضاف نتنياهو: "لا، لا، لا، إنها هذه الصورة، كما تعلمون، صورة أن الأمور تتجه نحو الفلسطينيين. لا يمكننا السماح بذلك. ماذا لو أرسلنا خبراء؟"

رد بلينكن بغضب: "سيدي رئيس الوزراء، لا يمكن للناس أن يأكلوا أو يشربوا خبيرًا. يحتاج الناس إلى الطعام والماء."

أخيرًا، في الساعة 2:15 صباحًا، وبعد أكثر من تسع ساعات من المفاوضات، وافق نتنياهو مبدئيًا على فتح المجال قليلاً للسماح بدخول المساعدات الإنسانية إلى غزة.

قال نتنياهو إنه يتعرض لضغوط كبيرة لعدم السماح بدخول هذه المساعدات. يمكنهم الإعلان عن نيتهم العمل على اتفاق، لكن نتنياهو قال إنه يريد أن تبدأ المساعدات في الدخول بعد زيارة بايدن حتى يبدو أن الرئيس هو من أجبره على القيام بذلك. وقال نتنياهو إن ذلك سيمنحه التغطية السياسية والرافعة التي يحتاجها بشدة مع مجلس الوزراء والجمهور الإسرائيلي.

ثمانية وأربعون

في واشنطن العاصمة، كان بريت ماكغورك، منسق شؤون الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي، في حالة استعداد كامل للتحضير لرحلة الرئيس بايدن إلى تل أبيب في تلك الليلة، 17 أكتوبر.

قال بايدن لماكغورك بعد أن تجنبوا بصعوبة اشتعال حرب أوسع مع حزب الله في 11 أكتوبر: "علي أن أذهب وأرى هؤلاء الناس."

وأضاف: "هؤلاء الناس لا يفكرون بوضوح". أراد الرئيس مقابلة بيبي (نتنياهو) ومجلس الحرب الإسرائيلي شخصيًا.

لكن رحلة رئاسية إلى منطقة حرب لم تكن بالأمر البسيط، وكان ماكغورك يعيش عمليًا في مكتبه طوال الأسبوع الماضي محاولًا ترتيبها.

صادف ماكغورك أحد موظفي العمليات في البيت الأبيض في الجناح الغربي، الذي قال: "مرحبًا، أحتاج جواز سفرك."

قال ماكغورك: "اللعنة"، ثم قاد سيارته إلى المنزل للحصول عليه.

تمامًا عند عودته إلى البيت الأبيض، بدأت التقارير تتوالى عن أن قوات الدفاع الإسرائيلية قصفت مستشفى في غزة وقتلت 500 شخص. تم توجيه ماكغورك للذهاب إلى غرفة المعاهدات، وهي غرفة الدراسة الخاصة للرئيس في مقر الإقامة.

كان وزير الخارجية بلينكن في الأردن يتناول العشاء مع الملك عبد الله في "كهف الرجل "—غرفة أنيقة في منزله مجهزة ببار، ولكن بدون كحول—عندما وصلته الأنباء عن قصف المستشفى. كان الجميع يلومون إسرائيل.

عـاد بلينكن إلى فندقـه وتم الاتصـال بـه في اجتمـاع مـع الـرئيس، حيث كـان سـوليفان، وجـون فـاينر، ومـاكغورك الـذي كـان يلهث، وعـدد من المـوظفين الآخرين على الخط.

سأل بايدن: "ماذا يجب أن نفعل؟ هل يجب إلغاء الرحلة؟"

وفقًا للتقـارير الإعلاميـة، بـدا أن إسرائيل ارتكبت فظاعـة رهيبـة، حيث قصـفت مستشفى.

كان الرئيس السيسي من مصر، الذي كان من المقرر أن يلتقي بايدن في الجـزء الخاص بالشرق الأوسط من رحلته، قد ألغى للتـو اجتماعـه معـه. وكـذلك فعـل محمود عباس، رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية. وأضاف بلينكن أن الملـك عبد الله انضم إلى القائمة.

قـال بلينكن: "الملـك عبـد الله يقـول إن الـرئيس لا يمكنـه القـدوم إلى الأردن." كان هناك شعور بين القادة العرب بأن المنطقة كلها قد تنهار.

سأل بايدن: "حسنًا، ماذا حدث؟ هل إسرائيل هي التي قصفت؟"

لم يتمكن أي من مستشاريه من الإجابة. لم يكن أحد يعرف.

قـال بلينكن إنهم يتلقـون معلومـات جديـدة طـوال الـوقت. كـان يتحـدث مـع الإسرائيليين، والبنتـاغون، والمجتمـع الاسـتخباراتي لمعرفـة مـا حـدث. كـان السؤال الذي لم يتمكنوا من الإجابة عنه بعد: من نفذ الضربة؟

قال بلينكن: "قد لا تكـون إسرائيل رغم مـا يتم الإبلاغ عنـه في البدايـة، ولكننـا لا نعرف حتى الآن. ليس من الواضح متى سنعرف."

اتصل الرئيس بايدن بالملك عبد الله في الأردن.

قال الملك عبد الله: "جو، الجو هنـا مشـتعل جـدًا. أريـدك أن تـأتي، لكن النـاس غاضبون جدًا." وأضاف مشيرًا إلى الغضب العارم بين شعبه: "هذه مأساة. لا يمكنك القدوم الآن."

ثم اتصل بايدن ببيبي (نتنياهو).

قال بيبي بقوة: "لم نكن نحن يا جو! هذه صواريخ حماس. لقد أصابت المستشفى. لم نكن نحن، أؤكد لك. سأثبت لك ذلك. لدي المعلومات الاستخباراتية."

فكر ماكغورك: "هذا معتاد." الإسرائيليون دائمًا يزعمون أنهم يمتلكون المعلومات الاستخباراتية. "هل هم فعلاً يمتلكونها؟" في كثير من الأحيان لا يمتلكونها.

قال بيبي بإصرار: "يجب أن تأتي!"

قال بايدن: "حسنًا، حسنًا، سأتحدث مع فريقي."

سأل بايدن فريقه: "هل يجب أن أذهب؟"

عادة ما تكون الرحلات الرئاسية مُعَدَّة بعناية مع قائمة محددة من الأمور التي يجب تنفيذها، إلى جانب سلسلة من الإعلانات والإنجازات المصممة لتحقيق أقصى تأثير إعلامي. عندما زار بايدن الشرق الأوسط قبل عام، على سبيل المثال، أعلنت السعودية عن فتح أجوائها أمام الرحلات الإسرائيلية لأول مرة في التاريخ.

أما الآن، فسيطير بايدن إلى حالة من الغموض الكامل في وقت حرب. ولم يكن هناك ضمان حقيقي بأن بيبي وحكومة الحرب سيوافقان على إدخال المساعدات الإنسانية إلى غزة—الهدف المُعلن لرحلة بايدن. قد يتعرض الرئيس لخطر الفشل العلني.

كانوا يناقشون الأمر، متنافسين كما يفعل مستشارو الرئاسة غالبًا، لإظهار شكوكهم وقدرتهم على رؤية المزايا والعيوب.

ربما يجب تأجيل الرحلة لبضعة أيام؟ أنت لا تعرف ما الذي ستواجهه. لا تعـرف مـاذا سـيحدث. نحن لا نعـرف إلى أين سـتتجه الأمـور غـدًا. يقـول الإسرائيليون إنهم لم يضربوا هذه المستشفى، ولكن من يعرف؟

قال بلينكن: "أعتقد أنك لا تستطيع إلغاء الرحلة الآن. إذا ألغيت الآن، سيبدو الأمـر وكأننـا لا نصـدقهم. سـنبدو وكأننـا نعلن علنًـا أنهم يكـذبون إذا ألغينـا الرحلة."

وافق بايدن. وقال: "أحتاج أن أكون هناك، لذا سنواصل."

خلال الرحلة، تلقى بايدن تقريرًا استخباراتيًا من الولايات المتحدة: بالتأكيد كان الجهاد الإسلامي الفلسطيني هو من أطلق الصاروخ، الذي تعطّل وسقط في موقف سيارات المستشفى وانفجر. ومع ذلك، استمرت معظم وسائل الإعلام العربية في إلقاء اللوم على إسرائيل. الضرر قد حدث.

عمـل الـرئيس على صـياغة خطابـه لسـاعات في طريقـه إلى إسرائيل. أراد أن يعـبر عن قناعاتـه تجـاه إسرائيل، ولكنـه أيضًـا أراد أن يـذكر بعـدم تكـرار الأخطـاء التي ارتكبتها الولايات المتحدة بعد 11 سبتمبر.

قـال بايـدن لمـاكغورك: "لقـد اتخـذت قـرارات في زمن الحـرب** . لا يوجـد قـرار أصـعب. لا يوجـد شيء أبيض وأسـود. عليـك أن تكـون متأنيًـا. عليـك أن تكـون متعمدًا، وعليك أن تسأل دائمًا ما إذا كان المسار الذي تسير عليه يقـودك إلى تحقيق أهدافك."**

أطلق ماكغورك على ذلك "اختبار بايدن." في النهاية، هو مجرد منطق سليم.

قـال بايـدن إنـه يريـد احتضـان إسرائيل، "وليس بيـبي"، في هـذه اللحظـة من حـاجتهم. ولكنــه أضــاف لمــاكغورك: "يجب أن أقــول أيضًــا بعض الحقــائق القاسية."

يمكن أن يكون بايـدن أكثر غضـبًا وابتـذالًا في السر ممـا يبـدو عليـه في العلن. بعد ظهر أحد أيام السبت خلال عامه الأول كرئيس ، اتصل بايدن بصديق من المكتب البيضاوي **. قال له: "لقد أمضيت ما يقرب من خمس ساعات ذهابًا**

وإيابًا على الهاتف مع اثنين من أكبر الأوغاد في العالم—بيبي نتنياهو ومحمود عباس." كان يشير إلى رئيس وزراء إسرائيل وزعيم فلسطين. وأضاف بايدن بتأكيد: "اثنان من أكبر الأوغاد في العالم."Two of the biggest fucking assholes in the world

---

عندما هبطت طائرة "إير فورس وان" في مطار بن غوريون صباح 18 أكتوبر، كان نتنياهو ينتظر بايدن على المدرج.

نزل بايدن من الطائرة، وكان يمسك بنظاراته الشمسية الطيارية في يده اليسرى، وعانق بيبي (نتنياهو) فورًا. بدا نتنياهو مذهولًا قليلًا، ورد عليه بربتة على ظهره.

بينما كانت مواكب السيارات تمر عبر شوارع تل أبيب، اصطف الإسرائيليون على الأرصفة. كانت تعابير وجوههم مليئة بالخوف. بعضهم لوح بأعلام أمريكية. كان الجو مشوبًا بالغموض.

ألقى نتنياهو كلمته إلى بايدن والصحافة الساعة 11:40 صباحًا قائلاً: "سيدي الرئيس، بالنسبة للشعب الإسرائيلي، هناك شيء واحد أفضل من وجود صديق حقيقي مثلك يقف مع إسرائيل، وهو وجودك هنا في إسرائيل. زيارتك هنا هي أول زيارة لرئيس أمريكي في إسرائيل في وقت الحرب".

قال بايدن: "انظروا يا أصدقاء، أردت أن أكون هنا اليوم لسبب بسيط. أردت أن يعرف شعب إسرائيل، وشعوب العالم، أين تقف الولايات المتحدة.

"علينا أيضًا أن نضع في اعتبارنا أن حماس لا تمثل كل الشعب الفلسطيني، وقد جلبت لهم المعاناة فقط".

أخذ نتنياهو بايدن وسوليفان وبلينكن وماكغورك إلى غرفة اجتماعات تحت الأرض، وهي أيضًا بمثابة مخبأ، في فندق "كيمبينسكي" الفخم على ممشى تل أبيب لمقابلة حكومته الحربية.

سأل بايدن بيبي: "كيف ستطارد حماس؟ ماذا تعني بالقضاء على حماس؟ كيف يبدو ذلك؟

"هل ستطارد القيادة فقط أم تحاول القضاء على كل مقاتل في غزة؟"

أجاب بيبي: "نريد القضاء عليهم، جميعهم".

قال بايدن: "حسنًا، تعلم أننا اتبعنا نفس النهج في أماكن مثل العراق وأفغانستان وكان من الصعب علينا القضاء على أيديولوجية. أحيانًا تخلق مقاتلين بطريقة مطاردتك لهم".

قال زعيم المعارضة بيني غانتس إنهم يفهمون أن "كيفية" الرد مهمة، باستخدام العبارة التي صاغتها أمريكا.

شرح وزير الدفاع يوآف غالانت، وهو جنرال عسكري متقاعد، خطة إسرائيل. سيحدث حصار على غزة، وقال إن إسرائيل ستدمر ثلاثة فرق عسكرية في غزة فورًا. لن تسمح إسرائيل بدخول أي شيء إلى غزة، لا مساعدات ولا دعم، حتى يتم تحرير الرهائن. لن يتم السماح بدخول حتى قرص "تايلينول" واحدة. كانت هذه هي سياستهم.

رد بايدن: "نحن لا نتفق مع ذلك. لن ندعم ذلك. يجب أن تفتحوا البوابات وتسمحوا بدخول شاحنات المساعدات الإنسانية.

قال بايدن"عليكم أن تفعلوا ذلك".

وافق بيبي على مضض، أو على الأقل ظهر كذلك، واستسلمت الحكومة الحربية الإسرائيلية في النهاية، مما نقلهم من الموافقة "من حيث المبدأ" التي حصل عليها بلينكن من بيبي قبل يومين إلى اتخاذ إجراء.

في المخبأ، أخبر بايدن المجموعة عن أول مرة التقى فيها بجولدا مائير، أول امرأة تتولى منصب رئيس الوزراء في إسرائيل، في عام 1973. سمع نتنياهو ودرمر القصة مرات عديدة.

قال درمر: "دائمًا نفس القصة".

أجاب بايدن: "لم تقابلها"، وكان درمر أصغر من أن يقابلها.

قال درمر: "لا، ليست هذه جولدا"، وأضاف: "لدي خمسة أطفال. ابنتي الصغرى اسمها جولدا. في اليوم الثالث من هذه الحرب، جاءت زوجتي إليّ بينما كنت أرتدي ملابسي للعمل وهمست في أذني لتخبرني أين ستخفي ابنتنا جولدا، إذا حدث ما حدث في بعض تلك المجتمعات خارج غزة في حيّنا في القدس."

كانت زوجة درمر، رودا باغانو، خائفة جدًا من عودة حماس. أرادت أن تضمن أنه إذا تم قتلها، سيعرف مكان العثور على ابنتهما.

في الغرفة، كان بقية الإسرائيليين يهزون رؤوسهم موافقين. كان الخوف والقلق مشتركين. في الأيام القليلة التي تلت هجوم حماس، بدا أن الجميع يخشون أن يكون الغزو في حيّهم هو القادم.

قال درمر: "الشعور بعدم الأمان الحقيقي. صدمة السابع من أكتوبر هي في الأساس هذه. هؤلاء الإرهابيون سيدخلون البلاد، يتدفقون عبر الحدود، أو يدخلون المجتمعات ويذبحون الناس مجددًا.

"الأطفال الصغار الآن يخافون من الرد على الباب عندما يكون هناك طرق، لأنهم لا يعرفون ما هو على الجانب الآخر. إنهم يعرفون ما حدث في السابع من أكتوبر وهم خائفون.

"لن تكون حياتهم كما كانت من قبل"، قال درمر. "إسرائيل في 8 أكتوبر ليست كما كانت في 7 أكتوبر ولن تكون كذلك أبدًا".

استمع بايدن.

قال درمر: "سيدي الرئيس، لم يأت اليهود إلى هذا البلد للاختباء. سنسقط في المعركة، لقد فعلنا ذلك وللأسف سنفعله مجددًا. يمكننا أن نعاني من هجمات إرهابية، فعلنا ذلك وللأسف سنعاني منها مجددًا. لكننا لن نختبئ في هذا البلد. لم يأت اليهود إلى هنا للاختباء.

وقال ديرمر: "إن وعد هذا البلد، سيدي الرئيس، ليس فقط أن اليهود عادوا إلى وطن أجدادنا، بل هو أن لدينا القدرة على الدفاع عن أنفسنا، وبطريقة أساسية، تم كسر وعد إسرائيل في 7 أكتوبر.

"وأرى أن مهمتنا في مجلس الحرب هي استعادة ذلك الوعد"، قال درمر. "وهذا يعني هزيمة حماس تمامًا وأولئك الذين فعلوا ما فعلوه بنا في 7 أكتوبر."

بعد ساعة، في الساعة 5:00 مساءً، ألقى بايدن خطابًا استمر 16 دقيقة كان قد كتبه بنفسه خلال الرحلة إلى إسرائيل.

كان درمر، الذي شارك قصته الشخصية، مقتنعًا بأن بايدن قد استمع إليه.

قال بايدن: "أعلم أن الهجوم الإرهابي الأخير على شعب هذه الأمة ترك جرحًا عميقًا".

"لقد أثار ذكريات مؤلمة وجروحًا خلفتها آلاف السنين من معاداة السامية وإبادة الشعب اليهودي. لقد شاهد العالم حينها، وعرف، ولم يفعل العالم شيئًا. لن نقف مكتوفي الأيدي مرة أخرى."

كانت الولايات المتحدة أقرب حليف لإسرائيل منذ تأسيسها. "قبل 75 عامًا، وبعد 11 دقيقة فقط من تأسيسها، أصبح الرئيس هاري ترومان والولايات المتحدة الأمريكية أول دولة تعترف بإسرائيل"، يتذكر بايدن.

بالنسبة لدولة بحجم إسرائيل، كان 7 أكتوبر "مثل 15 مرة 11 سبتمبر"، قال بايدن.

"ولكنني أحذر من هذا: بينما تشعرون بالغضب، لا تدعوا هذا الغضب يستهلككم. بعد 11 سبتمبر، شعرنا بالغضب في الولايات المتحدة. وبينما سعينا لتحقيق العدالة وحصلنا على العدالة، ارتكبنا أيضًا أخطاء."

دفع الرئيس بايدن الإسرائيليين إلى الموافقة على فتح الحدود بين مصر وغـزة للسماح بدخول المساعدات الإنسانية بشرط ألا يتم تحويلها لاستخدام حماس.

في رحلـة العـودة، اتصـل بايـدن بـالرئيس المصري السيسي وطلب منـه فتح معبر رفح للسماح بمرور شاحنات المساعدات إلى غزة.

قـال بايـدن للسيسي: "حسـنًا، لـديّ نتنيـاهو على متن الطـائرة، أحتاجـك لتقـوم بدورك. أحتاج منك فتح البوابة. دع تلك الشاحنات تدخل."

كـان الـرئيس المصري حـتى تلـك اللحظـة رافضًا بشـدة فتح معـبر رفح. لم يكن يـرغب في وجـود تـدفق من اللاجـئين الفلسـطينيين على حـدوده أو في مصر. قال السيسي إنه يعتقـد أنـه إذا سـمح للاجـئين بالـدخول، فلن يغـادروا أبـدًا وقـد يصبحون قوة تحريضية في مصر. مـاذا لـو كـان هنـاك أفـراد من حمـاس بينهم وبـدأوا بـإطلاق النـار عـبر الحـدود إلى إسرائيل؟ حينهـا قـد يتم دفـع مصر إلى الحرب. كانت إجابته الثابتة دائمًا:مستحيل.

كان سوليفان يعلم أن موقف السيسي كان عميـق الجـذور. "إذا ذهب السيسي للنوم في الليـل وتـذكر أن لديـه وظيفـة واحـدة فقـط، فهي منـع الفلسـطينيين من عبور الحدود. لا معسكر للاجئين في سيناء.

كان سوليفان يعتقد ذلك"سيطلق النار على اللاجئين قبل أن يسـمح لأي منهم بدخول مصر".

لكن على الهاتف الآن، كان بايدن واضحًا في طلبه من السيسي فتح معـبر رفح للسماح بمرور شاحنات المساعدات إلى غزة.

أخـيرًا وافـق السيسي. "سـأفعل ذلـك، سـيدي الـرئيس، لكن الأمـر سيسـتغرق بضـعة أيـام لأن الطريـق ليسـت في حالـة جيـدة"، قـال. سيسـمح بمـرور 20 شاحنة مساعدات كبداية.

عندما أغلق بايدن الخط، كان راضيًا. كان يعتقد أن رحلته قد نجحت. لقد فتحـوا الطريق لإدخال المساعدات الإنسانية، مهما كانت قليلة، إلى غزة.

قـال بايـدن للصـحفيين على متن الطـائرة"خلاصـة القـول هي أن السيسي يستحق الكثير من الفضل" .

وفي نهاية المطـاف، فعـل السيسي بالضـبط ما قـال إن مصر ستفعله. فتحـوا المعبر. قاموا بإصلاح الطرق وبدأت 20 شاحنة مساعدات بالمرور ببطء يـوم السبت ، 21 أكتوبر ، بعد ثلاثة أيام من رحلة بايدن إلى إسرائيل.

لكنها كانت عبارة عن كمية ضئيلة من الغـذاء والمـاء والإمـدادات الطبيـة الـتي تشـتد الحاجـة إليها لمليـوني مـدني فلسـطيني في غـزة، وهي الأولى منـذ 14 يوما منذ هجوم 7 أكتوبر/تشرين الأول. وكانت الظروف الإنسانية تـزداد سـوءا في غزة يوما بعد يوم.

قبـل 7 أكتـوبر/تشرين الأول، وبسـبب الحصـار الـذي تفرضـه إسرائيل منـذ 16 عامــا، لم يكن 95 في المائــة من الفلســطينيين الــذين يعيشــون في غــزة يحصلون على المياه النظيفة، وكان 80 في المائة يعتمدون على المساعدات الإنسانية للحصول على الغذاء.

تسعة وأربعون

في 30 نوفمبر، تحدث سوليفان ووزير الدفاع لويد أوستن لمدة 45 دقيقة في مكالمة آمنة حول كيفية الرد على الهجمات المتزايدة من الحوثيين في البحر الأحمر.

كان الحوثيون، وهم ميليشيا عنيفة أخرى مدعومة من إيران وتسيطر على دولة اليمن شبه المستقلة في الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة العربية، يهاجمون بانتظام السفن التجارية في البحر الأحمر الذي يبلغ طوله 1,200 ميل. كان الحوثيون جزءًا مما يسمى محور المقاومة، وهو تحالف سياسي وعسكري تقوده إيران ويضم أكثر الجماعات تطرفًا، بما في ذلك حماس وحزب الله. في البيت الأبيض كانوا يسمون المحور بـ"الوحش متعدد الرؤوس". كانت إيران قد سلحت الحوثيين بشكل كبير. وادعى الحوثيون أنهم يتصرفون دفاعًا عن غزة.

أراد أوستن التفكير والعمل على الأسئلة الملحة: كيف نردع، كيف ندير، وكيف نتجنب التصعيد؟

كان أوستن "الخيار الأفضل" في مجلس وزراء بايدن، وكان يعتبر "أفضل عضو في مجلس الوزراء" كما كان سوليفان يرى. بايدن كان يثق في أوستن. زملاؤه كانوا يثقون به. الجيش كان يقدره. وكان سوليفان يتعلم منه باستمرار.

"جيك، نحن نملك الوقت"، قال أوستن لسوليفان مرات عديدة خلال العامين الماضيين، وكررها الآن. "نحن نملك الوقت." يمكن للرئيس أن يقرر ما إذا كان سيستخدم القوة ومتى، أو عدم استخدامها.

درس آخر تعلمه سوليفان من أوستن جاء بعد صفقة الغواصات النووية الأمريكية مع الأستراليين. في البداية، كانت أستراليا قد وافقت على شراء

الغواصات من فرنسا، لكنها انسحبت لصالح صفقة مع الولايات المتحدة. الفرنسيون كانوا غاضبين.

يتذكر سوليفان: "كنا جميعًا نتلقى الانتقادات من نظرائنا الفرنسيين، ونجثو ونعتذر."

اتصل نظير أوستن الفرنسي به وألقى عليه خطبة استمرت 22 دقيقة عن خيانة أمريكا. عندما انتهى، رد أوستن: "مفهوم،انتقل الي الموضوع التالي." قرر سوليفان تبني هذا النهج في المرة القادمة التي يصرخ فيها أحد عليه.

في مناسبة أخرى، طلب سوليفان من رئيس هيئة الأركان ميلي وأوستن الحضور إلى البيت الأبيض لمناقشة قضية تتعلق بميزانية وزارة الدفاع. كان سوليفان يعرف أنهم يشعرون بأنه يخطط لإلغاء قرارهم في هذه المسألة. جلس أوستن بهدوء ونظر إلى سوليفان وقال: "الاجتماع لك، يا صديقي."

سوليفان كان في موقف دفاعي على الفور. "حصلنا على ما أردنا"، قال سوليفان، "لكنني شعرت أيضا بالسوء حيال ذلك ."

كان الوزير أوستن واحدًا من القلائل الذين يمكنهم التعامل مع وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف غالانت. كانوا يتحدثون بانتظام منذ هجوم حماس على إسرائيل.

غالبًا ما كانت هذه المكالمات تتضمن أوستن وهو يضع غالانت تحت الضغط بشأن الضحايا المدنيين. العذر المعتاد أو آلية الدفاع لدى غالانت كانت الإشارة إلى السابع من أكتوبر.

قال غالانت في إحدى تلك المكالمات: "تذكر ما فعلته حماس بنا. الرعب..."

قال أوستن مقاطعًا: "يو، يو! هذا لويد الذي تتحدث معه. فقط أخبرني بالحقيقة مباشرة. أنا أعرف ما حدث. فهمت. فهمت ما حدث. لكن ما أسألك عنه هو كيف تردون على ذلك." لماذا قررتم القيام بالعمل العسكري بالطريقة التي قمتم بها؟

خمسون

في 2 ديسمبر 2023، قالت نائبة الرئيس هاريس في مؤتمر صحفي على هامش مؤتمر COP28 لتغير المناخ في دبي: "يجب على إسرائيل أن تفعل المزيد لحماية المدنيين الأبرياء."

كان بايدن قد حرص على إشراك هاريس في معظم مكالماته مع نتنياهو، والتي تجاوزت الآن العشرات، وكانوا يشيرون إليها بشكل خاص باسم "مكالمات بيبي". قبل وبعد المكالمات، كان الرئيس ونائبته يجتمعان مع بلينكن، وأوستن، وسوليفان.

بينما كان بايدن يحافظ على ضبط النفس في انتقاداته العلنية لطريقة تعامل إسرائيل مع غزة، كانت هاريس مباشرة.

قالت هاريس: "لقد قُتل عدد كبير جدًا من الفلسطينيين الأبرياء. وبصراحة، حجم معاناة المدنيين، والصور والفيديوهات القادمة من غزة مفجعة." وأضافت: "إنه حقًا أمر محزن."

كما وجهت تحذيرًا صارمًا لنتنياهو: "تحت أي ظرف من الظروف لن تسمح الولايات المتحدة بترحيل الفلسطينيين قسرًا من غزة أو الضفة الغربية، أو حصار غزة، أو إعادة رسم حدود غزة."

خلال القمة المناخية، التقت هاريس بقادة مصر، الأردن، والإمارات العربية المتحدة، وأجرت مكالمات هاتفية مع آخرين، بما في ذلك أمير قطر. لقد اضطرت تقريبًا إلى الركض لإلقاء خطابها حول تغير المناخ. كانت محاولة إدارة الحرب بمثابة جهد دبلوماسي متواصل ؛ وإنهاء الحرب كان أصعب بكثير.

قال الملك عبد الله ملك الأردن إنه لا يكن أي حب لحماس، لكن إسرائيل بحاجة إلى تحسين تعاملها مع الخسائر المدنية وإنهاء عمليتها العسكرية. كان في

الأردن عـدد كبـير من الفلسـطينيين، وكـان يشـعر بالضـغط من الاحتجاجـات الغاضـبة والاضـطرابات في شـوارع بلاده. كلمـا اسـتمرت هـذه الحـرب، زادت حالة عدم الاستقرار في المنطقة بأكملها.

على متن الطائرة، أرسلت هاريس تقريرًا إلى الـرئيس. قـالت إن القـادة العـرب يـدعمون التخطيـط لمرحلـة مـا بعـد انتهـاء الصراع إذا شـمل ذلـك القيـادة الفلسطينية في غـزة ومسـارًا نحـو دولـة فلسـطينية. الرؤيـة المشـتركة الهادئـة وغـير المعلنـة تقريبًـا لـدى القـادة العـرب كـانت أن شرطًا أساسـيًا لأي من هـذا ليحدث بواقعية هو تغيير القيادة في كل من إسرائيل وغزة.

كـــان نتنيـــاهو على طريـــق الحـــرب. لم يكن يبحث عن صـــفقة ســـلام مـــع الفلسطينيين.

كـان بلينكن أيضًـا في دبي لإجـراء محادثـات مـع وزراء الخارجيـة العـرب حـول التخطيط ليوم مـا بعـد انتهـاء الصراع. العديـد من الـدول العربيـة لم تـرغب في الظهـــور على أنهـــا منخرطـــة في هـــذه المناقشـــات، حيث قـــد يجعلهم ذلـــك يظهرون كأنهم راضون أو متواطئون في العمليات العسكرية الجارية لنتنيـاهو في غزة.

قال بلينكن لوزير الخارجية المصري سامح شكري ووزير الخارجية الأردني أيمن الصفدي: "انظروا، بطريقة أو بأخرى، هذا سينتهي، وعلينا أن نكون مسـتعدين لذلك. لأن هنـاك أسـئلة كبـيرة حـول مـا سـيحدث من حيث الأمن في غـزة، ومـا ســيحدث من حيث الحكم، ومـــا ســـيحدث من حيث المســـاعدات الإنســـانية والتنمية، وعلينا البدء في ذلك الآن."

اختلف شكري والصفدي. قالا إنه ما لم يكن هناك خطة واضحة لـ"اليـوم الـذي يلي اليـوم التـالي للحـرب" – بمعـنى آخـر، إنشـاء دولـة فلسـطينية مسـتقلة – فإنهما لن يناقشا "اليوم التالي" في غزة.

كان جميع وزراء الخارجية العرب تقريبًا متفقين: لا يمكن أن يكون هناك يوم بعد فعال ما لم تكن هناك خطة سياسية للتعامل مع حماس في غزة. كانت إسرائيل تعرض فقط أنها لديها خطة عسكرية. إسرائيل لن تقتل كل شخص في حماس، ولن تقتل فكرة حماس. لذلك، جادلوا بأنه يجب أن تكون هناك خطة سياسية للقيادة والأمن في غزة.

كانوا مقتنعين أن إسرائيل لا يمكنها هزيمة حماس بشكل فعال – فكرة حماس، الأيديولوجية – بدون أفق سياسي حقيقي للفلسطينيين.

كانت تلك نسخة من الرسالة التي تلقتها هاريس: عندما يصبح هذا التخطيط واقعيًا، سنأتي إلى الطاولة.

قال بلينكن لهم إنه يوافق على تحليلهم وسيعمل أيضًا على مسار نحو دولة فلسطينية. لكن كان ذلك تفكيرًا متفائلًا.

التقى بلينكن وحده مع الرئيس السيسي في مصر لمناقشة الوضع الأمني في غزة بعد أن تكمل إسرائيل عملياتها العسكرية.

قال السيسي: "أنا مستعد لوضع قوات على الأرض، لكن نحتاج إلى دعم الولايات المتحدة. يمكنني جلب دول عربية أخرى. أريدك أن تأخذ ذلك إلى الرئيس بايدن."

نقل بلينكن الرسالة.

قال بايدن: "حسنًا، دعنا نضع هذا في الحسبان. لن نضع قوات أمريكية على الأرض في غزة، لكن يمكننا النظر في كيفية دعم مهمة تقودها الدول العربية ودول أخرى."

وضع بلينكن، وسوليفان، وأوستن، ورئيس هيئة الأركان المشتركة CQ براون خطة. كانت الفكرة التي توصلوا إليها هي دعم قوة تقودها الدول العربية مع مقر قيادة تديره الولايات المتحدة، مع قيادة عسكرية أمريكية ربما في مصر، حيث يمكن للولايات المتحدة المساعدة في القيادة والسيطرة.

في وقت لاحق، قال بلينكن لمجلس الحرب الإسرائيلي خلال رحلة أخرى إلى تل أبيب: "حماس فكرة، ولا يمكنك تدمير فكرة."

قال ديرمر، أحد أعضاء المجلس: "توني، النازية كانت فكرة، والنازيون في شارلوتسفيل كانت لديهم مشاعل حصلوا عليها من متجر 'بيد باث أند بيوند'، لكن لم يعد لديهم دولة تُسمى ألمانيا بعد الآن!"

كان ديرمر يشير إلى المسيرة التي نظمها القوميون البيض، حاملين المشاعل وهاتفين "اليهود لن يحلوا محلنا" وشعار النازيين "الدم والتراب" في نهاية الأسبوع من 12 أغسطس 2017، في جامعة فيرجينيا في شارلوتسفيل.

قال ديرمر:"إن فكرة سيئة شيء". "إنه شيء آخر أن يكون لديك فكرة سيئة في السيطرة على الأراضي!

"هدفنا"، جادل ديرمر، "هو إزالة السيطرة الإقليمية التي تملكها حماس على غزة. علينا تفكيك هذا الجيش."

حاول بلينكن إعادة النقاش إلى التخطيط لـ"اليوم التالي". كيف ستبدو غزة عندما يفككون حماس؟ من سيقود؟

قال ديرمر ساخرًا: "يجب أن تكون لدينا دولة فلسطينية؟ حقًا؟ إذًا ما الذي سنفعله؟ نحول السابع من أكتوبر إلى يوم استقلال فلسطيني؟ سوف تكافئون الإرهاب بمنحهم دولة؟ منح الفلسطينيين دولة بعد أسوأ هجوم إرهابي في تاريخ إسرائيل وأسوأ هجوم على اليهود منذ الهولوكوست؟"

قال ديرمر ساخرًا: "هذا منطقي تمامًا."

رأى بلينكن أن المحادثة لن تصل إلى نتيجة.

واحد وخمسون

كان منسق الشرق الأوسط بريت ماكغورك يعقد مكالمات صباحية يومية مع رئيس الوزراء القطري MBAR بشأن الـ252 رهينة التي تحتجزهم حماس في غزة.

قال MBAR في إحدى المكالمات: "بريت، الطريقة لتهدئة الأمور وكسب بعض الوقت هي صفقة رهائن."

أجاب ماكغورك: "لكي نتمكن من الضغط حقًا على الإسرائيليين بشأن صفقة رهائن، أثبت لنا أن هذا يمكن أن ينجح." واقترح أن يبدأوا بتجربة صغيرة. تفاوض على إطلاق سراح الأم الأمريكية الإسرائيلية، جوديث رانان، وابنتها ناتالي، اللتين كانتا محتجزتين لدى حماس، ثم الانتقال إلى شيء أكبر.

كان MBAR واثقًا من أن قطر يمكنها جعل حماس في غزة تنفذ ذلك. ظل ماكغورك متشككًا. كان يُطلع سوليفان وبايدن يوميًا على تقدم المفاوضات وطرح فكرة الخطة التجريبية.

قال بايدن: "لنجربها."

دخل فريق من الصليب الأحمر إلى غزة في 20 أكتوبر، وكان فريق من السفارة الأمريكية على الحدود الإسرائيلية جاهزًا لاستقبال الأمريكيين.

في واشنطن، كان ماكغورك على حافة التوتر وهو يتابع تحرك جوديث وناتالي عبر غزة، قلقًا من أن حماس قد تقرر في اللحظة الأخيرة تفجير مركبتهما عند اقترابها من الحدود. كانت إسرائيل قد وافقت على وقف هش لإطلاق النار لمدة ست ساعات.

رن هاتف ماكغورك. كانت ستيفاني هاليت، القائمة بالأعمال الأمريكية، التي كانت على الحدود في إسرائيل.

قالت براحة: "لقد وصلوا. ويبدون بصحة جيدة."

أمسك ماكغورك بسوليفان من مكتبه وتوجها مباشرة إلى المكتب البيضاوي.

اتصل الرئيس بايدن بجوديث وناتالي.

قال بايدن لجوديث رانان: "مرحبًا، كنت أعمل على إخراجكما. أنا محظوظ جدًا لسماع صوتكما. سنتأكد من أنكما تحصلان على كل ما تحتاجانه."

جوديث، التي غلبتها المشاعر والإرهاق، لم تجد الكلمات: "شكرًا، شكرًا، شكرًا."

بعد المكالمة، قال بايدن لماكغورك: "واصل العمل. استمر في هذا."

لقد أوفت قطر بوعدها. بدأ مدير وكالة الاستخبارات المركزية بيرنز العمل بشكل مكثف مع مدير الموساد ديفيد بارنيا لوضع ملامح صفقة رهائن أكبر بكثير من الجانب الإسرائيلي. تنسق ماكغورك مع **MBAR** ورئيس الاستخبارات المصرية عباس كامل، الذي كان لديه قنوات مع حماس في غزة.

الآن بعد أن أصبح هناك احتمال حقيقي لتأمين إطلاق سراح عدد كبير من الرهائن، ضغط بايدن على نتنياهو للموافقة على وقف أطول للقتال. كان الوقف هو المسار الواقعي الوحيد لإخراج الرهائن بسلام. لكن من وجهة نظر نتنياهو، سيمنح ذلك حماس الوقت لإعادة تنظيم صفوفها.

أراد نتنياهو معرفة عدد الرهائن الذين سيتم إطلاق سراحهم.

في البداية، ضمنت حماس إطلاق سراح **10**. أراد نتنياهو أكثر بكثير. طلب إطلاق سراح جميع النساء والأطفال الذين تحتجزهم حماس، وأن تقدم حماس إثبات حياة للرهائن. قال بايدن إنه يدعم الطلب.

عـادت حمـاس وقـالت إنهـا يمكن أن تضـمن إطلاق سراح 50 رهينـة. وفي المقابل، قالت حماس، ستطلق إسرائيل سراح 150 امرأة ومراهقًا فلسطينيًا مسجونين أو محتجزين. رفضت حماس تقديم معلومات تحديد هوية الرهائن.

اتصل الرئيس بايدن بأمير قطر.

قـال بايـدن: "كفى. نحتـاج إلى الأسـماء أو معلومـات واضـحة تحـدد هويـة الخمسين." مثل العمر، الجنس، الجنسية. "بدون ذلك، لا توجد أساس للمضي قدمًا."

قدمت حماس المعايير التعريفية للخمسين رهينة.

في إسرائيل، شاهد ماكغورك نتنياهو وهـو يضرب الطاولـة في اجتمـاع مجلس الحرب في 14 نوفمبر ويعلن: "لن أقبل أبدًا. لن أقبل بهذه الشروط."

فكر ماكغورك: "بيبي دائمًا يريد أن يستخرج كل قطرة دم من الحجر."

صرخ نتنياهو وضرب الطاولة مرة أخرى: "سوف يستسلمون!"

عنـد الخـروج من الاجتمـاع، أمسـك نتنيـاهو بـذراع مـاكغورك. قـال: "نحن بحاجـة إلى هذه الصفقة."

أدرك ماكغورك أن الكثير من السياسة كان مجرد أداء.

اتصل نتنياهو ببايدن في نفس اليوم لتأكيد موافقته على الصفقة.

أرسل MBAR النص النهائي إلى حماس بعد خمسة أيام في 19 نوفمـبر. قـال لهم: "هـذا هـو العـرض النهـائي." كـان عليهم الانتظـار لبضـعة أيـام للحصـول على الرد. كان على القيادة السياسية لحماس في قطر تمرير النص يدويًا عبر شبكة معقـدة إلى زعيم حمـاس يحـيى السـنوار، الـذي كـان عميقًـا في الأنفـاق تحت غزة.

بعد ثلاثة أيام في صباح 21 نوفمبر، تلقت قطر خبرًا بأن السنوار وافق.

اطلقت حماس سراح 50 من أصل 252 رهينة، من بينهم ثلاثة أمريكيين، على أربع مراحل بدأت في 24 نوفمبر. مقابل كل 10 رهائن إضافيين تطلقهم حماس بعد الخمسين الأوليين، كان نتنياهو سيمدد وقف إطلاق النار يومًا إضافيًا. بحلول 30 نوفمبر، تم إعادة 105 رهائن بأمان، بينهم أمريكيان.

التقى سوليفان مع عائلات الرهائن الأمريكيين الإسرائيليين المتبقين في البيت الأبيض في ذلك اليوم. حضرت بعض العائلات شخصيًا، وشارك آخرون عبر الإنترنت.

قال سوليفان لزوجته، ماجي غودلاندر، في تلك الليلة: "لقد كان الأمر قاسيًا". لا تزال حماس تحتجز ستة رهائن أمريكيين إسرائيليين.

استمر سوليفان في التحقق من هاتفه. قال: "الوقف ينتهي عند منتصف الليل بتوقيتنا الليلة." إلا إذا قدمت حماس قائمة جديدة بأسماء لإطلاق سراح 10 رهائن آخرين على الأقل.

قال سوليفان: "نحن ننتظر بشكل نشط لمعرفة ما إذا كانوا سيقدمون قائمة أم لا." "إذا لم يحدث ذلك، فغدًا سنرى القنابل تسقط."

نظر سوليفان إلى هاتفه مرة أخرى.

كانت النقطة العالقة الحقيقية لقائمة الغد، كما قال سوليفان، أن النساء اللواتي لا تزال حماس تحتجزهن كن في العشرينيات والثلاثينيات من العمر.

قال سوليفان: "الإسرائيليون يخشون أن جزءًا من سبب عدم رغبة حماس في التخلي عنهن هو أنهن تعرضن للاغتصاب." أو ما زلن يتعرضن. السبب الآخر هو أن حماس تعتقد أن جميع النساء الإسرائيليات في العشرينيات والثلاثينيات من العمر كن في جيش الدفاع الإسرائيلي. وهذا يجعلهن أكثر قيمة، من وجهة نظر حماس، للحصول على تنازلات من إسرائيل.

في اليوم التالي، أطلقت حماس صواريخ على إسرائيل، وأطلقت الطائرات الإسرائيلية وابلًا من الصواريخ على 200 هدف في غزة.استؤنفت الحرب.

اثنان وخمسون

في يوم عيد الميلاد، 25 ديسمبر 2023، كان بريت مكغيرك في منزله، وهو منزل متلاصق في جنوب شرق واشنطن، مع أسرته. بحلول الساعة 9:00 صباحًا، كانت ابنته الصغيرة قد فتحت جميع هداياها، وكان يجلس مع فنجان من القهوة عندما اتصل ضابط غرفة العمليات بالبيت الأبيض.

"لقد تعرضت قاعدة أربيل الجوية في شمال العراق لهجوم. أصيب ثلاثة من أفراد القوات الأمريكية بشظايا من طائرة إيرانية مسيرة من مجموعة ميليشيا عراقية"، قال الضابط، "واحد منهم بحالة حرجة".

في الأسابيع الـ 11 التي مضت منذ 7 أكتوبر، تعرضت القوات الأمريكية لهجمات في العراق وسوريا أكثر من 100 مرة، وغالبًا ما كانت هذه الهجمات بالصواريخ والطائرات المسيرة. لكن هذه كانت أول إصابة خطيرة لأحد أفراد القوات الأمريكية.

كان موظفو مجلس الأمن القومي وهيئة الأركان العامة للقيادة المركزية يعملون في هذا العيد لجمع الحقائق بسرعة حول ما حدث حتى يتمكنوا من تقديم خيارات للرئيس. قاد مكغيرك سيارته إلى البيت الأبيض.

الرئيس بايدن، الذي كان في كامب ديفيد - منتجع الرئيس في ولاية ماريلاند - لقضاء عيد الميلاد، عقد مكالمة مع فريق الأمن القومي الخاص به، ووزير الدفاع أوستن ورئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال سي كيو براون. قام القادة العسكريون بإطلاعه على خيارات الضربة المتاحة له. يمكنه استهداف المجموعة الميليشياوية المدعومة من إيران المسؤولة، وكذلك مرافق الحرس الثوري الإيراني، خصوصًا في العراق حيث انطلقت الهجمات. يمكن لبايدن أيضًا أن يستهدف ما يُعرف بـ "أهداف الشخصيات"، وهم الأفراد الأربعة المسؤولون عن التخطيط للهجوم. باستخدام معلومات استخبارية دقيقة

وصور الأقمار الصناعية، كان أوستن وفريقه في البنتاغون يتتبعون المواقع الدقيقة لهؤلاء الأربعة.

استجوب بايدن مستشاريه حول مخاطر كل خيار. كانت استجابتهم بحاجة إلى أن تكون محسوبة بعناية. أمرهم بالضرب أولاً على المواقع، ثم التقدم نحو أهداف الشخصيات عندما تتوفر الفرصة الأقوى للقضاء على هؤلاء الأفراد.

تلك الليلة، في حوالي الساعة **4:45** صباحًا، شنت القوات العسكرية الأمريكية ضربات جوية متخفية ضد ثلاثة مواقع تستخدمها الجماعات الميليشياوية المدعومة من إيران لشن هجمات بطائرات مسيرة بدون طيار. وقالت القيادة المركزية الأمريكية إن الضربات قتلت على الأرجح عددًا من المسلحين، ولم يكن هناك أي ضحايا مدنيين.

"تم تنفيذ الضربات لردع الهجمات المستقبلية وتمت بطريقة تهدف إلى الحد من خطر التصعيد وتقليل الخسائر المدنية"، قال الرئيس في رسالة إلى رئيس مجلس النواب مايك جونسون. "تقف الولايات المتحدة على استعداد لاتخاذ مزيد من الإجراءات، حسب الضرورة والمناسبة، لمواجهة المزيد من التهديدات أو الهجمات".

بعد حوالي أسبوعين، أمر بايدن بضرب أهداف الشخصيات. بعد استهداف اثنين منهم، توقفت الهجمات على القوات الأمريكية في العراق وسوريا. لذا توقف بايدن. كانت رسالته إلى قادة الميليشيات واضحة: "لقد حددنا مواقعكم، إذا هاجمتم مرة أخرى، سنقتلكم".

لكن التهديد العنيف لم يفلح.

في يوم السبت، **30** ديسمبر، أطلق الحوثيون صواريخ باليستية مضادة للسفن باتجاه سفينة حاويات تجارية كبيرة تدعى "مايرسك هانغتشو". قامت القوات البحرية الأمريكية على متن المدمرة "يو إس إس غرافلي" بإسقاط

الصواريخ قبل أن تصيب السفينة. في اليوم التالي، عشية رأس السنة الجديدة، حاولت قوات يمنية في قوارب سريعة إغراق السفينة ذاتها.

أطلقت الطائرات الهليكوبتر التابعة للبحرية الأمريكية من حاملة الطائرات "إيزنهاور" والمدمرة "غرافلي" النار على القوارب السريعة، التي ردت بإطلاق النار. أغرقت الولايات المتحدة ثلاثة من القوارب الصغيرة الأربعة، مما أسفر عن مقتل طواقمها. فر القارب الرابع.

كان الرئيس بايدن في جزيرة سانت كروا في جزر العذراء الأمريكية لقضاء عطلة رأس السنة السنوية مع السيدة الأولى. كان جيك سوليفان وزوجته ماجي غودلاندر قد سافرا معهما. كانا قد خططا لقضاء عطلة رأس السنة الهادئة على شاطئ البحر.

لكن صباح يوم رأس السنة الجديدة، كان الرئيس بايدن على مكالمة آمنة أخرى مع وزير الدفاع أوستن، والجنرال سي كيو براون، وجيك سوليفان، وبريت مكغيرك وآخرين لمناقشة ما إذا كان يجب على بايدن أن ينفذ ضربات مباشرة في اليمن ضد الحوثيين.

قال أوستن وسي كيو براون إن الجيش سيحتاج إلى بعض الوقت للتحضير لضربة من هذا النوع، لذا لم يصرح بايدن بضربات فورية، لكنه أراد التأكد من أنهم يجرون التخطيط.

"ماذا سيحدث إذا استهدفنا تلك المواقع؟" سأل بايدن، متسائلاً عن الأضرار الجانبية المحتملة. "كيف قد يرد الحوثيون؟ هل نحن مستعدون لردهم؟ هل قواتنا محمية؟ هل لدينا ما يكفي من الدفاع الصاروخي؟ هل لديك الموارد التي تحتاجها؟"

أوضح الرئيس أنه لا يريد استخدام القوة العسكرية بطريقة قد تؤدي إلى تداعيات لاحقة. كانت المنطقة بالفعل تشبه صندوق بارود يمكن أن يشتعل وينتشر بسرعة.

قال بايدن: "رتبوا كل شيء واستعدوا للتحرك".

كما وجههم للتنسيق مع حلفائهم لإصدار إدانة قوية وتحذير للحوثيين من المزيد من الهجمات. تم إصدار بيان مشترك موقّع من قبل 13 دولة بعد ذلك بيومين.

خلال شهر يناير، استمرت هجمات الحوثيين. أخبر بايدن مكغيرك أنه يريد محاولة دبلوماسية مع الإيرانيين بالإضافة إلى التهديدات واستخدام القوة. كان لا بد من إدارة الشرق الأوسط بحذر. أراد بايدن أن يكون نشطًا، ولكن ليس نشطًا بشكل مفرط وفقًا لأسلوبه. كان حريصًا على تهدئة الأوضاع في الشرق الأوسط.

كان لدى بايدن ثلاث رسائل واضحة للإيرانيين. "نحن لا نبحث عن صراع كبير في الشرق الأوسط هنا، نريد احتواء هذا الصراع في غزة، ولا نبحث عن حرب مع إيران"، قال بايدن لمكغيرك.

"لكن، لكن"، قال بايدن، "وهذا أمر مهم، سنحمي شعبنا وسنحمي مصالحنا".

أخبر بايدن مكغيرك أن يحذر الإيرانيين: "إما أن تتوقفوا عن هذا أو سيكون هناك عواقب".

سافر مكغيرك إلى مسقط، عاصمة عمان. لم تكن الولايات المتحدة تتواصل مباشرة مع الإيرانيين، ولكنها استخدمت وسطاء، مثل العمانيين. كان الرحلة طويلة وشاقة، تزيد عن 7000 ميل.

قال مكغيرك في رسالة تم نقلها عبر العمانيين إلى علي باقري كني، نائب وزير الخارجية الإيراني وكبير المفاوضين النوويين: "عليكم السيطرة على الحوثيين الذين يطلقون هذه الصواريخ على السفن".

كان الإعداد دائمًا غريبًا بالنسبة لمكغيرك. كان يمكنه رؤية الإيرانيين على الجانب الآخر من الغرفة، وكانوا يستطيعون رؤيته. لكنهم لم يتحدثوا مباشرة. كان العمانيون ينقلون الرسائل ذهابًا وإيابًا. ومع ذلك، كانت أفضل وسيلة اتصال وجهاً لوجه تمتلكها الولايات المتحدة لإيصال رسالة إلى المرشد الأعلى الإيراني.

رد الممثلـون الإيرانيـون: "لا يمكننـا السـيطرة عليهم". سـمع مكغـيرك هـذا الجـواب كثـيرًا منهم. كـان يعلم أن إيـران قـد أوقفت الهجمـات على القـوات الأمريكيـة في العـراق تمامًـا، على الأقـل مؤقتًـا. لـذا، كـان يعتقـد أنهم يمكنهم وقفها في البحر الأحمر أيضًا. نقل تحذير بايدن.

قـال مكغـيرك: "إذا لم تتمكنـوا من وقـف الحوثـيين، فسـوف نسـتهدفهم مباشرة". "ويمكننا أن نستهدفكم مباشرة لأننا نحملكم المسؤولية".

لم تقدم إيران التزامًا لمكغيرك.

أمـر الـرئيس بايـدن بشـن ضربات جويـة وبحريـة ضـد الحوثـيين تلـك الليلـة. اسـتهدفت الضربات مواقـع إطلاق الصـواريخ والطـائرات المسـيرة، ومنـاطق تخـزين الأسـلحة، والـرادارات باسـتخدام قنابـل موجهـة بدقـة. أطلقت غواصـة بحريـة أمريكيـة صـاروخ كـروز توماهوك. انضـمت خمس دول حليفـة للولايـات المتحدة - بريطانيا، هولندا، أسـتراليا، كنـدا، والبحـرين - إلى الـرد. رد الحوثيـون بتحذير: "يجب أن تكون الولايات المتحدة والمملكة المتحـدة مسـتعدتين لـدفع ثمن باهظ".

كـان مكغـيرك يعتقـد أن هـذا يُظهـر الطريقـة المتأنيـة والمقصـودة الـتي كـان بايدن يستخدم بها القوة العسكرية.

بعـد أسـبوع، أعلنت الإدارة الأمريكيـة والمملكـة المتحـدة حزمـة عقوبـات ضـد أربعـة من القـادة الحوثـيين الرئيسـيين. كـان الحـد من العقوبـات على الأفـراد يهـدف إلى تقليـل الضرر على سـكان اليمن البـالغ عـددهم 32 مليـون نسـمة، الذين يعانون بالفعل من المجاعة والحرب.

أراد بايـدن زيـادة الضـغط وتصـعيد التهديـدات، ولكن بحـذر. أحـد المبـادئ الأساسـية في سياسـته الخارجيـة كـان "القـوى العظمى لا تلـوح بالتهديـدات". لـذا، لم يكن هنـاك تهديـدات جوفـاء. كـان مصـمماً على تجنب حـرب إقليميـة أوسع.

يـوم الأحـد، 28 ينـاير، شـنت مجموعـات الميليشـيات المدعومـة من إيـران في سوريا والعـراق هجومًا بطـائرة مسـيرة على القـوات الأمريكيـة المتمركـزة في موقـع صـحراوي نـاءٍ، بـرج 22، في شـمال شرق الأردن بـالقرب من الحـدود السـورية. قُتـل ثلاثـة من أفـراد القـوات الأمريكيـة وأصـيب أكـثر من 30 آخـرين بجروح تتراوح من جروح خفيفة إلى إصابات خطيرة في الدماغ.

قال بايدن في بيان يـدين الهجـوم "اليـوم، قلب أمريكـا مثقـل بـالحزن"، واصـفًا الهجوم بأنه "هجوم حقير وغير مبرر". وتعهد بمحاسبة "جميع المسؤولين في الوقت والطريقة التي نختارها".

يوم الجمعة، 2 فبراير، ضربت قوات القيـادة المركزيـة الأمريكيـة 85 هـدفًا عـبر سـبعة مواقـع، ثلاثـة في العـراق وأربعـة في سـوريا، مرتبطـة بـالحرس الثـوري الإيراني ومجموعات الميليشيات. لم يقم بايدن بضربات داخل إيران.

انتقد رئيس مجلس النواب مايك جونسون رد بايدن. وقـال: "مقتـل ثلاثـة جنـود أمريكيين في الأردن، الذين قتلـوا على يـد ميليشـيات مدعومـة من إيـران، كـان يسـتدعي ردًا واضـحًا وقويـًا". وأضـاف: "لسـوء الحـظ، انتظـرت الإدارة أسـبوعًا وأشارت للعالم، بما في ذلك إيران، طبيعة ردنا. التصريحات العلنية والإشارات المفرطـة تقـوض قـدرتنا على وضـع حـد حاسـم للهجمـات الـتي تحملناهـا على مدى الأشهر الماضية.

"الآن هو الوقت الذي يجب فيه على الرئيس بايدن أن يستيقظ على حقيقة أن سياسته في استرضاء إيران قد فشلت"، قال جونسون. "لتحقيق السـلام، يجب أن تُظهر أمريكا قوتها".

ثلاثة وخمسون

في 8 ينـاير، عـبر وزيـر الخارجيـة الأمـريكي أنتـوني بلينكن وكبـار مستشـاريه الصـحراء في سـيارة دفـع ربـاعي لمقابلـة ولي العهـد السـعودي محمـد بن سلمان (MBS) في مخيمه الشتوي الملكي بمدينة العلا القديمة في المملكـة العربيـة السـعودية. كـان ولي العهـد، البـالغ من العمـر 38 عامًـا، والـذي يعتـبر القائـد المطلـق الـذي يشرف على دولـة تمتلـك خُمس احتياطـات النفـط في العالم، في إجازة هنـاك. وكـان قـد استضـاف أعضـاء من الكـونغرس الأمـريكي في نهاية الأسبوع.

دخل بلينكن الخيمة الضخمة، المزينة ببذخ بالسجاد الملون والوسائد الأرضية. كانت هناك وليمة من المـأكولات المحليـة بانتظـارهم، بمـا في ذلـك برغـر لحم الجمل الصغير ولحم الضأن والدجاج.

قبـل 7 أكتـوبر، كـان بايـدن ومستشـاره للأمن القـومي جيـك سـوليفان وبلينكن يعملـون مـع السـعوديين لعـدة أشـهر لإصـلاح العلاقـة بين الولايـات المتحـدة والمملكة العربية السعودية، التي تضررت بشدة بسبب مقتل الصـحفي جمـال خاشقجي.

كان هناك مشروع آخر يحتمل أن يهز العالم، وهو اقـتراح للتطـبيع الكامـل. كـان ذلـك يعـني إقامـة علاقـات دبلوماسـية واقتصـادية واسـتراتيجية بين إسرائيل والمملكة العربية السعودية. إذا تحقق ذلك، فقد يغير ميزان القوى في الشرق الأوسـط. العلاقـات الدبلوماسـية بين هـاتين القـوتين الإقليميـتين قـد تعـزل التهديد الإيراني بشكل أكبر، إذ تمتلك إيران أكبر جيش في المنطقة.

لكن بعد صـدمة 7 أكتـوبر، والحملـة العسـكرية الإسرائيلية والقصـف المستمر على غـزة، أصـبح من الصـعب معرفـة مـا إذا كـان السـعوديون على اسـتعداد للمضي قـدمًا في عمليـة التطـبيع أو حـتى قـادرين على ذلـك. كـان الشـعب السعودي غاضبًا بسبب الأزمة الإنسانية المدمرة في غزة.

وهو جالس على الوسائد الأرضية، سأل بلينكن محمد بن سلمان بشكل مباشر، "هل تريد المضي في التطبيع وما المطلوب لتحقيق ذلك بالفعل؟"

كان التطبيع بين هاتين القوتين العظميين في الشرق الأوسط نقطة تحول للمنطقة، وقد يضمن مكانة بلينكن في التاريخ الدبلوماسي على غرار هنري كيسنجر.

قال محمد بن سلمان: "ليس فقط أنني أريد المضي في التطبيع، بل أريد القيام بذلك بشكل عاجل. أعتقد أننا بحاجة لمحاولة إنجاز ذلك في الأشهر القليلة القادمة لأنك ستدخل موسم الانتخابات في بلدك، وسيكون من الصعب عليك القيام بأي شيء حينذاك."

كان هذا فهمًا استراتيجيًا مفاجئًا لأولويات السياسة الأمريكية.

أضاف محمد بن سلمان: "من يعرف ما الذي سيأتي بعد الانتخابات؟ لذا هذه هي اللحظة وأنا مستعد لتحقيق ذلك."

كانت الولايات المتحدة تقترب أيضًا من إنهاء اتفاقياتها الخاصة مع السعوديين بشأن التعاون الدفاعي والطاقة النووية المدنية حتى يتمكن السعوديون من تطوير صناعتهم النووية، وأيضًا خطة اقتصادية.

قال بلينكن: "إذا انتهينا من اتفاقياتنا، ما الذي تحتاجه من إسرائيل لتحقيق التطبيع فعليًا؟"

أجاب محمد بن سلمان: "أحتاج إلى أمرين. أحتاج إلى هدوء في غزة وأحتاج إلى مسار سياسي واضح للفلسطينيين نحو دولة."

قال بلينكن: "صاحب السمو الملكي، هناك كلمة في إسرائيل تقول إنه عندما يتعلق الأمر بالدولة الفلسطينية فإنك لا تعني ذلك فعليًا، وأنك لا تريده حقًا. أنت تتحدث عنه فقط. لذا قل لي، ما هو الجواب؟"

كان للعائلة الملكية السعودية تاريخ طويل من خيبات الأمل مع القيادة الفلسطينية.

قال محمد بن سلمان واضعًا يده على قلبه: "هل أريده؟ لا يهم ذلك كثيرًا. هل أحتاجه؟ بالتأكيد."

وتابع: "وأحتاجه لسببين. أولاً، 70٪ من سكان بلدي أصغر مني. قبل 7 أكتوبر، لم يكن لديهم أي اهتمام بفلسطين أو بالصراع الإسرائيلي-الفلسطيني. لكن منذ 7 أكتوبر، هذا كل ما يركزون عليه."

"ولدي دول أخرى في العالم العربي، وفي العالم الإسلامي تهتم بشدة، ولن أخون شعبي."

يسافر ملايين المسلمين من جميع أنحاء العالم إلى السعودية لأداء فريضة الحج السنوية إلى مكة، مسقط رأس النبي محمد.

كان بلينكن يعلم أن محمد بن سلمان يرى نفسه قائدًا للعالم الإسلامي والعربي بأسره.

قال محمد بن سلمان: "لن أخون شبابي أو العالم العربي أو الإسلامي."

سأل بلينكن: "هل يمكنني إخبار بيبي بذلك؟" كان بلينكن سيسافر إلى إسرائيل بعد ذلك.

أجاب محمد بن سلمان: "نعم."

سأل بلينكن: "بتلك الكلمات؟"

أجاب محمد بن سلمان: "نعم، بتلك الكلمات."

في إسرائيل يوم 9 يناير، جلس بلينكن وحده مع رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو في مكتبه الصغير والمبسط مع جدران بيضاء وأرضية خشبية. جلسا على مقربة من بعضهما، بيبي على كرسي وبلينكن على أريكة. تم تصوير نتنياهو في هذا المكتب عدة مرات من قبل.

بدا نتنياهو متعبًا ومرهقًا. بلينكن، الذي كان أيضًا متعبًا، لم يضيع الوقت في الضغط على نتنياهو بشأن قصور المساعدات الإنسانية التي تدخل غزة. جادل نتنياهو بأنه قد اتخذ خطوات. بيبي هو بيبي، فكر بلينكن بإحباط

كانت إسرائيل قد اتخذت بعض الخطوات الصغيرة فيما يتعلق بالمساعدات الإنسانية، لكنها كانت جميعها بطيئة جدًا ومتعسرة.

تم فتح معبر كرم أبو سالم على الحدود الجنوبية لإسرائيل. ووافقت إسرائيل على ضمان إمدادات يومية من الوقود لغزة. كما وافقت على أن يتم إدخال الدقيق الذي أرسلته تركيا والذي كان موجودًا في ميناء أسدود، ميناء شحن إسرائيلي جنوب تل أبيب. كما وافقت أيضًا على إدخال شحنة دقيق من الولايات المتحدة. لكن هذه الموافقات كانت "موافقة مبدئية" فقط.

قال بلينكن: "الأمور لا تسير بالسرعة أو الفعالية التي ينبغي أن تكون عليها." وواجه نتنياهو بشأن الضرر الذي يلحق بالمدنيين. كانت إسرائيل الآن تنفذ عمليات عسكرية في خان يونس، ثاني أكبر مدينة في غزة.

سأل بلينكن: "متى ستنتهي هذه العمليات؟ متى ستنتهي العمليات العسكرية؟ لأن الأمور بدأت تصل إلى مكان صعب جدًا."

دافع نتنياهو عن نفسه.

أضاف بلينكن، مغيرًا الموضوع: "أحتاج أن أخبرك بما سمعته من محمد بن سلمان، من ولي العهد." بدا نتنياهو متحمسًا وأصبح أكثر انتباهًا.

قال بلينكن: "يريد متابعة التطبيع، ويريد متابعة ذلك بشكل عاجل، لكنه يحتاج إلى أمرين. يحتاج إلى هدوء في غزة، ويحتاج إلى مسار للفلسطينيين."

كان نتنياهو حيويًا. قال على الفور: "أريد فعل ذلك." ثم سأل: "ماذا تعني بالهدوء في غزة؟"

قال بلينكن: "حسنًا، يمكنني أن أخبرك بما قاله لي: لا يوجد قوات إسرائيلية على الأرض." ثم أضاف: "قلت إن ذلك قد يكون شرطًا صعبًا لتحقيقه."

رد نتنياهو قائلاً: "سنحاول العمل على هذا." ثم توقف وسأل: "المسار الفلسطيني، ماذا يعني ذلك؟" طوال مسيرته السياسية، كان نتنياهو معارضًا بشدة لدولة فلسطينية مستقلة.

أوضح بلينكن: "يجب أن يكون ذلك موثوقًا. يجب أن يكون غير قابل للتراجع. يجب أن يكون شيئًا يمكن للناس أن يؤمنوا به ويصدقوه. نحن نفهم أن هناك بعض الشروط، خصوصًا لضمان أمنك. لكن يجب أن يكون مسارًا واضحًا وغير قابل للتراجع."

قال نتنياهو: "حسنًا، أعتقد أننا نستطيع العمل على شيء ما. سنحتاج إلى صياغة إبداعية للموضوع."

رد بلينكن: "لا، لا، لا. فاتتك النقطة. لا يتعلق الأمر بالصياغة الإبداعية. يجب أن يكون الأمر حقيقيًا. إذا كان الأمر مجرد صياغة إبداعية، فلن يكون هناك شخص واحد على هذا الكوكب يصدق أنك لن تجد وسيلة للتهرب من أي كلمات تضعها على الورق. ذلك لن ينفع."

قال نتنياهو: "لا، لا، سنعمل على الأمر."

ثم أحضر نتنياهو بلينكن إلى اجتماع مجلس الأمن الإسرائيلي حيث كانت إسرائيل تضع خططها العسكرية للمرحلة التالية.

فكر بلينكن بقلق: "من الواضح أن هذا لن ينتهي في أي وقت قريب."

في نهاية الاجتماع، بينما كانوا يستعدون للمغادرة، أمسك بلينكن ذراع نتنياهو وقال: "لديك دقيقة أخرى؟"

أجاب نتنياهو: "نعم، بالطبع."

قال بلينكن: "ما قلته لي في مكتبك عن رغبتك في متابعة التطبيع وما هو مطلوب وما سمعناه للتو، لا يتوافق."

رد نتنياهو: "دعني أعمل على الأمر."

اتصل بلينكن بالرئيس بايدن وهو في طريقه إلى الوطن بالطائرة. وقال له: "سيدي الرئيس، استمعت إلى الكثير من الأشياء المثيرة للاهتمام في هذه الرحلة." وحدثه عن الوضع المأساوي في غزة وقائمة مخاوفه الجديدة، بالإضافة إلى محادثاته مع محمد بن سلمان ونتنياهو.

رد بايدن: "حسنًا، دعنا نجتمع في أقرب وقت عندما تعود."

أربعة وخمسون

في 14 ينـاير، توجـه سـوليفان وبلينكن إلى كـامب ديفيـد الـذي تبلـغ مسـاحته 125 فدانًا، وتناولا الغـداء مـع بايـدن. كـانوا الثلاثـة فقـط جالسـين حـول طاولـة، وكان هناك ثلج على الأرض. يوم جميل لكنه بارد.

نقـل بلينكن بالتفصـيل حديثـه مـع محمـد بن سـلمان بشـأن السـعي إلى اتفـاق تطبيع بين إسرائيل والسعودية، ورد فعل نتنياهو.

قال بلينكن عن حديثه مع نتنياهو: "انطباعي هو هذا: في الـوقت الحـالي إرث رئيس الوزراء هـو 7 أكتـوبر، وهـذا ليس إرثًـا يـرغب فيـه. ربمـا يعتقـد أنـه يمكنـه تحقيـق نـوع من الانتصـار على حمـاس، لكن أعتقـد أن هـذا وهمي وصـعب التحقيق. لكن إذا تمكن بالفعل من تحقيق التطبيع مع السعودية...".

سيكون ذلك هو الإرث الذي يعرف به نتنياهو. لطالما جادل نتنيـاهو بـأن صـنع السلام مع جيران إسرائيل الآخرين في الشرق الأوسط هو طريق الأمان لها.

قال بلينكن: "إنه الكأس المقدسة أو الحلقة الذهبية، إنه ما تريده إسرائيل منـذ اليوم الأول، وهو العلاقات الطبيعية مع جيرانها".

"أوه ، هيا ، لا توجد طريقة يمكنـه من خلالهـا فعـل مـا هـو ضروري الآن ، أليس كذلك؟" ضغط بايدن على بلينكن. "لا توجد طريقة يمكن أن يحدث بها ذلك."

كان كاشف هراء بايدن يومض باللون الأحمر.

أظهرت استطلاعات الرأي في إسرائيل منذ 7 أكتوبر أن 65% من الإسرائيليين

يعارضون حل الدولتين، وهو عكس تام لعام 2012 عندما أشارت

الاستطلاعات إلى أن 61% من الإسرائيليين يدعمونه.

قال بلينكن: "سيدي، أنت محق في أنه من غير المحتمل، لكنه ليس مستحيلاً. يتم سحب نتنياهو في اتجاهات مختلفة حول هذا، لكن هناك جزءًا منه يرغب بوضوح في تحقيق ذلك". وأضاف: "أكثر من الرغبة، يريد ذلك فعلاً".

قال بايدن: "حسنًا، دعونا نتابع جانب التطبيع. دعونا نرى ما إذا كان بإمكاننا إبرام اتفاقياتنا مع السعوديين ونصل إلى مرحلة تجعل هذا قرارًا حقيقيًا لنتنياهو، وليس مجرد احتمال".

وأضاف بايدن: "ربما سيثبت ذلك أنه ورقة ضغط". وقال إنه لا يزال متشككًا في أن إسرائيل ونتنياهو يمكن أن يفعلا ما هو مطلوب للمضي قدمًا في الصفقة، لكنه كان مستعدًا لاختبار الفرضية.

اتفق سوليفان وبلينكن.

كان لديهم تحدٍ إضافي يتمثل في تمرير جزء من المعاهدة الأميركية مع السعوديين عبر الكونغرس. كانت الاتفاقية الأولى، اتفاقية التعاون الدفاعي، أقل من الحماية التي توفرها المادة الخامسة من حلف الناتو، لكنها كانت مشابهة لاتفاقيات الدفاع التي لدى الولايات المتحدة مع اليابان وأستراليا وكوريا الجنوبية. وعدت الاتفاقية بأن الولايات المتحدة ستدافع عن السعودية إذا تعرضت للهجوم.

تذكر بلينكن في بداية الإدارة أن بايدن قال له: "كل إدارة لديها أزمتها في الشرق الأوسط". عندما اندلعت المعارك لمدة 11 يومًا في غزة في عام 2021، ذهب بلينكن إلى بايدن وقال له: "لقد وضعنا علامة في المربع".

لقد ضحك بايدن للتو وقال له : " كلمات أخيرة شهيرة ، أليس كذلك؟

عاد بلينكن إلى إسرائيل بعد ثلاثة أسابيع عندما اتصل بقلق بالرئيس بايدن. كانت لجنة الحرب الإسرائيلية قد قدمت للتو إحاطة عن خططها لدخول رفح في جنوب غزة، حيث كانت الكتائب المتبقية من حماس تختبئ بين المدنيين.

كان هناك حوالي **1.4** مليون شخص في رفح، معظمهم يعيشون في ظروف بائسة في خيام مؤقتة مع مجارٍ مفتوحة، وقد تم دفعهم إلى هناك بسبب العمليات العسكرية الإسرائيلية في شمال غزة. إلى أين سيذهبون؟

قال بلينكن: "ليس لدى الإسرائيليين أي خطة نراها للتعامل مع هؤلاء المدنيين. إنها وصفة لكارثة. نحتاج إلى المطالبة بخطة". كان يتحدث بسرعة، كلماته تتساقط على بعضها البعض، وكان واضحًا أن بلينكن كان قلقًا ومضطربًا.

وأضاف بلينكن: "انظر، شخصيًا لا يمكنني دعم شيء كهذا في غياب خطة".

قال بايدن: "أخبر الإسرائيليين أننا بحاجة لرؤية خطة". وأضاف: "دعنا نتحدث أكثر عن هذا عندما تعود"، مطمئنًا بلينكن.

اتصل بايدن بنتنياهو في **11** فبراير، وكانت أول مكالمة بينهما منذ ثلاثة أسابيع بسبب الخلافات المتفاقمة. كان بايدن قد خفف من إحباطاته مع نتنياهو في عدة مناسبات مع الصحفيين. في ديسمبر، شارك بايدن نقشة من صورة قديمة له مع نتنياهو مكتوب عليها: "بيبي، أحبك، لكنني لا أتفق مع شيء تقوله".

قال بايدن: "الوضع لا يزال كما هو اليوم".

الآن قال علنًا إنه أخبر نتنياهو أنه بحاجة إلى خطة واضحة، وموثوقة، وقابلة للتنفيذ لحماية المدنيين، وفي غياب ذلك، لا يمكن للولايات المتحدة دعم عملية في رفح.

في **14** فبراير، يوم عيد الحب، تناول بلينكن الغداء وحده مع الرئيس في غرفة الطعام الخاصة الصغيرة بجانب المكتب البيضاوي.

قال بلينكن: "سيدي الرئيس، كما ناقشنا، ليس هناك خطة لدى الإسرائيليين لإخراج المدنيين من طريق الأذى في رفح". وأضاف: "لا يوجد مكان للناس ليذهبوا إليه".

قــال الإسرائيليون لبلينكن إنهم سيرســلون المــدنيين إلى "المواصي"، وهي منطقة شاطئية على الساحل. "لكنه مليئة بالفعل. هناك بالفعل 250,000 شخص هناك، ولا يوجد دعم إنساني كافٍ لهم.

قال بلينكن: "لا يُجمَع الأمر". "ليس هناك مكان لنقلهم، ناهيك عن رعايتهم".

وأضاف: "لكن حتى لو تمكن الإسرائيليون من وضع خطة لإخراج الناس من طريق الأذى، فإن هناك 1.4 مليون شخص في رفح. لن ينقلوا كل هؤلاء.

قال بلينكن"نعتقد أن ما يصل إلى نصف مليون سيبقون في رفح".

وافق بايدن. من كل ما يعرفه عن العمليات العسكرية الإسرائيلية، فإنها ستلحق أضرارًا مروعة بالمدنيين.

قال بلينكن للرئيس: "إذا قمت باستقراء مما رأيناه، فمن المحتمل أن يزيد عدد الأطفال الذين سيُقتلون عن ألف، وكذلك النساء وغيرهم". "لا يمكننا أن نكون جزءًا من ذلك".

قال بايدن بإحباط: "إنها مثل المشي على الحبل بالنسبة لي وللولايات المتحدة". كان صبره على نتنياهو ينفد.

كانت هناك أربع كتائب متبقية من حماس قال الإسرائيليون إنهم يريدون تدميرها.

قال بايدن إن قوة الدفاع الإسرائيلية "مبالغ فيها".

قال بلينكن: "انظر، حتى لو تمكنوا بطريقة ما من القضاء على هذه الكتائب المتبقية، فإن تقديراتنا تشير إلى أن هناك سيبقى أكثر من 10,000 مقاتل من حماس لم يُقتلوا أو يُصابوا لدرجة تمنعهم من القتال".

بالإضافة إلى ذلك، أخبر الجيش الإسرائيلي بلينكن أنهم يقدرون أن هناك حوالي 130,000 عضو في حماس يحملون بطاقات، غير مسلحين، وغير منخرطين في الإرهاب، لكن يمكنهم المشاركة في أي وقت. ثم هناك هؤلاء،

خاصة الشباب، الذين تطرفوا بسبب ما حدث في الأشهر الأخيرة، الأشخاص الذين قُتل أقاربهم وأفراد مجتمعهم في العمليات العسكرية الإسرائيلية.

قال بلينكن: "ببساطة، سيرث الإسرائيليون تمردًا سيستنزفهم لفترة طويلة".

قال بايدن: "انظر، أنت تعلم أنني كرست مسيرتي المهنية بأكملها لأمن إسرائيل". كان هذا المسار يلحق الضرر بأمن إسرائيل. "لا يمكننا أن نتغاضى عن الأضرار المدنية التي تُلحق. علينا أن نحاول إبعادهم عن هذا.

"أنا مستعد لوضع خط واضح"، أضاف بايدن. "دعونا نقول إننا نضع الخط عند رفح". لكن بايدن لم يثق في نتنياهو. ماذا لو فعلوا ذلك على أي حال؟ ماذا بعد؟

قال بلينكن: "هناك ثلاث فئات كبيرة من الأمور التي يمكننا النظر فيها. الأول هو انفصال العلني. الثاني هو شيء في الأمم المتحدة". حتى الآن، قاومت الولايات المتحدة الدعوات لوقف إطلاق النار في الأمم المتحدة التي لم تكن مرتبطة بإطلاق سراح الرهائن، لكنها يمكن أن تعدل هذا الموقف. "ثلاثة، تعليق بعض المساعدات العسكرية لإسرائيل المتعلقة بغزة".

كان بايدن واضحًا: "لن أقطع أو أعلق المساعدة الدفاعية لإسرائيل، القبة الحديدية، أي شيء للدفاع عن نفسها. يجب أن تحافظ على ردعها ضد إيران وحزب الله".

اعتقد الرئيس أنه إذا بدا أن الدعم الأميركي لإسرائيل متزعزع، فإن إيران ووكلاءها، وخاصة حزب الله في الشمال، قد يأخذون ذلك كإشارة لتصعيد الصراع في غزة بفتح جبهة أخرى في الحرب.

كان الدعم الشعبي الصلب لعمليات إسرائيل العسكرية في غزة قد بدأ في الانهيار في الولايات المتحدة. أظهرت تقارير الأخبار اليومية صورًا مدمرة للأطفال الفلسطينيين المصابين والقتلى، وعبرت النساء والأطفال عن معاناتهم أمام كاميرات الصحفيين.ومخيمات اللاجئين والمدن التي دُمّرت في غزة.

استمرار بايدن في تقديم المساعدات العسكرية لإسرائيل، رغم ارتفاع عدد الضحايا المدنيين في غزة ونقص المساعدات الإنسانية، أثار غضب الديمقراطيين ونقابات العمال والحرم الجامعي في الولايات المتحدة.

وقال بايدن لبلينكن: "لكنني أوافق على أننا بحاجة إلى النظر فيما إذا كان بإمكاننا ويجب علينا إيقاف المساعدة التي تستخدم مباشرة في غزة إذا لم يحصلوا على هذا بشكل صحيح".

ظهرت موجة متفرقة من الاحتجاجات الطلابية حول تدهور الوضع الإنساني في غزة في الجامعات في جميع أنحاء البلاد. كلما زادت إدارات الكليات من قمع التظاهرات المؤيدة للفلسطينيين ومخيمات الاعتصام، زادت الاحتجاجات، وجذبت مشاركة من أعضاء هيئة التدريس والجمهور. في جامعة كولومبيا، استدعت الجامعة الشرطة لتفريق احتجاج كبير للطلاب لأول مرة منذ حرب فيتنام. تم اعتقال حوالي 100 شخص.

وصف بعض الجمهوريين الاحتجاجات في الجامعات بأنها "بؤر معاداة السامية". كانت الرسائل مختلطة إلى حد كبير، وتهدف في الغالب إلى إنهاء العمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة.

اتصل بايدن بنتنياهو في 15 فبراير.

قال بايدن: "لقد قلنا بالفعل أننا لن ندعم عملية في غياب خطة لإخراج المدنيين من طريق الخطر ورعاية المدنيين."

"لا نرى كيف يمكنك القيام بذلك. لا يتماشى الأمر. لا نعرف أين ستأخذ الناس، ناهيك عن كيفية الاعتناء بهم"، أضاف بايدن. "حتى إذا كان بإمكانك ذلك، لا نرى كيف لا تفعل شيئًا يلحق أضرارًا جسيمة بالمدنيين الذين سيبقون في رفح."

وأضاف بايدن، "ولا يؤدي ذلك إلى أي مكان لأنه سيكون لديك مشكلة طويلة الأمد على يديك."

في غضون ذلك، كان بلينكن وماكغورك يضغطون على الإسرائيليين بشأن وقف إطلاق النار. كان لديهم معضلة. قال بلينكن: "رأينا أن أسرع طريقة لقطع ما يحدث في غزة هي اتفاق تبادل الرهائن مقابل وقف إطلاق النار. إذا حصلنا على هذا الاتفاق، سنحصل على وقف إطلاق نار لمدة ستة أسابيع على الأقل مع إمكانية تمديده."

بدلاً من الهجوم القوي على رفح، يمكن لإسرائيل العمل مع المصريين للتحكم في الحدود حتى لا يدخل أي شيء لإعادة إمداد حماس — خنق حماس من الموارد.

نقل بلينكن رسالة الرئيس بايدن إلى بيبي، "لن ندعمك في عملية كبيرة إلى رفح."

أنت تسير إلى مكان إما أن تبقى فيه حماس تدير غزة، وهو ما اتفقنا عليه أنه غير مقبول؛ سيتعين على إسرائيل البقاء وتوريث تمرد؛ أو لن يبقى شيء سوى الفوضى، قال بلينكن.

قال بيبي: "حسنًا، أنت محق. سنكون مشغولين لعقود."

قال بلينكن: "لا يمكن أن يكون هذا جيدًا لإسرائيل." ما كان العرب يخبرون بلينكن به، واعتقد بلينكن أنهم كانوا على حق، هو أنه كان يجب أن يكون هناك رد سياسي علي حماس — تحديدًا القيادة الفلسطينية.

قال بلينكن لبيبي: "يحتاج الأمر، في حكمنا، إلى الفلسطينيين والسلطة الفلسطينية."

"نعتقد أن هذه هي النقطة التي تحتاج إلى الوصول إليها. ربما لا يمكن إنجاز ذلك دفعة واحدة"، أضاف بلينكن. "لقد أبدى المصريون والإماراتيون اهتمامًا حقيقيًا بأن يكونوا جزءًا من قوة أمنية ستنتقل إلى السلطة الفلسطينية. كنا سندرب السلطة الفلسطينية."

أعجب نتنياهو بفكرة دخول العرب. لم يكن متحمسًا للسلطة الفلسطينية على الأقل.

قال بلينكن: "انظر، مكانتك في العالم في خطر. قد لا تدرك ذلك حتى فوات الأوان. لكنك تفقد الدعم من مؤيديك المتبقين ومن البلدان التي كانت أكثر دعمًا لإسرائيل بجانب الولايات المتحدة - ألمانيا والمملكة المتحدة - يمكنني أن أخبرك من محادثاتي مع وزراء الخارجية لديهم أنهما على حافة الطاولة وسيسقطان. قد لا تتمكن من رؤيته، لكن عليك أن تعرف ذلك"، قال بلينكن بغضب.

ومع ذلك، لم يتحرك نتنياهو عن فكرة العملية العسكرية في رفح.

كان من الواضح أن بلينكن لم يكن له تأثير.

لذا اتصل بايدن. قال الرئيس"دعني أتحدث مع بيبي حول هذا".

قال بايدن لبيبي"لدي أفكار للتعامل مع رفح بطريقة مختلفة". "التعامل مع مشكلتك الرئيسية - حماس - بطريقة مختلفة ويجب أن تسمعها لأنه لا يمكننا دعم عملية عسكرية كبيرة هناك"، قال بايدن. "وما زلنا لم نر خطة لإخراج الناس من طريق الخطر."

وافق نتنياهو على إرسال ممثلين إسرائيليين إلى واشنطن، لكنه أوقف الأمر بعد أن امتنعت الولايات المتحدة عن التصويت على قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بشأن وقف إطلاق النار.

رأى بيبي في ذلك خيانة.

قال بلينكن عن نتنياهو: "إنه صعب المراس". "لكن بقدر ما يكون من المغري لوم كل شيء على بيبي أو لوم كل شيء على سموتريتش أو بن غفير، المتطرفين في حكومته، فإن الحقيقة القاسية هي أن معظم ما يأتي من إسرائيل هذه الأيام هو انعكاس للغالبية العظمى من شعبها."

في معسكر سجون نـائي يعـرف باسـم "الـذئب القطـبي" في الـدائرة القطبيـة الشـمالية، تم إعلان وفـاة زعيم المعارضـة الروسـية والنقـد اللاذع لفلاديمـير بـوتين، أليكسي نافـالني، عن عمـر ينـاهز 47 عامًـا، في 16 فـبراير 2024. كـانت الأسباب غير واضحة.

«لا تخطئوا، بوتين مسؤول عن وفـاة نافـالني»، أعلن الـرئيس بايـدن. مـا حـدث لنافالني هو دليل آخر على وحشية بوتين".

لقد كان تحذيرا حيا لشخصيات المعارضة داخل روسيا.

خمسة وخمسون

في يوم الأحد، 10 مارس 2024، تلقى الجنرال المتقاعد كيث كيلاج مكالمة هاتفية من ترامب الذي كان يتفقده بعد انتخابات "سوبر الثلاثاء". كان كيلاج فخورًا بأنه واحد من خمسة مستشارين بارزين استمروا طوال فترة رئاسة ترامب.

قال ترامب في مكالمته: "استعد عندما نبدأ الحملة بجد." كان في حالة معنوية جيدة. كانت نتائج "سوبر الثلاثاء" متوقعة، والآن أصبح من المؤكد تقريبًا أن الانتخابات في نوفمبر 2024 ستكون إعادة لمواجهة بين بايدن وترامب. حصل ترامب على 2231 مندوبًا، بينما كان يحتاج فقط إلى 1215 لضمان ترشحه.

قال كيلاج إنه يدعم حملة ترامب لعام 2024 "100 بالمئة". بالنسبة له، كان ذلك خيارا ثنائيا بين سياسات بايدن وسياسات ترامب.

قال كيلاج"الحدود الجنوبية، هذا هو الرقم واحد". "أعتقد أن لدينا جيشًا مكسورًا، وهو الرقم اثنان. ثم ننظر إلى النزاعات الإقليمية، أوروبا مع روسيا. ننظر إلى الشرق الأوسط والشرق الأقصى."

"أنا أساند ترامب بشدة، وأنا متوتر جدًا بشأن السياسات الحالية لجو بايدن.""وجو ، على الرغم من كل خبرته ، تجربة جو بايدن في الأمن القومي ، إلا أنه لا يفهم الأمر على الإطلاق."

قال كيلاج إن ترامب شخص مختلف عندما يكون خارج دائرة الضوء. كان يستطيع الاستماع ويريد فعلاً سماع كل صوت في الغرفة.

"عندما كانت الأبواب مغلقة في المكتب البيضاوي"، قال كيلاج، "كنا نجلس هناك، والمصطلح الذي كنت أستخدمه هو BOGSAT (مجموعة من

الأشـخاص الـذين يجلسـون ولا يفعلـون أي شيء منتج)، وهـو مجموعـة من الرجال يجلسون حول طاولة ويتحدثون."

خلال أحد اجتماعات مجلس الأمن القومي الساخنة في غرفة العمليات حول أفغانستان ، تذكر كيلاج كيف توقف ترامب وسأل الجميع عن آرائهم.

"حسنًا، ماذا تعتقد؟" سأل ترامب امرأة جلست على بعد مقعدين من كيلاج.

"سيدي الرئيس، أنا المتعهدة بالملاحظات."

"أوه، لا"، قال ترامب، "إذا كنت في هذه الغرفة، يجب أن تتحدثي."

لذا أدلت المتعهدة بملاحظاتها بإيجاز.

بدا ان ترامب يستمتع بوضع مستشاريه تحت الضغط. "قال كيلوج: "كان يخبرني مقدما ، هذا ما أفكر فيه وبعد ذلك ستحتاج إلى الرد عليه أو دعمه".

أضاف"ورأيت الكثير من الناس ينكسرون تحت الضغط". "أعني، ينقلبون تمامًا."

"كانت هناك أوقات جلست فيها وقلت، أريد كشك الفشار في هذه الحالة لأن هذا مجرد قتال حاد. كان ممتعًا للمشاهدة."

كقراراته كرئيس، كانت قرارات ترامب غالبًا ما تُتخذ في لحظة. قال كيلاج "لم يكن الأمر، عُد غدًا، عُد بعد أسبوع، عُد بعد ثلاثة أسابيع من الآن".

عندما قرر ترامب نقل السفارة الأمريكية في إسرائيل من تل أبيب إلى القدس في عام 2018، أُخبرنا في غرفة العمليات بأن انتفاضة ثالثة ستبدأ بسبب ذلك.

"حسنًا، سنأخذ تلك المخاطرة"، قال ترامب بلامبالاة وأمر بالنقل، مما خلق عاصفة في الصحافة ولكن لم تحدث انتفاضة ثالثة في إسرائيل.

اعتقد كيلاج ان خطاب ترامب الفظ والمتعجرف سيكون مشكلة لبعض الناخبين. على سبيل المثال، كان ترامب قد وصف منافسته الجمهورية نكي هيلي مرارًا بأنها "عقل عصفورة"،
ترك فريق حملته قفص طيور به بذور الطيور خارج غرفة فندقها.

لكن كيلاج طمأن الآخرين: "عقله في مكان جيد." كان بإمكانه رؤية احتمال أن ولاية ثانية في متناول اليد وكان جاهزًا للتحدي.

كان يعتقد أن عملية اختيار ترامب للوزراء وصنع القرار ستكون مختلفة تمامًا هذه المرة.

"لا يوجد كتاب يقول: الرؤساء للمبتدئين"، قال كيلاج. "أنت تتعلم على الوظيفة وتكتشف، حسنًا، هكذا ستسير الأمور."

في إشارة إلى عام 2017، أضاف كيلاج: "المرة الماضية، لم ينطلق بسرعة."

قال كيلاج"لم نكن مستعدين للحكم لأن الجميع كانوا جددًا".

الآن، كان لكل من ترامب وبايدن أربع سنوات في البيت الأبيض وعرفوا ما هو ممكن كرؤساء.

قال كيلاج"ستكون هذه أطول حملة انتخابية عامة شهدتها هذه الأمة"، لكنه كان يعتقد أن ترامب جاهز لمواجهة سياسية طويلة في عام 2024.

على الهاتف مع ترامب الآن في مارس، قفزوا بين المواضيع. قال كيلاج "من التفاح إلى البرتقال إلى المشمش في حوالي 45 ثانية". انتهوا عند إسرائيل.

كان كيلاج قد عاد للتو من تل أبيب. وقد قدم تحديثًا لترامب حول اجتماعاته مع مساعد نتنياهو، رون ديرمر، ووزير الدفاع يوآف غالانت. كما أنه التقى بشكل سري مع نتنياهو.

سأل ترامب كيلاج ,ما هو وضع بيبي؟ .

قـال كيلاج"نتنيـاهو قائـد في زمن الحـرب". "هـذا هـو الرجـل الـذي خـرج من العمليات الخاصة والجيش الإسرائيلي." إنه يفهم الحرب.

وكـان نتنيـاهو قـد خـدم في "سـايريت ماتكـال" ، وحـدة القـوات الخاصـة الإسرائيلية النخبوية التي قامت بعمليات استطلاع سرية. بعد ذلك، شارك في حرب يوم كيبور عام 1973 وتم ترقيته إلى رتبة نقيب في الاحتياطي.

قـال كيلاج إنـه يعتقـد أن بايـدن كـان ناقـدًا جـدًا لنتنيـاهو في العلن. "بايـدن ونتنيـاهو لا يتفقـان على أي شيء تقريبًـا"، أضـاف كيلاج. "أفهم في إدارتنـا عنـدما كنت رئيسًـا أنـه كـانت هنـاك أوقـات كـان لـديك فيهـا بعض التعليقـات اللاذعة مع نتنيـاهو أثنـاء قيامـك باتفاقيـات أبراهـام. لكنـه كـان أقـرب إليـك من بايدن."

قــال كيلاج"إذا كــان النــاس يعتقــدون أن هنــاك حــل الــدولتين الآن، فهم مخطئون". "لن يحدث في الأجل القريب، ولن يحدث بسبب العـداء الآن داخـل السكان اليهود."

أخـبر تـرامب عن زيارتـه لبعض الكيبـوتز الـتي تعرضـت للهجـوم في 7 أكتـوبر. التقى بـامرأة إسرائيلية قـالت إنهـا لن تثـق مجـددًا بالفلسـطينيين لأنهـا تعـرفت على بعض المهـاجمين الـذين عـبروا الحـدود في 7 أكتــوبر. لقـد عملــوا في كيبوتزها، كما زعمت.

في الأشـهر الخمسـة منـذ 7 أكتـوبر، لم يُسـمح لأي فلسـطينيين بـالعودة إلى العمل في إسرائيل.

ينظـر الإسرائيليون إلى هـذا الأمـر من منظـور كتـابي تقريبًـا، بحسـب كيلاج، كصراع من أجل البقاء.

"مـا لم تفهم ذلــك، فلن تفهم مــا يحــدث في إسرائيل. وهــذه الإدارة لا تفهم ذلك"، قال مشيرًا إلى بايدن.

كما انتقد كيلاج بايدن لدفعه إسرائيل نحو إعلان وقف إطلاق النار.

"لن يذهبوا للامتثال لوقف إطلاق النار"، سخر كيلاج في المكالمة مع ترامب حول الإسرائيليين. قال ديرمر له في لقائهما الذي استمر ساعة ونصف. "سيدخلون إلى رفح، وسينتهون من الألوية."

قال كيلاج"سوف يمحون حماس". "وأعني بمحو حماس - كل قيادة حماس."

قال كيلاج إن بايدن لم يكن داعمًا كفاية لنتنياهو. "لا يمكن أن تكون المساعدة الإنسانية هي فكرتك الأساسية"، قال كيلاج. "يجب أن تكون فكرتك الأساسية هي محو حماس كقوة مقاتلة."

كان ترامب صامتًا في الجهة الأخرى من الخط. لقد انتقد تعامل نتنياهو مع حماس وصور العمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة.

"أعتقد أن إسرائيل ارتكبت خطأ كبيرا جدا"، قال ترامب خلال مقابلة مع وسائل إعلام إسرائيلية في مارالاغو. "أردت أن أتصل وأقول لا تفعل ذلك. هذه الصور واللقطات. أعني، اللقطات المتحركة للقنابل التي تُلقى في مبانٍ في غزة. وقلت، أوه، هذه صورة رهيبة. إنها صورة سيئة جدًا للعالم.... أعتقد أن إسرائيل أرادت أن تظهر أنها قوية، ولكن أحيانًا لا يجب عليك فعل ذلك."

قال كيلاج إنه سيكتب تقريرًا بعد العمل مع استنتاجاته الرئيسية: واحد، نحتاج إلى دعم دولة إسرائيل وإدارة بيبي نتنياهو. اثنان، يجب أن نفهم أن حل الدولتين لن يحدث. الامر ليس كذلك. ثلاثة، سيكون لدى إسرائيل وقف إطلاق نار ولكنه سيكون وقف إطلاق نار قصير الأجل لمحاولة إخراج الرهائن. أربعة، هذه حرب. بعض المشاهد التي تراها لن تكون جميلة. فقط تقبل ذلك. خمسة، هذا يتم حله من خلال الولايات المتحدة والسعودية.

قال كيلاج"الشرق الأوسط مكسور". "إنه متصدع وستحتاج إلى إعادته إلى التوازن. يمكنك القيام بذلك بسبب قدرتك على التحدث مع الناس."

أرسل كيلاج إلى ترامب نسخة مطبوعة من تقريره المؤلف من أربع صفحات. كان يعلم أنه طويل جدًا بالنسبة لترامب.

"عندما تكون مع دونالد ج. ترامب، فإن ذلك يعد مذكرة طويلة"، قال كيلاج. "تحتاج إلى محاولة الحفاظ عليها في صفحة واحدة."

كان أعضاء الحكومة السابقة لترامب يقومون بجولات في سفارات مختلفة في واشنطن قائلين إن إدارة ترامب الجديدة ستكون ودية ومتفهمة لبلدانهم.

قام مستشار الأمن القومي السابق ترامب، روبرت أوبراين، ومدير وكالة المخابرات المركزية ووزير الخارجية السابق، مايك بومبيو، بزيارة سفير كوريا الجنوبية في الولايات المتحدة، هيوندونغ تشو.

كانت الرسالة التي دفعوها هي أن ترامب سيكون أكثر عقلانية وأقل توقعًا هذه المرة.

ودافعوا عن الطبيعة "الأساسية" لعلاقة ترامب مع كل بلد . على سبيل المثال، أن ترامب أدرك أن العلاقة بين كوريا الجنوبية والولايات المتحدة كانت أساسية للأمن المتبادل وأن الدولتين ستتحملان العديد من الأعباء معًا.

قال السفير تشو: "أوبراين ربما يكون على القائمة المختصرة ليكون وزير الخارجية القادم إذا تم انتخاب ترامب."

اعتقد كوجي توميتا، سفير اليابان لدى الولايات المتحدة، أن ترامب جذب القادة اليابانيين السابقين بلعب الغولف مع أحدهم ومشاركة المعلومات حول الاستثمارات الواسعة لليابان بطريقة "ذكية جدًا".

"كانت اليابان أكبر مستثمر أجنبي هنا في الولايات المتحدة لعدة سنوات"، قال توميتا.

بالطبع، كانت هذه الفكرة تثير اهتمام ترامب.

كان المسؤولون السابقون في إدارة ترامب يقومون بربط وتحقيق علاقات جديدة. كانوا يبنون شبكة جديدة من القديمة.

ستة وخمسون

في مارس، خلال زيارة إلى السعودية، كان السيناتور ليندسي غراهام يحاول الحفاظ على المفاوضات للتوصل إلى اتفاق تطبيع بين إسرائيل والسعودية ، وهو هدف طموح للغاية يكاد يكون بعيد المنال.

محمد بن سلمان، الأمير القوي البالغ من العمر 38 عامًا والذي يدير المملكة الغنية بالنفط فعليًا، طلب من أحد مساعديه إحضار حقيبة تحتوي على حوالي 50 هاتفًا "مؤقتًا". بحث فيها وسحب هاتفًا مكتوبًا عليه "ترامب 45".

"مرحبًا، أنا هنا مع ليندسي"، قال محمد بن سلمان ضاحكًا لترامب بعد لحظات. "كيف حالك؟"

ثم وضع ولي العهد الهاتف على مكبر الصوت حتى يتمكن غراهام أيضًا من سماع جانب ترامب من المحادثة.

قال ترامب لمحمد بن سلمان: "ليندسي رائع، لقد كان أكبر مشكلة لك. حاول أن يجعلني أطيح بك!"

وانفجر الجميع بالضحك على جانبي المكالمة.

قال غراهام في الهاتف: "نعم، كنت على حق [بشأن محمد بن سلمان]، وكنت أنا مخطئًا." كانت علاقة غراهام بمحمد بن سلمان قد تدهورت بعد القتل المروع وتقطيع أوصال الصحفي ومساهم واشنطن بوست جمال خاشقجي في عام 2018. وقد خلصت وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) إلى أن محمد بن سلمان هو الذي أمر بالاغتيال. في ذلك الوقت، وصف غراهام ولي العهد بأنه "مجنون قاتل" وحذر من "تسونامي من الحزبين" ضد السعودية. وقال غراهام في مقابلة على برنامج "Fox & Friends" في أكتوبر 2018: "لا يحدث شيء في السعودية دون أن يعرف محمد بن سلمان". وأضاف: "لن أعود إلى السعودية طالما هذا الرجل مسؤول. هذا الرجل هو كرة هدم."

الآن، أصبح غراهام يعتبر نفسه صديقًا جيدًا لولي العهد.

في إحدى رحلاته السابقة إلى السعودية، طلب غراهام من محمد بن سلمان الاتصال بجاك سوليفان خلال اجتماعهما حتى يتمكن غراهام من إطلاعهم على محادثة مع نتنياهو. أخرج ولي العهد هاتفًا مؤقتًا آخر، هذه المرة مكتوب عليه: "JAKE SULLIVAN".

قال محمد بن سلمان على الهاتف مع سوليفان: "مرحبًا، أنا هنا مع ليندسي."

رد سوليفان على محمد بن سلمان بصوت مليء بالدهشة: "أين أنت مع ليندسي؟"

قال محمد بن سلمان: "أنا في السعودية، لقد عاد للتو من إسرائيل."

بعد أن أنهوا المكالمة مع ترامب، استمر السيناتور غراهام في الضغط على محمد بن سلمان بشأن محادثات معاهدة تطبيع سعودية مع إسرائيل.

قال غراهام: "إذا كنت تريد الاعتراف بإسرائيل، عليك أن تفعل ذلك في عهد بايدن. لن تتمكن من الحصول على دعم الديمقراطيين للتصويت على اتفاقية دفاع تقدمها إدارة ترامب لخوض حرب مع السعودية."

كان الطُعم الذي استمرت الولايات المتحدة في عرضه أمام محمد بن سلمان هو احتمال اتفاقية تعاون دفاعي ثنائي جادة مع الولايات المتحدة. وكان ذلك يعني أنه في حال تعرضت السعودية لهجوم، فإن الولايات المتحدة ستدافع عنها.

ذكر غراهام محمد بن سلمان قائلاً: "إنها صفقة ضخمة للغاية. إنه بوليصة تأمين ضد إيران. إنه بمثابة كش ملك ضد إيران."

أشار محمد بن سلمان إلى الغضب في شوارع بلاده بسبب الوضع في غزة. وقال إنه لا يمكنه توقيع معاهدة مع إسرائيل ما لم يكن هناك التزام بالسير نحو دولة فلسطينية على مر الزمن. ولكن بعد السابع من أكتوبر، كان غراهام يعلم أن نتنياهو والمجتمع الإسرائيلي قد أصبحوا أكثر تصلبًا ضد فكرة حل الدولتين.

قال محمد بن سلمان إنه لا يزال يرغب في تخصيب اليورانيوم في السعودية لتنويع قطاع الطاقة ليشمل الطاقة النووية.

قال غراهام: "حسنًا، سيكون من الصعب القيام بذلك لأن الناس يخافون أنك قد تصنع قنبلة."

رد محمد بن سلمان: "لا أحتاج إلى اليورانيوم لصنع قنبلة. سأشتري واحدة فقط من باكستان."

تُعد باكستان واحدة من تسع دول تمتلك أسلحة نووية.

قبل أشهر من هجوم حماس في 7 أكتوبر، كان السيناتور ليندسي غراهام قد أطلع الرئيس بايدن في المكتب البيضاوي على محادثاته مع السعوديين والإسرائيليين. حضر اللقاء كل من جيك سوليفان وأنتوني بلينكن.

قال غراهام: "سيدي الرئيس، هذا ما قلته لمحمد بن سلمان. قلت له إنني أعتقد أن التطبيع مع إسرائيل ممكن. سأدعمه في عهدك، سيدي الرئيس."

وأضاف غراهام: "أنا أحاول مساعدة بلينكن وسوليفان. قلت لمحمد بن سلمان: إذا اعترفت بإسرائيل، سأحصل لك على 45 صوتًا للاتفاق الدفاعي الذي تحتاجه من الولايات المتحدة من الجمهوريين. ترامب لن يقف في طريقك."

وقال غراهام: "لن يصوت الديمقراطيون لصالحه إذا قدمه ترامب لأنهم يكرهون بيبي (نتنياهو) ويكرهون ترامب." وأضاف: "الجمهوريون سيصوتون لصالح الاتفاق الدفاعي مع السعودية إذا شجعتنا إسرائيل على ذلك. يمكننا الحصول على 45 صوتًا جمهوريًا. عليك أن تحصل على بقية الأصوات من الكتلة الديمقراطية الخاصة بك."

قال بايدن: "أستطيع فعل ذلك."

أردف غراهام: "استمع، هذا الرجل (محمد بن سلمان) على استعداد للقيام بذلك لأنه سيصبح تحت مظلتنا النووية ولن يقلق بشأن بناء قنابل."

سأل بايدن غراهام: "هل تعتقد أنك تستطيع أن تنجز هذا؟"

قال غراهام: "أستطيع أن أنجزه. هل تستطيع أنت أن تنجزه؟"

أجاب الرئيس: "أستطيع إنجازه."

وأضاف غراهام: "سيدي الرئيس، اتفاقيات أبراهام جعلت هذا ممكنًا"، مشيرًا إلى الاتفاقات الثنائية التي أبرمتها إدارة ترامب بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة والبحرين. وأضاف: "ترامب سيحصل على نصيبه العادل من الفضل. لكنك لن تتمكن من تمرير معاهدة في مجلس الشيوخ إلا إذا كانت في عهدك. سيحتاج الأمر إلى رئيس ديمقراطي لإقناع الديمقراطيين بالتصويت لدخول حرب من أجل السعودية."

قال بايدن بثقة: "لنفعلها."

في خريف عام 2023، اتصل غراهام بالرئيس بايدن وهو في الشرق الأوسط. كانا صديقين مقربين سابقًا، وقد عملا معًا على عدة اتفاقات. خلال فترة عمله نائبًا للرئيس، قال بايدن للرئيس أوباما: "إن ليندسي غراهام يتمتع بأفضل الغرائز في مجلس الشيوخ " ووافق أوباما على ذلك. لكن بعد قدوم ترامب ودعم غراهام للهجمات الجمهورية على هانتر بايدن، انتهت صداقتهما.

قال غراهام لبايدن عبر الهاتف: "نحن مستعدون تمامًا." كانوا على وشك الانتهاء من الاتفاق الدفاعي وكانوا يعملون على صياغة اللغة الدقيقة للاتفاق النووي المدني.

أخبر غراهام بايدن أن رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو "أضاء مثل شجرة عيد الميلاد" خلال اجتماعهم. وأضاف: "هذا الأمر على وشك أن يتم."

كانوا قد خططوا لإجراء مفاوضات سرية بين نتنياهو وسفير سعودي في تل أبيب في نوفمبر 2023. كان من المفترض أن يكون لحظة تاريخية.

لكن هجوم 7 أكتوبر جاء ليعطل كل التوقعات الحقيقية لتحقيق معاهدة سلام تاريخية.

قال غراهام لبلينكن وسوليفان بعد لقائه الأخير مع محمد بن سلمان في مارس 2024: "الطريقة الوحيدة للقيام بذلك هي الحصول على وقف لإطلاق النار." وأضاف: "وأثناء وقف إطلاق النار، أتمموا هذا الاتفاق."

سبعة وخمسون

قام السفير الإسرائيلي لدى الولايات المتحدة مايكل هرتزوغ، وهو جنرال سابق في الجيش الإسرائيلي، بسحب بريت ماكغورك جانبا خلال اجتماع في البيت الأبيض بعد ظهر يوم الاثنين، 1 أبريل.

قال هرتسوغ: "لقد نفذنا للتو ضربة وقمنا بتصفية قائد فيلق الحرس الثوري الإيراني، محمد رضا زاهدي، في دمشق، سوريا"، مع ستة أعضاء آخرين من الحرس الثوري الإيراني.

رد مكغورك بصدمة: "ماذا فعلتم؟ هل فكرتم حقًا في العواقب؟"

محمد رضا زاهدي، الذي كان يبلغ من العمر 63 عامًا، كان جنرالاً، وأعلى قائد إيراني في فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، الذي تصنفه الولايات المتحدة كمنظمة إرهابية، وكان من مؤسسي الحرس الثوري منذ 45 عامًا في الثورة الإيرانية عام 1979. كان زاهدي أيضًا صديقًا شخصيًا للمرشد الأعلى لإيران، علي خامنئي. كان قتله ضربة في قلب إيران.

كانت إسرائيل قد دفعت للتو عصا إلى عش الدبابير.

مكغورك، سوليفان، وفينر تبادلوا النظرات بينهم. كانت المشاعر متباينة. من ناحية، كان الأميركيون قادرين على فهم الأهداف. فالحرس الثوري الإيراني كان موجودًا لتشغيل وكلاء مثل حزب الله، الذي كان يركز على تدمير إسرائيل.

جادل السفير هرتسوغ بأن ذلك كان عملاً شرعيًا للدفاع عن النفس. لكن مستشاري البيت الأبيض تساءلوا عما إذا كانت إسرائيل قد فكرت في كيفية رد فعل إيران.

مكغورك كان يعرف من خلال سنوات خبرته أن إسرائيل كانت تعتقد أنها جيدة جدًا في إدارة التصعيد. لقد قامت قوات الدفاع الإسرائيلية بعدة ضربات

محسوبة لفترة من الوقت، وهو ما أسموه "حرية التصرف"، والتي دعمتها الولايات المتحدة. لكن مكغورك كان يعتقد أن هذه المرة كان هناك سوء تقدير كبير.

لم تتلق الولايات المتحدة أي تحذير مسبق من إسرائيل، وهو ما قد يكون أمرًا جيدًا، ولكن الضربة كانت لها تداعيات هائلة.

تم تنفيذ الضربة الدقيقة بطائرتين من طراز F-35 أمريكية الصنع وتشغلها إسرائيل.

في حوالي الساعة السادسة مساءً، أرسلت إيران رسالة عبر وسطاء سويسريين تفيد بأن إيران سترد على إسرائيل لكنها تحمل الولايات المتحدة أيضًا مسؤولية الهجوم. زعمت إيران في الرسالة أن إسرائيل لا يمكن أن تكون قد نفذت الهجوم بدون موافقة الولايات المتحدة.

على الفور، وضعت القوات الأمريكية، التي تعرضت بالفعل لأكثر من 150 هجومًا من ميليشيات مدعومة من إيران، في حالة تأهب مرة أخرى.

في الساعة الثامنة مساءً، أرسل سوليفان ومكغورك ردًا إلى الإيرانيين يؤكد أن الولايات المتحدة لم تكن على علم مسبق بالهجوم، ولم توافق عليه، ولم تشارك فيه. وأكدت الرسالة أن الولايات المتحدة مستعدة للرد على أي هجمات ضد أفرادها ومنشآتها، وأنها لا تسعى إلى حرب مع إيران.

في الساعة التاسعة مساءً، أعاد جون كيربي، المتحدث باسم مجلس الأمن القومي، تأكيد الرسالة علنًا. قال كيربي من منصة البيت الأبيض: "أوضح الأمر، لم يكن لنا أي دور في الضربة في دمشق. لم نكن مشاركين بأي شكل."

أكل التوتر مكغورك من الداخل. كان واضحًا من المعلومات الاستخباراتية والتصريحات العامة أن إيران اعتبرت ضربة إسرائيل ضربة كبيرة.

كان الخوف الحقيقي لدى مكغورك هو أن حزب الله قد يستغل هذه الفرصة لدخول الحرب بهجوم واسع النطاق على إسرائيل، وهو ما كانت الولايات المتحدة تحاول منعه منذ سنوات.

فجأة، أصبحت المنطقة مشتعلة مرة أخرى بتوتر وخطر كبيرين. السؤال الذي بقي هو: كيف ومتى سترد إيران؟

بعد ثلاثة أيام، يوم الخميس 4 أبريل، تحدث بايدن إلى نتنياهو في مكالمة آمنة استمرت لمدة 30 دقيقة. استمع بلينكن ومكغورك.

قال بايدن: "نحن نرى الإيرانيين يستعدون لفعل شيء كبير. اسمع، بيبي، لدينا خلافاتنا. أريدك أن تعرف أنه عندما يتعلق الأمر بالدفاع عنك – الدفاع الأساسي عن إسرائيل ضد إيران – أنا، جو بايدن، أنا أدعمك، ولا تحتاج إلى أن تشك في ذلك، حسناً؟"

سوف نساعدكم في الدفاع ضد ما ستفعله إيران. وقال بايدن: "أنا لا أؤيد مهاجمة إيران. أنا لست معكم في ذلك. لن نقوم بذلك."

ثم تحولت المحادثة إلى الوضع في غزة.

سأل بايدن: "ما هي استراتيجيتك يا رجل؟"

أجاب نتنياهو بشكل مباشر: "علينا دخول رفح."

قال بايدن: "بيبي، ليس لديك استراتيجية. ليس لديك استراتيجية."

رد نتنياهو: "هذا غير صحيح، جو. نحن نعمل على تفكيك حماس. لقد قمنا بالقضاء على 75% من كتائبهم. علينا أن نلاحق الـ 25% المتبقية. هذا ما نقوم به الآن."

وأضاف نتنياهو: "وجو، لن يستغرق الأمر سوى ثلاثة أسابيع. صدقني، لن يستغرق الأمر وقتًا طويلاً! هذه هي نهاية الحرب. علينا تطهير رفح، وبعدها سينتهي الأمر. سيستغرق الأمر ثلاثة أسابيع."

قال بايدن: "لا." سيتطلب الأمر شهورًا. كانوا قد سمعوا هذا من قبل. فقد قال الإسرائيليون، على سبيل المثال، إن عمليتهم في خان يونس ستستغرق ثلاثة أسابيع. وقد استغرقت قرابة خمسة أشهر.

في بعض الأحيان، بدا نتنياهو مستاءً، كما لو أن العالم كله انقلب ضد إسرائيل، الأمم المتحدة، الجميع. وكان يشكك في ما إذا كانت الوضعية الإنسانية في غزة بهذا السوء.

قرأ بايدن قائمة بالإجراءات التي يجب على إسرائيل اتخاذها فيما يتعلق بالمساعدات الإنسانية. لم يكن لهجته دبلوماسية بعد الآن.

قال بايدن: "عليك أن تغمر المنطقة. يجب أن يكون هناك تدفق هائل من المساعدات. يجب أن تكون مستدامة، ويجب أن يكون هناك عملية تضمن أن العمال الإنسانيين يمكنهم القيام بعملهم بأمان."

كانت طلبات بايدن من إسرائيل محددة، وصولاً إلى عدد الشاحنات التي يجب أن تسمح إسرائيل بدخولها إلى غزة والمعابر التي يجب فتحها.

قال بايدن: "نريد أن نرى ميناء أشدود مفتوحًا لتسليم المساعدات مباشرة إلى غزة. افتح معبر إيريز حتى تصل المساعدات إلى شمال غزة ويمكن أن تصل الشحنات من الأردن مباشرة إلى غزة."

وأضاف: "نريد أن نرى 350 شاحنة يوميًا، بما في ذلك 100 شاحنة يوميًا للشمال." قبل هجوم 7 أكتوبر، كانت نحو 500 شاحنة تعبر الحدود إلى غزة لجلب الطعام والدواء. داخل إسرائيل كانت هناك احتجاجات تعرقل الطرق أمام الشاحنات المتجهة إلى غزة، مما يظهر أن المعارضة لم تكن محصورة فقط على نتنياهو. داخل غزة كانت هناك مؤشرات مقلقة على وجود مجاعة.

قال بايدن: "تحتاج إلى خلية فك الارتباط لضمان أن يكون العاملون الإنسانيون في الغرفة مع قوات الدفاع الإسرائيلية ووحدات القيادة الخاصة بك لضمان ألا يحدث شيء مثل ما حدث مع منظمة World Central Kitchen مرة أخرى." كان يشير إلى الهجوم بالطائرة الإسرائيلية بدون طيار الذي أصاب بالخطأ(بالخطا جدا) قافلة مساعدات تابعة للمنظمة، مما أدى إلى مقتل سبعة عمال إغاثة دوليين، من بينهم أمريكي. وكانت القافلة قد قامت لتوها بتفريغ أكثر من 100 طن من الطعام المرسل إلى قطاع غزة.

وقال بايدن: "إذا لم تفعل ذلك ولم نرَ نتائج، فقد فقدتني." وأضاف: "لقد انتهيت."

كان هذا تصريحًا غير معتاد من بايدن.

ثم تحول الرئيس إلى صفقة الرهائن. كانت الولايات المتحدة تعتقد أن هناك حوالي 70 رهينة إسرائيلية لا تزال محتجزة لدى حماس في شبكة الأنفاق تحت غزة.

مكغورك، الذي كان يدير الجانب الأمريكي من مفاوضات الرهائن مع مدير وكالة الاستخبارات المركزية بيل بيرنز، كان يعتقد أنه كان سيكون هناك وقف لإطلاق النار قبل أشهر لو وافقت حماس على إطلاق سراح المزيد من الرهائن.

في عدة مناسبات، رأى مكغورك عروض تبادل الرهائن التي وافقت عليها القيادة السياسية لحماس في الدوحة ومصر. ولكن عندما أرسلت هذه العروض عبر شبكتها إلى الأنفاق ليحيى السنوار، زعيم حماس في غزة، عاد الرد بـ: "نرفض هذا العرض."

هذا ما كان يدفع الإسرائيليين إلى الجنون. فقد وضعت إسرائيل وقفًا كاملاً لإطلاق النار على الطاولة مقابل الإفراج عن النساء وكبار السن والجرحى. ورفض السنوار ذلك.

الآن دفع بايدن نتنياهو لتقديم العرض الأكثر تقدمًا حتى الآن لحماس. كان بيرنز قد نصح بايدن بأن هذه الصفقة لديها فرصة جيدة للنجاح لأنها تعطي حماس ما تريده.

كان العرض هو: تطلق حماس سراح 40 رهينة، وتفرج إسرائيل عن 900 سجين فلسطيني، بما في ذلك 100 محكوم عليهم بالسجن المؤبد.

كان مكغورك يعتقد أن هذا العرض مذهل وليس أمرًا سهلًا على الإطلاق بالنسبة لنتنياهو أن يوافق عليه. فقد كانت إسرائيل تعتبر الـ100 محكوم عليهم بالسجن المؤبد "إرهابيين"، وكثير منهم قتلوا إسرائيليين.

قال بايدن لنتنياهو: "إنه يستحق دفع ثمن باهظ لإخراج الرهائن." كانوا يعلمون أنه بخلاف ذلك، من المحتمل أن يموت الرهائن في الأنفاق.

قال نتنياهو إنهم سيقدمون العرض.

بعد المكالمة، أصدرت الحكومة الإسرائيلية قائمة من أربع صفحات بالإجراءات التي ستتخذها استجابة لما قاله بايدن إنهم بحاجة إلى القيام به في الجانب الإنساني.

كان بلينكن راضيًا ولكنه محبط أيضًا. قال: "هذه الصفحات الأربع هي تقريبًا نفس الأشياء التي كان الرئيس في محادثاته مع بيبي يخبرهم بها منذ ديسمبر." وأضاف: "لو فعلوا ذلك بالفعل في ديسمبر، ربما كنا في مكان مختلف."

في اليوم التالي، 5 أبريل، رد السنوار عبر وسطاء: "لا".

قضى السنوار سنوات في السجن الإسرائيلي، وتعلم اللغة العبرية وكرّس حياته لتدمير إسرائيل. كان يعتبر أيديولوجيًا بالكامل، ويعتقد أنه مختبئ في أماكن معيشة تحت الأرض أسفل غزة، محاطًا بالرهائن للحماية. وقد وجدت القوات الإسرائيلية بعض أجنحته المؤثثة بعمق في الأنفاق، مع أماكن نوم مريحة ودشات. وفي إحدى المناسبات، عثر جنود الجيش الإسرائيلي على كتاباته على سبورة قبيل فراره.

أظهرت المخابرات الأمريكية وملاحظات مباشرة أخرى وجود متاهة استثنائية من مئات الأميال ومستويات متعددة من الأنفاق في غزة. وقد رفض السنوار بشكل قاطع مغادرة الأنفاق، ويبدو أنه يعيش في مملكته تحت الأرض دون أن يكترث بما يحدث للفلسطينيين فوقه، ومستعدًا للتضحية بآخر فلسطيني من أجل قضيته، وفقًا للمخابرات. (استشهد السنوار مشتبكا فوق الارض وبطلت رواية المخانيث)



قال بيرنز عن السنوار: "من الصعب التفاوض مع شخص لديه رغبة في الموت".

واستنتج المحللون الإسرائيليون والأمريكيون أيضًا أن السنوار يعتقد أن الحرب تسير لصالحه. إذ أن إسرائيل أصبحت أقل شعبية وعزلة بشكل متزايد. وقد رفض السنوار عروض إسرائيل بوقف إطلاق النار مقابل الرهائن. لذا جادلت إسرائيل الآن بأنه "كان لا بد من الدخول إلى رفح"، معتقدة أن الطريقة الوحيدة لإخراج الرهائن هي مزيج من المفاوضات والضغط العسكري.

قال قائد الإمارات العربية المتحدة، الشيخ محمد بن زايد آل نهيان (MBZ)، لماكغورك: "يجب على الإسرائيليين أن يتعلموا شيئًا نعرفه في العالم العربي. خذ وقتك في الانتقام. كن صبورًا. إنه نهج أفضل.

قال MBZ"الذهاب وتحطيم رفح لا يخدم مصلحة الإسرائيليين في الوقت الذي يمكنك فيه قتل السنوار".

نصحهم بالتأني.

كان الإسرائيليون مصممين على قتل السنوار، الذي كان يقدم نفسه بالفعل كشهيد.

وفي الوقت نفسه، في طهران في 5 أبريل، تجمع آلاف الإيرانيين لحضور جنازة القائد زاهدي وأعضاء الحرس الثوري الستة الآخرين الذين قتلوا في ضربة إسرائيلية. كُتب على الشاحنات التي تنقل النعوش "شهداء على طريق

القدس". ورفع الناس في الجنازة لافتات مكتوب عليها: "الموت لإسرائيل" و"الموت لأمريكا". وقد تعهد الزعيم الأعلى لإيران، خامنئي، بأن إسرائيل ستدفع الثمن.

كان أمير علي حاجي زاده، قائد الصواريخ الإيراني البارز، يدفع نحو هجوم كبير بالصواريخ على إسرائيل. أشارت المخابرات الأمريكية إلى أن المرشد الأعلى، الذي كان عادة براغماتيًا لأنه لا يرغب في الدخول في حرب كبيرة، كان غاضبًا جدًا من اغتيال زاهدي، صديقه، في دمشق لدرجة أنه لم يكن يضع أي قيود على حاجي زاده.

في 9 أبريل، أرسلت إيران رسالة أخرى عبر الوسيط السويسري. قالت إيران إنه ليس لديها "أي نية لاستهداف الولايات المتحدة"، لكنها هددت القواعد الأمريكية في غرب آسيا إذا تحدت الولايات المتحدة رد إيران على إسرائيل.

في تلك الليلة، أظهرت معلومات جديدة أن إيران كانت تستعد لهجوم غير مسبوق تاريخيًا على إسرائيل باستخدام مجموعة متنوعة من الصواريخ والطائرات بدون طيار، بما في ذلك الصواريخ الباليستية.

في الساعة العاشرة صباحًا من يوم 10 أبريل، دعا سوليفان القادة للاجتماع. أطلعهم وزير الدفاع أوستن، ورئيس هيئة الأركان المشتركة CQ براون، وقائد سنتكوم الجنرال إريك كوريلا على الاستعدادات الدفاعية. اتفق القادة على أن اللحظة تتطلب التعامل المباشر مع رئيس الدفاع الإيراني محمد باقري. كان التواصل المباشر مع إيران نادرًا جدًا. أرسل CQ براون رسالة إلى باقري تحثه على ضبط النفس وتحذر من أن حجم الهجوم المخطط له قد يتسبب في تصعيد إلى حرب شاملة في الشرق الأوسط.

طار الجنرال كوريلا وضباط التنسيق العسكري إلى إسرائيل للمساعدة في التحضير للدفاع. نقل وزير الدفاع أوستن حاملة الطائرات "يو إس إس أيزنهاور" إلى شمال البحر الأحمر، أقرب إلى إسرائيل. وأرسل المدمرتين "أرلي

بــورك" و"كــارني"، إلى جــانب طــائرات مقاتلــة. ووافقت فرنســا والمملكــة المتحدة والسعودية والأردن على المساعدة في الدفاع عن إسرائيل.

ثمانية وخمسون

في يـوم السـبت، 13 أبريـل، في السـاعة 3:00 بعـد الظهـر بتـوقيت السـاحل الشرقي الأمـريكي، أطلقت إيـران عملـية "الوعـد الصـادق" الـتي بـدأت بسرب من 150 طـائرة مسـيرة، والـتي كـانت ستسـتغرق سـبع سـاعات للوصـول إلى إسرائيل. ثم أطلقت إيـران 30 صـاروخ كـروز، والـتي كـانت ستسـتغرق حـوالي ثلاث إلى أربع ساعات. بعد ذلك، كان هناك 110 صـواريخ باليسـتية في الجـو، والتي تستغرق 12 دقيقة فقط للوصول إلى أهدافها.

تم تصميم الطائرات المسيرة وصـواريخ كـروز والصـواريخ الباليسـتية جميعها للوصول إلى إسرائيل في نفس الوقت.

أبلغ رئيس الدفاع السعودي الجـنرال كـوريلا بـأن الولايـات المتحـدة لا تسـتطيع دخـول الأجـواء السـعودية حـتى الآن لأنـه لم يحصـل على موافقـة ولي العهـد وأخيـه. أرسـل مـاكغورك رسـالة إلى ولي العهـد: "الهجـوم جـارٍ. نحتـاج إلى الوصـول إلى مجالـك الجـوي. الرجـاء إعطـاء الأمـر لـرئيس دفاعـك." فـأعطى محمد بن سلمان الأمر وفتح المجال الجوي لطائرات F-15 الأمريكية.

عاد الرئيس بايدن من ويلمنغتون وكان في غرفة العمليات في الـبيت الأبيض في الساعة 5:15 مساءً مع جاك سـوليفان، جـون فـاينر، بـريت مـاكغورك، فيـل غوردون وآخرين عندما تم إطلاق الصواريخ الأولى. كان الجـنرال كـوريلا، الـذي تمركـز في عمـان، يُعـرض على شاشـة ليصـف في الـوقت الفعلي مـا كـانوا يشـاهدونه. كمـا اتصـلت نائبـة الـرئيس هـاريس، الـتي كـانت تسـافر محليًـا في ذلك اليوم.

يمكن لأنظمة المراقبة الأمريكية اكتشاف أي صاروخ باليستي يتم إطلاقـه في أي مكان في العـالم. تـذهب الصـواريخ إلى الفضـاء الخـارجي ثم تعـاود دخـول الغلاف الجوي للأرض، مسافرة بسرعة 15,000 ميل في الساعة.

قال كوريلا: "سيدي الرئيس، لدينا تأكيد على 30 صاروخًا باليستيًا." كانت في الجو.

ظهرت الصواريخ على شاشة غرفة العمليات على شكل خطوط صفراء. كان الأمر يشبه مشاهدة شيء من فيلم قديم من الثمانينات أو لعبة حرب على الكمبيوتر. شاهد بايدن الخطوط الصفراء وهي تتحرك نحو إسرائيل. من خلال المعلومات والتقارير، كانوا يعلمون أن صواريخ إيران جيدة.

قال وزير الدفاع أوستن: "سيدي الرئيس، يمكننا على الأرجح هزيمة 30 صاروخًا."

بعد حوالي ثلاث دقائق، تم إطلاق 30 صاروخًا إيرانيًا آخر. دقائق بعد ذلك، تم إطلاق 30 أخرى. وسرعان ما كانت 110 صواريخ باليستية تطير باتجاه إسرائيل. رقم مذهل. أكثر بكثير مما كانوا يتوقعون.

كان بايدن هادئًا جدًا، صامتًا وهو يشاهد الصواريخ من كرسيه على رأس الطاولة.

كان ماكغورك يراقب الرئيس بايدن عن كثب. أخبره ستيف هادلي، مستشار الأمن القومي للرئيس جورج بوش، في مواقف مثل هذه بمراقبة الرئيس لمعرفة ما إذا كان يمكنه الحصول على فكرة عما قد يفكر فيه.

أدرك ماكغورك أنه لم تحاول أي دولة في التاريخ هزيمة 110 صواريخ باليستية. حتى إذا أصابت 30 صاروخًا فقط أهدافها، فسيتعين على إسرائيل الرد بطريقة حاسمة، والنتيجة ستكون بلا شك حربًا كبيرة في الشرق الأوسط.

ثم بدأت أنظمة الدفاع المتكاملة.

سأل بايدن كوريلا: "ماذا ترى؟" وشرح كوريلا العمليات الدفاعية.

تم إعداد "سلال قتل" للطائرات المسيرة عندما اقتربت.

قاد منسقو الجيش الأمريكي في إسرائيل الدفاع ضد الصواريخ الباليستية: "أنت تسقط هذه، سنسقط هذه، والبريطانيون لديهم تلك، والسعوديون لديهم هذه". كانت عملية دفاع متكاملة استثنائية.

تم صنع الكثير من التاريخ وهم يشاهدون. كانت هذه هي المرة الأولى التي تهاجم فيها إيران إسرائيل بشكل مباشر، وكانت المرة الأولى التي يدافع فيها الجيش الأمريكي بشكل مباشر عن إسرائيل. السعودية والأردن جاءتا للدفاع عن إسرائيل. كان هذا غير مسبوق. خطوة قوة كبيرة ضد إيران.

ثم جاءت الأخبار السيئة. قال الجنرال كوريلا: "لقد أكدنا أربع ضربات في إسرائيل"، مما يعني أن أربعة صواريخ أصابت إسرائيل. تصاعد التوتر في الغرفة. لم يكونوا يعرفون ما الذي تم ضربه أو كم من الصواريخ ستتمكن من المرور عبر الدفاعات.

عندما أعلنت إيران انتهاء عمليتها العسكرية، كانت الولايات المتحدة وشركاؤها قد اعترضوا وأسقطوا تقريبًا جميع صواريخ إيران وطائراتها المسيرة، ما يقرب من 300 في المجموع، مما أثبت في تلك اللحظة القوة الهائلة في القدرات الدفاعية الجماعية. فشلت العديد من صواريخ إيران. أصيبت فتاة تبلغ من العمر سبع سنوات بجروح بالغة، لكن الأضرار التي لحقت بإسرائيل كانت صغيرة بشكل لا يصدق. لا وفيات ولا أضرار جسيمة في إسرائيل.

لكن بايدن كان يعرف نتنياهو. كانت إسرائيل سترد، وكان ذلك يهدد بإعادتهم إلى شفا الحرب مع إيران. قال بايدن إن غريزته كانت أن يقول لبيبي (نتنياهو)، "انتهى الأمر هنا. أنت بدأت هذا باغتيال بعض رجال الحرس الثوري. لقد ردوا، وتجنبنا إصابات كبيرة. لم يؤذوك. دع الأمر ينتهي هنا." نظر بايدن إلى نائبة الرئيس هاريس على الشاشة.

سألها: "ما رأيك؟"

فأجابت هاريس: "صحيح. قل لبيبي أن يأخذ الانتصار."

تحـدث بايـدن ونتنيـاهو عـبر الهـاتف في السـاعة 9:00 مسـاءً. كـانت السـاعة الرابعة صباحًا في إسرائيل.

قال بايدن: "دعنا نأخذ بعض الوقت للتفكير في الخطوة التالية، لأنـه في رأيي قد فزت. لقد قضيت للتو على القيادة الكاملة للحرس الثوري الإيراني في بلاد الشام. لقد أطلقوا كل شيء عليك. وقد هزمنا ذلك مـع تحـالف من السـعودية، والأردن، وفرنسا، والمملكة المتحدة. أمـر مـذهل. لسـت بحاجـة إلى القيـام بـأي خطوة أخرى. لا تفعل شيئًا."

قـال نتنيـاهو: "لقـد تم مهاجمتنـا بــ100 صـاروخ باليسـتي. أعيش في الشرق الأوسط. لا يمكنك السماح لهذا بالمرور. علينا أن نرد."

نصح بايدن قائلاً: "خذ الانتصار". وأكد مجـددًا أن الولايـات المتحـدة لن تشـارك في أي عمل هجومي إسرائيلي ضد إيران. وقال: "لن نكون جزءًا من الهجوم".

قال نتنياهو: "أريـد أن أكـون واضـحًا: سـنقوم باتخـاذ قراراتنـا بأنفسـنا. سـتفعل دولة إسرائيل كل ما يلزم للدفاع عن نفسها."

بعـد انتهـاء المكالمـة مـع بيـبي، قـال بايـدن لمستشـاريه وضـباط حكومتـه في غرفة العمليات: "أعلم أنه سيقوم بشيء ما، لكن الطريقة الـتي أقيّده بهـا هي أن أخبره ألا يفعل شيئًا."

نــاقش مجلس الــوزراء الإسرائيلي كيفيــة الــرد. كــانوا يدرســون مجموعــة من الخيـارات، بمـا في ذلـك ضربات خـارج طهـران. بعض المتشـددين في مجلس الوزراء مثل وزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموتريتش جادلوا بـأن هـذه هي اللحظة لتدمير المنشآت النووية الإيرانية. تم رفض ذلك.

في 18 أبريــل، أبلــغ وزيــر الــدفاع الإسرائيلي غــالانت ســوليفان أن إسرائيل ستقوم "برد انتقـامي صـغير ودقيـق". وقـال إن إسرائيل لن تؤكـد الضربة علنًـا لمنح إيران الفرصة لحفظ ماء الوجه وتهدئة التصعيد.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، أرسلت إسرائيل رسالة عبر القنوات الخلفية إلى إيران تقول: "سنرد لكننا نعتبر ردنا نهاية لهذا الأمر."

أظهرت المخابرات الأمريكية أن إيران قامت بتعبئة حوالي **30** من صواريخها، ربما لإطلاقها بعد هجوم إسرائيل. استعد الجيش الأمريكي مرة أخرى للدفاع عن إسرائيل.

في الساعة **8:00** مساءً يوم **18** أبريل، ضربت إسرائيل نظام الدفاع الجوي خارج أصفهان، المدينة التي تقع فيها المنشآت النووية الرئيسية لإيران.

أطلقت الطائرات الإسرائيلية صواريخ متقدمة من الطائرات لم تتمكن الدفاعات الجوية الإيرانية من اكتشافها.

كانت هذه طريقة إسرائيل في توجيه رسالة لإيران: "يمكننا ضربك بدقة في أي وقت نريده. لذا دعنا نتوقف عن هذا."

كان بريت ماكغورك في مكتبه يشاهد الصواريخ، وهي خطوط صفراء صغيرة، تعبر مسار شاشته في الوقت الفعلي.

تسبب الهجوم الدقيق في انفجار صغير. انتشرت الأخبار عبر وسائل التواصل الاجتماعي. نشر شخص ما أنه سمع للتو انفجارًا في أصفهان. ما الذي حدث؟

أشارت التغطية التلفزيونية في الولايات المتحدة إلى أن حربًا كبيرة كانت تندلع. أغرق الصحفيون البيت الأبيض بالأسئلة. ما الذي كان يحدث؟ وجه سوليفان وفاينر فريق الأمن القومي وفريق البيت الأبيض الصحفيين إلى التزام الصمت. إذا قال مسؤول أمريكي إن إسرائيل قد ردت للتو ضد إيران، فستصبح القصة أكبر، وقد تشعر إيران بأنها مجبرة على الرد.

في إيران، تم إصدار رسالة عبر القنوات الرسمية تقول: "لا يوجد شيء يمكن رؤيته هنا. لم يحدث شيء." قالت إيران إن طائرة صغيرة بدون طيار، يمكن لأي شخص شراؤها من أمازون، قد انفجرت ولم تسبب أي ضرر.

أعـادت إيـران فتح مجالهـا الجـوي أمـام الطـائرات المدنيـة. شـعر مـاكغورك بالارتياح. كان ذلك إشارة على أنهم لن يردوا.

لقد انتهى الأمر. تجنبوا مرة أخرى حربًا في الشرق الأوسط.

تسعة وخمسون

في ربيع عام 2024، قام مدير وكالة المخابرات المركزية (CIA) بيل بيرنز بزيارته العاشرة إلى أوكرانيا. تقدم وكالة المخابرات المركزية مساعدة استخباراتية كبيرة لأوكرانيا، لكنه كان يعتقد أيضًا أن أوكرانيا قد طورت جهاز استخبارات مثيرًا للإعجاب.

التقى بيرنز سرًا بالرئيس زيلينسكي، وأفاد لاحقًا: "لقد بدا عليه الإرهاق والتعب بسبب الضغوط الهائلة التي يتعرض لها. لكنه لم يفقد صموده أيضًا. ما زال يبدو لي قويًا كما كان في بداية الحرب."

قال الرئيس زيلينسكي بقلق: " تنفذ ذخيرة الدفاع الجوي، ذخائر المدفعية أيضًا." كان قلقًا بشدة بشأن الكونغرس الأمريكي، حيث كانت مسألة استمرار المساعدات لأوكرانيا عالقة في معركة حزبية مريرة لم يكن بإمكانه التأثير عليها أو فهمها.

وصل بيرنز إلى أوكرانيا بعد ثلاثة أيام من خسارة معركة مروعة. أفدييفكا، وهي مدينة أوكرانية في الشرق، صمدت تقريبًا طوال فترة الحرب، ولكن نقص الذخيرة أجبر القوات الأوكرانية على التراجع. كانت هذه الخسارة إشارة إلى الأوكرانيين والغرب أن روسيا كانت تحقق الآن التفوق الحاسم في الحرب.

تحدث بيرنز مع قائد القوات الخاصة الأوكرانية.

قال القائد: "قاتلنا لأطول فترة ممكنة وبأقصى ما نستطيع. نفدت ذخيرتنا واستمروا في القدوم."

عاد بيرنز إلى واشنطن وانخرط في محادثات لا تنتهي مع أعضاء الكونغرس، وخاصة الجمهوريين في مجلس النواب الذين كانوا يعارضون تمويل أوكرانيا. قال بيرنز: "سيكون هناك المزيد من أفدييفكا ما لم نتدخل. ليس الأمر متعلقًا بالشجاعة أو المثابرة لدى الأوكرانيين. إنهم ينفدون من الذخيرة." هكذا تُخسر الحروب. "الأمر ليس أكثر تعقيدًا من ذلك."

كان بيرنز يرى أن أوكرانيا ستنفد ذخيرتها بحلول نهاية أبريل 2024. طوال فترة الحرب، كان اليقين بأن العم سام يدعمهم مصدرًا للأمل في الخنادق. ومع تراجع الدعم الأمريكي، تراجعت أيضًا معنويات الجنود الأوكرانيين على الخطوط الأمامية.

كان بيرنز مقتنعًا أنه إذا فازت روسيا في الحرب، فستكون لذلك تداعيات ضخمة ليس فقط على أوكرانيا، وليس فقط في أوروبا، بل على العالم كله.

كان بيرنز يعتقد أن الصين عامل كبير في هذه المعادلة. كان شي جين بينغ يراقب عن كثب.

قال بيرنز: "الأمر يتعلق بنظرة شي جين بينغ للعالم. في السنة الأولى من الحرب في أوكرانيا، كان أكثر حذرًا مما توقعت. لم يكن يتوقع أن الأوكرانيين سيقاتلون بهذا القدر من الشراسة، ولم يكن يتوقع أن ندعمهم كما فعل الرئيس، ولم يكن يتوقع أن استخباراتنا ستكون موثوقة كما كانت. لذا، الأمر جعله يتردد قليلاً بشأن سيناريوهات تايوان."

اعتقد بيرنز أن التراجع عن دعم الأوكرانيين هو أسرع طريقة لتعزيز طموح شي وثقته في كل شيء آخر. وقال: "لذا، هناك الكثير على المحك في هذا الوقت أيضًا."

ثم قدم ربما أهم نقطة لديه: "إذا كنت تريد ردع شي، فأظهر أننا قادرون على البقاء في أوكرانيا، في حرب احتلال إقليمي."

خلال جلسات تأكيده أمام مجلس الشيوخ في عام 2021، قال بيرنز: "قيادة صينية عدائية ومفترسة تمثل أكبر اختبار جيوسياسي لنا."

في مذكراته لعام 2019 بعنوان "القناة الخلفية"، التي تناولت 32 عامًا من عمله كدبلوماسي، كتب بيرنز أن الأمر كله يتعلق "بالمناورة في المنطقة الرمادية بين السلم والحرب."

كمدير لوكالة المخابرات المركزية، عاش بيرنز في تلك المنطقة الرمادية لتجنب الحرب. لكن الحرب جاءت في النهاية.

ستون

واجه الرئيس بايدن حربًا أخرى أقرب بكثير إلى الوطن، تلك التي تقع على الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك.

"شيطانية" هي الكلمة التي استخدمها علي مايوركاس بشكل خاص وبغضب من خلال أسنانه المتشابكة لوصف الهجمات الجمهورية على قيادته لوزارة الأمن الداخلي، التي تشرف على الحدود الجنوبية الغربية للولايات المتحدة التي تمتد لنحو 2,000 ميل.

بصفته وزير الأمن الداخلي، والذي يوصف أحيانًا بأنه ثاني أصعب وظيفة في واشنطن بعد الرئاسة، كان الكوبي الأصل البالغ من العمر 64 عامًا، والذي يبلغ طوله خمسة أقدام وثماني بوصات، يتعامل مع أزمة متفاقمة على الحدود.

مع اقتراب انتخابات 2024، كانت الحدود هدفًا سياسيًا مرئيًا وذو تأثير كبير. أظهرت القنوات الإخبارية آلاف المهاجرين يتكدسون في قوافل، يسيرون على الطرق المغبرة عبر المكسيك، وأسر تعبر نهر ريو غراندي على طوافات مرتجلة أو تتسلق عبر الأسوار الحدودية دون عائق يذكر.

في عامي 2022 و2023، تجاوز عدد المهاجرين الذين تم القبض عليهم على الحدود الجنوبية مليوني مهاجر سنويًا، وهي زيادة قياسية للمهاجرين، معظمهم من أمريكا الوسطى. ارتفع عدد المهاجرين الذين يعبرون في شهر واحد من 75,316 في يناير 2021، الذي كان بالفعل يمثل مشكلة عندما تولى بايدن منصبه، إلى 249,785 في ديسمبر 2023.

منذ أولى أيامه كرئيس، ألغى بايدن سياسات الهجرة المتشددة التي اتبعها ترامب، ووعد بدلاً من ذلك بتحويل نظام الهجرة الأمريكي بنهج أكثر رفقًا وإنسانية. عين بايدن نائبته كمالا هاريس للتعامل مع "الأسباب الجذرية للهجرة في المثلث الشمالي لأمريكا الوسطى"، وهي مهمة كان بايدن

مسؤولًا عنها خلال فترة توليه منصب نائب الرئيس. رأى البعض أن هذا كان فرصة لهاريس، بينما اعتبره الآخرون كأن بايدن يمرر لها كأسًا مسمومة.

اعتُبرت العديد من سياسات "عدم التسامح المطلق" التي انتهجها ترامب قاسية، بما في ذلك سياسته المتمثلة في فصل الأطفال عن آبائهم عند الحدود، وطرد أكثر من 13,000 طفل غير مصحوبين بذويهم، وحظره على دخول المسلمين من بعض الدول إلى الولايات المتحدة. كما قوبلت جهود ترامب غير الناجحة إلى حد كبير لبناء جدار على طول الحدود بتقييمات واسعة بأنها غير فعالة.

ركزت مقاربة بايدن على خلق طرق قانونية لدخول الأشخاص إلى الولايات المتحدة والوصول إلى الجنسية. لكن مع بدء تدفق المهاجرين عبر الحدود بمئات الآلاف، تغيرت المشاعر في الولايات المتحدة بسرعة وأشعلت عاصفة سياسية.

ألقى الجمهوريون باللوم على بايدن في استبدال رسالة "لا تأتي" التي كان يروج لها ترامب بلافتة "مرحبًا بكم في أمريكا". ظهرت كلمة "غزو" الآن في 27 إعلانًا تلفزيونيًا جمهوريًا قبل انتخابات نوفمبر 2024.

ألقى بايدن باللوم على الجمهوريين في عدم تمويل تحسينات الرقابة على الحدود. قال بايدن في 5 يناير 2023: "رفض الجمهوريون في الكونغرس النظر في خطتي الشاملة. ورفضوا طلبي الأخير للحصول على 3.5 مليار دولار إضافية لتأمين الحدود وتمويل 2,000 موظف لطلبات اللجوء و100 قاضٍ جديد للهجرة".

وفي عام 2024، ألقى بايدن باللوم على ترامب في إفشال محاولته التوصل إلى اتفاق حدودي من الحزبين، والذي كان يتضمن أشد الإجراءات الحدودية صرامة حتى الآن. لكن ترامب عارض المشروع باعتباره "هدية" للديمقراطيين، ووصفه رئيس مجلس النواب الجمهوري مايك جونسون بأنه "ميّت عند الوصول".

قال بايدن في خطابه عن حالة الاتحـاد في 7 مـارس 2024: "أُبلغت أن سـلفي اتصـل بأعضـاء في الكـونغرس وطـالبهم بعرقلـة المشروع. يعتقـد أنـه سـيكون انتصارًا سياسيًا لي". رد الجمهوريون بإطلاق صيحات الاسـتهجان وسـخروا من سياسـة بايـدن "المفتوحـة الحـدود" ووصـفوها بأنهـا "ضـعيفة". كـان مشروع القـانون الثنـائي، الـذي تم التفـاوض عليـه كجـزء من صـفقة مـع الجمهـوريين للحصول على موافقة على مشروع قانون مساعدات لأوكرانيا، سيمول 1,500 موظف إضافي في الهجرة والجمارك و100 قـاضٍ إضـافي للهجـرة للمسـاعدة في تخفيف تراكم نحو ثلاثة ملايين حالة.

كان هناك أكثر من سـتة ملايين عبـور غـير قـانوني على الحـدود الجنوبيـة منـذ تولي بايدن منصبه، وهو أحد أكبر مستويات النزوح البشري في تاريخ العالم.

أظهرت السجلات أنه بمجرد وجود شـخص مـا في الولايـات المتحـدة لأكـثر من عام، فمن غير المرجح أن يتم ترحيله.

أشار ترامب إلى الأشخاص الذين يعبرون الحدود الجنوبية بأنهم "سجناء، قتلة، تجار مخدرات، مرضى عقليين وإرهابيين، أسوأ ما لديهم."

قـال تـرامب خلال تجمـع انتخـابي في أوهـايو في مـارس 2024: "في بعض الحـالات، هم ليسـوا بشرًا، في رأيي. هـؤلاء هم حيوانـات، حسـنًا، ويجب علينـا إيقافهم".

أدان بايـدن خطـاب تـرامب خلال خطابـه عن حالـة الاتحـاد. قـال بايـدن: "لن أشيطن المهاجرين بالقول إنهم 'يسممون دماء بلادنا'. لن أفصل العائلات. لن أحظر دخول الناس إلى أمريكا بسبب دينهم."

لكن مـا يقـرب من 80% من الأمريكـيين و73% من الـديمقراطيين قـالوا إنهم غير راضين عن طريقة تعامل إدارة بايدن مع العدد الكبير من المهاجرين على الحدود الأمريكية المكسيكية. كـانت أمريكـا، الـتي تضـم أكـثر مهـاجرين من أي دولة أخرى، منقسمة بشدة بشأن كيفية التعامل مع الهجرة اليوم.

وجه عمدة نيويورك، إريك آدامز، وهو ديمقراطي، انتقادات متكررة لبايدن بسبب تدفق المهاجرين إلى مدينة نيويورك، التي كانت تعاني من مشكلة التشرد القياسية وكانت تحاول الآن أيضًا إيواء أكثر من 42,000 مهاجر.

قال آدامز: "الرئيس والبيت الأبيض خذلوا مدينة نيويورك في هذه القضية. دعوا الناس يعملون، وأنا أعتقد أن هذا واحد من أهم الأشياء التي يمكننا القيام بها."

أظهرت لقطات فيديو مثيرة أيضًا تنوعًا جديدًا في الجنسيات الوافدة إلى الحدود. تاريخيًا، كانت الهجرة إلى الحدود الجنوبية ظاهرة إقليمية في المقام الأول، تشمل أشخاصًا من المكسيك وأمريكا الوسطى. الآن، بسبب زيادة شبكات تهريب البشر العابرة للقارات، كان الناس يأتون من أماكن أبعد بكثير، بما في ذلك الصين والهند.

كانت أسباب هذا التدفق الهائل للمهاجرين على الحدود عديدة. كانت الفرص الوظيفية في الولايات المتحدة تتزايد بشكل كبير. في السنة الأولى لبايدن، تمت إضافة 6.7 مليون وظيفة. لم يحقق أي رئيس آخر منذ الحرب العالمية الثانية مثل هذا النمو في الوظائف في عامه الأول أو أي عام في منصبه. وجدت بعض الدراسات ارتباطًا قويًا بين عدد الوظائف المتاحة في الولايات المتحدة وعدد الاعتقالات على الحدود.

أشارت استطلاعات الرأي الأمريكية إلى أن الناخبين الأمريكيين يعتقدون أن العوامل الرئيسية لجذب المهاجرين هي الفرص الاقتصادية الجيدة، ونهج بايدن الأكثر ترحيبًا، والتهديد بالعنف في بلدان المهاجرين الأصلية.

كما ساهمت القوى العالمية والإقليمية في ذلك، بما في ذلك ارتفاع الأنظمة الاستبدادية وعنف العصابات، وتدهور الظروف الاقتصادية في بعض البلدان، وزيادة ضغوط تغير المناخ، بما في ذلك نقص الغذاء والماء والنزوح القسري بسبب الكوارث الطبيعية. كما أظهرت وسائل التواصل الاجتماعي للناس كيفية القيام بالعبور.

قال وزير الأمن الداخلي مايوركاس في مقابلة مع قناة NBC News: "بشكل أساسي، نظامنا غير مجهز للتعامل مع الهجرة كما هو موجود الآن. لدينا نظام تم تعديله آخر مرة في عام 1996." لم يتمكن الكونغرس من تمرير قوانين شاملة للهجرة منذ عقود بسبب الجمود السياسي.

استهدفت لجنة الأمن الداخلي التي يقودها الجمهوريون في مجلس النواب مايوركاس باعتباره الشرير، وصوتت على عزله بفارق صوت واحد 214-213 يوم الثلاثاء، 13 فبراير 2024. ووجهت إليه تهمة "الجرائم والجنح الجسيمة" لـ "رفضه المتعمد والمنهجي" تنفيذ قوانين الهجرة الحالية، وخرق الثقة العامة بالكذب على الكونغرس بقوله إن الحدود كانت آمنة.

كان ثاني مسؤول وزاري في تاريخ الولايات المتحدة يتم عزله.

خلص تقرير جمهوري غاضب مصاحب لعزل وزير الأمن الداخلي إلى أن مايوركاس "شجع العصابات الإجرامية وأعداء أمريكا".

أصدر الديمقراطيون في مجلس النواب ردًا من 29 صفحة يقولون فيه: "في عملية تشبه رمي المعكرونة على الحائط ورؤية ما سيلتصق، قام الجمهوريون في اللجنة بطبخ أسباب غامضة وغير مسبوقة لعزل الوزير مايوركاس. إن عملية العزل بقيادة MAGA هي عملية مزيفة لا أساس لها، والقلة المتبقية من الجمهوريين العقلانيين في الكونغرس يعرفون ذلك، حتى لو رفضوا الاعتراف به."

لكن المعكرونة على الحائط يمكن أن تحرك السياسة الأمريكية. إنها ليست موجودة بشكل طبيعي. وهي قبيحة.

في 3 يناير 2024، قاد رئيس مجلس النواب مايك جونسون 64 جمهوريًا إلى منفذ الحدود الجنوبي في إيغل باس، تكساس، مع دعاية كبيرة.

قال جونسون في مؤتمر صحفي هناك: "لقد كان هذا مفاجئًا". "شيء واحد واضح تمامًا: أمريكا عند نقطة الانهيار مع مستويات قياسية من الهجرة غير القانونية."

وقال إنه يتعين على بايدن إعادة سياسة الرئيس السابق ترامب "البقاء في المكسيك" واستئناف بناء الجدار الحدودي وغيره من الأحكام لوقف المعابر الحدودية غير القانونية ، والتي ارتفعت بنسبة 25 في المائة فقط في الشهر الماضي.

كان لدى الجمهوريين بايدن على برميل كان قد خلقه جزئيا لنفسه من خلال إلغاء سياسات ترامب وعدم استبدالها ببديل فعال وأكثر إنسانية. كان لديهم السباغيتي على الحائط للعرض.

"النظام معطل" ، قال مايوركاس. وأعرب عن اعتقاده بأن الكثير من جهود الجمهوريين كانت مدفوعة بازدراء المهاجرين ، مضيفا أن "الكراهية هي ذخيرتها الخاصة".

قدم مجلس الشيوخ الذي يسيطر عليه الديمقراطيون بشكل دائم تهم المساءلة ضد مايوركاس. لكن الحرب السياسية على الحدود وصلت إلى طريق مسدود. وأكد بايدن أنه بحاجة إلى تمويل وتشريع جديدين، في حين قال رئيس مجلس النواب جونسون والجمهوريون إن المعابر الحدودية غير القانونية يمكن خفضها بشكل كبير من خلال إجراءات السلطة الرئاسية والتنفيذية، خاصة من خلال استعادة سياسات ترامب.

كان من المحتم أن يفكر ترامب. "بصفتي زعيما لحزبنا ، لا توجد فرصة لدعم هذه الخيانة الرهيبة للحدود المفتوحة لأمريكا" ، قال ترامب لأنصاره في تجمع انتخابي في لاس فيغاس. "سأقاتل طوال الطريق. يحاول الكثير من أعضاء مجلس الشيوخ أن يقولوا ، بكل احترام ، إنهم يلومونني على ذلك. أقول ، لا بأس بذلك. يرجى إلقاء اللوم علي. من فضلك."

كان ترامب خارج الرئاسة لكن ظله لم يطل على بايدن فحسب ، بل سيطر تماما على الجمهوريين.

قد لا يفهم الأمريكي العادي تماما أن ترامب كان له نفوذ لكن الكونجرس فعل ذلك. لوح ترامب بإصبعه الصغير وانحنى الحزب وأطاع.

كان اليوم الجيد الوحيد لبيت بايدن الأبيض بشأن الهجرة عندما لم تكن هناك أخبار هجرة على الإطلاق - لا شيء ، صفر. ولم يكن ذلك في كثير من الأحيان.

واحد وستون

"أنت عند نقطة محورية في الصراع الأوكراني"، قلت للرئيس أندريه دودا، رئيس بولندا، في غرفة مشرقة مليئة بضوء الشمس في القنصلية البولندية في نيويورك في 17 أبريل 2024.

كنت أريد أن أرى ما إذا كان الرئيس الشعبوي اليميني يشعر بالتهديد كونه يشارك حدودًا بطول 330 ميلًا مع أوكرانيا. إذا سيطرت روسيا على أوكرانيا، ماذا قد يعني ذلك بالنسبة لبولندا؟

دودا، البالغ من العمر 52 عامًا، ذو شعر قصير ونظارات بدون إطار، لديه ثقة قوية ومعبرة. عيناه تلمعان ويداه تؤكدان كل عبارة. رئاسته التي استمرت تسع سنوات غطت ثلاث إدارات أمريكية - أوباما، ترامب وبايدن. وكان دودا فخورًا بوجود علاقات جيدة مع جميعهم، لكنه كان مقربًا بشكل خاص من ترامب.

قال دودا: "أكبر حلم سياسي لي هو التأكد من أن روسيا لا تفوز في أوكرانيا". "هذا هو الأمر الأكثر أهمية على الإطلاق بالنسبة لأمن بلدي، بولندا، وأمن منطقتنا من العالم، ولكن أيضًا، أعتقد، لأمن العالم بأسره.

"أوكرانيا هي جارتنا ومن الأهمية القصوى بالنسبة لنا أن تبقى دولة مستقلة ذات سيادة لا تخضع لروسيا"، قال دودا. "نحن نعرف ما يعنيه الاحتلال الروسي، نحن نعرف ما يعنيه الإرهاب الروسي ونعرف أن على الأوكرانيين أن يُساعدوا." مال إلى الأمام وضرب سطح المكتب أمامه بإصبعه للإشارة.

كما أن بولندا تشترك في جزء من حدودها الشمالية مع كالينينغراد، وهي مقاطعة روسية، وجزء من حدودها الشمالية الشرقية مع بيلاروسيا. خَزَّنت روسيا أسلحة نووية في كلتا المنطقتين. هل يعتقد دودا أن بلاده قد تكون الهدف التالي إذا سيطرت روسيا على أوكرانيا؟

لمدة 26 شهرًا منذ غزو روسيا لأوكرانيا، عاش الشعب البولندي مع الحرب على عتبة دارهم. قال دودا: "قد لا تشعرون بذلك في الولايات المتحدة بنفس الطريقة".

أدخلت العائلات البولندية ملايين اللاجئين الأوكرانيين إلى منازلهم ومجتمعاتهم. كانت بولندا تستقبل قادة العالم الذين يتنقلون من وإلى مطاراتهم ويأخذون رحلة القطار التي تستغرق 12 ساعة إلى كييف. استضافوا السفارات التي لم تعد قادرة على العمل في أوكرانيا وكذلك منشآت الأسلحة لتسهيل نقل كميات كبيرة من المعدات العسكرية والمساعدات الإنسانية، معظمها من الولايات المتحدة، عبر حدودهم إلى الأوكرانيين.

طلب مني دودا أن أفكر في عام 1939.

خلال الحرب العالمية الثانية، أبرم هتلر وستالين اتفاقًا لمهاجمة واحتلال بولندا. هاجمت ألمانيا بولندا في الأول من سبتمبر 1939، ثم هاجمتها روسيا في 17 سبتمبر. قال دودا: "لم نحصل على أي مساعدة". البولنديون يتذكرون ذلك. لم تأتِ قوى الحلفاء لمساعدة بولندا في عام 1939.

قال دودا: "انضممنا إلى الناتو في عام 1999 ولمدة 17 عامًا لم تكن هناك قوات لحلف الناتو في بولندا". وأضاف: "هذا هو الوقت الذي قلت فيه، حسنًا، جيد أننا في الناتو، ولكن لا يوجد الناتو في بولندا؟" كان تعبيره مذهولًا.

خلال إدارة أوباما، تمركزت القوات الأمريكية في بولندا لأول مرة على أساس تناوبي، ولكن ليس بشكل دائم. استمرت السياسة في عهد ترامب ثم بايدن.

في أوائل فبراير 2022، قبل غزو روسيا مباشرة، أرسل الرئيس بايدن 1,700 جندي أمريكي من القوات النخبة إلى بولندا. كما تم نشر 3,000 جندي أمريكي آخر من الفرقة 82 المحمولة جواً إلى أوروبا، بما في ذلك مئات الجنود المتمركزين في بولندا في ريزيسزو، بالقرب من الحدود مع أوكرانيا، وكذلك في رومانيا وألمانيا لتعزيز الجناح الشرقي. أرسل بايدن نائبة الرئيس

هاريس إلى وارسو في أوائل مارس 2022، بعد أسابيع قليلة من غزو بوتين، لإشارة إضافية بأن الولايات المتحدة لن تتسامح مع العدوان الروسي ضد حلفاء الجناح الشرقي للناتو.

قال دودا إن بايدن "يتمتع بمصداقية بنسبة 100٪ فيما يتعلق بالالتزامات التي قطعها تجاه بلدي".

"لم نتعرض للهجوم بعد، وقد أرسل الأمريكيون بالفعل قواتهم"، قال. في مكالمة هاتفية، طمأن بايدن دودا شخصيًا أن الولايات المتحدة تدعم بولندا.

قال بايدن لدودا: "سندافع دائمًا عن بولندا".

قال دودا: "كان لهذا الأمر أهمية كبيرة بالنسبة لي عاطفيًا وشخصيًا".

قبل شهر، في 11 مارس، نشر الرئيس دودا مقالًا في صحيفة "واشنطن بوست" دعا فيه دول الناتو إلى زيادة إنفاقها الدفاعي من 2٪ إلى 3٪ من ناتجها المحلي الإجمالي.

كانت بولندا الآن تنفق 4٪ من ناتجها المحلي الإجمالي على الدفاع، أي أكثر من 27 مليار دولار سنويًا. أنفقت الولايات المتحدة 3.49٪ أو 860 مليار دولار في عام 2023. ومع ذلك، لم يكن العديد من أعضاء الناتو يلتزمون بهدف الـ 2٪، بما في ذلك فرنسا وإسبانيا وكندا.

في تجمع انتخابي في ساوث كارولينا في فبراير، قال الرئيس السابق ترامب، وهو منتقد متكرر للناتو، إنه سيسمح لروسيا بمهاجمة الحلفاء الذين لا يدفعون حصصهم.

قال ترامب إن أحد الرؤساء - الذي لم يحدده - سأله ذات مرة: "حسنًا، سيدي، إذا لم ندفع وتمت مهاجمتنا من قبل روسيا، هل ستحمينا؟"

أجاب ترامب: "لا، لن أحميكم. في الواقع، أشجعهم على القيام بما يحلو لهم". وهتف جمهوره.

اتخذ دودا نبرة دبلوماسية أكثر في مقالته في "واشنطن بوست". قال: "لقد حولت روسيا اقتصادها إلى وضع الحرب. إنها تخصص ما يقرب من 30٪ من ميزانيتها السنوية للتسلح." وبسبب التهديدات المتزايدة اليوم، جادل دودا بأن الوقت قد حان لإنفاق الأعضاء أكثر.

من الجدير بالذكر أن معظم أعضاء الناتو الذين ينفقون أكبر قدر من الإنفاق الدفاعي كانوا على الجناح الشرقي، الأقرب إلى الحرب، بما في ذلك بولندا، إستونيا، ليتوانيا، فنلندا، رومانيا، هنغاريا ولاتفيا.

قال دودا: "لا يمكن لروسيا الفوز في هذه الحرب". "هذا هو الأمر الأكثر أهمية.

"نحن نتعامل مع إمبريالية روسية وحشية تقتل الناس"، قال. "والآن أصبحت هذه الأنياب الإمبريالية حمراء بدماء الجورجيين، بدماء الأوكرانيين." كان يشير إلى غزو روسيا لجورجيا في عام 2008، وغزواتها لأوكرانيا في 2014 و2022.

قال دودا: "نحتاج إلى دعم أوكرانيا طوال الوقت بالتكنولوجيا العسكرية". وكان يعتقد أن روسيا لا تستطيع الفوز ضد الأسلحة الحديثة الموجودة في ترسانات الولايات المتحدة والناتو، لكن هذه الأسلحة تحتاج إلى الوصول إلى الأوكرانيين في الخطوط الأمامية.

كانت أوكرانيا تواجه نقصًا كارثيًا محتملًا في الذخيرة والأسلحة. توقفت حزمة المساعدات لأوكرانيا البالغة 60.8 مليار دولار في الكونغرس الأمريكي لأكثر من ستة أشهر. كان الروس يحققون تقدمًا جديدًا.

كان ترامب يصف القادة بأنهم "مغفلين" لإرسالهم مساعدات إلى أوكرانيا. لقد رفض كل محاولة لتمرير حزمة مساعدات، مدعيًا أن دعم أوكرانيا هو إهدار لأموال دافعي الضرائب، وأن أوكرانيا فاسدة، وأن الانتصار الروسي أمر لا مفر منه. كان الرئيس بايدن غاضبًا لأنه كان عليه تمرير الحزمة عبر مارالاغو قبل أن تمر عبر الكونغرس.

قـال الـرئيس دودا إن الأوكرانـيين كـانوا في أمس الحاجـة إلى الـذخيرة بعيـدة المدى والطائرات ليكونوا قادرين على صد روسيا. كان لـدى الـروس عـدد أكبر بكثير من الجنود تحت تصرفهم.

قـال دودا: "تفـوز أوكرانيـا عنـدما تتمكن من إبقـاء الـروس على مسـافة". "إذا كـانت هنـاك اشـتباكات مباشرة، فـإن مثـل هـذه الاشـتباكات المباشرة عـادة مـا يفوز بهـا الـروس لسـوء الحـظ لأنـه بالنسـبة للـروس، ليس من المهم أن يمـوت 10 جنــود أوكرانــيين ويمــوت 100 جنــدي روسي. بالنســبة لهم، المهم هــو أن يتمكنوا من الفوز." روسيا ترى جنودها كأدوات قابلة للتضحية.

قـال دودا: "هـؤلاء ليسـوا أطفـالًا من موسـكو أو سـانت بطرسـبرغ". "هـؤلاء ليسـوا عـائلات من النخب الروسـية. هـؤلاء النـاس يـأتون من أجـزاء نائيـة من سـيبيريا، من بعض المنــاطق البعيــدة من روســيا الــتي تســتدعيها روســيا وترسلهم ليموتوا. حياتهم لا تكلف الكثير بالنسبة لروسيا."

سألت دودا عما إذا كان قد تحدث إلى الرئيس بوتين منذ بدء الحرب في فبراير 2022.

قال: "لا".

"لماذا لا؟"

"لا يمكنك التحدث إلى أشخاص يقتلون الآخرين ويتصرفون كقطاع طرق."

زار الرئيس البولـندي أوكرانيـا أربـع مـرات لـدعم الـرئيس زيلينسـكي في كـييف، بما في ذلك في 23 فبراير 2022، قبل ساعات فقط من هجوم روسيا.

قـال دودا: "لن أنسى أبـدًا حـتى نهايـة حيـاتي اللحظـة الـتي قلنـا فيهـا وداعًـا لبعضـنا البعض". "عنـدما أخـبرني أنـه قـد لا نـرى بعضـنا البعض مـرة أخـرى وأخبرته أننا سنفعل كل شيء على الإطلاق للتأكد من أنهم سينجون.

"نحن كدولة بولندا، ولكن أيضًا نحن كحلف الناتو، نحن كالعالم الحر، لن نترك أوكرانيا وحيدة"، قال دودا وضرب الطاولة.

في مساء 17 أبريل، استضاف الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب الرئيس البولندي أندريه دودا على عشاء من شرائح اللحم استمر لمدة ساعتين ونصف في شقته في برج ترامب، وهو بنتهاوس فاخر مغطى بالذهب عيار 24 قيراطًا ويطل على سنترال بارك ومانهاتن. كان الرئيس الأمريكي السابق يقيم في نيويورك لحضور محاكمته الجنائية المتعلقة بالتستر على دفع أموال لصمت ممثلة أفلام إباحية.

وكانت الحجة العاطفية التي قدمها دودا لترامب حول أهمية استمرار دعم الولايات المتحدة لأوكرانيا هي نفس الحجة التي سمعتها في وقت سابق من ذلك اليوم، وفقًا لما قاله المساعدون.

قال أحد المساعدين إنه لا يمكنك سماع حجج الرئيس البولندي "أنقذوا بلدي" دون أن تتأثر وتُمسّ عاطفيًا بوصفه للتهديد الروسي – ليس فقط على أوكرانيا، بل على بولندا وأوروبا وكل الديمقراطيات.

طرح ترامب العديد من الأسئلة على دودا. ما هي نية روسيا مع أوكرانيا؟ إذا استولت روسيا على أوكرانيا، هل من المحتمل اندلاع حرب أوسع؟

قال له دودا: "نحن الهدف التالي".

على مدى الأيام القليلة التالية، ظل ترامب بشكل غير عادي هادئًا في انتقاداته للدعم الأمريكي لأوكرانيا ولم يشعل قاعدته بأفكار "أمريكا أولًا".

بعد العشاء مع دودا، كتب ترامب على موقعه الاجتماعي Truth Social: "يجب أن يكون بقاء أوكرانيا وقوتها أكثر أهمية لأوروبا مما هو لنا، لكنه مهم أيضًا لنا!".

في لحظة ما على الأقل، كان الدعم لأوكرانيا "مهمًا".

كان الرئيس دودا قد دعا الرئيس ترامب آنذاك لإلقاء خطاب في وارسو في 6 يوليو 2017 أمام نصب انتفاضة وارسو. حضر الرئيس البولندي السابق ليخ فاونسا، الذي قاد حركة التضامن العمالية التي وضعت بولندا على طريق الحرية من الحكم السوفييتي.

قال ترامب: "علينا أن نتذكر أن دفاعنا ليس مجرد التزام بالمال، بل هو التزام بالإرادة.

"السؤال الأساسي في عصرنا هو ما إذا كان الغرب لديه الإرادة للبقاء. بولندا في قلوبنا. كما لم تنكسر بولندا، أُعلن اليوم للعالم كله أن الغرب لن ينكسر أبدًا، أبدًا".

وهتف الجمهور: "دونالد ترامب! دونالد ترامب!".

قال السناتور ليندسي غراهام: "أفضل خطاب في فترة رئاسته". "كان مشابهًا جدًا لرونالد ريغان".

كان الرئيس بايدن، إلى جانب زعيم الأقلية الجمهورية في مجلس الشيوخ ميتش ماكونيل من كنتاكي وزعيم الأغلبية الديمقراطية في مجلس الشيوخ تشاك شومر من نيويورك، قد انخرطوا لعدة أشهر بشكل مكثف مع رئيس مجلس النواب الجمهوري مايك جونسون حول حزمة المساعدات لأوكرانيا.

كان جونسون يحاول إقناع ترامب بالسماح بتمرير مشروع القانون. لقد كانت قوة الأمن القومي القوية تقليديًا هي العمود الفقري للحزب الجمهوري، بما في ذلك الاعتقاد بأن الأمن القومي الأمريكي مرتبط بالأمن العالمي. ولكن كان النهج الانعزالي "أمريكا أولًا"، الذي روجه ترامب، قد أحدث شقاقًا بين الجمهوريين في الكونغرس. كان جونسون يعلم أنه إذا أعطى ترامب الضوء الأخضر، فستتلاشى مقاومة الجمهوريين في الكونغرس.

وجه بايدن فريقه بأن "يتجنبوا الهجمات المستهدفة ضد جونسون قدر الإمكان وحثوا الجمهوريين بشكل عام على التحرك. ابقوا على اتصال وثيق مع رئيس مجلس النواب جونسون".

كما دعا بايدن مدير الاستخبارات الوطنية أفريل هاينز، ومدير وكالة المخابرات المركزية بيل بيرنز، ومستشار الأمن القومي جيك سوليفان لتقديم إفادة سرية لرئيس مجلس النواب حول صورة الاستخبارات الأوكرانية والمخاطر الأمنية في حال عدم التحرك. قدموا لجونسون أمثلة تفصيلية عن العواقب التي ستواجه أوكرانيا وأوروبا والعالم الحر إذا خسرت أوكرانيا الحرب وتقدم بوتين.

قال سوليفان لجونسون: "إذا لم تحصل أوكرانيا على المساعدة، فستخسر الحرب مع روسيا". كان ذلك هو الخط النهائي. التقى الرئيس بايدن أيضًا بقيادة مجلسي النواب والشيوخ للدفع بنفس الرسالة بشكل شخصي.

في الوقت نفسه، كان ليندسي غراهام، الجمهوري من ساوث كارولينا، يدفع ترامب أيضًا بشأن مشروع قانون المساعدة الأوكرانية ليوافق على الأقل على "تركه يمضي". أراد غراهام دعمًا أكبر لأوكرانيا، لكنه كان قد عرقل نسخًا من هذه الحزمة في مجلس الشيوخ. في أبريل، اقترح على ترامب فكرة تحويل جزء من المساعدات إلى قرض قابل للإعفاء لأوكرانيا.

قال غراهام: "سيدي الرئيس، أوكرانيا استثمار جيد. ربما يمكنهم سداد الديون، لكنك لن تندم أبدًا على مساعدتهم".

"تعرف أن آخر شخص فعل هذا انتهى به المطاف بجعل العالم في حرب كبيرة"، قال غراهام، مشيرًا إلى هتلر في الحرب العالمية الثانية.

قال غراهام: "بوتين لن يتوقف. سيتجه إلى مولدوفا. سيستمر. إنه يصبح أقوى وليس أضعف. سيدي الرئيس، هذا الرجل لن يتوقف. إذا تم مكافأته

على هذا، يمكنك توقع المزيد منه. وتايوان ستذهب أيضًا كما أنني جالس هنا".

قال ترامب إنه يصدق ذلك. "الضعف يولد العدوان".

أخبر الرئيس السابق غراهام أنه "لا مانع لديه من القرض" و"لا مانع لديه من" رئيس مجلس النواب جونسون الذي يعمل على مشروع قانون يحول جزءًا من المساعدات إلى قرض بدون فوائد وقابل للإعفاء".

بعد محادثات متعددة مع ترامب، أخبر جونسون مساعديه المقربين أنه كان واضحًا له أن الرئيس السابق لا يرى مشكلة في تمويل أوكرانيا. في النهاية، غير ترامب رأيه بعد أن أقنعه جونسون بأن حزمة المساعدات كانت مهمة للحفاظ على الوحدة بين مؤتمر الجمهوريين في مجلس النواب وترامب. قال جونسون: "هذا مفيد للجميع". رأى ترامب الفائدة لنفسه ورفع الفيتو الخاص به.

في يوم السبت، 21 أبريل، صوت مجلس النواب الأمريكي بشكل ساحق، 312 صوتًا مقابل 112، لصالح تقديم 60.8 مليار دولار كمساعدات غير مسبوقة لأوكرانيا كجزء من مشروع قانون مساعدات خارجية بقيمة 95.3 مليار دولار. من بين مبلغ 60.8 مليار دولار المخصص لأوكرانيا، كان 10 مليارات دولار في شكل قرض قابل للإعفاء.

أثناء تصويت مجلس النواب، قال زعيم الأقلية الجمهورية في مجلس الشيوخ ميتش ماكونيل، البالغ من العمر 82 عامًا، في مقابلة تلفزيونية: "إنه أحد أكبر الأيام في الوقت الذي كنت هنا فيه". وكان ماكونيل في مجلس الشيوخ منذ 39 عامًا.

قال ماكونيل: "على الأقل في هذه الحلقة، أعتقد أننا قلبنا الطاولة على الانعزاليين"، مشيرًا إلى جناح "أمريكا أولًا" في حزبه.

ثم مرر مجلس الشيوخ مشروع القانون بتصويت 79 صوتًا مقابل 18 في 23 أبريل. قال الرئيس بايدن: "هذه الليلة، انضم أغلبية من الحزبين في مجلس

الشـيوخ إلى مجلس النـواب للإجابـة على نـداء التـاريخ في هـذه اللحظـة الحاسمة".

وقع بايدن على مشروع القانون في اليوم التالي. قال بايـدن: "خلال السـاعات القليلة المقبلة، سنبدأ بإرسال المعدات إلى أوكرانيا، بما في ذلك ذخائر الدفاع الجـوي والمدفعيـة وأنظمـة الصـواريخ والمركبـات المدرعـة". أكـد زيلينسـكي على وسـائل التواصـل الاجتمـاعي أن الحزمـة تحتـوي أيضًـا على صـواريخ ATACMS بعيدة المدى التي كانت أوكرانيا في حاجة ماسة إليها.

إذا لم يكن الأمر قد تأخر بالفعل بالنسبة لأوكرانيا، بـدا أن هـذا قـد يكـون نقطـة تحول.

اثنان وستون

لا يزال الإسرائيليون يخططون لعملية عسكرية واسعة النطاق في رفح. حذّر بايدن نتنياهو من النظر بعناية إلى الخطوة التالية لإسرائيل.

قال بايدن في مكالمة هاتفية خاصة ومؤمنة: "ما حدث في الأسبوعين الماضيين غيّر قواعد اللعبة. لقد ساعدنا في الدفاع عنكم بالتعاون مع السعودية، والأردن، وتحالف غربي. ما ستفعله بعد ذلك سيحدد ما إذا كنت ستغذي هذا التحالف أو ستضيعه".

كان السعوديون قد شهدوا للتو تحالفًا عسكريًا أميركيًا يُسقط 100 صاروخ باليستي. هم متحمسون للعودة إلى الحديث عن صفقة مع إسرائيل.

إذا دخلت إسرائيل إلى رفح، كان نتنياهو يخاطر بكل التقدم الذي تم إحرازه بالفعل.

قال بايدن لنتنياهو: "سوف ترى الأمور كلها تنعكس. هناك خطر حدوث قطيعة معنا. السعودية لن تقترب من ذلك. هناك خطر حدوث قطيعة مع مصر".

لأسابيع، كان جيك سوليفان يضغط بنفس الرسالة مع رون ديرمر ومستشار الأمن القومي الإسرائيلي تساخي هنغبي. قال سوليفان في مكالمة فيديو: "الدخول إلى رفح سيكون فوضى دموية".

أصرّ ديرمر: "علينا دخول رفح. سيستغرق الأمر ثلاثة أسابيع فقط".

ردّ سوليفان، دائم الشك والتشكيك في التوقعات المتفائلة لإسرائيل: "هذا كلام فارغ".

حث سوليفان ديرمر وهنغبي على التمهل والتركيز على إصلاح الوضع الإنساني والحصول على صفقة بشأن الرهائن. العمل مع مصر للسيطرة

على الحدود مع رفح، وملاحقة قادة حماس مثل السنوار، وتأجيل الهجوم البري على رفح.

قال ديرمر: "سنفكر في الأمر".

كان مدير وكالة المخابرات المركزية، بيل بيرنز، وبريت ماكغورك يضغطان على وزير الخارجية القطري للحصول على دليل حياة لأحد الرهائن الإسرائيليين-الأميركيين الأربعة الذين لا يزالون محتجزين لدى حماس.

في 22 أبريل، أرسلت حماس مقطع فيديو إلى البيت الأبيض لهيرش غولدبرغ-بولين، الشاب البالغ من العمر 24 عامًا والذي كان في مهرجان الموسيقى مع أصدقائه خلال هجوم حماس في 7 أكتوبر. حاول الاختباء ولكن ألقى عليه شخص من حماس قنبلة يدوية. التقط هيرش القنبلة لإلقائها بعيدًا، لكنها انفجرت وأطاحت بجزء من ذراعه اليسرى.

شاهد ماكغورك الفيديو لغولدبرغ-بولين، لمحة نادرة ومؤثرة عن الحياة في الأنفاق. كان الشاب جالسًا على كرسي مقابل جدار أبيض. قال: "مرحبًا يا أمي وأبي. أنا هنا في غزة منذ ما يقرب من 200 يوم. أحبكما وأفكر فيكما كل يوم. أريدكما أن تعرفا أنني بخير، أنا حي، ولكن الوضع ليس سهلًا هنا. أفكر فيكما كل يوم وأريد العودة إلى المنزل بأسرع ما يمكن. أفكر فيكما الآن قبل العيد. آمل، آمل وأعلم أنكما تفعلان كل ما بوسعكما لإعادتي إلى المنزل في أسرع وقت ممكن. أشتاق إليكما وأريد رؤيتكما قريبًا. أحبكما".

لاحقًا نشرت حماس الفيديو علنًا. قال وزير الخارجية القطري إن هذا كان إشارة إلى أن هناك فرصة لاستعادة الرهائن.

بعد يومين، في 24 أبريل، استضاف الرئيس بايدن أبيجيل عيدان ، الفتاة البالغة من العمر أربع سنوات التي احتجزتها حماس كرهينة لمدة 50 يومًا.

كان مقاتلو حماس قد دخلوا منزل عائلتها في 7 أكتوبر وأطلقوا النار على والدتها ووالدها أمامها. كان أشقاؤها الأكبر سنًا، البالغان من العمر ستة وعشرة أعوام، قد اختبأوا في خزانة بالطابق العلوي لمدة 14 ساعة. أُصيب والد أبيغيل بطلق ناري بينما كان يحميها، حيث زحفت من تحت جسده وذهبت إلى منزل أحد الجيران. في وقت لاحق من ذلك اليوم، أخذتها حماس رهينة مع تلك العائلة المكونة من خمسة أفراد.

الآن كانت أبيغيل تزحف حول مكتب الرئاسة، تلعب مع أختها وأخيها في المكتب البيضاوي. يعيش الأطفال الثلاثة الآن مع عمتهم وعمهم في تل أبيب. قام بايدن بجولة لهم في البيت الأبيض.

خارجًا في حديقة البيت الأبيض، كان بريت ماكغورك يدفع أبيغيل البالغة من العمر أربع سنوات على أرجوحة.

ثلاثة وستون

"أعتقـد أنـه من الصـعب جـدًا الجـدال بأنـه لميتم اضـعافه"، قـالت مـديرة الاسـتخبارات الوطنيـة الأميركيـة، أفريـل هـاينز، في مـايو 2024، متحدثـة عن الرئيس الروسي بوتين. "لكن هذا لا يجعله أقل خطورة."

هاينز، البالغة من العمر 54 عامًا وأول امرأة تشغل منصب رئيسة الجواسـيس في الولايـات المتحـدة، حـذرت من أنـه لا ينبغي لأحـد أن يشـعر بالرضـا تجـاه روسيا.

"تم إنفاق مئات المليارات من الدولارات في هذه الحرب"، قالت هـاينز، "عـدد الضحايا تجاوز ما شهدناه منذ الحرب العالمية الثانية، أكثر من 300,000."

"لقد أعدنا قواتهم البرية إلى الوراء لسنوات"، وأضـافت أن القـوات الأوكرانيـة "بفضـل الشـجاعة والـدعم الأمـيركي والأوروبي" أجـبرت بـوتين على وضـع اقتصاد روسيا في حالة استعداد للحرب وزيادة الاستثمار في صناعة الدفاع.

"من المـدهش لمحللينـا العسـكريين مـا هـو مسـتعد لخسـارته من أشـخاص ومعدات على الخطوط الأمامية مقابل ما يربحه من أراضٍ."

قبـل الغـزو الروسي، كـان بـوتين يجـادل لسـنوات بـأن الإفـراط في الإنفـاق على الدفاع كان أحد الأخطاء الكبرى للاتحاد السوفيتي. لقد دمر اقتصاد روسيا.

قـالت هـاينز بدهشـة: "الآن هـو يفعـل نفس الشيء بشـكل أساسي. إنـه لأمـر مذهل أن نشاهده".

وأضافت هاينز: "بينما هم يديرون العقوبات بشكل أفضـل ممـا توقعنـا، هنـاك شقوق حرجة في اقتصادهم."

وفقًا لداليب سينغ، نائب مستشار الأمن القومي للشؤون الاقتصادية الدوليـة، الذي كان مهندس العديد من العقوبات ضد روسـيا، فـإن الضـغط الحقيقي لم

يأتِ بعد. قال سينغ: "التضخم المرتفع وأسعار الفائدة المرتفعة سيخنقان حتمًا نمو روسيا. رأس مال أقل، تكنولوجيا أقل، ومواهب أقل تعني اقتصادًا روسيًا أصغر وأضعف وأقل إنتاجية لجيل كامل".

كان بوتين أيضًا مضطرًا للحصول على أسلحة وذخائر من دول أخرى مثل الصين وكوريا الشمالية وإيران لإعادة إمداد خطوطه الأمامية.

"إنهم يحاولون إعادة بناء قواتهم"، قالت هاينز، "نحن نراقب كل ذلك في محاولة لتحديد الفرص الرئيسية لعرقلتها".

كانت هذه هي الحرب الظل في الاقتصاد والتكنولوجيا والاستخبارات، حيث يمكن للولايات المتحدة مواجهة وإضعاف روسيا بشكل مباشر مع تقليل مخاطر الحسابات الخاطئة الكارثية.

ومع ذلك، لم يكن الأمر خاليًا من المخاطر.

قالت هاينز: "بين الولايات المتحدة وروسيا، لدينا أكثر من 90٪ من الأسلحة النووية في العالم. لا تريد دولة تمتلك هذا النوع من الترسانة أن تشعر بأنها تتراجع".

وأضافت: "عندما تدفع الدول التي تمتلك هذه الترسانات إلى الحافة، تزيد من خطر أن ينتهي بها الأمر باستخدامها."

كانت هذه هي جوهر المعضلة التي واجهها الرئيس بايدن ومستشاروه في حرب أوكرانيا. كلما زادت الأخطاء التي ارتكبتها روسيا، كلما زاد تجاوز بوتين. وكلما زادت كلفة الحرب على الاقتصاد الروسي وجيشه، كلما بدا بوتين مستعدًا للتضحية أكثر.

أخبر الرئيس بايدن مستشاريه: "لا تدفع برجل إلى زاوية بحيث يكون طريقه الوحيد للخروج هو عبرك. يجب أن تمنحه طريقًا آخر للخروج."

لكن بوتين تسلق الشجرة بعيدًا في سعيه ليكون القيصر الحديث، منقذ روسيا كقوة عظمى، وكان من الصعب جدًا رؤية كيف يمكنه النزول.

حذرت هاينز: "يمكن أن يكون أضعف وفي نفس الوقت أكثر خطورة نتيجة لحقيقة أن لديه القليل ليخسره."

سيرة بوتين الذاتية، ***First Person***، التي أملاها على ثلاثة صحفيين روس في عام **2000**، تعد نظرة موثوقة إلى داخل عقل الرئيس الروسي. قال بوتين للصحفيين: "أعتقد أنه دائمًا ما تُرتكب الكثير من الأخطاء في الحرب. هذا أمر لا مفر منه. لكن عندما تقاتل، إذا كنت تفكر باستمرار أن الجميع من حولك يرتكبون الأخطاء، فلن تنتصر أبدًا. عليك أن تتخذ موقفًا عمليًا، ويجب أن تواصل التفكير في النصر.

"الكلب يشعر عندما يخاف شخص ما منه ويعض. الأمر نفسه ينطبق هنا. إذا أصبحت متوترًا، سيعتقدون أنهم أقوى. الشيء الوحيد الذي يعمل في مثل هذه الظروف هو الهجوم. يجب أن تضرب أولًا، وتضرب بقوة لدرجة أن خصمك لن ينهض مجددًا".

أربعة وستون

"قالوا لي إنه إذا تمت إدانتي، سيكون ذلك أفضل لي في الانتخابات"، قال ترامب على الهاتف لمحاميه السابق تيم بارلاتور أثناء محاكمته المتعلقة بدفع أموال الصمت في نيويورك.

"لكن تيم"، أضاف ترامب، "لا أريد أن أُدان".

وكان ترامب قد اتهم جنائيا ب 34 تهمة بتزوير سجلات تجارية لإخفاء مدفوعات مالية سرية لنجمة أفلام الكبار ستورمي دانيلز قبل الانتخابات الرئاسية لعام 2016. بدأت المحاكمة في 15 أبريل 2024.

بارلاتور، الذي كان قد مثل ترامب لأكثر من عام في تحقيقات وزارة العدل بشأن أحداث 6 يناير ووثائق مارالاغو، كان يعتقد أن حملة ترامب الانتخابية هي التي تقود قرارات المحكمة في مانهاتن. وكان هذا أحد الأسباب التي دفعته إلى الاستقالة من تمثيل ترامب في مايو 2023. لم تكن لديه مشاكل مع ترامب شخصيًا.

قال بارلاتور: "السبب الذي جعلني أتركه هو أنه يحيط نفسه بالأشخاص الخطأ"، في إشارة إلى أولئك الذين يهتمون أكثر بدورة الأخبار على مدار الساعة بدلاً من مصلحة عميلهم.

أزعج تعليق ترامب بارلاتور. واعتبر أن هذه المحاكمة دليل على ذلك.

وأوضح بارلاتور لترامب: "دفع أموال الصمت لستورمي دانيلز بحد ذاته ليس غير قانوني. إنه غير لائق، لكنه ليس غير قانوني".

وأضاف: "مشكلة ترامب هنا هي أن مايكل كوهين لا يعرف كيف يدير فاتورة بشكل صحيح".

كان مايكل كوهين، المساعد السابق لترامب، شاهدًا رئيسيًا ضده في المحاكمة.

قال بارلاتور: "دعني أخبرك كيف كان بإمكان محامٍ حقيقي أن يفوترك".

وتابع: "كان بإمكاني كتابة الفاتورة: 130,000 دولار استرداد نفقات، 20,000 دولار استرداد نفقات، 30,000 دولار رسوم، وستكون فاتورتك بالكامل 180,000 دولار. لم يكن بإمكان أحد الادعاء بأنها كانت سجلًا تجاريًا مزورًا ولن تمر بهذا كله".

"لا يوجد تزوير في الأعمال بهذه الطريقة"، قال بارلاتور. "هذه فاتورة دقيقة".

رد ترامب بغضب: "هل أنت تمزح معي؟ كان بإمكاني دفع 180,000 دولار بدلًا من 420,000 دولار؟"

نعم، سيدي الرئيس، قال بارلاتور. "أستطيع أن أضع الرسوم والنفقات في نفس الفاتورة، والطريقة التي يتعامل بها محاسبي مع هذا هي أن الرسوم تعتبر دخلًا، بينما لا تعتبر استرداد النفقات كذلك."

قال ترامب مندهشًا: "يا إلهي".

في 30 مايو 2024، أدانت هيئة المحلفين بالإجماع ترامب في جميع التهم الـ 34 المتعلقة بتزوير السجلات التجارية، ليصبح أول رئيس سابق للولايات المتحدة يدان بجريمة جنائية.

ترامب وحملته هاجموا المحاكمة والقاضي مرشان والرئيس بايدن والديمقراطيين على الفور.

صرح ترامب بعد خروجه من قاعة المحكمة: "كانت هذه محاكمة مزورة ومخزية. الحكم الحقيقي سيكون في الخامس من نوفمبر من الشعب".

أما بارلاتور فقد تجاهل تلك التصريحات واعتبر أن مشكلة ترامب ليست النظام القانوني، بل القرارات السيئة المتعلقة باختيار المحامين.

وقال بارلاتور: "من الأسهل من الناحية السياسية أن يقولوا: 'أوه، هذا كله من آلفن براغ والحزب الديمقراطي، وهذا بايدن وكل هذه الأمور'، بدلاً من النظر

إلى الداخل والاعتراف بـأنني أدنت لأنـني اخـترت المحـامين الخطـأ". كـان آلڤن براغ هو المدعي العام الذي تولي القضية ضد ترامب.

وأشار بارلاتور إلى تود بلانش، محامي ترامب في القضـية الجنائيـة، الـذي قـال علنًا بعـد الحكم إنهم "توقعـوا" الإدانـة. وأضـاف: "من الواضـح لي أنـه لم يكن لديه خطة للفوز".

وفي غضـون 24 سـاعة من صـدور الحكم، جمعت حملـة تـرامب أكـثر من 50 مليون دولار لدعم حملته الرئاسية.

وقال ترامب في بيان: "أنا رجل بريء جدًا، وهـذا لا بـأس بـه، أنـا أقاتـل من أجـل بلدنا، أقاتل من أجل دستورنا. بلدنا بأسره يتعرض للتزوير الآن."

خمسة وستون

"إنهم يحاولون تدمير الرئاسة"، قال هنتر بايدن في مقابلة في ديسمبر 2023 عن جهود الجمهوريين المستمرة في ملاحقته، معيدًا سرد ومعاودة تضخيم صراعه مع إدمان الكحول والكوكايين. "إنهم يحاولون قتلي وهم يعلمون أن الألم سيكون أكبر من أن يتحمله والدي".

وفقًا لأحد المقربين من الرئيس بايدن، كانت الهجمات الجمهورية على هنتر "تأكل الرئيس حياً من شدة القلق". كان الرئيس يتصل به تقريبًا كل يوم للاطمئنان.

"كيف حالك يا بني؟ هل تتحمل؟ هل أنت بخير؟" كان يسأله في مكالمة.

كان هنتر بايدن، البالغ من العمر 54 عامًا، في قلب محاكمتين جنائيتين بارزتين خلال صيف وخريف 2024. كان قد دفع ببراءته من تهم جنائية تتعلق بالكذب بشأن استخدامه للمخدرات عندما اشترى وحمل سلاحًا ناريًا، وهو انتهاك للقانون الفيدرالي. بدأت محاكمته في ولاية ديلاوير في يونيو، وتم تحديد موعد لمحاكمة ثانية تتعلق بتهم ضريبية في سبتمبر، قبل شهر من الانتخابات.

كانت العلاقة بين هنتر ووالده حقيقية ودائمة، وفقًا لمقربين آخرين. فقد الرئيس زوجته الأولى وابنته في حادث سيارة، وفقد لاحقًا ابنه الأكبر، بو، بسبب ورم في الدماغ. كانت الحملة العامة التي شنها الجمهوريون ضد هنتر تؤثر على الرئيس بشكل أعمق من القضايا السياسية.

"أعتقد أن أكبر قلق لجيل وجو ليس فقط الاتهامات الجنائية أو قصة الكمبيوتر المحمول أو جلسات الاستماع في اللجنة الرقابية، بل هو محاولة التأكد من أن صحة هنتر النفسية والجسدية تبقى في مستوى يمكنه من مواصلة حياته بعد انتهاء كل هذا".

قال صديق مقرب من هنتر إنه يشعر بأنه "محاصر" وأنه لا يوجد مخرج واضح من ماضيه. "إنه يشعر بأنه تائه، وأعتقد أنه يعرف ذلك".

الرئيس بايدن عبّر سرًا عن غضبه من المدعي العام، ميريك غارلاند، الذي عيّن مستشارًا خاصًا للتحقيق في قضية هنتر. قال بايدن لأحد المقربين: "ما كان يجب أن أختار غارلاند"، لكن دائرته المقربة ضغطت بشدة لتعيينه.

على الرغم من ذلك، حافظ الرئيس بايدن على تعهده بعدم التدخل في التحقيق. وفي بعض الأحيان، كان يتواصل مع محامي هنتر، آبي لويل، لشكره على تمثيل ابنه.

قال بايدن لهنتر: "دعني أتكلم مع آبي"، ثم أخذ الهاتف وتحدث مع لويل في ديسمبر 2022. "أحب ما تقوم به. استمر في ذلك".

كانت هناك توترات بين محامي البيت الأبيض وفريق هنتر القانوني. أراد محامو البيت الأبيض أن يلتزم هنتر بالصمت ويبقى بعيدًا عن الأنظار علنًا، في حين كان تركيز هنتر منصبًا على "البقاء".

قال صديق هنتر: "في الوقت الحالي، هو ملتزم تمامًا بعدم العودة إلى إدمانه، ويريد حياة طبيعية، وأعتقد أن هذا هو سبب قتاله الشرس في المحاكم".

في مذكراته، "Beautiful Things"، يسرد هنتر قصة إدمانه على الكوكايين، بما في ذلك تقلباته وفوضاه وإغراءاته.

قال هنتر في الفصل السابع المعنون "Cracked": "طهي الكوكايين كان يحتاج إلى بعض التدريب، لكنه لم يكن علم صواريخ". وأضاف: "عشت ما يسمى 'الرنة'—وهي الكأس المقدسة للكوكايين. كانت تلك اللحظة شعورًا بالرفاهية المطلقة، أشبه بشيء من عالم آخر. سعيت وراء ذلك الشعور لمدة ثلاث سنوات، من 2017 إلى 2020".

كان هنتر وزوجته ميليسا كوهين لديهما ابن صغير يدعى بو بايدن جونيور، الذي كانا ينادیانه "بوي" تيمنًا بأخيه الراحل بو.

شعر الرئيس بايدن بالذنب إزاء الهجمات الجمهورية المستمرة على هنتر. وقال لمقرب: "كل هذا بسببي. لم يكن أي من هذا ليحدث لهنتر لو لم أكن الرئيس. هذا لن ينتهي أبدًا".

أدين هنتر في جميع التهم الفيدرالية الثلاث المتعلقة بحيازة السلاح في 11 يونيو 2024.

وقال الرئيس بايدن: "سأقبل بنتيجة هذه القضية وسأستمر في احترام العملية القضائية بينما يفكر هنتر في استئناف الحكم"، متمايزًا عن ردود فعل ترامب في مواجهته القضائية.

وأضاف: "أنا وجيل سنظل دائمًا بجانب هنتر وبقية عائلتنا بالحب والدعم. لا شيء سيغير ذلك".

ستة وستون

الأسرار موجـودة دائمًـا، وغالبًـا مـا تكـون الأسرار ذات وزن هائـل خاصـة في العلاقات الإنسانية. ماذا يعتقد الشخصيات الرئيسية حقًا عن بعضـها البعض؟ ما الذي يحدث خلف الكواليس والـذي قـد لا يلاحظـه الآخـرون أو يتخيلونـه؟ ما هي القوى المحركة التي قد لا يتم التعبير عنها أو رؤيتها؟

اسـتياء الـرئيس بايـدن وعـدم ثقتـه بـرئيس الـوزراء الإسرائيلي نتنيـاهو كـانت تتصاعد على مدار سنوات، وفي ربيع 2024 انفجرت أخيرًا.

"ذلـك اللعين، بيـبي نتنيـاهو، إنـه شخص سيء. إنـه شـخص سيء جـدًا!" صرح الرئيس بايدن بشكل خاص لأحد أقرب مساعديه. "شخص سيء جدًا!"

"هو لا يهتم بحماس. هو يهتم فقط بنفسه."

كـان الـرئيس مشـغولاً بـالمرارة وعـدم الثقـة تجـاه نتنيـاهو، الـذي قـال إنـه كـان يكذب عليه بانتظام.

كان نتنياهو يدمر منطقة غزة بأكملها، ويقصف واحدة من أكثر الأمـاكن كثافـة سـكانية على وجـه الأرض بـ 45,000 قنبلـة تقريبًـا. مـا يقـرب من نصـف، 47٪، سـكان غـزة البـالغ عـددهم 2.2 مليـون نسـمة هم أطفـال دون سـن 18 عامًـا. مئات القنابل التي ألقيت على غزة كانت من النوع الثقيـل بـوزن 2,000 رطـل. كانت المجزرة تشبه بعضًا من أسوأ القصف خلال الحرب العالمية الثانية.

كان نتنياهو مستمرًا في القول إنه سيقتل كل عضو في حماس.

قـال لـه بايـدن إن ذلـك مسـتحيل، مهـددًا بشـكل خـاص وعـام بحجب شـحنات الأسلحة الأمريكية الهجومية إلى إسرائيل.

وعد نتنياهو بايدن أن إسرائيل ستغير اسـتراتيجيتها وسـتلاحق حمـاس بعمليـات أكثر دقة وتطورًا. سيكررون المطاردة المنهجية والصبورة الـتي اسـتمرت عامًـا

للقضاء على أعضاء منظمة أيلول الأسود الفلسطينية الذين قتلوا 11 رياضيًا إسرائيليًا في أولمبياد ميونيخ عام 1972.

لن يكون هناك المزيد من الكتائب التي تدخل وتطلق الصواريخ والمدفعية دون استراتيجية، ولن يكون هناك المزيد من إسقاط القنابل الضخمة على المناطق الحضرية. لكن نتنياهو استمر في إصدار الأوامر نفسها.

قبل 7 أكتوبر، كانت القيادة السياسية لنتنياهو في حالة مزرية. كان يواجه تهم جنائية بالاحتيال والرشوة التي تم تأجيلها عدة مرات، وكان يتعرض لانتقادات واسعة بسبب دفعه لإصلاحات قانونية وقضائية أضعفت استقلالية القضاء الإسرائيلي. كان نتنياهو على وشك الإطاحة به كرئيس للوزراء.

ولكن بعد هجوم حماس واسع النطاق في 7 أكتوبر خلال فترة قيادته، دفع نتنياهو الأسئلة المتعلقة بالفشل الاستخباراتي والأمني الكارثي في إسرائيل جانبًا وأعاد بناء نفسه كقائد حرب قوي. لقد التف الإسرائيليون حول رئيس وزرائهم. الحرب المستمرة وفرت لنتنياهو الحماية.

قال الرئيس بايدن لأحد الأصدقاء إن نتنياهو كان يعمل بجد الآن لإنقاذ نفسه سياسيًا والبقاء خارج السجن.

كان بايدن مذهولًا من أن قيادة بيبي استمرت.

"لماذا لم يحدث هناك تمرد داخلي؟" قال بايدن. "تمرد داخلي قوي لازالة بيبي من منصبه بطريقة ما! فقط أخرجوه من هناك!"

اشتكى الرئيس بايدن بمرارة من أن نتنياهو لم يقض أي وقت في وضع خطة لغزة والمنطقة بعد انتهاء الحرب. كان يعرف ذلك بسبب عدة مكالمات آمنة مع نتنياهو والعديد من الاجتماعات التي أبلغ عنها بلينكن على مدار الأشهر الستة الماضية.

كان البيت الأبيض يصدر موجزات قصيرة عن مكالمات بايدن ونتنياهو إلى وسائل الإعلام تشير إلى أنها كانت مثمرة وودية ومنتجة.

"أعتقد أنه شخص يعتقد أنه، أولاً وقبل كل شيء، منقذ إسرائيل"، قالت مـديرة المخابرات الوطنية أفريل هاينز عن نتنياهو. "ثانيًا، هو لا يريد أن يفقد إرثه عن ما فعله حتى الآن ولا يريد أن يُذكر كرئيس الوزراء عن 7 أكتوبر.

ذكرت هاينز"سياسته بالتأكيد، في رأيي، تؤثر على قراراته في هذه المرحلة".

ضغط بايدن على نتنياهو في أعقاب 7 أكتوبر بعدم القيام بغزو بري لغزة. إسرائيل مضت قدمًا على أي حال. ضغط بايدن على نتنياهو للسماح بالمساعدات الإنسانية المستمرة إلى غزة، لكن الهجوم العسكري الإسرائيلي جعل تقديم المساعدات شبه مستحيل.

استمرت الكارثة الإنسانية في التصاعد في غزة.

كان وزير الخارجية بلينكن يعمل على مدار الساعة تقريبًا لعدة أشهر. كان مرهقًا، ومستنزفًا عاطفيًا وجسديًا بسبب تعاملات نتنياهو ومناوراته.

حذر بايدن نتنياهو من القيام بهجوم عسكري في رفح. تأخر نتنياهو، وناقش، ووضع خطة لإخراج المدنيين من طريق الأذى. ولكن في النهاية، أرسل نتنياهو الجيش الإسرائيلي.

"إنه كاذب"، قال بايدن بشكل خاص عن نتنياهو. "ثمانية عشر من أصل تسعة عشر شخصًا يعملون معه هم كاذبون أيضًا".

كان بايدن يعتقد أنه إذا كان سيقطع علنًا مع نتنياهو، فإنه سيعرض أمن إسرائيل للخطر—وهو أمر لم يكن مستعدًا للقيام به بعد 7 أكتوبر. كانت إيران وحزب الله يراقبان.

وسع نتنياهو الهجوم العسكري الإسرائيلي، وفي أواخر مايو اضطر إلى الاعتذار بعد هجوم بري في الجنوب بالقرب من معبر رفح المكتظ بالسكان والذي أسفر عن مقتل العشرات من المدنيين في المخيمات. ووصفه بأنه "حادث مأساوي". استخدمت الذخائر الأمريكية الصنع من قبل إسرائيل في

الضربة القاتلة. كانت إسرائيل قد خصصت المنطقة كمنطقة آمنة. وبحلول نهاية مايو 2024، كان قد قُتل ما لا يقل عن 35,000 شخص في غزة.

استقال بيني غانتس، مسؤول رئيسي في مجلس الحرب ومنافس نتنياهو السياسي الأعلى، من حكومة الطوارئ الإسرائيلية في 9 يونيو، مما جعل نتنياهو يعتمد أكثر على أعضاء اليمين المتطرف في تحالفه.

"للأسف، السيد نتنياهو يمنعنا من تحقيق النصر الحقيقي، وهو التبرير للأزمة المؤلمة المستمرة"، قال غانتس. ودعا نتنياهو إلى تحديد موعد للانتخابات الإسرائيلية. وأظهرت استطلاعات الرأي أن غانتس سيتغلب على نتنياهو.

قال مستشار الأمن القومي الأمريكي جيك سوليفان إن هجوم حماس في 7 أكتوبر على إسرائيل كان "أكبر فشل استخباراتي وعملي في تاريخ دولة إسرائيل". وأضاف سوليفان: "كان ينبغي على الاستخبارات الإسرائيلية معرفة ذلك. حتى لو لم يعرفوا ذلك قبل حدوثه، كان ينبغي عليهم إيقافه. لم تكن الفيرماخت"، في إشارة إلى القوات المسلحة الألمانية. "كانوا مجرد بضعة آلاف من الرجال في أحذية رياضية يعبرون الأرض المفتوحة". لم تفعل الحرب في غزة الكثير لاستعادة سمعة قوات الدفاع الإسرائيلية.

في يونيو، أنقذ الجيش الإسرائيلي أربعة رهائن آخرين احتجزتهم حماس في غزة، لكنه قتل ما لا يقل عن 274 فلسطينيًا في عملية الإنقاذ. وأصيب المئات الآخرون. ألقت إسرائيل باللوم على حماس لوجود الرهائن بين المدنيين في مخيم النصيرات، وهو مخيم للاجئين مزدحم بالسكان.

نجح الرئيس بايدن في ردع حرب أوسع في الشرق الأوسط، حتى الآن، لكنه فشل في كبح جماح الحكومة الإسرائيلية لمنع كارثة إنسانية في غزة. لم يغير بايدن السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل وواصل تقديم مليارات الدولارات من المساعدات العسكرية لنتنياهو.

كان بايدن يمشي على حبل مشدود مع إسرائيل.

سبعة وستون

في الحرب السياسية على الرئاسة، كانت مسألة العنف تشغل بال الكثير من الأمريكيين في الفترة التي سبقت انتخابات 2024.

"إذا حدث هجوم إرهابي على الأراضي الأمريكية، فإن اللعبة ستنتهي لصالح بايدن"، قال السناتور ليندسي غراهام للآخرين بقلق. "ترامب سيفوز".

وأضاف غراهام: "هذه نقطة ضعف حقيقية. كلنا نتذكر أحداث 11 سبتمبر. بايدن يعاني من مشاكل على الحدود. لديه عالم هش جدًا يمكن أن ينفجر ويؤذينا هنا في الوطن".

كان ترامب يستخدم أزمة الحدود الجنوبية كمحور لحملته التي تستند إلى التخويف. قال ترامب في تجمع حاشد في ساوث كارولينا في 10 فبراير 2024: "الكثير من الأشخاص يأتون من إيران، والكثير من الأشخاص يأتون من الصين، والكثير من الأشخاص يأتون من روسيا. إنه مثير للاهتمام". وأضاف: "إنهم تقريبًا جميعًا رجال، تتراوح أعمارهم بين 18 و25 عامًا. هذا يعني أنهم في سن القتال. هذا هو سن القتال. لذا لديهم خطة ونحن لن نسمح بذلك. إنهم يدمرون بلادنا، هؤلاء الفاشيون"، مشيرًا إلى إدارة بايدن. "إنهم يدمرون بلادنا".

علق غراهام على سلوك ترامب قائلاً: "ترامب أصبح أكثر تذبذبًا". وأضاف: "هذه القضايا القانونية. أعتقد أنها كانت ستزعج أي شخص".

كانت لغة ترامب تتصاعد في العنف والعدائية، حيث تعهد بالانتقام من أولئك الذين يحققون معه ويلاحقونه قضائيًا، مثل ألفين براج وجاك سميث، وكذلك من المسؤولين السابقين الذين تحدثوا ضده.

كانت الحملة الانتخابية لعام 2024 تتشكل لتكون واحدة من أكثر الانتخابات خطورةً وغير متوقعة في تاريخ أمريكا.

"بايدن فقد السيطرة على مصيره"، قال غراهام. "مصيره أصبح في أيدي القدر. حدث واحد يمكن أن يغير الانتخابات".

وأضاف: "إنه أغرب دورة انتخابية رأيتها على الإطلاق". "لكن ما أقوله للناس. أنتم قلقون بشأن نوفمبر، أنا قلق بشأن صباح الغد. أنا قلق من أن نتعرض للضرب".

ثمانية وستون

"أنت على رأس قائمتنا!" صاح رجل بالقرب من الجنرال المتقاعد مـارك ميلي، رئيس هيئة الأركان المشتركة السابق، في حدث عام في ربيع عام 2024.

رد ميلي قائلاً: "لا أملك وقتًا لهذا"، وغادر المكان.

لم تكن هذه أول تهديدات يتلقاها ميلي، ولن تكـون الأخيرة. فقد تقاعد ميلي من منصبه كرئيس لهيئة الأركان المشتركة في نهاية سبتمبر 2023، وحظي بتغطية إعلامية تشيد بجهوده لحماية النظام الدستوري للولايات المتحدة خلال السنة الأخيرة من رئاسة ترامب.

أثار ذلك غضب الرئيس السابق ترامب، الذي أشار إلى مكالمة عبر قنوات خلفية أجراها ميلي مع الجنرال لي زوشينغ، نظيره الصيني، بعد يومين من الهجوم على مبنى الكابيتول في 6 يناير. وقد تم الإبلاغ عن هذه المكالمة في كتاب "الخطر" الذي ألفه بوب وودوارد وروبرت كوستا.

قال ميلي في تلك المكالمة: "الأمور قد تبدو غير مستقرة"، لكنه طمأن الجنرال لي بأن الولايات المتحدة كانت ثابتة ولن تنهار. وأضاف: "نحن ثابتون بنسبة 100%. كل شيء على ما يرام."

شهد ميلي تحت القسم أمام الكونغرس أن هذه المكالمة كانت لطمأنة الصينيين بأن الولايات المتحدة لا تخطط لمهاجمتهم، ولتعزيز الاستقرار في وقت كانت البلاد تمر فيه بفترة اضطراب استثنائية.

لكن ترامب وصف مكالمة ميلي بأنها "عمل فظيع للغاية لدرجة أنه في الأزمنة الماضية، كانت العقوبة ستكون الموت!". وأضاف أن هذا العمل الخياني كان يمكن أن يؤدي إلى حرب بين الصين والولايات المتحدة.

منذ تقاعده، كان ميلي يتلقى سيلاً من التهديدات بالقتل، وأرجع بعضها إلى محاولات ترامب المتكررة لتشويه سمعته بشكل عنيف.

قـال ميلي لزوجتـه: "إنـه يحـرض النـاس على العنـف باسـتخدام لغـة عنيفـة"، مضيفاً أن ترامب يفعل ذلك بطريقة مبطنة، كما فعل في أحداث 6 يناير.

بصـفته رئيسًـا سـابقًا لهيئـة الأركـان المشـتركة، حصـل ميلي على حمايـة أمنيـة حكومية على مدار الساعة لمدة عامين. لكنـه اتخـذ تـدابير إضـافية على نفقتـه الشخصية، مثل تركيب زجاج مقاوم للرصاص وحوائط مضـادة للانفجـارات في منزله.

"سـأعيدهم إلى الخدمـة الفعليـة، ثم سـأحاكمهم عسـكرياً!" صـاح تـرامب في المكتب البيضاوي في عام 2020، السنة الأخيرة لرئاسته.

كان رئيس هيئة الأركان المشتركة آنذاك، مارك ميلي، ووزير الدفاع مارك إسـبر حاضرين في المكتب البيضاوي ونظرا إلى ترامب بصدمة.

كان ضابطان متقاعدان برتبة أربعة نجـوم قـد أطلقـا انتقـادات شخصـية لاذعـة ضد ترامب في الصحافة. كان ترامب غاضبًا.

صاح"يا لهم من خونة!".

أول ضابط متقاعد أدلى بهـذه التعليقـات كـان الأدمـيرال وليـام مكـرافين، قائـد العمليات الخاصـة الأمريكيـة الـذي أشرف على الغـارة الـتي أسـفرت عن مقتـل زعيم القاعـدة أسـامة بن لادن قبـل عقـد من الـزمن. في مقـال رأي نُشر في صحيفة "واشنطن بوست" في فبراير 2020، قال مكرافين:

"كمواطـنين أمريكـيين، يجب أن نكـون خـائفين - خـائفين بشـدة على مسـتقبل الأمة. عندما لا يستطيع الرجال والنساء الطيبـون قـول الحقيقـة، عنـدما تصـبح الحقائق غير مريحة، عندما لم تعد النزاهـة والشخصـية مهمـتين، عنـدما يصـبح الغـرور الرئاسي وحفـظ الـذات أهم من الأمن القـومي - فلا يوجـد شيء يوقـف انتصار الشر."

في مقال آخر نُشر في صحيفة "نيويورك تـايمز"، قـال مكـرافين: "حـان الـوقت لشـخص جديـد في المكتب البيضـاوي - جمهـوري أو ديمقـراطي أو مسـتقل - كلما كان ذلك أسرع، كان ذلك أفضل. مصير جمهوريتنا يعتمد على ذلك."

الضابط الثاني المنتقد لترامب كان الجنرال المتقاعد ستانلي مكريستال، الذي قاد القوات الأمريكية وحلف شمال الأطلسي في أفغانستان قبل عقد من الزمن. ظهر مكريستال مؤخرًا على قناة "سي إن إن" ووصف ترامب بأنه "غير أخلاقي" و"غير صادق."

كان ترامب غاضبًا.

ها هم ضباط متقاعدون برتبة أربعة نجوم من الماضي البعيد، قد خدموا تحت إدارات جمهورية وديمقراطية، يظهرون مجددًا لتوجيه الانتقادات اللاذعة لترامب.

لم يكن ترامب يحب ترك الانتقادات دون رد. أراد الانتقام.

بصفته القائد الأعلى، كان لدى ترامب سلطة استثنائية على الضباط المفوضين المتقاعدين. كان من صلاحياته استدعاؤهم إلى الخدمة الفعلية ومحاكمتهم عسكريًا. لكن ذلك حدث مرات قليلة فقط في تاريخ الولايات المتحدة ولجرائم خطيرة جدًا. على سبيل المثال، عندما تم توجيه تهم لجنرال متقاعد برتبة نجمتين في عام 2017 بستة تهم باغتصاب قاصر أثناء الخدمة الفعلية في الثمانينيات.

نصح ميلي وإسبر ترامب بعدم السعي في هذا المسار. اتخاذ مثل هذا الإجراء العدائي ضد ضباط متميزين سينقلب عليه. كان لمكرافين ومكريستال، بموجب التقاليد والقانون، الحق في التعبير عن آرائهما. استدعاؤهما سيكون سابقة تاريخية ولن يجذب سوى الانتباه إلى تعليقاتهما حول ترامب.

لم يكن الرئيس يرغب في سماع ذلك.

قال ميلي: "سيدي الرئيس، أنا الضابط العسكري الأعلى المسؤول عن النظام والانضباط الجيدين للضباط العامين وسأهتم بهذا الأمر."

استدار ترامب برأسه وسأل بريبة: "هل ستفعل حقًا؟"

أجابه ميلي بثقة: "بالتأكيد."

قال ترامب: "حسنًا، اهتم أنت بالأمر."

بعد ذلك، اتصل ميلي شخصيًا بمكرافين ومكريستال وحذرهما مما كان ترامب يخطط للقيام به. حان الوقت لهما للابتعاد عن المسرح العام.

قال ميلي: "خففوا من حدة التصريحات." إذا استخدم ترامب سلطته فعلاً لاستدعائهما إلى الخدمة، فلن يكون بوسع ميلي فعل الكثير.

في يونيو 2024، كان ميلي قلقًا من أنه إذا تم إعادة انتخاب ترامب، قد يحاول مرة أخرى استدعاءه وغيره من الضباط المتقاعدين لمحاكمتهم عسكريًا بتهمة الخيانة.

حذر ميلي زملاءه السابقين قائلاً: "إنه إعلان واضح لما سيفعله." وأضاف: "هو يقول ذلك، وليس هو فقط، بل الأشخاص من حوله."

قال ستيف بانون، المستشار المخلص لترامب والرئيس السابق للاستراتيجيات، في برنامجه الحواري "وار روم" عن ميلي: "سنحاسبه." كان بانون قد أدين بتهمة ازدراء الكونغرس لتجاهل مذكرات الاستدعاء الصادرة عن لجنة مجلس النواب في 6 يناير، وكان على وشك أن يبدأ عقوبة بالسجن لمدة أربعة أشهر.

خلال السنة الأخيرة من رئاسته، كان ترامب أيضًا متحمسًا في عدة مناسبات لاستخدام الجيش ضد الشعب الأمريكي، بما في ذلك في صيف 2020 لقمع احتجاجات "حياة السود مهمة".

سأل ترامب وزير الدفاع إسبر في الأول من يونيو 2020 عن المتظاهرين في واشنطن العاصمة: "ألا يمكنكم فقط إطلاق النار عليهم؟ فقط أطلقوا النار على أرجلهم أو شيء من هذا القبيل؟"

قال لي ترامب بحماسة خلال مقابلة هاتفية في 3 يونيو 2020: "سنرسل القوات." كان ترامب غير مهتم بمضمون الاحتجاجات - القتل الوحشي لرجل أسود على يد ضابط شرطة. كان منشغلاً بفكرة أن المتظاهرين يجعلونه وإدارته يبدوان ضعيفين.

في مقابلة أخرى مع ترامب في يونيو 2020، قلت له: "نحن نشترك في شيء واحد. نحن بيض وذوي امتيازات - كان والدي محامياً وقاضياً في إلينوي. ونحن نعرف ما فعله والدك.

"هل لديك أي شعور بأن هذه الامتيازات قد عزلتك وجعلتك في كهف، إلى حد ما، كما فعلت بي - وأعتقد أن الكثير من الأشخاص البيض ذوي الامتيازات - في كهف؟ وأنه يتعين علينا العمل للخروج منه لفهم الغضب والألم الذي يشعر به السود في هذا البلد؟"

أجاب ترامب بقسوة: "لا." وأضاف: "لقد شربت شراب الهلوسة، أليس كذلك؟ فقط استمع إلى نفسك. واو. لا، لا أشعر بذلك على الإطلاق."

سألته: "حقًا لا تشعر بذلك؟"

قال ترامب: "لقد فعلت أكثر من أي رئيس في التاريخ لمصلحة المجتمع الأسود باستثناء ربما لينكولن."

أقنع ميلي وإسبر ترامب بصعوبة بعدم إصدار أوامر بنشر 10,000 جندي في العاصمة الوطنية في ذلك الصيف.

شرح إسبر لترامب التحديات التي ينطوي عليها الأمر، واللوجستيات اللازمة لجلب القوات النخبة لنشرها في واشنطن. كان سيستغرق الأمر وقتًا. لم يكن أمرًا بسيطًا.

قال ترامب: "أريدك أن تكون المسؤول عن هذا، جنرال"، موجهاً كلامه إلى ميلي.

رفع ميلي يديه في إشارة "لا تطلق النار". وقال: "أنا مستشار، سيدي الرئيس. لا أقود القوات."

غاضبًا، نهض ترامب وصرخ أنه لن يساعده أحد.

صرخ قائلاً: "نبدو ضعفاء. أنتم خاسرون! أنتم جميعًا خاسرون لعينون!"

كتب إسبر في مذكراته "القسم المقدس": "بدا أننا على وشك تجاوز خط أحمر مظلم." وأضاف: "لقد اقتربنا من هذه العتبات من قبل، لكن لم يكن الأمر بهذه الأهمية من قبل، ولم يكن بهذا الغضب."

كان إسبر يتساءل: "ماذا سيحدث لو اختفينا جميعاً؟" مشيرًا إلى المسؤولين في حكومة ترامب الذين حالوا مرارًا وتكرارًا دون اتخاذه لقرارات خطيرة أو غير حكيمة، بما في ذلك استخدام الجيش الأمريكي ضد المواطنين الأمريكيين.

بالنسبة لميلي وإسبر، كانت السنة الأخيرة لرئاسة ترامب تتطلب جهدًا كاملاً لإبعاد الجيش الأمريكي عن الأمور المتعلقة بإنفاذ القانون الداخلي.

في حملة 2024، كان ترامب ومستشاروه يروجون بالفعل لكيفية استخدامه القوة العسكرية داخل الولايات المتحدة إذا أعيد انتخابه.

على سبيل المثال، كان الحل الذي اقترحه ترامب لأزمة الهجرة هو تنفيذ "أكبر عملية ترحيل محلية في تاريخ الولايات المتحدة."

قال ترامب خلال مقابلة مع مجلة "تايم" في أبريل 2024: "إذا شعرت أن الأمور تخرج عن السيطرة، فلن أتردد في استخدام الجيش." وأضاف: "يجب أن يكون لدينا قانون ونظام في بلادنا.

"هؤلاء ليسوا مدنيين. هؤلاء أناس ليسوا قانونيين في بلادنا. هذه غزوة لبلدنا.

قال"عليك أن تفعل ما عليك فعله".

تحدث كاتب خطب ترامب ومستشاره في سياسات الهجرة، ستيفن ميلر، عن بناء معسكرات كبيرة لاحتجاز المهاجرين أثناء انتظارهم للترحيل.

قال توم هومان، رئيس إدارة الهجرة والجمارك المؤقت السابق في إدارة ترامب: "استخدام الجيش لجمع المهاجرين، ووضعهم في معسكرات، وترحيل أكثر من 11 مليون مهاجر غير موثق."

كان الخطاب العنيف تذكيرًا بمعسكرات الاعتقال التي أُنشئت للأمريكيين اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية ، والمعروفة باسم "مراكز إعادة التوطين".

وحذر إسبر من أن الرئيس ترامب دفع الولايات المتحدة أيضا إلى "شفا" الحرب عدة مرات.

وقال إسبر في مذكراته: "اقترح الرئيس أو بعض كبار مساعديه في البيت الأبيض القيام بعمل عسكري ما في أو ضد دول أخرى في مناسبات متعددة خلال ما يقرب من ثمانية عشر شهرا خدمت فيها كوزير للدفاع".

كان للرئيس بايدن وزير دفاع واحد - لويد أوستن. مر ترامب بخمسة بحلول الوقت الذي غادر فيه البيت الأبيض في يناير 2021.

كان وزير الدفاع السابق جيمس ماتيس قلقا للغاية من أن ترامب سيخوض حربا نووية مع كوريا الشمالية خلال فترة حكمه لدرجة أنه نام في ملابس رياضية. جاهز في حالات الطوارئ للانضمام إلى مكالمة آمنة ، مؤتمر حدث وطني ، للتعامل مع التهديد. إذا أطلقت كوريا الشمالية صاروخا باليستيا عابرا للقارات ، فقد فوض ترامب السلطة لوزير الدفاع لإسقاط صاروخ يهدد الولايات المتحدة.

"إذا أطلق النار ، أطلق النار" ، أخبرني ترامب خلال مقابلة حول الزعيم الكوري الشمالي كيم جونغ أون.

هذا الموقف المتعجرف بشأن الأسلحة النووية والدبلوماسية المتهورة والقتالية أرعب مستشاري الأمن القومي لترامب.

ذهب ماتيس بشكل خاص إلى الكاتدرائية الوطنية في واشنطن للصلاة وإعداد نفسه لاحتمال الاضطرار إلى استخدام الأسلحة النووية ضد كوريا الشمالية للدفاع عن الولايات المتحدة.

بناء على تقاريري، شكلت لغة ترامب وسلوكه في بعض الأحيان مخاطر على الأمن القومي - سواء خلال فترة رئاسته أو بعدها. وقال العديد من كبار المسؤولين والمساعدين السابقين لترامب علنا إن ترامب لا ينبغي أن يكون رئيسا مرة أخرى ولا ينبغي حتى أن يكون على بطاقة الاقتراع.

ومن بين هؤلاء: نائب الرئيس السابق مايك بنس. وزير الدفاع السابق مارك إسبر. الرئيس السابق لهيئة الأركان المشتركة الجنرال مارك ميلي ؛ مستشار الأمن القومي السابق جون بولتون ؛ وزير الدفاع السابق جيمس ماتيس ؛ المدير السابق للاستخبارات الوطنية دان كوتس. رئيس الأركان السابق جون كيلي ؛ رئيس الأركان السابق ميك مولفاني ؛ ووزير الخارجية السابق ريكس تيلرسون.

تسعة وستون

بحلول يونيو 2024، كان أكبر خطر على إرث الرئيس بايدن، وعلى البلاد، هو قراره بالترشح لفترة ولاية أخرى في سن 81 عامًا. إذا فاز في نوفمبر وخدم الأربع سنوات، فسيغادر البيت الأبيض وهو يبلغ من العمر 86 عامًا. كان بايدن يظهر بالفعل علامات التراجع. خلال ساعات العمل، كان يمكن أن يكون رئيسًا قويًا، ولكن خارج ذلك، وخاصة في المساء، كان يبدو أكثر اضطرابًا.

قال أحد أصدقائه الذين كانوا على اتصال به في أواخر ديسمبر 2023: "إنه مرهق نصف الوقت، وهذا واضح في صوته".

وأضاف الصديق أن عزلته لم تكن مفيدة. "العزلة المرتبطة بالمنصب نفسه تمنعه من التحدث إلى الأشخاص الذين كان معهم في مجلس الشيوخ وفي السياسة لمدة 40 عامًا. لم يعودوا يروه كثيرًا كما في السابق."

كتب المؤرخون والرؤساء أنفسهم كثيرًا عن الوحدة المرتبطة بالرئاسة. تركيز القوة والمسؤولية على كتفي الرئيس يكون كبيرًا جدًا بحيث لا يمكن لأي مساعد أو عضو في مجلس الوزراء أو فرد من العائلة أن يشارك بشكل كامل في هذه التجربة.

تلقى أحد أقرب معاوني بايدن مكالمة من نائبة الرئيس كامالا هاريس في عام 2023.

"مدام نائبة الرئيس، كيف حالك؟"

"أنا بخير"، قالت نائبة الرئيس. "اتصلت لأطلب منك - في الحقيقة، أرجوك - هل يمكنك التحدث مع الرئيس أكثر مما تتحدث معه؟ رئيسك يحبك حقًا. يجب أن تتحدث معه أكثر مما تفعل."

كان المعاون صريحًا مع نائبة الرئيس. قال: "اسمعي، أحد أكبر الأسباب التي تجعل بايدن يتصل بي هو أنني أوفر له مستوى من الراحة إلى درجة أنه يستطيع أن يلعن بحرية ويقول 'يا له من أحمق ذلك الرجل جو مانشين'". مانشين هو السيناتور الديمقراطي المحافظ من ولاية فيرجينيا الغربية الذي تحول إلى مستقل والذي تسبب في مشاكل لبايدن بشأن تشريعات هامة.

ضحكت نائبة الرئيس
قالت هاريس "قديكون هذا هو السبب الوحيد الذي يجعله لا يزال مرتاحًا معي إلى حد ما "

" لأنه يعلم أنني الشخص الوحيد الموجود الذي يعرف كيفية نطق كلمة ابن الزانية بشكل صحيح " (motherfucker)

أصدر المستشار الخاص السابق روبرت هير، الذي حقق في ما إذا كان بايدن قد تعامل بشكل غير صحيح مع وثائق سرية بعد فترة توليه منصب نائب الرئيس، تقريره العام في فبراير 2024. وصف هير بايدن بأنه "رجل مسن متعاطف وحسن النية بذاكرة ضعيفة". وذكر أن بايدن واجه مشاكل "كبيرة" في الذاكرة خلال خمس ساعات من المقابلات التي أُجريت على مدار يومين، في 8 و9 أكتوبر، في خضم أزمة إسرائيل.

أظهر نص مقابلة بايدن مع هير أن بايدن سأل:

"متى أعلنت الترشح للرئاسة؟"

"متى توقفت عن أن أكون نائب الرئيس؟"

"في عام 2009، هل كنت لا أزال نائب الرئيس؟"

قراءة متعاطفة للنص الكامل ترسم صورة لعدم يقين بايدن بشكل أكثر منطقية.

مرتين واجه بايدن صعوبة في تذكر الكلمات المتعلقة بـ"آلة الفاكس".

قال بايدن: "ترى حيث توجد طابعة وهناك - ماذا تسميها، تلك الآلة التي...". فأشار محامي البيت الأبيض إلى "آلة الفاكس" في كلتا المرتين.

أدرج هير بين أسبابه لعدم متابعة المحاكمة أنه "سيكون من الصعب إقناع هيئة المحلفين بأنهم يجب أن يدينوه - حينها سيكون رئيسًا سابقًا في الثمانينيات من عمره - بجريمة خطيرة تتطلب وجود حالة ذهنية إرادية".

كان بايدن غاضبًا.

قال للصحفيين بعد أن أصدرت وزارة العدل تقرير هير: "أنا حسن النية، وأنا رجل مسن، وأنا أعلم تمامًا ما أفعله!".

خلال نفس المؤتمر الصحفي المسائي في البيت الأبيض في 8 فبراير 2024، تم سؤال بايدن عن الوضع الإنساني في غزة، وارتكب خطأً حين أشار إلى الرئيس السيسي في مصر على أنه "رئيس المكسيك"، وذلك بعد لحظات من دفاعه عن ذاكرته بأنها "جيدة".

في أواخر فبراير، قام الدكتور كيفن أوكونور من المركز الطبي العسكري الوطني والتر ريد، والذي كان الطبيب الرئيسي لبايدن منذ عام 2009، بفحص بايدن برفقة طبيب أعصاب، وجراحي عظام، وأخصائي علاج طبيعي. وخلص إلى أن بايدن "مؤهل للخدمة".

أشار الدكتور أوكونور في تقريره العلني إلى أن بايدن يعاني من "التهاب المفاصل الشوكي الحاد، والتهاب خفيف في القدم بعد الكسر، واعتلال الأعصاب المحيطية الحسي الخفيف في القدمين"، مما أسهم في الطريقة المتصلبة التي يمشي بها. كان بايدن قد تعرض لكسور صغيرة في قدمه أثناء اللعب مع كلبه الألماني في نوفمبر 2020.

كما أن الرئيس كان يعاني من بعض الانزعاج في الورك الأيسر، وهو ما أشار طبيبه إلى أنه بالتأكيد يساهم في تصلب مشيته. كان بايدن يخضع للعلاج الطبيعي. وكان يستمر في ممارسة التمارين الرياضية والتمدد من أربع إلى خمس مرات في الأسبوع.

وقال الدكتور أوكونور أيضًا: "كان الفحص العصبي التفصيلي للغاية مطمئنًا مرة أخرى حيث لم تكن هناك نتائج تتماشى مع أي اضطراب عصبي مركزي مثل السكتة الدماغية، أو التصلب المتعدد، أو مرض باركنسون، أو التصلب الجانبي الصاعد. دعم الفحص مجددًا وجود اعتلال أعصاب محيطي خفيف في كلا القدمين. لم يُظهر أي ضعف عضلي، لكن تم الكشف عن فرق طفيف في الشعور بالحرارة/البرودة."

ولكن مجرد مشاهدة بايدن على التلفزيون دفع أطباء آخرين ذوي خبرة إلى القول إن الرئيس قد يظهر أعراضًا مبكرة لمرض باركنسون، الذي يتطور ببطء على مدار عدة سنوات. نقص تعابير الوجه، وضعف الصوت، والإيماءات البطيئة والميكانيكية يمكن أن تكون مؤشرات مبكرة.

خطاب حالة الاتحاد الذي ألقاه الرئيس بايدن في مارس 2024، والذي اعتُبر على نطاق واسع واحدًا من أقوى خطاباته خلال مسيرته في الحياة العامة، قلل مؤقتًا من التكهنات حول عمره وقدراته الإدراكية. حيث رد على صيحات الجمهوريين، بما في ذلك النائبة مارجوري تايلور غرين، بشأن الهجرة ودعا الرئيس السابق ترامب إلى التوقف عن عرقلة مشروع قانون الهجرة الذي يتمتع بتأييد الحزبين. قال بايدن: "إذا كان سلفي يشاهد الآن، بدلاً من ممارسة السياسة والضغط على أعضاء الكونغرس لعرقلة مشروع القانون، انضم إليّ في مطالبة الكونغرس بتمريره. يمكننا أن نفعل ذلك معًا." وقد نطق النائب الجمهوري جيمس لانكفورد "هو على حق."

ومع ذلك، كانت مشاهدة مقابلات بايدن الأخرى والمؤتمرات الصحفية بدون جهاز قراءة عن بعد تشبه في بعض الأحيان تجربة خلع الأسنان المؤلمة حيث كان يستغرق وقتًا طويلًا في تقديم النقاط بشكل مرهق. وكان ضعف صوته يجعله يبدو عجوزًا بشكل خاص.

في حدث لجمع التبرعات في وادي السيليكون في 10 مايو 2024، حضره حوالي 30 شخصًا، اشتكى الضيوف بعد ذلك سرًا من أنه كان "غريبًا" أن بايدن استخدم جهاز قراءة عن بعد في مثل هذا الحدث الصغير.

ذهب أحد المديرين التنفيذيين في استوديوهات هوليوود لرؤية الرئيس بايدن وقدم له بعض النصائح الصريحة.

قال المدير التنفيذي للرئيس: "أنت تدمر حملتك." "في كل مرة تخرج وتمشي، يعتقد الناس 'عجوز.' لا تضع نفسك في موقف يُصوِّرك فيه وأنت تمشي."

كان من الصعب على الرئيس تجنب المشي أمام الكاميرات. ولكن حاول البيت الأبيض تشتيت الانتباه عن مشيته المتصلبة عن طريق إحاطته بمساعدين خلال مشيه عبر الحديقة إلى المروحية مارين وان.

تم إجراء تعديلات مرئية أخرى لاستيعاب تقدمه في العمر. غالبًا ما كان بايدن يرتدي أحذية رياضية توفر ثباتًا أفضل وأكثر أمانًا، وكان يستخدم السلالم الأقصر في الجزء الخلفي من الطائرة الرئاسية لتقليل خطر السقوط. هذه احتياطات معقولة قد يتخذها أي شخص يبلغ من العمر **81** عامًا.

ومع ذلك، كانت بعض الإجراءات غير معتادة. غالبًا ما كانت حملة بايدن تقدم قائمة بالأسئلة المقترحة والموافَق عليها للمحاورين. في بعض الأحيان، كان مساعدو البيت الأبيض يمسكون الميكروفون عند طرح سؤال نادر على بايدن من قبل مراسل، ويسحبونه إذا كان خط الأسئلة عدائيًا للغاية أو تضمن متابعة.

خلال اجتماع مع رئيس موظفي بايدن جيف زينتس، سأل المتبرعون عن استعداد بايدن للمناظرة الرئاسية مع ترامب المقررة في **27** يونيو. "لديه المناظرة القادمة. هل يمكنكم أن تمنحوه بعض الراحة؟ بعض النوم؟" سأل أحد المتبرعين.

أجاب زينتس: "بايدن هو من يقود الجدول الزمني". "إنه من يريد أن يفعل كل شيء، وليس الموظفين. إنهم يحاولون، لكنه من الصعب السيطرة عليه."

حتى أوائل يونيو **2024**، كان عمر بايدن موضوع نقاش بين مجلس وزرائه ومستشاريه الكبار على أنه مشكلة متعلقة بالمظهر أكثر من كونها مشكلة تتعلق بالقدرة. بايدن يعاني من التأتأة طوال حياته وكان مشهورًا بالزلات في

الأحداث الصحفية العامة. أصر مستشاروه على أن تجربتهم مع الرئيس كانت مختلفة عما يظهر في الفعاليات العامة.

كان كولين كال يعرف تفكير بايدن في السياسة الخارجية، حيث خدم كمستشار الأمن القومي لبايدن لمدة عامين ونصف خلال فترة نيابته للرئاسة (2014-2017) ثم كمستشار سياسي كبير لوزير الدفاع أوستن (2021-يوليو 2023). تابع كال بايدن لما يقرب من عقد من الزمن وتفاعل معه بانتظام حتى صيف 2023.

قال بايدن عدة مرات لكال وللآخرين: "مشكلتي ليست أنني أقول ما أعنيه. مشكلتي هي أنني أقول كل ما أعنيه."

قال كال في أوائل يونيو 2024: "هناك هذا الشعور بأنه يُحمى من قبل الموظفين." "لقد خلق ذلك انطباعًا، الذي بالطبع زاد الجمهوريون من تضخيمه، بأنه في الأساس عجوز وغير واعٍ، ويتم دفعه إلى المسرح من قبل موظفيه. وبالفعل، لا يدير الحكومة."

"نعم، إنه أكبر سنًا"، قال كال. "نعم، إنه يتعب بشكل أكثر تكرارًا."

لكن كال وجد أن بايدن مختلف خلف الكواليس. "إنه ليس متدهورًا ذهنيًا وهو يعرف الكثير عن العالم. وسواء أحببت سياسته الخارجية أم لا، فهي سياسته. مائة بالمائة. سواء كانت أفغانستان أو أوكرانيا أو غزة. ليست سياسة جيك سوليفان. ليست سياسة توني بلينكن. ليست سياسة لويد أوستن. إنها سياسة جو بايدن."

"لقد دفع فريقه. لقد تحدى فريقه. يمكن إقناعه وتحريكه"، قال كال، "لكن في جوهر الأمر، سواء أعجبك الأمر أم لا، هذه هي سياساته التي توصل إليها بناءً على 40 أو 50 عامًا من الخبرة."

قال الرئيس السابق لهيئة الأركان المشتركة مارك ميلي عن انخراط بايدن في الاجتماعات خلال فترة ولايته، التي انتهت في 30 سبتمبر 2023: "إنه يقظ." "جيك سوليفان، يشبه تقريبًا شركة محاماة. إنه يملأك بهذه القراءات. تحصل

على واجبات منزلية طوال الأسبوع مع جيك. وهذا جيد وعادةً ما تكون المجلدات التي تحصل عليها سميكة بما يكفي تصل إلى بوصة أو اثنتين.

"في كل اجتماع حضرته مع الرئيس بايدن، بلا استثناء، كان من الواضح أنه قد أتم واجباته المنزلية. لقد أتم القراءات. وكان واضحًا أنه قد قام بالقراءات. ثم كان لديه ملاحظات صغيرة أو جهازه المحمول مفتوحًا وكان يجري نقاشًا منطقيًا ونشطًا ذهابًا وإيابًا. كان ذلك دائمًا. كان دائمًا هكذا.

"في كل الاجتماعات التي كنت معه فيها، والتي كانت كثيرة"، قال ميلي، "لم أره قط ينعس أو يغلق عينيه كما لو كان نائمًا. لقد رأيت أشخاصًا في نصف عمره ينعسون في الاجتماعات لأن بعض المواد ليست مثيرة جدًا.

"لقد كان دائمًا منخرطًا في أسئلة شديدة التفاعل ذهابًا وإيابًا وكان دائمًا مستمعًا جيدًا. لم يكن يقاطع الناس، لم يكن يفعل أيًا من تلك الأشياء وكان يستمع إلى ما كان لديك لتقوله.

"قد لا يوافق على ما تقوله، لكنه كان يستمع"، أضاف ميلي. "قد لا يقرر ما أوصينا به، لكنه كان يستمع دائمًا.

"لم أره قط يفقد السيطرة."

قال مستشار الأمن القومي جيك سوليفان للآخرين إنه رأى فرقًا جسديًا بين بايدن الذي عمل معه كنائب للرئيس وبايدن الآن. "لكن من الصعب عليّ حقًا قياس الفرق لأنني رأيته كتواصل مستمر."

قالت ماغي جودلاندر، الضابطة السابقة في الاستخبارات البحرية والمسؤولة الكبيرة السابقة في وزارة العدل، لسوليفان، زوجها، بعد أن سمعت مكالمة هاتفية كان يجريها مع الرئيس بايدن ووزير الخارجية بلينكن في 4 نوفمبر 2023: "لم أشعر أبدًا في حياتي كلها برغبة في تسجيل أي شيء سرًا."

وأضافت: "لم يخطر لي ذلك أبدًا." ولكن جودلاندر اعتقدت أنه إذا "استمع الناس إلى جو بايدن في العمل" سيكون من الصعب على أي شخص "بحسن نية أو عقل" أن يشكك في ما إذا كان يتصرف كقائد أعلى.

كان عيد ميلادها وقد أخبرت جودلاندر سوليفان أنها تريد "الاستماع إلى حديث جو بايدن."

سألت جودلاندر سوليفان، لماذا كان مشاهدة بايدن على التلفزيون مرهقًا للغاية في حين أنه في أماكن مثل هذه يبدو العكس تمامًا؟

قال سوليفان: "لا أعرف". "ليس لدي تفسير لذلك."

أظهرت استطلاعات الرأي أن 80 في المائة من الأميركيين و73 في المائة من جميع الناخبين المسجلين يعتقدون أن بايدن كان كبيرًا جدًا في السن ليكون فعالًا.

"الناس لا يركزون حقًا على ما أنجزه جو بايدن"، قال كال. "لديهم مشاعر بأن الأسعار مرتفعة جدًا. ويلقون اللوم عليه لأنه الرئيس. لديهم مشاعر بأن العالم فوضوي وبالتالي لا يقيمونه بناءً على الإنجازات."

سبعون

في السابع والعشرين من يونيو، قبل أكثر من أربعة أشهر من يوم الانتخابات، تنقل الرئيس بايدن ببطء على منصة المناظرة الرئاسية في استوديوهات "سي إن إن" في أتلانتا، جورجيا. بايدن، الذي كان بالفعل أكبر رئيس في تاريخ الولايات المتحدة، بدا شاحبًا ومتعبًا وضعيفًا، كأنه شبح لرجل. كان أداؤه المتعثر وغير المترابط سيصبح واحدًا من أسوأ العروض العامة لرئيس أميركي في التاريخ. وقد تسبب ذلك في أزمة تهدد بقاءه السياسي.

في المقابل، كان الرئيس السابق ترامب، الذي يصغره بثلاث سنوات فقط، يبدو بشكل مختلف تمامًا. فترامب، الذي كان يتحرك على المسرح كرياضي متقاعد، وقف بثقة عند منصته، رافعًا رأسه ومبديًا الرضا عن نفسه.

لم يتصافح المرشحان الرئاسيان.

عند طرح أسئلة روتينية حول الاقتصاد والسياسة الخارجية والبيئة والهجرة، بدا بايدن وكأنه يكافح للعثور على الكلمات وتكوين جملة واضحة. كان صوته ضعيفًا لدرجة تكاد لا تُسمع. وعندما سُئل عن الدين الوطني، قال بايدن:

"لدينا ألف تريليونير في أميركا - أقصد، مليارديرفي أميركا. وماذا يحدث؟ هم في موقف حيث يدفعون بالفعل 8.2 في المئة فقط من الضرائب. إذا دفعوا 24 في المئة أو 25 في المئة - أي من هذين الرقمين - فإنهم سيجمعون 500 مليون - مليار دولار، يجب أن أقول، خلال فترة عشر سنوات. كنا سنتمكن من محو - مسح هذا الدين... ونتأكد من أننا نستطيع جعل كل شخص مؤهل لما تمكنت من القيام به مع كوفيد، أعذروني، مع... التعامل مع كل ما علينا فعله مع... انظروا، إذا أخيرًا تغلبنا على... ميديكير."

كانت الأفكار مشوشة وغير مترابطة.

كان الأمر محزنًا، وصورة صادمة لصراع في استعادة سلطته.

لم يكن هناك أي إحساس بالتحكم الرئاسي. كان بايدن يغلق عينيه أثناء طرح الأسئلة، كما لو كان يكافح داخليًا ليتذكر أو ليركز وينهي تسلسل أفكاره البسيط. وعندما كان ترامب يتحدث، كان فم بايدن مفتوحًا في الغالب، وعيناه واسعتان وزجاجيتان.

أما حجج ترامب، فقد كانت مزيجًا من المبالغات الصارخة والأكاذيب الواضحة. هاجم، لكنه بدا أكثر حيوية وسيطرة. ولم يستطع بايدن الرد أو مجادلته. كانت تعابير وجه ترامب تظهره في حالته الطبيعية.

قال ترامب بعد انتهاء وقت بايدن للإجابة على سؤال حول الحدود الجنوبية: "حقًا، لا أعرف ما الذي قاله في نهاية تلك الجملة، ولا أعتقد أنه يعرف أيضًا."

حتى قبل انتهاء المناظرة، كانت حالة من الذعر الكامل تعم بين الديمقراطيين.

كان هناك انهيار واضح في الثقة العامة بقدرة بايدن على قيادة البلاد، خاصة لأربع سنوات أخرى. وبدأت القيادة الديمقراطية والمتبرعون بالدعوة إلى تنحي بايدن. وتم إطلاق حملة ضغط من قبل العديد من حلفائه السياسيين المقربين، بما في ذلك نانسي بيلوسي.

في البداية، تجاهل بايدن المناظرة بوصفها "ليلة سيئة". وفي رسالة من صفحتين وجهها إلى "الديمقراطيين الزملاء"، أعلن الرئيس أنه "ملتزم بشدة بالبقاء في هذا السباق، والركض حتى النهاية، وهزيمة دونالد ترامب".

لكن مستشاريه كانوا يعلمون أن أي هفوة أخرى، حتى ولو كانت أقل سوءًا، يمكن أن تغرق حملته، ومعها فرص الحزب الديمقراطي في الانتخابات. لم يكن الأمر يتعلق فقط بالرئاسة؛ فموجة حمراء من الجمهوريين في مجلسي النواب والشيوخ ستمنح ترامب قوة هائلة.

في الرابع من يوليو، بعد أسبوع فقط من الكارثة التامة في المناظرة التي شاهدها 51 مليون شخص وأطلقت موجة من الدعوات لاستقالة بايدن، انسحب بايدن وبلينكن لتناول الغداء في غرفة الطعام الخاصة الصغيرة المجاورة للمكتب البيضاوي.

شعر بلينكن بمسؤولية كبيرة. لم يكن فقط يعمل عن قرب مع بايدن على مدى الـ 22 عامًا الماضية، بل كان يعجب به ويحبّه بشدة. وكان يعلم أن بايدن يدرك أن ما سيقوله بلينكن الآن لم يكن له أي أجندة سوى ما هو جيد لبايدن وللبلد.

ومع ذلك، كان بلينكن دائمًا التابع، حتى الآن كوزير للخارجية، وكان بحاجة إلى تجاوز هذا، لاستكشاف كل الأسباب بشكل صارم، سواء للبقاء أو الانسحاب.

كان هذا وقت الحسم.

قال بلينكن: "لا أريد أن أرى إرثك مهددًا". ثم قدم نظريته: "أي شخص يُكتب عنه يحصل على جملة واحدة فقط. هذا هو الإرث." جملة واحدة.

"إذا أدى هذا القرار إلى بقائك وفوزك بإعادة الانتخاب، فهذا رائع. إذا أدى إلى بقائك وخسارتك، فهذه هي الجملة."

كانت تلك هي الحقيقة القاسية.

تابع بلينكن قائلاً: "السؤال الحقيقي هو: هل تريد حقًا القيام بذلك لأربع سنوات أخرى؟"

قال بايدن إنه يشعر بأنه قادر تمامًا على القيام بالمهمة الآن. وبلينكن كان يعتقد أن هذا صحيح. فكرة أن الموظفين كانوا يخفون تدهور القدرات العقلية لبايدن كانت سخيفة. فقد شاهد بلينكن عن كثب قدرة بايدن على معالجة أصعب القضايا بمهارة كل يوم. ولكن الرئيس سيصبح فقط أكثر تقدمًا في العمر وأضعف.

أشار بلينكن إلى أن القصة قد انحرفت، وربما يكون من المستحيل تغيير مسارها، وقال: "طالما أن الحديث يدور حولك وقدرتك، فإن ذلك سيجعل من الصعب النجاح في نوفمبر، لأن التركيز يجب أن يعود إلى ترامب أو يجب أن تكون هناك أجندة قوية وإيجابية تسود. ولكن طالما أن هذا هو السؤال الأساسي، فسيكون الأمر صعبًا."

كان بلينكن يعلم أن معاناة هانتر قد أثرت على بايدن عاطفيًا أكثر بكثير مما يمكن أن يتخيله أي شخص من الخارج أو من العامة. أطلق أحد أصدقاء بايدن المقربين على هذا "الحرب الحقيقية"، المعركة التي أثرت على بايدن أكثر من أوكرانيا، أكثر من إسرائيل. كان الذنب ساحقًا. إذا لم يكن بايدن رئيسًا، "لم يكن ليتم التحقيق مع ولدي الجميل، ولدي الصغير"، كما كان يقول بايدن. كان بايدن محطماً.

كانت مشاكل هانتر تطارد بايدن، مما جعله غير متوازن، منشغلاً، وسلبت منه الكثير.

كان بلينكن لديه طفلان صغيران، وكان يتأثر في بعض الأحيان عند التفكير في "هانتر في الهاوية ووالده يحاول يائسًا إخراجه، لانتشاله." بايدن أراد حماية هانتر، لكنه فشل.

قال بلينكن إن هذه القرار سيحدد إرثك. كيف ترى الأمور؟ سأل بلينكن.

قال بايدن إن شاغله الرئيسي هو هزيمة ترامب. لقد فعلها مرة. من يمكنه الفوز؟ لم يكن يعتقد أن كامالا هاريس، على الأقل في تلك اللحظة، لديها فرصة أفضل في هزيمة ترامب منه. ولم ير أي مرشح آخر قد يفعل ذلك. سأل بايدن بلينكن عن رأيه.

قال بلينكن: "لديك إرث استثنائي"، وسرد أعظم إنجازات بايدن. هزيمة ترامب في 2020. إنقاذ البلاد من جائحة كوفيد مع أفضل انتعاش اقتصادي بين جميع الدول. "سجل تشريعي ليس له مثيل على الأقل منذ ليندون جونسون، وربما منذ فرانكلين روزفلت." إصلاح وتنشيط العلاقات الدولية. لقد فعلت بالضبط ما كنت تسعى للقيام به.

وأضاف: "لقد رأيت هذا عن قرب لفترة طويلة." حكمك وقدرتك على معالجة القضايا قوية وصائبة.

ثم قال بلينكن: "هل تستطيع رؤية نفسك تقوم بهذا العمل لأربع سنوات أخرى؟ عليك أن تجيب على هذا السؤال. وهذا مختلف عن القول إنني أؤدي العمل في الوقت الحالي. وهذا ما يثير قلقي."

كان بإمكان بلينكن أن يرى أن بايدن بالتأكيد لديه سؤال في ذهنه حول أين سيكون بعد سنتين أو أربع سنوات.

الآن كان السؤال المباشر هو الحملة. وقال بلينكن: "انظر، التحدي هو أنه سيتعين عليك القيام بذلك كل يوم خلال الأشهر الثلاثة المقبلة".

""سينظر الناس دائمًا إلى هذا من خلال المنظور. هذا صعب. طالما أن المحادثة تركز عليك وعلى قدرتك على القيام بذلك ، فإن ذلك يجعل الأمور صعبة للغاية لأن المحادثة تحتاج حقا إلى التركيز على ترامب ".

استطاع بلينكن أن يرى أن بايدن، الذي طارد الرئاسة طوال حياته، كان يميل في اتجاه البقاء في السباق.

كانت هناك صفة "أسد في الشتاء" لبايدن. زعيم مسن مقتنع بأنه لا يزال حيويا وقادرا على القيادة ، غير متأكد من أن أي شخص آخر يمكن أن يتولى العباءة كما يستطيع في وقت محفوف بالمخاطر.

لكن يبدو أن بايدن لديه عقل متفتح بشأن هذه المسألة.

في نهاية محادثتهما ، اعتقد بلينكن أن الرئيس سيبدأ فحصا كاملا للخيارات. واحدة من عمليات بايدن الشهيرة: مناقشة كاملة ، وبث وجهة نظر الجميع وخاصة آراء مايك دونيلون وستيف ريتشيتي.

لم يفعل أداء بايدن في قمة الناتو في واشنطن ، 9-11 يوليو ، الكثير لتبديد الأسئلة التي تدور حول لياقته للاستمرار. وبينما أظهر الرئيس سيطرته على سياسته الخارجية خلال مؤتمر صحفي عقده حلف شمال الأطلسي، سرق خطأ

مؤسف كل ذلك عند تقديم الرئيس الأوكراني زيلينسكي على أنه "الرئيس بوتين".

استغرق الأمر أقل من شهر للزلزال السياسي التالي.

واحد وسبعون

بعد عدة دقائق من خطاب الرئيس ترامب في تجمع في بتلر، بنسلفانيا، يوم السبت، 13 يوليو، أطلق مسلح وحيد النار من سطح قريب. المسلح، توماس ماثيو كروكس، 20 عامًا. وضع ترامب يده اليمنى على أذنه.

"انبطحوا! انبطحوا!" صاح عملاء الخدمة السرية. انحنى ترامب على يديه وركبتيه خلف المنصة. غطت الدماء أذنه وانهمرت على خده. أحاط به عملاء الخدمة السرية ونقلوه بسرعة إلى خارج المسرح.

أصر ترامب"انتظروا، انتظروا". رفع قبضته في الهواء وأومأ للجمهور قائلاً: "قاوموا. قاوموا. قاوموا".

انفجر الجمهور بالهتافات: "الولايات المتحدة. الولايات المتحدة. الولايات المتحدة."

أحد المتفرجين، كوري كومبيراتور، رئيس إطفاء سابق، قُتل أثناء حماية عائلته من رصاص كروكس. أصيب متفرجان آخران في إطلاق النار.

خرج سراح ترامب من المستشفى في تلك الليلة. كان يخطط للعب الجولف في ناديه في بيدمينستر، نيوجيرسي، مع ليندسي غراهام في صباح اليوم التالي، الأحد، فاتصل به.

قال ترامب"مرحبًا، ستلعب غدًا". "لا أعتقد أنني أستطيع اللعب."

"عن ماذا تتحدث؟" قال غراهام بدهشة. لم يستطع تصديق أن الرئيس كان يفكر في الجولف. "اسمع، لا تقلق بشأن جولة الجولف. لقد ألغى الكثيرون مواعيدهم معي"، ضحك غراهام ليرفع المعنويات، "لكن لم يحدث ذلك في مثل هذه الظروف."

قال ترامب إنه سيقضي اليوم التالي مع ابنه الأصغر، بارون، الذي أصبح الآن يبلغ من العمر 18 عامًا. قال "بارون مضطرب جدًا". "بارون وملانيا."

قال غراهام إنه سيرى ترامب في وقت لاحق من يوم الأحد. كانوا يطيرون إلى ميلووكي لحضور مؤتمر الحزب الجمهوري.

على متن الطائرة، كان ترامب يرتدي ضمادة بيضاء كبيرة على أذنه وظهر بروح معنوية جيدة. كان يروي القصة بالكامل، ويدير رأسه لينظر إلى الرسم البياني لأرقام الهجرة، يسمع صوت صفير، شيء يضربه بقوة في الأذن. الدم.

اعتقد غراهام"كان الأمر يزعجه أن شخصًا قُتل" .

بدأ مستشارو ترامب في مناقشة استراتيجية الحملة.

"لا توجد طريقة سيبقى بها بايدن في السباق"، قال غراهام. "لا توجد طريقة." اختلف الجميع على الطائرة. سيبقى بايدن في السباق وسيظل الديمقراطيون يدعمونه.

كان ترامب صامتًا. الجميع نظروا إليه.

قال إنه لا يعرف.

أولئك المقربون من الرئيس السابق يمكنهم أن يروا أن محاولة الاغتيال قد هزته. كانت الرصاصة قد مرت على بعد نصف بوصة من حياته. هل تغير؟ كان ترامب ومستشاروه يعيدون كتابة خطابه لمؤتمر الحزب الجمهوري لإرسال رسالة "موحدة" أكثر.

بعد الساعة 10:30 مساءً يوم 19 يوليو، خرج ترامب إلى المسرح مرتديًا ضمادة بيضاء على أذنه وأرسل قبلات للجمهور. بدأ خطابه برسالة مهدئة.

"يجب أن يُشفى الخلاف والانقسام في مجتمعنا"، قال ترامب. "كمواطنين أمريكيين، نحن مرتبطون بمصير واحد ومستقبل مشترك. ننهض معًا أو

نتفكك. أنا أترشح لأكون رئيسًا لكل أمريكا، وليس لنصف أمريكا لأنه لا يوجد انتصار في الفوز بنصف أمريكا." كانت هذه عبارة توحيدية قوية.

لكنها لم تدم. بعد 20 دقيقة، عاد ترامب إلى خطابه الحاد القتالي لبقية خطابه الذي استمر لمدة 90 دقيقة.

"ستكون هذه الانتخابات الأهم في تاريخ بلدنا"، أعلن ترامب. "الحرب الآن مستعرة في أوروبا والشرق الأوسط، وظلال الصراع تتزايد في تايوان وكوريا والفلبين وكل آسيا، وكوكبنا على حافة الحرب العالمية الثالثة.

"الأسلحة لم تعد دبابات الجيوش التي تتحرك ذهابًا وإيابًا وتطلق النار على بعضها البعض. هذه الأسلحة هي للتدمير... حان الوقت للتغيير. هذه الإدارة لا يمكنها أن تحل المشكلات. نحن نتعامل مع أشخاص قساة جدًا.

"إذا أخذت أسوأ عشرة رؤساء في تاريخ الولايات المتحدة. فكر في الأمر. أسوأ عشرة. وجمعتهم، لن يكونوا قد أحدثوا الضرر الذي أحدثه بايدن. الضرر الذي فعله لهذا البلد لا يمكن تصوره. لا يمكن تصوره.

بعد يومين، حدثت هزة أخرى في السباق. يوم الأحد، 21 يوليو، أعلن الرئيس بايدن، الذي كان معزولًا في ريهوث بسبب إصابته بكوفيد، أنه سينسحب من السباق لإعادة الانتخاب. وأعلن تأييده لنائبة الرئيس كامالا هاريس لتكون المرشحة الديمقراطية بدلاً منه. سيظل بايدن رئيسًا حتى تنصيب 2025.

تحدث الرئيس بايدن مع هاريس في صباح ذلك اليوم الأحد، مانحًا إياها ساعات فقط للتحضير لدخول السباق.

يمكن أن تتحرك السياسة الأمريكية بسرعة عندما تظهر الحقيقة بهذه الوضوح. على عكس ترامب، أظهر بايدن أنه يستطيع قبول الحقائق الصعبة، ورغم طموحه الشخصي يرى ما هو في المصلحة العامة. كان كبيرًا في السن جدًا ليخوض هذا السباق الانتخابي.

لم يكن واضحًا متى سيتوقف صيف الزلازل السياسية.

قال بلينكن لبايدن"أنا فخور جدًا بما فعلته". "لا أستطيع أن أفكر في العديد من الأشخاص في موقعك الذين قد يفعلون ما فعلته". التخلي عن السلطة الرئاسية في هذه الظروف، كان أشبه بالقصص الشكسبيرية. "أعتقد أن هذا هو القرار الصائب لك، ولإرثك، ولمستقبل البلاد."

أخبر بلينكن لاحقًا صديقًا أنه يعتقد أن الخطوة الأكثر أهمية التي اتخذها بايدن في ذلك اليوم كانت تأييده الفوري لهاريس. "لقد تجنب بذلك الاقتتال الداخلي المجنون داخل الحزب. ووحد الجميع خلفها. وكان عليه ختمه.

"وأعتقد أنه ربما يعود إلى شعور بايدن بأنه لم يحصل على ذلك من الرئيس أوباما في عام 2016"، قال بلينكن. "كان محبطًا. شعر بأنه، كما نائبه، كان هذا هو الترتيب الطبيعي."

اثنان وسبعون

مدير وكالة الاستخبارات المركزية بيل بيرنز كان عرضة لما أسماه "النوم المتقطع" بانتظام. كان قلقًا بشأن انفجار الشرق الأوسط في صراع يشمل المنطقة بأكملها، وعن المؤامرات الروسية، وعن خطر مرتفع لهجوم إرهابي في الولايات المتحدة قبل انتخابات نوفمبر.

أظهرت المعلومات الاستخباراتية في يوليو 2024 أن أحد أكثر الجماعات الإرهابية نشاطًا وقوة حاليًا، وهي جماعة "داعش-خراسان"، كانت تخطط لهجمات داخل الولايات المتحدة.

"يمكننا رؤية تخطيطهم الخارجي"، أفاد المدير بيرنز. "الكثير منه موجه إلى أوروبا. بعضه، مع ذلك، موجه إلى الولايات المتحدة."

تم إحباط هجمات عنيفة مرتبطة بداعش-خراسان بهدوء هذا العام في ألمانيا والسويد وأماكن أخرى، مما يظهر التوسع والخطر المتزايد لهذه الجماعة الإرهابية التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية ذات الجذور في جنوب غرب آسيا وآسيا الوسطى.

قال بيرنز"التدفق المعلوماتي الذي نلتقطه مزعج حقًا".

كانت "داعش-خراسان" مسؤولة عن مجزرة 22 مارس في قاعة حفلات موسكو، التي قتلت أكثر من 130 شخصًا وأصابت المئات. اعترضت وكالة الاستخبارات المركزية خطط "داعش-خراسان" سرًا وحذرت روسيا قبل الهجوم. أصدرت السفارة الأمريكية في موسكو تحذيرًا عامًا للأمن في 7 مارس، محذرة من أن الولايات المتحدة "تراقب تقارير بأن المتطرفين يخططون لاستهداف تجمعات كبيرة في موسكو، بما في ذلك الحفلات". حتى أن وكالة الاستخبارات المركزية أسمت "كروكس سيتي هول" كهدف محتمل. رفض الرئيس الروسي فلاديمير بوتين التحذيرات. كان هذا الهجوم

الإرهابي الأكثر دموية في أوروبا منذ عقدين. حاول بوتين تحويل اللوم إلى أوكرانيا.

يمكن أن تكون القدرات الاستخباراتية الأمريكية غير عادية. كان المدير بيرنز يعلم أنه في بعض الأحيان كان بإمكانه رؤية ما هو قادم لروسيا بشكل أوضح مما يمكن لبوتين رؤيته. على سبيل المثال، كانت وكالة الاستخبارات المركزية قادرة على رؤية تمرد بريغوجين "على الأقل قبل أسابيع قليلة" من أمر قائد مجموعة فاغنر لجنوده غير النظاميين بالمسير نحو موسكو.

بعد شهر من هجوم موسكو الإرهابي، اعتقلت إدارة الهجرة والجمارك الأمريكية ثمانية أشخاص من طاجيكستان في نيويورك وفيلادلفيا ولوس أنجلوس، بعد أن حددت وكالة الاستخبارات المركزية بالتعاون الوثيق مع مكتب التحقيقات الفيدرالي ارتباطات مع "داعش-خراسان". كان هؤلاء الأفراد قد دخلوا الولايات المتحدة عبر الحدود الجنوبية وطلبوا اللجوء.

كما كانت وكالات الاستخبارات الأمريكية قلقة بشأن التهديدات القادمة من منطقة الساحل في غرب أفريقيا حيث يخطط فروع من القاعدة وداعش لهجمات إرهابية. أجبرت الانقلابات الأخيرة في بوركينا فاسو ومالي والنيجر الجيش الأمريكي على الانسحاب، مما أعاق جمع المعلومات الاستخباراتية في المنطقة. تعمل وكالة الاستخبارات المركزية الآن بدون القدرات التي كانت تمتلكها قبل الانقلابات.

كان بيرنز قلقًا بشأن فجوات أخرى في رؤيتهم، بما في ذلك خطر الأفراد المتطرفين، "الذئاب المنفردة "، الذين قد يظهرون فجأة دون سابق إنذار ويقومون بتفجير عبوات ناسفة أو إطلاق النار.

لم تكن التهديدات للولايات المتحدة، بما في ذلك الأمريكيين في الخارج، مقتصرة على الجماعات الإرهابية. كانت دول مثل إيران تُظهر بالفعل ما وصف بيرنز بأنه "شهية متزايدة للمخاطرة" منذ هجوم حماس في 7 أكتوبر 2023 على إسرائيل.

كانت الحرب بين إسرائيل وغزة لا تزال "وضعًا قابلًا للاشتعال بشـدة" يمكن أن تنفجر في حرب شاملة في الشرق الأوسط في أي لحظة، كما كان بيرنز يحـذر بانتظام. كان الخطر الأكبر هو اندلاع جبهة ثانية عبر الحدود الشمالية لإسرائيل مع لبنان. كما يمكن أن تفتح جبهة ثالثة في الضفة الغربية.

"واحـدة من أكثر الأشياء التي أدهشتني"، أشار بيرنز، "في الأشهر التسعة الأخيرة هي أن الضفة الغربية لم تشتعل."

أو، يمكن أن تفتح جبهة رابعة مع إيران. أظهرت الضربة الصاروخية الباليستية الإيرانية الكبيرة على إسرائيل علي شهية النظام الإيراني المتزايدة للمخاطرة.

قـال"إن حجم [الـرد الإيـراني] هـو مـا أعتقـد أنـه يسـبب قـدرًا من القلـق وقلـق النوم" .

بالعودة إلى العام الماضي، شهد مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي كريستوفر راي أمام لجنة الأمن الداخلي في مجلس الشيوخ في أكتـوبر أن طهـران كـانت تواصل التخطيط ضد "مسؤولين حكوميين أمريكيين حـاليين أو سـابقين" بعـد اغتيال القائد العسكري الإيراني قاسم سليماني في يناير 2020 خلال رئاسة ترامب. تم تحـذير الخدمـة السرية من قبل إدارة بايـدن من تهديـد غـير محـدد للرئيس ترامب قبل تجمعه الانتخابي في 13 يوليو. رفضت إيران أي تـورط في محاولة اغتيال الرئيس السابق.

كـان مستشـار الأمن القـومي جيـك سـوليفان أيضًا في حالـة قلـق دائم بشـأن التهديدات التي تواجه الـوطن. "شيء مـا يبقيـني بالتأكيـد مسـتيقظًا في الليـل وهو التقاء الذكاء الاصطناعي والأسلحة المتقدمة. ما يعنيه ذلك لأعداء دولتنا وقـدرتهم على إلحـاق الأذى ومـا يعنيـه ذلـك للعصـابات الإرهابيـة"، قـال سوليفان. "ثورة الذكاء الاصطناعي لديها فرص لا تصدق مرتبطة بها، ولكن يـا رجل، مخاطر عميقة، عميقة."

كما كانت وكالات الاستخبارات الأمريكية تراقب عن كثب لمعرفة ما إذا كانت روسيا ستطلق قمرًا صناعيًا ثانيًا من نوع "كوزموس 2576"، وهو أحدث أسلحة الفضاء الروسية، ولكن هذه المرة مع حمولة نووية. حتى لو كان بوتين ينوي استخدامها كملاذ أخير، قال بيرنز"فإن ذلك سيصيبنا جميعًا بالرعب".

في رحلة إلى الصين في يونيو، أطلع بيرنز نظراءه الصينيين على المعلومات. حذرهم بيرنز "سيكون هذا تدميرًا عشوائيًا". "لذلك ستدمر أقمار الجميع الصناعية في مدار الأرض المنخفض سواء كانت صينية أو روسية أو لنا أو أوروبية... يمكن أن يتسبب نظريًا في أضرار كبيرة لأنظمة تحديد المواقع العالمية للجميع."

لم يعتقد بيرنز أن التهديد ذو احتمالية عالية ولكن كان هذا من نوعية الأمور التي تقلقه عندما يرن الهاتف في وقت متأخر من الليل.

في تقرير طويل سري للرئيس بايدن حول مناقشاته في الصين، أشار بيرنز إلى "الشراكة الدفاعية المتزايدة القوة بين روسيا وكوريا الشمالية التي أزعجت الصينيين إلى حد ما لأنها جعلت كيم جونغ أون أكثر جرأة." كان الصينيون قلقين من أنها قد تجعل زعيم كوريا الشمالية أكثر تهورًا، خاصة إذا شعر أنه لا يتلقى الاهتمام الكافي. برنامج صواريخ كيم نما بشكل كبير لكنه لا يزال يعتمد على مصادر من خارج كوريا الشمالية. كان هذا يعطي وكالة الاستخبارات المركزية فرصًا لتعطيل هذا التجارة بشكل سري.

من ناحية أخرى، كان برنامج كوريا الشمالية النووي يعتمد الآن بشكل كبير على المصادر المحلية ولم يعد يعتمد على الدعم أو التكنولوجيا الخارجية. لم يكن لدى كيم بعد القدرة على نشر سلاح نووي بشكل فعال ودقيق على صاروخ باليستي عابر للقارات ليصل إلى الولايات المتحدة ولكنه كان يقترب. كان هذا جزءًا من المخاطر المرتبطة بالشراكة الدفاعية بين روسيا وكوريا الشمالية، إذ يمكن أن تتدفق إمدادات الأسلحة والقدرات في كلا الاتجاهين.

كان مدير وكالة الاستخبارات المركزية قلقًا من مدى قرب كيم من الحصول على هذه القدرة. "منطقياً وعقلانياً لن يفعلها"، قال بيرنز، مشيرًا إلى إطلاق صاروخ عابر للقارات محمل برأس نووي على الولايات المتحدة. "سيردع من فعلها. ولكن مجرد امتلاكه لهذه القدرة مزعج حقًا."

وصف بيرنز الخطر بأنه "تصعيد غير مقصود وغير مخطط له".

كانت فترة شديدة الخطورة للولايات المتحدة واستقرار العالم، حسب اعتقاد بيرنز. كانت جميع أنظمة الإنذار تضيء باللون الأحمر.

ثلاثة وسبعون

"في الأسبوع الذي تلا محاولة الاغتيال، والناس بالفعل بدأوا ينسون الأمر"، قال جايسون ميلر، المساعد الأول والمدير الإعلامي لحملة ترامب، في 25 يوليو بغضب. كان ميلر أحد أكثر مساعدي ترامب ولاءً ومدافعًا عن حركة "اجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى" (MAGA)، ويمتلك خبرة من حملتي ترامب 2016 و2020. بعد حادثة إطلاق النار، كان ترامب يُعامل تقريبًا كمخلص من قبل أنصاره، مما أعطى تمويله واستطلاعات الرأي دفعة كبيرة.

لكن انسحاب بايدن من السباق قد حول العناوين والاهتمام إلى نائبة الرئيس. بعض وسائل الإعلام، التي كان ميلر يعتقد أنها جزء من مؤامرة ليبرالية يسارية واسعة النطاق، وضعت تاجًا على رأسها.

"الديمقراطيون أرسلوه فعليًا إلى المحرقة السياسية"، قال ميلر عن بايدن. "هذا ليس لطيفًا! لقد دفعوا بهذا الرجل للخروج وكأنه يتلقى هبوطًا ذهبيًا لمدة ستة أشهر أخرى كقائد للعالم الحر"، أضاف.

"كيف سيعالج الاقتصاد، أو الحدود، أو أي شيء آخر، حتى على الصعيد الدولي؟ لا يمكنك التركيز على الشؤون الدولية عندما يعلم الجميع أنك ستغادر في غضون ستة أشهر. لماذا تعتقد أن نتنياهو وكل هؤلاء الأشخاص، أو زيلينسكي، يريدون لقاء ترامب؟ إنهم يعرفون أن بايدن لن يكون موجودًا. كيف يمكنك تحقيق أي شيء في الشؤون الخارجية عندما تكون قد قوضت نفسك؟"

في الواقع، كان بايدن قد حرر نفسه ليحقق المزيد في غضون ستة أشهر من خلال تسليم حملة الرئاسة إلى نائبته وشريكها في الترشح، الحاكم تيم والز من مينيسوتا، والتركيز على الحكم.

المهمة الأولى لحملة ترامب كانت تعريف كامالا هاريس. كان الأسلوب مباشرًا لاذعًا. "تحرك بسرعة لتعريف هاريس كفرد غير كفء وراديكالي

ليبرالي"، قال ميلر. "الرئيس تحدث عن ذلك حوالي عشر مرات في خطابه الليلة الماضية".

في تجمع انتخابي في شارلوت بولاية كارولاينا الشمالية، في 24 يوليو، أعلن ترامب: "الآن لدينا ضحية جديدة لنهزمها، الكاذبة كامالا هاريس"، واصفًا إياها أيضًا بأنها "مجنونة يسارية راديكالية"، "نائب الرئيس الأكثر عدم كفاءة ويسارية في تاريخ أمريكا"، و"القوة الليبرالية المفرطة التي تقف وراء كل كارثة لبايدن".

قال ميلر"نحن لا نعتمد كثيرًا على فن التلميح في عالم ترامب".

لكن هل كانت هناك استراتيجية؟

أوضح ميلر"معظم الناخبين"، "يرون [هاريس] كشخص غير جاد، وغير مستعد، وبكلماتنا غير كفؤ". استراتيجية حملة ترامب هي تقديمه كنقيض: إذا كنت غاضبًا من أي شيء - الاقتصاد، الحدود، الجريمة في الشوارع، الفوضى العالمية - صوّت لترامب. "لنعد إلى ما كنت عليه."

كل ما كانوا قد أعدوه للهجوم على بايدن، سيستخدمونه ضد هاريس بنفس القدر.

"تذكر"، قال ميلر، "كانت هي الشخص الذي كان من المفترض أن يصل إلى جذور الهجرة غير الشرعية في المثلث الشمالي. لم ينجح ذلك. كانت ستذهب وتضمن أن بوتين لن يغزو أوكرانيا. لم ينجح ذلك أيضًا. لذا، ليس كما لو أن كامالا هاريس تأتي بثقل كبير إلى معادلة الشؤون الخارجية.

وأضاف ميلر: "لا أعتقد أنها مستعدة لوقت الذروة". "إذا لم تكن مستعدة، إذا لم تكن جاهزة للرد أو وضع رؤية، فستُلتهم بسرعة كبيرة. لا أعتقد أن هاريس مستعدة للوقت الكبير. هذا أمر صعب.

قال"هذه المعركة ستكون معركة شرسة حتى النهاية".

في مـؤتمر الرابطـة الوطنيـة للصـحفيين السـود، كـرر الـرئيس السـابق تـرامب قناعته بأنه كان أفضـل رئيس للأمريكـيين السـود منـذ أبراهـام لنكـولن. وادعى ترامب أن كامالا هاريس كانت قد تبنت هوية سوداء "فجأة"، مما أثار صدمة الجمهور.

"لقد عرفتها منذ فترة طويلـة، بشـكل غـير مباشر، ليس بشـكل مباشر كثـيرًا"، قـال تـرامب، "وكـانت دائمًـا من الـتراث الهنـدي، وكـانت تـروج فقـط للـتراث الهندي. لم أكن أعرف أنها سوداء حتى قبل عدة سنوات عندما قررت أن تصبح سـوداء، والآن تريـد أن تُعـرف بأنهـا سـوداء. لـذا لا أعـرف، هـل هي هنديـة أم سوداء؟"

كانت والدة هاريس الراحلة من الهند ووالدها من جامايكا. كانت خريجة جامعة هـوارد في واشـنطن، واحـدة من أبـرز الجامعـات السـوداء تاريخيًـا (HBCUs)، وكـانت عضـوًا في واحـدة من أقـدم الأخويـات النسـائية السـوداء تاريخيًـا في البلاد - ألفا كابا ألفا.

واصـل تـرامب"أحـترم أيًـا منهمـا"، "لكنهـا من الواضـح أنهـا لا تحترمهمـا. لأنهـا كانت هندية طوال الطريـق، وفجـأة، قـامت بـالتغيير، وأصـبحت شخصًـا أسـود. وأعتقد أن شخصًا ما يجب أن ينظر في ذلك أيضًا."

تعـرض تـرامب لموجـة من الانتقـادات من الـديمقراطيين والجمهـوريين بعـد المقابلة. كتب على منصته "تروث سوشيال": "كـانت الأسـئلة وقحـة وشرسـة، وغالبًا ما كانت في صورة بيان، لكننا سحقناها!"

لم تمنح نائبة الرئيس الكثير من الاهتمام لكلمات ترامب. "كـان العـرض نفسـه القـديم - الانقسـام وعـدم الاحـترام"، قـالت هـاريس في خطـاب تلـك الليلـة. "الشعب الأمريكي يستحق ما هو أفضل."

أربعة وسبعون

كـان رئيس الـوزراء الإسرائيلي بنيـامين نتنيـاهو يعلم أثنـاء متابعتـه لكامـالا هـاريس وهي تعـبر الأبـواب الخشـبية الكبـيرة إلى المكتب الاحتفـالي لنائبـة الرئيس في 25 يوليو أنه لم يكن يجتمع فقط مع مرشحة الحـزب الـديمقراطي للرئاسة بل، على الأقل في تلك اللحظة، مع الرئيسة المحتملة التالية.

في الغرفة الأنيقة ذات الطابع القديم في مبـنى المكتب التنفيـذي الـتي تطـل على الجنـاح الغـربي، جلس كـل من نائبـة الـرئيس وموظفيهـا الكبـار ومنسـق البيت الأبيض لشؤون الشرق الأوسـط بـريت مكغـورك على الجـانب الآخـر من نتنيـاهو ورون ديرمـر وسـفير إسرائيل مايـك هيرتسـوغ. كـان في أحـد جـوانب الغرفـة مكتب الـرئيس تيـودور روزفلت الأصـلي، وهـو نفس المكتب الـذي استخدمه نيكسون خلال فضيحة ووترغيت، حيث أخفى مسجل صوتي. يحتـوي المكتب على درج سري وقّع عليه كل نائب رئيس، وتوقيع بايدن كان عبارة عن خربشة كبيرة وفوضوية.

رحبت هـاريس بالإسرائيليين مؤكـدة على "دعمهـا الـدائم لدولـة إسرائيل" والتزامها "الراسخ بأمن إسرائيل".

"يجب أن يكـون هـذا مفهومـاً دائمـاً في محادثاتنـا"، أكـدت هـاريس لنتنيـاهو. وأضافت أنها، كطفلة صغيرة، كانت تحمل صـناديق زرقـاء لجمـع الأمـوال لـزرع الأشجار في إسرائيل. وأشـارت إلى أن زوجهـا، دوج إمهـوف، الـذي هـو يهـودي، كان يقود جهود الإدارة في مكافحة معاداة السامية.

ولكن ما يحـدث في غـزة، تـابعت هـاريس، معانـاة الفلسـطينيين وكيفيـة إدراك ذلـك خارجيًـا يـؤذي إسرائيل كثـيرًا. "لا تأخـذوا على محمـل الجـد أن الأمريكـيين، خصوصًـا الشـباب منهم، سيكونون داعمين لإسرائيل كمـا كـان جيلي والأجيـال السابقة"، حذرت هاريس. الحرب المستمرة والوضع الإنساني في غزة يخلقان

ويزيـدان من المشـاعر المعاديـة لإسرائيل. "اليـوم يحصـل الجمهـور على المعلومات البصرية"، قالت هاريس. "يرون الصور من غزة وهذا يؤثر على تفكيرهم".

شعر الإسرائيليون أن لهجتها كانت أكثر مراقبة من كونها انتقادية. لم تكن "نقدًا مباشرًا"، قال السفير هيرتسوغ. وأضاف أن نائبة الرئيس كانت تقول "هذه هي الإيجازات والتقارير التي أتلقاها".

"أنا قلقة بشأن الوضع الإنساني في غزة"، تابعت هاريس، موجهة حديثها إلى نتنياهو. "هذا أمر غير مقبول. الناس يتضورون جوعًا. الأوضاع الصحية لا تُحتمل. 4,000 شخص لكل مرحاض في غزة الغربية".

أقر نتنياهو بمشكلة الصرف الصحي. وقال: "لقد أصدرت أوامر للتعامل مع ذلك". لكنه نفى أن الفلسطينيين في غزة يتضورون جوعًا.

"لا يوجد جوع في غزة وبالتأكيد لا توجد سياسة لتجويع الناس"، قال نتنياهو. "كمية الطعام التي تدخل إلى غزة، بما في ذلك السعرات الحرارية لكل شخص، تلبي المعايير. لكن ليس كل الطعام الذي يدخل يصل إلى وجهته لأن حماس تضع يدها على المساعدات الإنسانية. حماس تسرق الطعام. حماس..."

قالت هاريس"حسنًا، يمكننا مناقشة التفاصيل، لكن الإدراك الخارجي ما زال موجودًا".

وأضاف نتنياهو: "إسرائيل اشترت بأموالها الخاصة خيامًا للناس في غزة".

تحولت هاريس إلى القضايا المتعلقة بالضفة الغربية، مشيرة إلى الأراضي الفلسطينية على الضفة الغربية لنهر الأردن التي ضمتها واحتلتها إسرائيل منذ عام 1967. يعيش في الضفة الغربية ما بين مليونين وثلاثة ملايين فلسطيني، بالإضافة إلى حوالي 400 ألف يهودي إسرائيلي في المستوطنات والنقاط الاستيطانية.

"إنهـا قنبلـة موقوتـة"، قـالت هـاريس. "بعض مسـتوطنات إسرائيل تتوسـع بشـكل كبـير. يتم تخصـيص أراضٍ لاسـتخدام المسـتوطنات. لقـد قمت بتشريع خمس نقاط استيطانية غير قانونية. العنف من قبل المستوطنين يتزايد".

لاحظ فيل غوردون، مستشار الأمن القومي لنائبة الـرئيس، أن نتنيـاهو لم ينكـر حقًا الاتهامات.

قال نتنياهو بشكل متهاون: "المستوطنات لم تتوسع. إنها تتوسع رأسيًا وليس أفقيًا. الناس يهاجمون اليهـود في الضـفة الغربيـة. هـذا يجب أن يكـون التركيز الرئيسي".

"لـدينا صـورة مختلفـة عن الصـورة الـتي لـديكم"، أضـاف السـفير الإسرائيلي مايـك هيرتسـوغ. "إيـران تحـاول إثـارة الاضـطرابات والأنشـطة الإرهابيـة في الضفة الغربية. إنهم يهربون الأسلحة على نطاق واسع وفي داخل إسرائيل".

قال نتنياهو، محولاً النقاش مـرة أخـرى إلى الحـرب في غـزة: "أنـا ملـتزم بـإخراج الرهـائن ووقـف إطلاق النـار. لكن لا يمكننـا إعطـاء حمـاس انتصـارًا. إذا بقيت حمـاس في السـلطة في غـزة، فهـذا انتصـار لحمـاس. إنـه هزيمـة لإسرائيل. لا توجـد حكومـة إسرائيلية، سـواء كـانت يمينيـة أو يسـارية، سـتقبل بـذلك. لا أحـد. ليس فقط أنا.

"نريد صفقة تطلق سراح الرهائن ونحن على استعداد لـدفع ثمن وقـف إطلاق النار لفترة من الزمن لتحقيق ذلك"، قال نتنياهو. "إدارتكم تقول إننا نريد وقف إطلاق النـار، ضـمنيًا إنهـاء الحـرب، وهـذا على طـول الطريـق يطلـق سراح الرهائن". هذا غير مقبول بالنسبة للإسرائيليين.

كررت هاريس موقف سياسة بايدن. لا أحد يريـد حمـاس في السـلطة. "إعطـاء الفلسطينيين أفقًا سياسيًا ودولة في نهايـة المطـاف هـو مـا تعتقـد إدارتنـا أنـه الشيء الصحيح الذي يجب القيام بـه"، قـالت. "إنـه في مصـلحتنا المشـتركة ألا نقوض السلطة الفلسطينية"، قالت هاريس، "وأن نبـدأ العمـل على الحوكمـة والأمن وخطط ما بعد الحرب".

قال نتنياهو: "حسنًا، لا يمكننا القيام بهذه الأمور الآن، لأنه سيبدو وكأننا نكافئ من هاجمنا".

وأضاف نتنياهو: "هذا تحدٍ لإسرائيل". واعتقد أن هناك حوالي 30 رهينة ما زالوا على قيد الحياة، بما في ذلك بعض الإسرائيليين الأمريكيين. كان يريد حق النقض (الفيتو) على أي أسرى من حماس يتم مبادلتهم بالرهائن وكان يصر على إطلاق أكبر عدد ممكن من الرهائن الأحياء من حماس في هذه الصفقة.

"أفهم، هذه قضايا مهمة"، قالت هاريس، "لكن لا تجعلوا المثالية عدوًا للخير. إذا تمسكت بحل مثالي لكل قضية ممكنة، بما في ذلك جميع هذه القضايا، فإن الرهائن سيموتون وستكون الأوضاع أسوأ بكثير".

كرر نتنياهو أنه يريد صفقة. "لا أحد يجب أن يتهمني بعدم الرغبة في إبرام صفقة".

انتهى الاجتماع بشكل ودي وعلى نحو جيد بعد حوالي 40 دقيقة. لم تحِد هاريس عن سياسة بايدن.

قال السفير هيرتسوغ: "الاجتماع بحد ذاته لم يكن متوترًا. كان على ما يرام. كان جيدًا". "لم يتم الاتفاق على كل شيء، لكن تمت إدارته بطريقة جعلتنا نتحاور ونستمع إلى بعضنا. لقد استجبنا. كان نقاشًا سياسيًا روتينيًا. لا شيء يستحق الكتابة عنه."

في اجتماع منفصل استمر 90 دقيقة في المكتب البيضاوي مع رئيس الوزراء الإسرائيلي في نفس اليوم، اتخذ الرئيس بايدن نهجًا معاكسًا لهاريس. لم ينتقد بايدن نتنياهو أمام الصحفيين. وقال بايدن ببساطة: "لدينا الكثير لنتحدث عنه"، وشكر نتنياهو بايدن على دعمه الطويل لإسرائيل.

قال نتنياهو أمام الصحفيين: "سيدي الرئيس، لقد عرفنا بعضنا البعض منذ 40 عامًا، وقد عرفت كل رئيس وزراء إسرائيلي منذ 50 عامًا، من غولدا مائير".

ابتسم بايدن وقال: "بالمناسبة، في أول لقاء لي مع رئيسة الوزراء غولدا مائير.. كان لديها مساعد يجلس بجانبي، رجل يدعى رابين." وأصبح إسحاق رابين لاحقًا رئيس وزراء إسرائيل. أضاف بايدن: "هذا هو مدى عمق العلاقة، كنت فقط في الثانية عشرة من عمري آنذاك"، قال مازحًا.

قال السفير هرتسوغ: "الرئيس بايدن ما زال متورطًا بشكل كبير وهو بالتأكيد لا يزال صاحب القرار. لا شك في ذلك".

وأضاف هرتسوغ: "حتى الآن، لم أشعر أن نائبة الرئيس هاريس كان لها أي تأثير على قضايانا. كانت في الغرفة، لكنها لم تكن ذات تأثير. ربما الآن، لأنها ترشح نفسها للرئاسة، أصبحت أكثر انخراطًا قليلاً، خاصة في الواجهة العامة". وأضاف: "إنها أكثر انسجامًا من بايدن مع الخط التقدمي الذي ينتقد إسرائيل بسبب الوضع الإنساني أو معاناة البشر وما إلى ذلك. ليس الأمر أن بايدن لم يتعامل مع الأمر أو لم يهتم به أو لم يذكره، ولكن كما تعلمون، في النهاية يتعلق الأمر بكيفية صياغة الأمور وأين تضع تركيزك".

كانت السلطات الصحية الفلسطينية تُبلغ أن الحملة البرية والجوية لإسرائيل في غزة قد قتلت أكثر من **39,000** شخص، معظمهم من المدنيين، وأجبرت غالبية سكان القطاع البالغ عددهم **2.3** مليون نسمة على ترك منازلهم.

كان نهج هاريس دبلوماسيًا في الجلسات الخاصة وقويًا في العلن. وقد كان له تأثير واضح على الإسرائيليين.

خمسة وسبعون

في أوائل عام 2024، كان أحد مساعدي ترامب يتسكع خارج مكتب الرئيس السابق في مارالاغو.

كان ترامب قد أرسل المساعد خارج الغرفة حتى يتمكن من إجراء ما قال إنه مكالمة هاتفية خاصة مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين. ووفقًا لمساعد ترامب، كانت هناك مكالمات هاتفية متعددة بين ترامب وبوتين، ربما تصل إلى سبع مكالمات منذ مغادرة ترامب للبيت الأبيض في عام 2021.

عندما سألت كبير مساعدي حملة ترامب، جيسون ميلر، في يوليو عما إذا كان يعلم عن مكالمات هاتفية بين الرئيس السابق ترامب وبوتين، كانت إجابته: " أمم، آه، ليس هذا، آه، ليس هذا ما أعرفه."

هل يستطيع ترامب التحدث مع بوتين الآن؟

قال ميلر: "أنا متأكد من أنهم سيعرفون كيف يتواصلون مع بعضهم البعض."

هل يتحدثون عن كيفية إيقاف حرب أوكرانيا؟

قال ميلر: "حسنًا، أعني أن الرئيس ترامب قال إنه سيوقفها وأعتقد أنه يستطيع ذلك. أعتقد أنه يستطيع إيقافها قبل أن يتولى المنصب." كما كان ترامب يقول هذا علنًا في التجمعات.

يُعد قانون لوغان يجعل من غير القانوني للمواطنين العاديين التفاوض على النزاعات دون تفويض واضح من الحكومة الأمريكية الحالية.

"لكن الشخص الذي سيقرر ذلك هو بوتين"، قلت لميلر. أليس كذلك؟

"لا"، قال ميلر، "أعتقد أن الشخص الذي سيقرر ذلك هو الرئيس ترامب لأنه يعرف نقاط الضغط لكل من بوتين وزيلينسكي لإنجاز الأمر."

وأضاف ميلر: "لم أسمع أنهم يتحدثون، لذلك سأعارض ذلك." وأضاف: "لكن مرة أخرى، يعرفون بعضهم البعض منذ أربع سنوات في الرئاسة. سأعارض ذلك"، كرر بشأن المكالمات الهاتفية، "وأكون حذرًا جدًا في القول بأنهم في تواصل أو أي شيء من هذا القبيل قبل الأوان."

"لأجل إنهاء الحرب؟"

قال ميلر: "لكن ذلك لن يحدث في نهاية المطاف، لن يحدث حتى يفوز الرئيس ترامب في 5 نوفمبر ويصبح من الواضح أنه سيتولى الرئاسة". وأضاف: "بعد 5 نوفمبر، أعتقد أن الرئيس ترامب سيكون قادرًا على حل المشكلة أو حل معظمها بحلول الوقت الذي يؤدي فيه اليمين الدستورية."

الأمر لم يكن منطقيًا. كان ترامب يقول علنًا إنه يستطيع حل الحرب قبل أن يتولى المنصب من خلال مكالمة هاتفية؟

قال ميلر"لكل منهما". "أعتقد أنه يستطيع ذلك. يعرف نقاط الضغط. يعرف ما الذي سيحفز كلا الجانبين وأعتقد أنه يمكنه القيام بذلك بمكالمة هاتفية لكل منهما"، في إشارة إلى بوتين وزيلينسكي.

أي محاولة من ترامب للتواصل مع بوتين قبل أن يؤدي اليمين الدستورية كرئيس في 20 يناير 2025 ستكون زلزالًا آخر. ومع ذلك، يوضح المساعد الأقرب لترامب كيف يمكن أن يحاول ترامب وفعليًا يخطط للمحاولة.

واصل ترامب مقابلة قادة العالم الآخرين وفي اليوم التالي، الجمعة 26 يوليو، زار رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو ترامب في مارالاغو.

كانت أفريل هاينز، مديرة الاستخبارات الوطنية التي تشرف على جميع وكالات الاستخبارات الأمريكية الستة عشر، بما في ذلك وكالة الأمن القومي، متحفظة بحذر بشأن مسألة الاتصالات السبع بين ترامب وبوتين.

وقــالت هــاينز: "لن أدعي أنــني على علم بجميــع الاتصــالات مــع بــوتين." وأضافت: "لن أدعي أنني أتحدث عن ما قد يكون قد فعله الرئيس ترامب أو لم يفعله."

خلال مقابلاتي مع الرئيس ترامب آنذاك في عام 2020، تفاخر بعلاقته الوثيقة مع القادة المستبدين مثل الرئيس الروسي بوتين ورئيس الصين شي جين بينغ، وقدم لي "رسائل الحب" التي تبادلها مع زعيم كوريا الشمالية كيم جونغ أون.

كــانت علاقــة تــرامب مــع بــوتين أيضًــا منطقــة أبهــرت دان كــوتس، مــدير الاســتخبارات الوطنيــة لــترامب لمــدة عــامين ونصــف العــام، من 2017 إلى 2019.

قال كوتس في مايو 2024: "لا يزال الأمر لغزًا بالنسبة لي كيف يتعامل مع بوتين وما الذي يقوله له." وأضاف: "إنه لغز لم يتم حله بعد."

عمل كوتس في الدائرة الداخلية للأمن القومي لترامب، في صميم النظام العصبي المركزي لمؤسسة التجسس الأمريكية وأسرارها الأكثر حيوية. كان لديه مقعد في الصف الأول لكلمات ترامب وأفعاله.

قال كوتس: "تواصله الدائم وعدم قوله أي شيء سلبي عن بوتين، وقوله أشياء إيجابية عنه. بالنسبة لي، هذا مخيف."

"هل هو ابتزاز؟" تساءل كوتس. لم يتمكن من معرفة ذلك أبدًا. لكنه كان متأكدًا من أن هناك شيئًا ما.

وقال مدير وكالة الاستخبارات المركزية بيرنز: "بوتين يتلاعب." وأضاف: "إنه مدرب تدريبًا احترافيًا على القيام بذلك." كان يُعتبر على نطاق واسع بين قادة العالم كخبير في التلاعب.

قبل الانتخابات الرئاسية لعام 2016، أدلى بوتين بتعليق عن ترامب باللغة الروسية تم تفسيره بالإنجليزية بأنه يعتقد أن ترامب "رائع".

"كانت الكلمة الروسية الفعلية ملونة، وهي ليست نفس النوع من المجاملة بالضبط"، أوضح بيرنز.

"هناك جوانب في ترمبية (Trumpism) تجذب بوتين"، قال بيرنز لزملائه. "بالتأكيد، في ما يتعلق بأوكرانيا، يجب أن يرى ترامب على أنه أكثر احتمالية للتخلي عن زيلينسكي والأوكرانيين. لذا من هذه الناحية هو جذاب." كان من الصعب الحكم على رأي بوتين بشأن الطبيعة غير المتوقعة وغير المتسقة لقيادة ترامب، وهو ما لم يكن بوتين ولا شي معجبين به.

"لكن بوتين لديه خطة"، قال مدير وكالة الاستخبارات المركزية، "تمامًا كما كان لديه عندما كان ترامب في المنصب، في كيفية اللعب على ترامب."

في 23 مايو، أعلن ترامب أن بوتين سيطلق سراح مراسل وول ستريت جورنال إيفان غيرشكوفيتش، الذي كان محتجزًا في السجون الروسية، إذا تم انتخاب ترامب رئيسًا في نوفمبر.

كتب ترامب على منصة تروث سوشيال: "إيفان غيرشكوفيتش، المراسل من وول ستريت جورنال، الذي يحتجزه روسيا، سيتم إطلاق سراحه على الفور تقريبًا بعد الانتخابات، ولكن بالتأكيد قبل أن أتولى المنصب. سيكون في منزله، آمنًا، ومع عائلته.

"فلاديمير بوتين، رئيس روسيا، سيفعل ذلك من أجلي، ولكن ليس لأي شخص آخر، ولن ندفع أي شيء!"

لم يقدم ترامب سببًا لسبب قيام بوتين بذلك.

عندما سُئل المتحدث باسم الكرملين ديمتري بيسكوف عن ادعاء ترامب، قال إن بوتين "لم يكن لديه اتصالات مع دونالد ترامب."

وبعد شهور من المفاوضات الهادئة التي قادها الرئيس بايدن وسوليفان وشاركت فيها سبع دول على الأقل، تم الإفراج عن إيفان غيرشكوفيتش من السجن الروسي في 1 أغسطس، إلى جانب الأمريكيين بول ويلان وألسو كورماشيفا. وكان الإفراج عنهم جزءًا من أكبر تبادل للسجناء منذ الحرب الباردة، حيث تم إطلاق سراح 24 شخصًا.

خلال المناظرة الرئاسية، جادل الرئيس السابق ترامب بأن الرئيس بوتين "لم يكن ليغزو أوكرانيا أبدًا" إذا كان ترامب لا يزال في المكتب البيضاوي.

"سأخبركم بما حدث،" قال ترامب، "[بايدن] كان سيئًا للغاية في أفغانستان"، وأضاف: "لقد كانت لحظة إحراج فظيعة، أسوأ لحظة في تاريخ بلادنا، وعندما شاهد بوتين ذلك ورأى عدم الكفاءة... عندما رأى بوتين ذلك، قال، كما تعلمون ماذا؟ أعتقد أننا سنذهب ونسعى لتحقيق حلمي - هذا كان حلمه. تحدثت إليه عن ذلك، حلمه. الفرق هو أنه لم يكن ليغزو أوكرانيا أبدًا. أبدًا."

بعد أن كتبت ثلاثة كتب عن رئاسة ترامب وأجريت معه أكثر من ثماني ساعات من المقابلات، من الواضح أنه سيقول ويفعل أي شيء يعتقد أنه في مصلحته.

كتابي الأول عن ترامب، "الخوف"، كشف عن "انهيار عصبي" لرئاسته حيث قام كبار المسؤولين بإزالة الوثائق من مكتبه حتى لا يوقع ترامب على إجراءات قد تؤدي إلى أزمة اقتصادية أو أمنية وطنية كبيرة.

وقال جون ف. كيلي، رئيس موظفي البيت الأبيض، وهو جنرال متقاعد من فئة الأربع نجوم في مشاة البحرية، في الكتاب عن ترامب، "إنه أحمق. من

غير المجدي محاولة إقناعه بأي شيء. لقد خرج عن السيطرة. نحن في مدينة الجنون."

أشار كبير مستشاري ترامب الاقتصاديين، غاري كوهين، إلى ترامب على أنه "كاذب محترف."

وقال جون دود، المحامي الشخصي لترامب في تحقيق مولر بشأن التدخل الروسي في انتخابات 2016، لترامب إنه كاذب لدرجة أنه إذا أدلى بشهادته شخصيًا، فسوف ينتهي به الأمر بـ "بدلة برتقالية" وقال إنه "كاذب ملعون."

كتبت ماجي هابرمان من نيويورك تايمز أن كتابي "الخوف" "يصور البيت الأبيض في عهد ترامب على أنه عملية معقدة، مليئة بالخيانة، وغير قابلة للتحكم في كثير من الأحيان"، وأن الكتاب "أزعج الإدارة والرئيس جزئيًا لأنه كان من الواضح أن الكاتب تحدث مع العديد من المسؤولين الحاليين والسابقين."

أكد السناتور ليندسي غراهام للرئيس ترامب آنذاك أنني لم أضع كلمات في فم ترامب أو أي شخص آخر. ولدهشتي الكاملة، وافق ترامب على إجراء مقابلة معي لكتابي الثاني عن رئاسته، "الغضب."

قال ترامب وهو جالس على كرسي بورغندي خلف مكتب الرئاسة في 5 ديسمبر 2019: "أتمنى لو التقيت بك من أجل الكتاب الأخير." وأضاف: "لكن سنعوض ذلك، سنعوض ذلك."

كان ترامب قد أعد بعض الأدوات التوضيحية على المكتب أمامه. كان هناك كومة من أوامر التعيينات القضائية في وسط المكتب. ثم كان على أحد الجانبين مجلد من الرسائل التي تبادلها ترامب مع زعيم كوريا الشمالية كيم جونغ أون. وعلى الجانب الآخر كانت هناك صور كبيرة لترامب وهو يصافح كيم ويبتسم.

كانت حرب ترامب هي جائحة فيروس كورونا وأداؤه كشف عن شخصيته. وأظهرت هذه المقابلات رجلًا لا يلتزم بالحقيقة، مهووسًا بإعادة انتخابه وغير قادر على التعامل مع أزمة حقيقية.

حذر مستشارو الأمن القومي ترامب من أن الفيروس كان مميتًا ويمثل تهديدًا كبيرًا للبلاد، لكنه لم يطور خطة للاستجابة. لم يكن يعرف كيف يستخدم صلاحياته التنفيذية الاستثنائية لإعطاء الأولوية لإنقاذ أرواح الأمريكيين. من خلال تصريحات تحدٍ، قلل ترامب من شأن الفيروس وتنصل من أي مسؤولية في التعامل معه. لم يكن هناك تعاطف. لم يكن هناك شجاعة.

قال ترامب في أبريل 2020: "أوه، لدي خطة، بوب. أعني، كما تعلم، هو ما هو عليه" عندما تحدث عن فيروس كورونا.

أثناء الأزمات الوطنية، يتطلع الناس إلى رئيسهم لقيادتهم.

قال لي ترامب: "هذه حرب."

سألت ترامب إذا ما كان قد جلس مع الدكتور أنتوني فاوتشي، خبير الأمراض المعدية في البلاد، ليحصل على دروس تفصيلية. قلت له: "هل فاوتشي هو آيزنهاور الخاص بك؟"

رد ترامب: "ليس هناك الكثير من الوقت لذلك، بوب. هذا البيت الأبيض مشغول."

بحلول صيف 2020، كان حوالي 140,000 شخص قد ماتوا في الولايات المتحدة بسبب الفيروس، وفي النهاية تجاوزت حصيلة الوفيات 1.1 مليون.

قال لي ترامب في يوليو 2020: "سترى الخطة، بوب. لدي 106 أيام." كان يقصد الانتخابات الرئاسية القادمة في غضون 106 أيام.

إن عدم اتخاذه لإجراءات فيما يتعلق بفيروس كورونا كلفه تقريبًا انتخابات 2020، وفقًا لاستطلاعات رأي أجراها مستشاروه.

سألته مرة: "ما هو دور الرئيس؟" قال: "حماية الناس."

كان هذا جوابًا جيدًا، لكن ترامب فشل في القيام بذلك.

دونالد ترامب ليس فقط الرجل الخطأ لمنصب الرئاسة، بل هو غير مؤهل لقيادة البلاد. كان ترامب أسوأ بكثير من ريتشارد نيكسون، الرئيس الذي ثبتت جرائمه. وكما أوضحت سابقًا، حكم ترامب بالخوف والغضب. وكان غير مبالٍ بالمصلحة العامة والوطنية.

كان ترامب الرئيس الأكثر تهورًا واندفاعًا في تاريخ الولايات المتحدة، ويظهر نفس الشخصية تمامًا كمرشح رئاسي في عام 2024.

ستة وسبعون

بحلول أواخر يوليو، ارتفع التوتر في الشرق الأوسط مرة أخرى. صرخ بايدن عبر الهاتف على نتنياهو "بيبي، ماذا بحق الجحيم؟" . كانت إسرائيل قد قضت على القائد العسكري البارز لحزب الله، فؤاد شكر، في ضربة على حي مكتظ بالسكان في بيروت، مما أسفر عن مقتل ثلاثة مدنيين على الأقل وإصابة 74 آخرين. وحملت إسرائيل شكر مسؤولية الهجوم الصاروخي على مرتفعات الجولان، الذي أسفر عن مقتل 12 طفلًا إسرائيليًا في ملعب لكرة القدم قبل ثلاثة أيام.

وقال وزير الدفاع الإسرائيلي غالانت في بيان عبر وسائل التواصل الاجتماعي بعد الضربة في لبنان: "حزب الله تجاوز الخط الأحمر".

قال بايدن لنتنياهو: "الأمر مختلف لو كنت قد قبضت عليه بالقرب من الحدود، لكن في بيروت!"

بعد أقل من 12 ساعة، اغتالت إسرائيل القيادي البارز في حماس إسماعيل هنية، أثناء وجوده في طهران لحضور حفل تنصيب الرئيس الإيراني، مسعود بزشكيان. تم تصوير هنية وهو يصافح بزشكيان قبل ساعات من مقتله. يبدو أن إسرائيل زرعت قنبلة في غرفة الضيافة التي كان يقيم فيها هنية قبل أشهر.

أمر المرشد الأعلى خامنئي إيران بالرد على إسرائيل.

صرخ بايدن على نتنياهو: "أنت تعلم أن الانطباع السائد عن إسرائيل حول العالم هو أنها دولة مارقة، لاعب غير مسؤول."

قال نتنياهو: "هذا هنية، أحد أبرز الإرهابيين. شخص سيئ للغاية. رأينا فرصة واستغليناها."

هنية، الذي كان يقيم في قطر، كان أيضًا مفاوضًا رئيسيًا وصانع قرار في حماس في مفاوضات وقف إطلاق النار.

قال نتنياهو: "كلما ضربت بقوة أكبر، زادت فرصك في النجاح في المفاوضات."

أدت الهجمات الإسرائيلية في بيروت وطهران إلى قلب أشهر من المفاوضات الشاقة عبر القنوات الخلفية للتوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار.

نشر وزير الخارجية القطري ورئيس الوزراء، محمد بن عبد الرحمن آل ثاني، الذي كان يعمل على المفاوضات، عبر وسائل التواصل الاجتماعي: "كيف يمكن للوساطة أن تنجح عندما تغتال إحدى الأطراف المفاوض من الطرف الآخر؟"

قال بلينكن لبايدن: "إنه على حق." إسرائيل أدخلت نفسها في مأزق مزدوج.

وقال السفير الإسرائيلي مايك هرتزوغ في تصريحات خاصة دفاعًا عن تصرفات إسرائيل: "نحن نواجه ليس فقط حماس في غزة، بل نواجه إيران ومحور إيران بالكامل، جميع وكلاء إيران."

وأضاف: "الحوثيون يقصفون. حزب الله يقصف يوميًا منذ 8 أكتوبر. الميليشيات الشيعية في العراق وسوريا. إيران نفسها. الهجوم الصاروخي الكبير وقد يهاجموننا مرة أخرى. إيران تحاول فتح جبهة في الضفة الغربية. يحاولون إثارة الاضطرابات في الأردن وأخيرًا إسقاط النظام هناك أيضًا."

"هم على جميع الجبهات في مواجهتنا"، قال هرتزوغ. "الإسرائيليون سيخبرونك أننا نقاتل المحور الإيراني على سبع جبهات. سأضيف جبهة دولية لإسرائيل. المعادون للسامية، الذين ينزعون الشرعية عن إسرائيل، والذين لا يعترفون بحقنا في الوجود. ونرى ذلك في الجامعات، في وسائل التواصل الاجتماعي، في المحكمة الجنائية الدولية أو محكمة العدل الدولية، ومع الافتراءات بأننا نستخدم التجويع كسلاح، وهذا افتراء دموي. كنت في الجيش الإسرائيلي لسنوات عديدة."

"يشعر الإسرائيليون أن الوضع وجودي لأن الجبهات مفتوحة علينا من جميع النواحي. أصبح من الشائع أن تتعرض إسرائيل للهجوم"، قال هرتزوغ.

"بعض الناس عندما يشمون رائحة الدم يحلقون حولك."

خلال أول أسبوعين من أغسطس، كان سوليفان، أوستن وبلينكن يعملون بلا توقف لمحاولة إدارة احتمال الانتقام ضد إسرائيل.

قال سوليفان: " إن الرئيس أصبح على دراية كبيرة بكيفية التعامل مع المواقف الخطيرة، مثل المرتين (11 أكتوبر و13 أبريل) عندما كانت المنطقة على وشك الدخول في حرب . "نحن نحرك الأصول الأمريكية إلى مواقعها، نرسل رسائل إلى الإيرانيين، نرسل رسائل غير مباشرة إلى حزب الله، ننسق مع الإسرائيليين، ثم نحاول جعل الجميع يركزون على حقيقة أن السبيل الوحيد للخروج من هذا هو وقف إطلاق النار."

وجه وزير الدفاع أوستن عدة تحركات لتعزيز جاهزية الولايات المتحدة للدفاع عن إسرائيل. قام بتمركز مجموعتين حاملتين للطائرات في المنطقة، وزيادة وجود الطرادات والمدمرات، ونشر سرب إضافي من المقاتلات في الشرق الأوسط لدعم الدفاع الجوي الإسرائيلي. كانوا الآن ينتظرون ليروا ما ستقرره إيران.

قال سوليفان في منتصف أغسطس: "قد نرى هجومًا كبيرًا على إسرائيل في الأيام المقبلة. هذا احتمال وارد".

وختم سوليفان بالقول: "السبيل الوحيد للخروج من هذا هو وقف إطلاق النار."

سبعة وسبعون

في كتابي "القادة"، الذي تناولت فيه حرب الخليج الأولى عام 1991، كتبت: "القرار بالدخول في حرب هو قرار يحدد هوية الأمة، سواء أمام العالم أو، وربما الأهم، أمام نفسها. لا يوجد عمل أكثر جدية بالنسبة للحكومة الوطنية، ولا يوجد معيار أدق للقيادة الوطنية."

هذا الكتاب، "الحرب"، يعرض الجهود والقرارات التي تم اتخاذها لمحاولة منع الحرب، وعندما وقعت الحروب، لتجنب التصعيد.

اليوم، كما في الماضي، أعتقد أن قرارات الحروب تحدد قادة الأمم. بلغت الوفيات العسكرية الأمريكية في فيتنام 52,880. كانت حرب فيتنام حدثًا ضخمًا لجيل بايدن، جيلي. لم يشارك بايدن في الحرب، ولم يحتج ضدها. بصفته سيناتورًا، كان يقول مرارًا وتكرارًا إنها كانت مجرد "سياسة سيئة."

لم يكن بايدن متأثرًا بروح الحرب أو الروح المناهضة للحرب. وعندما كان سيناتورًا، قال إن اعتراضاته على حرب فيتنام لم تكن أخلاقية بل عملية. كانت الخسائر البشرية ضخمة ولم تحقق الحرب النتائج المطلوبة.

عندما كان نائبًا للرئيس في عام 2009، بذل بايدن جهدًا مكثفًا، ولكن غير ناجح، لإقناع الرئيس أوباما بعدم إرسال 30,000 جندي أمريكي إضافي إلى أفغانستان. كانت حجته الرئيسية أن أفغانستان ستكون مثل الماضي عندما كانت الولايات المتحدة "محبوسة في فيتنام." الحفاظ على الولايات المتحدة والقوات الأمريكية بعيدًا عن خوض الحروب غير الضرورية أصبح حجر الزاوية في تفكير بايدن.

بحلول الوقت الذي أصبح فيه بايدن رئيسًا في عام 2021، كان مقتنعًا بأنه ما لم تتعرض الولايات المتحدة للهجوم، فإن إرسال القوات الأمريكية لحل

مشاكل السياسة الخارجية لم يخدم مصالح البلاد. من فيتنام إلى أفغانستان والعراق، كان الحل العسكري غير مجدٍ.

أحد أكثر الأيام أهمية في رئاسة بايدن كان في 8 ديسمبر 2021 — قبل أشهر من غزو روسيا لأوكرانيا — عندما جلس في المكتب البيضاوي مع جيك سوليفان وقال: "لن أرسل قوات أمريكية إلى أوكرانيا." ثم أعلن ذلك علنًا.

وقال أثناء سيره عبر حديقة البيت الأبيض نحو مروحية مارين وان: "هذا ليس مطروحًا على الطاولة"، محددًا اتجاهًا جديدًا للسياسة الخارجية.

عندما اندلعت الحرب وغزت روسيا أوكرانيا، التزم بايدن بكلمته. قدمت الولايات المتحدة دعمًا استخباراتيًا هائلًا ومليارات الدولارات من المساعدات العسكرية لأوكرانيا. قدم بايدن الدعم المعنوي وأدان الغزو الروسي. نشر المزيد من القوات الأمريكية في أوروبا واستمر في التعهد بحماية حلفاء الناتو بموجب المادة الخامسة في حال تعرض أي منهم لهجوم. قام بتعبئة الناتو — أقوى تحالف عسكري في العالم — لدعم أوكرانيا دون إرسال قوات إلى هناك.

قال بايدن في فبراير 2022: "ستخرج الولايات المتحدة وحلفاؤنا من هذا الموقف أقوى وأكثر اتحادًا وأكثر عزيمة". وأضاف: "وستكلف عدوانية بوتين روسيا ثمناً باهظًا — اقتصاديًا واستراتيجيًا. وسنتأكد من ذلك. سيكون بوتين منبوذًا على الساحة الدولية."

قال جيك سوليفان: "جو بايدن هو أول رئيس في القرن الحادي والعشرين يمكنه أن يقول إنه لا يوجد جنود أمريكيون في الحرب. نعم، هناك حروب، لكننا لا نقاتل فيها."

"شعر بايدن أن قدرته على دعم أوكرانيا بالكامل، وتقديم الأسلحة ومستويات كبيرة من الدعم، اعتمدت على قدرته على طمأنة الشعب الأمريكي بأنهم لن يُجروا إلى تلك الحرب"، أضاف سوليفان. "لقد أنشأ الرئيس الهيكل الضروري للدعم الأمريكي المستمر لأوكرانيا."

وقال سوليفان: "هل كانت ستحدث حرب في أوكرانيا اليوم لو كان ترامب رئيسًا؟ أقول ربما لا. لماذا؟ لأنه لن تكون هناك حرب لأن بوتين كان سيكون في كييف. ترامب كان سيفتح له الباب. لأن رأي ترامب الأساسي هو: أسمح لهم بفعل ما يريدون."

قال وزير الدفاع لويد أوستن: "القرارات الصعبة دائمًا هي عندما تضطر إلى إرسال القوات إلى مناطق الخطر. أفكر مليًا قبل اتخاذ قرار. أفهم التعقيدات. أفهم القدرات. ولكن دائمًا ما يكون من الصعب اتخاذ قرار بإرسال القوات إلى القتال."

وأضاف أوستن: "ما يحرك بايدن هو أنه يريد أن يكون فعالًا، ويريد أن يحقق أفضل النتائج. وإذا كان عليه أن يضع القوات في القتال، فسيقوم بذلك. ولكن إذا لم يكن من الضروري القيام بذلك، وإذا كان بالإمكان تحقيق الهدف بطريقة أخرى، فأعتقد أنه ماهر بما يكفي للقيام بذلك بطريقة أخرى، وشجاع بما فيه الكفاية."

كان بايدن يركز على إيجاد أفضل طريقة لتحقيق النتائج، وفقًا لأوستن. "سيفعل ما يحتاج إلى فعله. ليس عليك دائمًا إرسال القوات إلى القتال لتكون ناجحًا، وقد أظهر ذلك."

عندما هاجمت حماس إسرائيل في 7 أكتوبر 2023، في واحدة من أكثر الأعمال الإرهابية صدمة وقسوة، قدمت الولايات المتحدة دعمًا هائلًا. تم تحريك السفن وحاملات الطائرات، وتعبئة الموارد الاستخباراتية، لكن لم تطأ قوات أمريكية أرض غزة.

في أبريل 2024، أسقطت القوات الأمريكية صواريخ باليستية وطائرات مسيرة أطلقتها إيران على إسرائيل. دافعت عن إسرائيل بنجاح بمساعدة قوات من المملكة المتحدة وفرنسا والسعودية والأردن. لم تشارك القوات الأمريكية بشكل مباشر في مواجهة إيران. كانت هذه القرارات مبنية على خبرة بايدن.

لقد أسس بايدن سياسة خارجية أمريكية تبقي القوات البرية الأمريكية خارج الحروب. وعلى الأقل في الوقت الحالي، لم ينحدر العالم إلى حرب كبرى بين القوى العظمى.

قال سوليفان: "أعتقد أنه من الجدير بالذكر، حتى لو لم يكن صحيحًا غدًا، فهو صحيح اليوم." وأضاف: "لقد حافظ الرئيس على أمان الوطن. نحن لا نحتفل بهذا النجاح، ولكن ما هو دور القائد العام للقوات المسلحة؟ إنه الحفاظ على أمان الوطن، وقد فعل الرئيس ذلك."

خاتمة

التقرير الخاص بهذا الكتاب عن الرئيس بايدن كان تجربة مختلفة تمامًا بالنسبة لي. العديد من المشاهد التي تكشف الأخبار في كتبي السابقة هي قصص عن الفشل، وسوء الإدارة، وعدم الأمانة، وفساد السلطة التنفيذية، والتي تمثلها بانتظام كتبي عن الرئيسين نيكسون وترامب.

غالبًا ما كنت أقول، على سبيل المزاح نصف الجدي، إنه عندما أستيقظ في الصباح يكون أول ما أفكر فيه هو: "ماذا يخبئون هؤلاء الأوغاد؟" تجربتي هي أن ما يتم إخفاؤه غالبًا ما يكون ذا أهمية كبيرة، وربما ضخمة.

لكن "الحرب"، هذا الكتاب عن بايدن، منحني في كثير من الأحيان نظرة في الوقت الفعلي، ومن داخل الغرفة، على جهود صادقة يبذلها الرئيس وفريقه الأساسي للأمن القومي لاستخدام أدوات السلطة التنفيذية بمسؤولية وبما يخدم المصلحة الوطنية. في صميم الحكم الرشيد، كما يتضح في هذا الكتاب، هو العمل الجماعي.

إرث رئاسة بايدن سيكون الفريق الأساسي للأمن القومي الذي شكله واحتفظ به لأربع سنوات تقريبًا. جلبوا عقودًا من الخبرة بالإضافة إلى بساطة الإنسانية. يُظهر "الحرب" الطرق التقليدية والجديدة التي استخدمها بايدن وفريقه الأساسي لتطوير سياسة خارجية قائمة على المعلومات الاستخباراتية، لتحذير العالم من أن الحرب قادمة في أوكرانيا، ولتزويد أوكرانيا بالأسلحة التي تحتاجها للدفاع عن نفسها ضد روسيا، ومحاولة تهدئة التصعيد في حرب إسرائيل وغزة.

ضم هذا الفريق مستشار الأمن القومي جيك سوليفان ونائبه جون فاينر، ومدير وكالة الاستخبارات المركزية بيل بيرنز، ومديرة الاستخبارات الوطنية أفريل هاينز، ووزير الخارجية توني بلينكن، ووزير الدفاع لويد أوستن، ورئيس هيئة الأركان المشتركة السابق مارك ميلي.

كما يوضح هذا الكتاب، كانت هناك إخفاقات وأخطاء. بـالطبع، القصـة الكاملـة لم تُعـرف بعـد. لكن بنـاءً على الأدلـة المتاحـة حاليًـا، أعتقـد أن الـرئيس بايـدن وفريقه سيتم دراستهم في التاريخ كنموذج للقيادة الهادئة والهادفة.

ملاحظة للقراء

تم إجـراء جميـع المقـابلات لهـذا الكتـاب وفقًـا لقاعـدة الصـحافة المعروفـة بـ "الخلفية العميقة". وهـذا يعـني أنـه يمكن اسـتخدام جميـع المعلومـات، ولكن دون ذكر من قدمها.

يسـتند الكتـاب إلى مئـات السـاعات من المقـابلات مـع المشـاركين والشـهود المباشرين على هـذه الأحـداث. وقـد سـمح لي معظمهم بتسـجيل مقابلاتنـا. عندما نسـبت اقتباسـات دقيقـة أو أفكـارًا أو اسـتنتاجات إلى المشـاركين، كـانت تلك المعلومات تأتي من الشخص المعني، أو من زميـل لديـه معرفـة مباشرة، أو من وثائق حكوميـة أو شخصـية، أو من جـداول زمنيـة، أو مـذكرات، أو رسـائل بريد إلكتروني، أو ملاحظات اجتماعات، أو نصوص، أو سجلات أخرى.

رفض الرئيس بايدن والرئيس السابق ترامب إجراء مقابلات لهذا الكتاب.

الاعترافات

لقد كانت الحرب التي لم أكتب عنها هي الحرب لإتمام هذا الكتاب في وقت شهد العديد من الزلازل السياسية. كان جوناثان كارب، الرئيس التنفيذي لشركة **Simon & Schuster**، قوة من الحكمة والاستقرار، وساهم في توسيع أفكاري ومساعدتي في إعادة توجيه التقارير وإعادة الكتابة المستمرة خلال هذه المغامرة الضخمة التي استمرت عامين ونصف.

أنا محظوظ للغاية لأن لدي جون كمدير تحرير لي. لم أعرف أبدًا محررًا متمرسًا ولامعًا مثله، يقوم بتوجيه والتحقيق في كل شيء بدءًا من أصغر اختيارات الكلمات إلى الأسئلة الأكبر حول التوقيت والنبرة والمصلحة العامة. ظل بجانبي بثقة كاملة وسط أعلى وتيرة للتغيرات السياسية من محاولة اغتيال ترامب إلى انسحاب بايدن، والصعود غير المسبوق لنائبة الرئيس كامالا هاريس.

كانت استجابة كارب باستمرار هي التعامل مع الأمر، ودفعني للمزيد من التقارير والمزيد من المصادر. إعادة الصياغة. إعادة الكتابة. يتابع جميع الأخبار ويمتلك فهماً رفيع المستوى ومعقدًا لأفضل الاستشاريين السياسيين الذين أعرفهم. كان يُعتبر الطفل العجيب، ولكنه الآن رجل الدولة الراسخ في عالم نشر الكتب. أدين له بالكثير. إنه دائمًا متاح على الهاتف، حتى أثناء الرحلات على الطرقات النائية.

زوجتي، إلسا، كانت أيضًا مراسلة سابقة في صحيفة **The Washington Post** وكاتبة في مجلة **The New Yorker**. كرست الكثير من السنتين الماضيتين لمساعدتي في هذا الكتاب، وبصراحة، كرست الكثير من حياتها للعمل معي على **20** من أصل **23** كتابًا لي. لم يكن من الممكن أن ينجح كتاب ***War*** بدونها. قرأت مئات من نصوص المقابلات الخاصة بي. دفعتني

باستمرار للعودة إلى التفاصيل. تحدث مع هذا الشخص مرة أخرى. هذه هي الأسئلة التي لا تزال بحاجة إلى إجابة. انقل هذا المشهد. إنه يتصل بهذا المشهد الآخر، ألا ترى ذلك؟.

إلسا لديها غريزة طبيعية لمعرفة ما هو المهم، وكانت تقدم لي بشكل روتيني رسائل بريد إلكتروني تحتوي على أحدث الأخبار من الإنترنت، وتقول: "هل رأيت هذا؟" وعندما تعلم أنني أبحث عن ملخص، كانت ترسل لي بريدًا إلكترونيًا مع تعليمات أكثر مباشرة: "اقرأ هذا حتى النهاية."

غرائزها الإخبارية لا تضاهى. تقوم بتحرير الأقسام ليس مرة واحدة فقط ولكن عدة مرات. وغالبًا ما تتجاوز ملاحظاتها المكتوبة بخط اليد الكلمات المطبوعة على الصفحة. وغالبًا ما تكون أكثر دقة. لديها احتياطات لا تنتهي من الصبر.

إلسا تقرأ كتبًا جادة طوال الوقت. إنها تقرأ أكثر من أي شخص عرفته على الإطلاق. إذا اقترحت تناول العشاء، غالبًا ما تقول: "أنا في وسط هذا الفصل." ربما تقرأ مذكرات نتنياهو. ربما تقرأ كتاب كولم تويبين. هذا يعني أنه لن يكون هناك عشاء حتى تنتهي في غضون خمس أو عشر دقائق. أو أكثر إذا كان الفصل طويلًا. لا يوجد حل وسط. أحيانًا أتساءل عما إذا كانت هناك حريق في المنزل أثناء قراءتها، هل ستكمل الفصل قبل الاتصال بالطوارئ؟

إلسا من أتباع هنري جيمس، الذي قال: "ثلاثة أشياء في الحياة البشرية مهمة. الأول هو أن تكون لطيفًا. والثاني هو أن تكون لطيفًا. والثالث هو أن تكون لطيفًا."

لذا فهي لطيفة. لكنها قوية. ومحبة للغاية. لقد كنا معًا منذ عام 1980—قبل 44 عامًا. إنها العمود الفقري لحياتنا معًا وكل أعمالي.

عائلتي دائمًا في أفكاري يوميًا، وأحيانًا كل ساعة. يمنحني الكثير من الفرح كأب أن أرى الذكاء والدافع والشغف الذي يجلبونه إلى كل ما يفعلونه. ابنتي ديانا تدرس للحصول على درجة الدكتوراه في علم النفس السريري في كاليفورنيا. وابنتي تالي تدير **The Trace**، وهي منظمة مقرها نيويورك تحقق

في العنـف باسـتخدام الأسـلحة. زوجهـا، غـابي روث، وأحفـادي زادي وثيـو يدهشـونني باسـتمرار. شـكرًا لـك يـا روزا كريولـو على طاقتـك الـتي لا تنضـب وروحك السخية أثناء رعايتك لنا جميعًا.

المحرر المتميز فريـد تشـيس جـاء إلى واشـنطن من منزلـه في تكسـاس وأقـام في مـنزلي لمـدة 10 أيـام، حيث كـان يعمـل من السـاعة 5:30 صـباحًا لقـراءة المخطوطـة عـدة مـرات وتطـبيق مهاراتـه اللغويـة ومعرفتـه بالعـالم على كـل فقرة تقريبًا. فريد هو قوة فريدة وأصيلة بحاسة تعمل بـدوام كامـل لاكتشـاف الأخطاء وعدم الدقة.

روبرت بي. بارنيت، المحـامي والمستشـار، هـو ملـك نشر الكتب في واشـنطن. صداقتنا تمتد لأكثر من 35 عامًا. وكما أقول عنـه دائمًا، حكيم، مخلص، ودائمًا متـاح. في كثـير من الأحيـان، يجب أن أنتظـر دوري، لكنـه لا يـترك الأعمـال والاستشارات دون أن ينهيها. سؤاله المعتاد عبر البريد الإلكتروني: "هل يمكن الاتصال بك؟"

أخـيرًا، أشـكر المسـؤولين التنفيـذيين والخـبراء الآخـرين في **S&S** الـذين كـانوا داعمين بشكل مستمر: المحامية الأمريكية إليسا ريفلين، المحررون التنفيذيون بريسـيلا بـاينتون وجوناثـان جـاو، المـدير الإداري سـتيفن بيـدفورد، وأمانـدا مولوهاند في الإدارة التحريرية.

كتابة كتاب تعتمـد على العمـل الجمـاعي. أنـا محظـوظ للغايـة لأن لـدي الكثـير من الأشخاص الموهوبين والطيبين الذين يعملون معي.

نبذة عن الكاتب



بوب وودوارد هو مؤلف ثلاثة كتب حققت المركز الأول في قائمة أفضل الكتب مبيعًا في نيويورك تايمز حول الرئيس ترامب—"الخوف" (2018)، "الغضب" (2020) و"الخطر" (2021) مع روبرت كوستا—ومؤلف كتاب صوتي يحتوي على 20 مقابلة مع ترامب. لقد ألف 22 كتابًا حققت مبيعات كبيرة، 15 منها كانت من بين الكتب الأكثر مبيعًا في نيويورك تايمز، تغطي جميع الرؤساء من نيكسون إلى بايدن.

نبذة عن المترجم

نبذة

برجاء الدعاء لجدتي بالرحمة ولاموات المسلمين